

صلاح نصر



الجزء الأول

# الحرب النفسية

معركة الكلمة والمعتقد

والاتجاه الفردى يزعم أن الانسان خلق كل التنظيمات الاجتماعية ، والعلوم الفنية ، والقيم ، والمقاييس وذلك لمجرد وجود غرائز معينة فيه ، مثل : غريزة الجنس ، وغريزة حب الاجتماع .

اما النظرة الثقافية الاجتماعية فتمنح الفرد قوة ضئيلة أو دافعا ، ويزعم هذا الاتجاه أن الانسان ليس الا مجرد اللعبة لقوى اجتماعية معينة ، أو بمعنى آخر هو مجرد اناء فارغ تصب فيه الثقافة والصفات الاجتماعية . ومن مناصرى هذا الرأى دوركايم Durkheim (١) .

وقد جرى الكثير من الجدل والنقاش العقيم بين هاتين المدرستين ، ولكن فى السنوات الاخيرة كان هناك ميل من جانب أصحاب كلا الرأيين الى أن يتقاربوا بل كذلك الى أن يستعبروا من بعضهم البعض . وقد حان وقت التجاوز عن هذين الرأيين والوصول الى تفاهم أفضل لمركز الفرد فى المجتمع .

ويرى بعض العلماء الذين يحاولون التوفيق بين الرأيين أن على علم النفس الاجتماعى أن يبدأ من الفرد ، فانه اذا لم يكن هناك مخلوقات بشرية لكى تتعامل فيما بينها فما كانت توجد حينئذ ثقافة أو تنظيم اجتماعى ، ولكن ما ان يظهر التنظيم الاجتماعى الى عالم الوجود حتى يؤثر على الفرد . وهذا أمر حقيقى تماما كالحقول بأنه على الرغم من أن الانسان صنع الآلة فان الآلة أيضا تصنع بدورها الانسان . فالانسان كان موجودا فى بداية الامر ولكن انتاجه ليس هو

---

(١) دوركايم ، اميل ( ١٨٥٨ - ١٩١٧ ) أستاذ علم الاجتماع فى جامعة « بوردو » ثم بعد ذلك أستاذ علم الاجتماع وعلم التربية فى جامعة باريس ، رئيس تحرير مجلة L'annee Sociologique سبق كل علماء الاجتماع فى عمره وطور الكثير من الآراء التى جاءت قبله ، وضع دعامة « الفلسفة السياسية » وكان أهم ما كتب :

- 1 ) Division du travail social ( 1893 ).
- 2 ) Suicide ( 1897 ).
- 3 ) Les regles de la methode sociologique ( 1895 ).

والاخير ترجم الى الانجليزية بعنوان :

The rule of Sociological Method, London, 1938.

الانسان نفسه ، بل هو ينتج تنظيميا اجتماعيا ، وماليا ، وعلوما فنية ، ولغة الى غير ذلك . كما ان الباعث ، والادراك ، والتعليم ، ورد الفعل للفرد ، كلها أمور ذات اهمية خاصة لعلم النفس الاجتماعي . ومن ناحية أخرى فان الانسان الذى يشور على المجتمع هو من نتاج هذا المجتمع نفسه . فاذا وضعنا هذه الحقائق فى اعتبارنا فان الجدل بين الاتجاه الفردى ، والاتجاه الثقافى يصبح بلا معنى ، ويظهر رأى واحد يضع فى اعتباره كلا من المجتمع ، والفرد .

ان علم النفس الاجتماعى يعالج وضع الفرد فى اطار اجتماعى ويعمل على تنمية شخصيته فى الوسط الاجتماعى ، كما أنه يهتم بنمو الاراء ، والمفاهيم ، والمقاييس لدراسة العمليات الجماعية ، ويدرس السلوك الجماعى فى كل من الوسط الطبيعى والتجارب المعدة ، وباختصار هو الدراسة العلمية لسلوك الجنس البشرى باستخدام أساليب تجريبية للتحرى والاستفسار .

يقول بونر Bonner « أصبح علم النفس الاجتماعى فى هذه الأيام تفاعليا ، ولم يعد الاهتمام موجها لرد الفعل نتيجة لأحد المثيرات ، بل موجها للتفاعل بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والجماعة ، أو بين الجماعات وبعضها البعض (١) » .

وطبقا لما يراه سارجنت Sargent وويليامسون Williamson (٢) فان علم النفس الاجتماعى هو الدراسة العلمية للأشخاص باعتبارهم أعضاء فى جماعات مع الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية والشخصية فيما بينهم . كما أنه يدرس

---

(١) بونر جون تيلور : عالم أمريكى ، ولد بنيويورك عام ١٩٢٠ حصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد سنة ١٩٤٧ ، عمل أستاذا مساعدا فى جامعة برنستون ١٩٤٧ - ١٩٥٨ ، كان محاضرا بجامعة لندن عام ١٩٥٩ ، ومن أهم مؤلفاته :

1 ) Cells and Societies, 1955.

2 ) The Evolution of Developments, 1958.

3 ) Growth and Form, 1959.

(٢) Sargent and Williamson R. G., Social Psychology, Ronald Press Company (٢) New York, 1950.

السلوك الفردي في تأثيره على سلوك الآخرين ، وفي تأثيره بسلوكهم • وقد يكون السلوك اما كامنا مستورا كالادراك والتفكير ، واما ظاهرا مثل القراءة أو الانتخاب •

## السلوك الاجتماعي :

تعرف دائرة المعارف البريطانية السلوك<sup>(١)</sup> بأنه المظهر الخارجي لنشاط الكائن الحي ، وتقول أن الخاصية الضرورية له هي الحركة التي توجد في أغلب الحيوانات وفي بعض النباتات • هذه الحركة نتيجة تغيرات داخلية وخارجية يقال لها « المنبهات » •

كما توضح أن السلوك يمكن تصنيفه بعدة طرق كل منها مستقل عن الآخر ، فمن الممكن أن ينظم في طوابع مركبة تبعا لعوامل بيولوجية ووراثية ، أو بواسطة تفاعل المعرفة ، أو بالاثنتين معا • والواقع أن السلوك يتأثر في الغالبية بكل هذه التنظيمات معا •

وكحديث عام فإن السلوك يتأثر بأسباب داخلية ، وأسباب خارجية أيضا • ان السلوك ظاهرة معقدة تتعدد الاسباب المؤثرة فيها ، ولهذا فان لمشكلاتها عدة حلول متبادلة •

ومهما يكن من شيء فان عمليات الأبحاث التي تجرى حول المشكلات تحاول الوصول الى اسباب اختلاف السلوك البشرى عن طريق دراسة عوامل عدة أهمها : الوراثة ، العوامل الفسيولوجية ، البيئة الاجتماعية والبيولوجية ، العوامل النفسية ، المعرفة ، العقيدة ، الى غير ذلك من العوامل المؤثرة • ومن ثم فان دراستنا ستتقصر على بحث بعض العوامل الرئيسية التي تحدد سلوك الانسان من حيث هو عضو في المجتمع ائدى يعيش فيه •

---

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية مادة Behaviour ٣ : ٣٢٥ سنة ١٩٦١ •



## الأحوال البيولوجية :

حتى يستطيع الانسان أن يبقى يجب عليه أن يكيف نفسه طبقا لاحوال بيولوجية معينة . ان أعماله التي يمكنه أن يؤديها محدودة ، ويحدث أحيانا أن يتمنى أن تكون الطبيعة قد خلقتة بشكل مغاير ، ويحدث أحيانا أخرى أن يتصرف كما لو كان غير مقيد بقوانين بيولوجية معينة ، ولكنه اذا غالى في تصرفاته أكثر مما يجب أهلك نفسه فرديا أو جماعيا .

كان على الانسان في شتى الحضارات أن يؤدي وظائف خاصة والا هلك . قد يكيف نفسه وفقا لظروف غير عادية ، ولكن في حدود مرسومة . ومع ذلك فان هناك ألوانا من النشاط البيولوجي وجدت بالضرورة أو دائما في كل نمط من أنماط المجتمع .

ولقد تمكن برونيسلو مالينوفسكى Bronislaw Malinowski (١) - عالم الانثروبولوجيا المشهور - أن يعد قائمة بكل :

| الباعث            | العمل             | الدافع                        |
|-------------------|-------------------|-------------------------------|
| الحاجة الى التنفس | استنشاق الأوكسجين | التخلص من ثاني أوكسيد الكربون |
| الجوع             | ابتلاع الاكل      | الشبع                         |
| العطش             | امتصاص السوائل    | الارواء                       |
| الرغبة في الجنس   | العملية الجنسية   | الاشباع                       |
| التعب             | الراحة            | استعادة النشاط العضلي والعصبي |
| التبرم أو القلق   | النشاط            | التخلص من التعب               |

(١) مالينوفسكى ، برونيسلو كاسير مالينوفسكى ( ١٨٨٤ - ١٩٤٢ ) عالم من علماء الانثروبولوجيا البولنديين ، تولى التدريس في جامعة كراكوف في بولنده وجامعة ليزج في ألمانيا ، وأخيرا تولى مركز أستاذ علم الانثروبولوجيا في جامعات هارفارد وبيبل ولندن بعد أن هاجر الى أمريكا .

| الباعث      | العمل                  | الدافع                       |
|-------------|------------------------|------------------------------|
| التعاس      | النوم                  | الاستيقاظ بعد استمادة النشاط |
| ضغط المشاة  | التبول                 | زوال التوتر                  |
| ضغط القولون | التبرز                 | الاسترخاء المعوي             |
| الخوف       | الهرب من الخطر         | الاسترخاء                    |
| الآلم       | تجنب الآلم بعمل ايجابي | العودة الى الحالة الطبيعية   |

ويلاحظ مالمينوفسكى أن النظام الماركسى يقر أن تتابع الجوع ، ثم التغذية ، ثم الشبع ، هو الأساس النهائى الذى تبنى عليه كل الدوافع الانسانية . وينتقد مالمينوفسكى هذا التفسير ذا الاتجاه الواحد على أساس أن جسم الانسان يختلف من شخص الى آخر من الناحيتين التشريحية والفسولوجية ، وعلى ذلك يجب مراعاة استقلال الدوافع المختلفة . وهو يقول « ان كل دافع يتطلب نوعا معيناً من التصرف ، وكل نتيجة حيوية هي الى حد كبير مستقلة عن غيرها » .

ويوجز مالمينوفسكى بعض انطباعاته على النحو التالى :

| الحاجة الأساسية  | الاستجابة الثقافية |
|------------------|--------------------|
| التوالد          | القراة             |
| الراحة الجسمانية | المأوى             |
| السلامة          | الحماية            |
| الحركة           | النشاط             |
| النمو            | التدريب            |
| الصحة            | علم الصحة          |

ان هذه الحاجات الأساسية واستجاباتها الثقافية تشكل جزءاً صغيراً فقط من نظريات مالمينوفسكى بشأن سلوك الانسان .

اما بالنسبة لعلم الاحياء فيقول هذا العالم « انه من الاهمية بمكان لو استطعنا من أجل دراستنا المقارنة لسلوك الانسان المنظم أن نتعلم من أولئك الذين يدرسون تشريح الانسان وفسولوجيته المقارنة وبيئة كل نوع والحد الأدنى من شروط البيئة المادية التي تتفق مع النمو ، وتجدد الخلايا ، والحماية من الميكروبات ، وكفاية التوالد والتكاثر » .

ان علم الأجنة ميدان أخذ في الاتساع على نحو لم يحدث في كل فروع العلوم . ان كل اكتشاف جديد يشير الى أن ما لم يعرف بعد هو أكثر مما كنا نظن في الماضي . ووفقا للاكتشافات الحالية يمكن أن نقول أن الحياة تنشأ بقوة الندو ، ونحن لا يعترينا أى شك قى أن هذه الفكرة سوف يكون لها تأثير كبير على سلوك الانسان . ومع ذلك فان مثل هذه التأملات النظرية هي أبعد ما تكون عن أن تصبح أهدافا عند تحليل سلوك الانسان .

وعند التطبيق العملي تكون دراسة الوراثة بالنسبة للفروق الانسانية على جانب كبير من الاهمية ، لان الناس تقريبا تميل الى تعميم مشاعرهم الجسمية ونتوقع أن نجد نفس هذه المشاعر في كل الاشخاص الآخرين ، ومما لا شك فيه انه كان لهذا الميل نتائج سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية خطيرة .

ولكن هل يمكن أن نجري اختبارا للتأثير على الصفات الوراثية المختلفة في الاشخاص المختلفين ؟

ان نظريات الوراثة التي جاءت بها الدوائر العلمية في الغرب<sup>(١)</sup> لم يتقبلها العلامة السوفييتي ليسنكو Lysenko ومدرسته<sup>(٢)</sup> . ففي السنوات ١٩٣٥ -

---

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية مادة Soviet Genetics ١١ : ٤٩٥ سنة ١٩٦١ .

(٢) ليسنكو ، تروفيم دنيسوفيتش ليسنكو : أصلا من علماء الزراعة وله عدة اختبارات وتجارب في العمليات التوليدية والتناسلية في النبات والحيوان . ولد سنة ١٨٩٨ ، تعلم في كييف ، منح جائزة ستالين مرتين ، ومنح وسام لين للعلم عضو اكاديمية العلوم السوفيتية ، عضو عدة جمعيات ومؤسسات علمية في أوديسا بجنوب روسيا .

١٩٣٨ حدث جدال عنيف فى الاتحاد السوفيتى بين العلماء السوفييت الذين يتقبلون نظريات الوراثة الغربية حيث يطلق عليها اسم « المندلية والوراثانية المورجانية » ، نسبة الى العلماء : مندل (١) ، ووريمان ، ومورجان (٢) ، وبين ليسنكو وأفراد مدرسته الذين أقاموا أساس نظريتهم فى الوراثة على كتابات العالم الروسى ف. بنجورين « ١٨٥٥ / ١٩٣٥ » محترف زراعة البساتين « Horticulturalist »

وانتهى الجدل والنقاش فى سنة ١٩٤٨ الى انتصار حاسم لمدرسة ليسنكو، فقد أعلن أن وجهات نظره قد وافقت عليها الحكومة السوفيتية وتقبلها الحزب الشيوعى .

والواقع أن أسس الخلاف بين علماء التكوين التناسلى « علم الوراثة » الغربيين ، وبين العلماء السوفييت هى خلاقات نظرية من ناحية ، وعملية من ناحية أخرى ، فلقد بينت الاعتراضات النظرية أن « الجين » Gene « ميكروب الوراثة » وحدة متحركة بذاتها تحكم خاصيات الوراثة ، ولا يتكيف خاصة بواسطة البيئة .

ان هذا ليس بالامر الثابت ولا المستمر فى الفلسفة الشيوعية التى تقرر أن كل «الماديات» يجب أن تتشكل استجابة لأحوال البيئة والظروف المحيطة بها .

---

(١) مندل ، جريجور جوهان Gregor Johann Mendel ( ١٨٢٢ - ١٨٨٤ ) غسوى الأصل من رجال الدين ولد فى سيليزيا النمساوية يوم ٢٢ من يوليو سنة ١٨٢٢ ، درس أثناء تدريره فى الدير بعض العلوم ثم أرسل الى جامعة فيينا لدراسة الفيزياء ، والكيمياء ، وعلم الحيوان والنبات ، وبقي يدرس من ١٨٥١ الى ١٨٦٨ ولكنه لم ينجح فى الامتحان للعمل كمدرس ، أدت تجاربه سنة ١٨٥٦ فى حديقة الدير الى اكتشاف الاصول الرئيسية لعلم الوراثة .

(٢) توماس هنت مورجان Thomas Hunt Morgan ( ١٨٦٦ - ١٩٤٥ ) من علماء علم الاحياء اكتشف الاصول الرئيسية والتكوين التناسلى ، تولى رئاسة اكاديمية العلوم الامريكية من ١٩٢٧ الى ١٩٣١ ، له عدة مؤلفات أهمها :

- 1 ) Evolution of Genetics, 1925. ✓
- 2 ) Embryology and Genetics, 1933. ✓
- 3 ) The Physical Basis of Heredity. ✓



وقد وفقت الاعتراضات السوفييتية في المجال العلمى التجريبي واهتمت  
بكون علماء الوراثة الغربيين عاجزين عن أن يعيدوا عن قصد وراثة عضو بشرى  
فى الاتجاه الذى يريدونه ، وانما عليهم أن ينتفعوا بمثل هذه التحولات الفجائية  
Mutations حيثما جرت بحض الصدفة •

لقد ظهر أن التطبيق العلمى التجريبي لنظريات مندل فى التوالد Breeding  
يحدث ببطء ، على حين قرر ليسنكو أنه قادر على تغيير الوراثة ويستطيع أن يتنبأ  
بهذا التغير •

وفى سنة ١٩٥٢ خرج ليسنكو بنظرية جديدة للتطور تقوم على أساس  
احداث تغييرات فجائية فى نوع لتحويله الى آخر تحت ظروف بيئية مصطنعة  
ليست لصالح النوع الاول ، وفى هذه الحال تنتج حبوب القمح فجأة « جويدار »  
وهو نبات كالشعير « Rye » ولكن هذه النظرية قوبلت هى والادلة والبيانات التى  
قامت على أساسها بهجوم عنيف حتى فى الاتحاد السوفييتى نفسه •

ولم يأخذ علماء الوراثة الغربيون أى نظرية ليسنكو مأخذ الجد •

وقد بذلت عدة محاولات قليلة فى الدول الغربية لاعادة التجارب السوفييتية  
ولكن كل النتائج التى وصل اليها كانت سلبية •

وبدا نفوذ ليسنكو يضعف بعد سنة ١٩٥٢ وأعلن فى سنة ١٩٥٦ أنه طرد  
من وظيفته القيادية الرئيسية ، ولكن طرده هذا لم يؤد من فوره الى احياء نظريات  
مندل فى علم الوراثة فى الاتحاد السوفييتى •

هذا مثل يوضح كيف أن دراسة العلوم البيولوجية عند تطبيقها تكون معينة  
كبيرا لنا فى العلوم الاجتماعية • ان علم الوراثة هو أكثر العلوم علاقة بالعلوم  
الاجتماعية ، لأنه يعالج التأثيرات التى تحسن الصفات الموروثة بالنسبة للانسان •

## الدافع المباشر للسلوك Motivation :

كثيرا ما نسال أنفسنا فى بحثنا لسلوكنا الخاص أو لسلوك الآخرين لماذا فعلت أنا هذا ؟ ولماذا تصرف غيرى بطريقة مخالفة ؟ والحقيقة أننا ونحن نسال على هذا النحو انما نثير مشكلة ما يدفع بنا الى أن نقوم بأعمال خاصة .

وبصفة عامة نجد فى تطور كل أنواع الحيوان أن الدوافع الاولى القديمة جدا التى أشاعت النشاط ومكنت من استمراره قامت على أسس فسيولوجية ، فالطفل ينشط أساسا بدوافع مثل « الجوع » و « الظمأ » و « الألم » ، ويستمر فى جعل احتياجاته معروفة حتى تلبى بواسطة أمه أو مربيته ، ونحن فى سن البلوغ نسلم بأننا نشعر بالجوع عندما تحتاج أجسامنا الى الغذاء ، ولكن عندما يتوقف كل منا ليفحص هذا السؤال : كيف أعرف أننى فى حاجة الى الغذاء ؟ فانه يجد أن الاجابة ليست واضحة بأى صورة كانت ، والرد المناسب الذى لا يعتبر غير مألوف قد يجىء فى الصورة التالية : « أعرف أننى جائع عندما أحس بعضة الجوع » أى تقلص المعدة أو انكماشها Stomach Contractions .

ومثل هذه الاجابة تعطى بيانا أو ايضاحا فى غاية البساطة لوجهة النظر التى نادى بها منذ أكثر من ربع قرن الفسيولوجى « وولتر كانون » Walter B. Cannon (١) . لقد ركز كانون الانتباه فى محاولته على تحديد المؤثرات الآلية الحرجة Critical Mechanisms التى تحفز وتعرض على البواعث الفسيولوجية .

---

(١) كانون ، وولتر برافورد ( ١٨٧١ - ١٩٤٥ ) استاذ علم الفسيولوجيا بجامعة هارفارد من سنة ١٩٠٦ - ١٩٤٢ ، ومن أهم مؤلفاته :

- 1 ) Bodily Change in Pain, Hunger and Fear. 1929.
- 2 ) Traumatic Shock, 1923.
- 3 ) The Way of an Investigator, 1945.

ومع أن هذه النظرية لدوافع الجوع تتمشى مع التجربة التى يسهل ادراكها وفهمها ، فثمة عدة أدلة مختلفة تدل على أن هذه التجربة الخاصة بالجوع والشعور به خاطئة غير صحيحة ، فمثلا لا يحس المرضى الذين تنزع أجزاء كبيرة من معداتهم بتقلصات فى المعدة بنفس دورات الاحساس بالجوع لدى الانسان العادى ، وكنيجة لهذا بدأ علماء الفسيولوجيا ، وعلماء علم النفس يبحثون عن محركات للدوافع فى الشبكة المركزية للأعصاب .

ويصف الدكتور « نيل ميللر » Neal E. Miller (١) فى بحث له تجارب تغلب اللب (٢) ، تدل على أن المؤثرات الآلية الحرجة التى يدرك بها المخلوق الحى أنه جائع أو أنه يحس بالظما إنما توجد فى المناطق تحت اللحائية Subcortical Regions من المخ . ويقول ميللر : « ان فى علم العقاقير النفسية Psycho-Pharmacology امكانيات عظيمة لزيادة تفهمنا للدوافع البيولوجية ( للفاز والانسان ) ، واننا نحاول أن نفتح فصلا جديدا مشيرا فى دراستنا وتفهمنا للسلوك » .

وليس هناك شك فى أن دراسات مثل دراسات الدكتور ميللر توسع مجالات معرفتنا لطبيعة الدوافع الفسيولوجية ، الا أنه بالرغم من أهمية هذه الدراسات فمثل هذا الاقتراب غير كامل نظرا لأن أغلب السلوك البشرى إنما يستحث ويستمر بواسطة دوافع اجتماعية مدروسة أكثر مما يحدث من دوافع فسيولوجية (٣) .

---

(١) نيل ميللر Miller, Neal. E. « نيل أبلجر ميللر » ١٩٠٩ - درس بجامعة فيينا بعد تخرجه من جامعة ييل سنة ١٩٣٥ ، عمل فى عدة مراكز حكومية لابتحاث علم النفس فى سلاح الطيران الأمريكى .

(٢) Central Stimulation and Other New Approaches to Motivation and Reward. (٢)

(٣) يناقش الدكتور روبرت سيرت فى بحث له بعنوان « تطور الشخصية فى الثقافة المعاصرة » أن الدوافع الاجتماعية تتطور .

على أن الدكتور ابراهام ماسلو (١) يوضح في نظريته عن الدوافع البشرية بقوله « ان الدوافع البشرية قد ترتب في تنظيم له معناه على أساس أن الطاقة التي لأحد الأيوين يمكن أن تنقل خاصيات معينة الى أطفاله ، أو قد يجيء هذا الترتيب أحيانا عن طريق ظروف اضطرارية • ولكن الأخير يجيء بصفة خاصة استجابة للحاجة الفسيولوجية أو للحاجة الى الامن والسلامة • ومع هذا فان المجتمع لو استطاع أن يوجد بيئة خيرة لكان من الممكن أن يتحرر الناس ليطوروا من حاجات احترام النفس ، والحب ، وواقعية النفس •

ويهتم ماسلو في دراساته ببحث العوامل الاجتماعية بين الاشخاص ، تلك العوامل التي يمكن أن تسهل أو تكبت هذه الحاجات الاساسية • على أن ماسلو في تفكيره في سيكولوجية الدوافع البشرية يرى أن الدوافع الفسيولوجية غاذج قاطعة تدل على نقص فسيولوجي ، ويؤكد أننا « نحتاج » الى الحب كما « نحتاج » الى « الفيتامين ج » ، والشخص الذي تمتد جهوده الأساسية الى محاولة ادراك الشعور ، واحترام الذات ، أو الوصول الى الشعور بأنه موضع حب أشخاص آخرين - انما يفعل هذا نتيجة لنقص الدوافع على مثال ما يفعل انسان الغاب الذي يعيش في الأحراش ، ويوجه كل جهوده للحصول على الغذاء •

ولقد سبق أن أشرنا من قبل الى الغرائز الاساسية التي تؤثر على سلوك الانسان ، وذلك عند دراستنا للاحوال البيولوجية ، ولنبحث الان بطريقة أكثر تفصيلا السمات الموروثة •

---

(١) ماسلو ، ابراهام هارولد ( ١٩٠٨ ) : من رجال التربية الأمريكيين ولد في بروكلين عام ١٩٠٨ وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٣٤ ، عضو عدة معاهد وهيئات لعلم النفس ، اهم مؤلفاته :

- 1 ) Principles of Abnormal Psychology, 1941.
- 2 ) Motivation and Personality, 1954.
- 3 ) Toward a Psychology of Being, 1962.



لقد كانت الفرائز حتى ربع قرن مضى من أكثر الامور الشائعة في تفسير معظم السلوك البشرى والحيوانى ، ولكن علماء النفس في الوقت الحاضر لا يعرضون للفرائز لأسباب مختلفة .

فلماذا طويت فكرة الغريزة وازداد اهتمام العلماء بالدوافع ؟ لقد شعر الجميع أن لفظ الغريزة غامض الى حد ما ، وأنه في آخر الأمر لا يفسر حقا أى شىء بطريقة مرضية . لماذا نحن جائعون ؟ لأن بنا غريزة الجوع ! ان ذلك التفسير يقدم لنا معلومات ضئيلة جدا ، فضلا عن أن علماء الاجناس كانوا يجمعون ببء الدلائل على أن كثيرا من السلوك البشرى الذى يرجعه البعض الى الغريزة نشأ بسبب الأصل الثقافى . وبالرغم من أن هذا الراى ما زال قائما فيما يتعلق بالسلوك الحيوانى المعقد ، فان كثيرا من السلوك البشرى يمكن الآن تفسيره على أساس التدريب والخبرة . وقد أشير فيما بعد الى أن كثيرا من سلوك الحيوان وسلوك الطفل هنا ليس أكثر من ردود فعل عادية وليس سلسلة معقدة من ردود الفعل كما تقترح نظرية الغريزة .

وهكذا يمكننا أن نتحدث الآن عن الدوافع على أساس أنها تعنى نفس ما تعنيه الفرائز ، ولكن نظرا لأنها أكثر غموضا فإنها تقدم صورة اصدق عن النمط السلوكى . ويجب التركيز هنا على أمرين فى سلوك ما :

١ - الدوافع : التى تنشأ مباشرة من احتياجات الجسم مثل : الطعام ، والأكسجين ، والنوم .

٢ - القلق : وهو الحالة التى يكون عليها الجسم عندما تصبح هذه الاحتياجات حادة .

وعند اشباع القلق المرتبط بالاحتياجات بطريقة خاصة تنشأ صلة بين الحاجة وبين الطريقة الخاصة لاشباعها وتحقيقها ، مثل تهدئة حالة الجوع عن طريق تناول الخضر فقط .

على أنه يجب علينا دراسة الدوافع من وجهة نظر السلوك الكلى وليس من وجهة نظر السلوك الجزئى . والسلوك الكلى يختص بأفعال السلوك الكلية مثل الزواج ، وبهذا نرضى حاجة الجنس بالشكل التقليدى . والسلوك الجزئى عادى ومنعزل نسبيا مثل البلع وافراز العرق . ان السلوك الناتج عن دافع ما يرجع الى الرغبة فى الامن الاجتماعى واشباع احتياجات اجتماعية معينة . ويمكننا أن نسأل : « هل السلوك الناتج عن دافع يرجع الى الصفات الموجودة فى الميدان النفسى المباشر أم الى تأثير التجربة الماضية ونفوذها ؟ يجيب لويين (١) على ذلك بقوله : « ان الميدان النفسى يتكون من البيئة الطبيعية الخارجية ، والحالة النفسية الداخلية ، وكذا الآثار العصبية للتجارب الماضية ، وبالرغم من أن الانسان هو سيد مصيره وقدره فى بعض الاحيان ، فان ضغط العصور يقع عليه فى احيان أخرى .. » .

وعندما لا يتم اشباع القلق الذى خلقته الاحتياجات فيحينئذ يوجد التوتر . ويختفى التوتر عندما تزول حالات القلب وعدم الثبات من الميدان النفسى ، ولكن هذه الازالة قد لا تكون دائما أمرا ممكنا ، ويؤدى التوتر الذى لم يشبع الى خيبة أو فشل . وهناك ايمان عام بأن الفشل يؤدى دائما الى نتائج سيئة ، ولكن احيانا قد تكون النتائج طيبة . فمثلا قد يؤدى الفشل الى زيادة المجهود ، كما أنه أيضا قد يؤدى الى قيام بصيرة أعظم فى المجال الادراكى والى تفهم أكبر له . وقد يفتح الفشل أعيننا على نواحي القصور فى قدراتنا ، وبهذا يمنعنا من اضاءة طاقاتنا فى سبيل الاهداف المستحيلة ، وقد يساعدنا على أن نركز آمالنا على مستوى معقول لتحقيقها . فالفشل فى احدى الامتحانات لدى أول محاولة قد يجعل الطالب يعمل بجهد أكثر من ذى قبل وبذلك ينجح بدرجات مشرفة فى المحاولة الثانية ، أو قد يجعله يتخلى عن هذا الخط الدراسى ، ويتخذ له اتجاها آخر مختلفا قد يشبث فى النهاية أنه أكثر فائدة بالنسبة له .

---

(١) لوين كورت Kurt Lewin من علماء علم النفس الاجتماعى الأمريكين ، صاحب تجربة المطابقة Conformity لاثبات أن من الخطأ تطبيق نتائج عملية ما على مواقف لا تصلح لها ، أو تطبيق النتائج التى امكن الحصول عليها من بيئة ما على بيئة أخرى مع توقع نفس النتائج ، على أن التجربة اثبتت من ناحية أخرى أن وجهات نظر الفرد قد تتغير بتغير البناء الاجتماعى الذى يكون الفرد مؤديا دوره فيه .

ومن ناحية أخرى يؤدي الفشل غالبا الى طراز أو شكل غير سار من العدوان، فمثلا اذا أصابك الفشل بضر في أحد المجالات فانك قد تحاول أن تعوض ذلك بالحاق الأذى بشخص آخر في مجال آخر . فالرجل الذي احنقه رئيسه في المكتب واثار فيه خيبة الأمل قد يعود لمنزله ويضرب ابنه . كما قد يحدث ارتداد ونكوص ، فاننا اذا أصابنا الفشل في تقديمنا نحو هدف معين فقد نرجع القهقري الى نوع من السلوك أكثر بدائية أو أقل تعقيدا من سلوك الاطفال . ومن الأمثلة الدالة على ذلك أن تبدأ في الصراخ عندما تفشل في فهم معنى فقرة معقدة في كتاب ، أو أن تصرخ في وجه شخص يرفض أن يعطيك شيئا تود الحصول عليه منه . وقد يتناقش أحد الدبلوماسيين في السياسة الدولية على مستوى عال جدا مع زميل دبلوماسي آخر من دولة أخرى ولكنه يجد أن الأمور لا تسير وفق هواه ، فيهبط فجأة الى مستوى الدم السوقي .

وفي النهاية قد ينسحب الانسان كلية من الموقف الذي شعر فيه بالفشل . وليس هذا سيئا بالدرجة التي يبدو بها على شرط أن يكون ذلك قد حدث في مرحلة تمهيدية ، وسرعان ما يدخل في موقف آخر أقل احتمالا للفشل . ولكنه ينبغي ألا يحمل معه الى الموقف الجديد المخاوف التي سببها الفشل في الموقف القديم ، أو يتخذ موقفا أشد خطورة ، بأن يغلق نفسه عن المجتمع ويبتعد عن كل المواقف .

ويقول نيوكومب Newcombe (١) : « ان الدوافع مثل الألفاظ غير الفنية « يريد » و « يرغب » . ان مثل هذه الالفاظ تشير الى كل حالتنا الداخلية من التبرم والسخط وعدم الرضا ، أو القلق أو التوتر أو عدم التوازن ، كذا الى

---

(١) تيودور ميد نيوكومب ، حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا سنة ١٩٢٩ ، استاذ علم النفس والاجتماع بجامعة ميتشيجان منذ سنة ١٩٤٦ عمل في منظمة العمليات الاستراتيجية « المخابرات الأمريكية » في صيف ١٩٤٤ ثم في قسم الروح المعنوية بإدارة التدمير الاستراتيجي للسلاح الجوي الأمريكي سنة ١٩٤٥ ، رئيس تحرير مجلة علم النفس منذ سنة ١٩٥٣ ، أهم مؤلفاته :

- 1) Experimental Social Psychology, 1937.
- 2) Personality and Social change, 1943.
- 3) Social Psychology, 1951.

ما يوجد في البيئة مثل : الطعام أو الى آلام ، أو حل معضلة والى غير ذلك • ان الدوافع تشير الى كل من العوامل الداخلية ، والخارجية » •

والدوافع ليست عملية سهلة في دراستها • ولقد اشار سارجنت وويليامسون الى مشكلات معينة في هذا الصدد يستحسن ان نضعها نصب اعيننا :

١ - انها عملية صعبة لأنها تتعلق « بأسباب » وليس « بكيفية » أو « ماهية » السلوك • كما انها تختص بالتفسير أكثر من اهتمامها بالوصف • وكما يعرف كل عالم أو فيلسوف تماما ، فان البحث عن الأسباب لهو من أكثر أوجه النشاط التي تبث على الحيرة وتؤدي الى الفشل ، وفي نفس الوقت هي مشوقة وجذابة وهامة •

٢ - اننا لا يمكننا بصورة مباشرة أن نلاحظ الدوافع التي تتولد لدينا ، ويمكننا فقط أن نستدل على وجودها من السلوك الخارجي • فاذا واطب رجل على تكديس الممتلكات فاننا نقول أن لديه رغبة التملك • ولكن وجه الخطورة في تكوين مثل هذا الفرض هو أن الناس قد يقومون بنفس العمل نتيجة لدوافع مختلفة • فقد يقوم شخص بتكديس الأموال لجرد متعة التملك ، كما قد يقوم آخر بالتصرف فيها فيما بعد في أعمال الخير ، وقد يفعل ذلك ثالث من أجل الشعور بالامن •

٣ - ما زال هناك بعض الابهام والالتباس بصدق معنى كلمة « دافع » Motive هل هي « قوة داخلية » مثل الغرائز القديمة ؟ هل هي الى حد ما استجابة للظروف الخارجية ؟ هل هي نزعة عرضية أو نزعة خاصة ؟ وهل الدوافع منفصلة عن الاتجاهات والعادات والعواطف والاهتمامات والعمليات الاخرى أو مكتنفة بها ؟

هذه كلها أسئلة من الصعب الاجابة عنها ، ولكنها قد تهدينا في محاولة الوصول الى حل سهل ومعقول •



## الادراك Perception :

ويمكن أن نسأل الآن : ما الذى يشير الدوافع ؟ فى الواقع نجد أن الادراك يلعب دورا كبيرا خلف هذه الدوافع ، وهو يعتمد أولا على طبيعة الخواس . فمثلا لا يستطيع الكفيف أن يدرك حيوانا مقترسا أمامه ، وعلى هذا فانه عندما يواجهه لا تكون لديه الدوافع التى تعمل على سلامته وأمنه ، اللهم الا اذا كانت لديه حاسة أخرى تساعده على ذلك كالشم والسمع مثلا ، كما يعتمد الادراك على العوامل المثيرة أو المواقف التى تؤثر على أعضاء الخواس ، وأخيرا يجب ألا ننسى موقف الشخص وقت الادراك ، فمثلا قد يستسلم الشخص المكتئب أو اليأس الى حيوان مقترس بدلا من أن يهرب منه أو يدافع عن نفسه .

وتؤثر العوامل الاجتماعية على ادراكنا ، ولتفسير ذلك بطريقة سهلة نقول : اننا غالبا نرى ما يجبرنا المجتمع على أن نراه ، أو نقبل فى رؤية ما لا يرغب لنا المجتمع أن نراه ، ففي المجتمعات المقلدة حيث توجد تقاليد موروثة صارمة حجاب المرأة يعتبر اهانة شديدة ومساسا للكرامة أن تظهر المرأة سافرة ، أو أن تشارك الرجل فى أعمال عامة .

والواقع أننا نميل لرؤية الأشياء بصورة مختلفة ونحن فى صجة جماعة عما نكون ونحن بمفردنا . ويرجع هذا الاختلاف الى « الراى العام » أو الى نفوذ الناس الآخرين علينا . ولكن استجابتنا لهذه التأثيرات الجماعية ليست مطلقة ، وإنما تقف عند حد معين ، ولذا فنحن لانستطيع أن نتغاضى عن قيمة ادراك الفرد . لقد أيد ذلك كل من سارجنت ووليم سن بقولهما : « يدرك كل فرد الموقف ويفسره عن طريق قدراته الخواسية ، ومدى اتجاهه ، وخبرته الماضية ، ودوافعه ، واتجاهاته ، وتنبؤاته ، وما الى ذلك ، أى حسب غظه الفريد من الخبرة والشخصية » .

وقد قام جودمان Goodman (١) بعمل تجربة على مجموعتين من الأطفال :  
احدهما فقيرة ، والاخرى متيسرة الحال ، وطلب من كل منهما أن تقدر حجم قطع  
معدنية من العملة قدمت إليها .

لقد وجد أن أطفال المجموعة الفقيرة زادت من تقديرها لحجم قطع العملة  
بدرجة كبيرة بمعنى أنهم كانوا يتصورون أن حجم قطعة العملة أكبر مما هي  
عليه فعلا ، بينما أطفال المجموعة المتيسرة لم تكن نزعتهم على هذا النحو .  
وكانت الفروق في الادراك فيما يتعلق بهذا الامر بين المجمعتين مثيرة جدا ، وقد  
يفسر ذلك اثر الحاجة على الادراك بطريقة واضحة جدا .

وأجرى مثل هذه التجربة عام ١٩٤٧ ، اذ طلب الى مجموعتين من الأطفال أن  
تقوم كل منهما بتمرينات وحركات جسمانية أمام فصل من الفصول . وكان  
أطفال الفصل يعرفون أفراد المجمعتين معرفة جيدة ، فاحدهما كانت محبوبة ،  
والاخرى لا يميل اليها تلاميذ الفصل . وقد صار تكليف الأطفال في المجموعة  
الأولى أن ترتكب بعض الأخطاء في « تمرينهم » عمدا ، بينما أدت المجموعة الثانية  
تمريناتها دون ارتكاب مجرد خطأ واحد ، ومع ذلك فعندما طلب الى الفصل أن  
يقدر أى الأداءين كان أفضل ، كانت النتيجة أن وضعت المجموعة التى يميل اليها  
التلاميذ فى التقدير قبل المجموعة الاخرى .

أن دراسة الادراك أمر على جانب كبير من الاهمية لعلم النفس الاجتماعى ،  
لان اتجاهات الناس يمكن أن تتغير . ومن المهام الرئيسية لعالم النفس الاجتماعى  
أن يحاول على الاقل احداث مثل هذه التغيرات ، ولكن لكى نغير اتجاهها ما يجب  
علينا أولا وقبل كل شئ أن نغير مفهوم الاشياء التى يبنى عليها هذا الاتجاه .  
وتغيير الاتجاه يعنى أيضا اعادة تنظيم الادراك .

---

(١) جودمان نلسون : فيلسوف امريكى ، ولد فى سومر فيل بولاية ماساشوتس ٧ من اغسطس  
سنة ١٩٠٦ حصل على الدكتوراه من هارفارد سنة ١٩٤١ يعمل استاذًا محاضرا فى هارفارد  
منذ سنة ١٩٥١ ، عضو الجمعية الأمريكية للمنطق ، أهم كتبه :

1 ) The Structure of Appearance, 1951.

2 ) Fact, Fiction and Forecast, 1955.

ان الادراك الاجتماعى هو المهارة التى نكتسبها من فهم : الدوافع ، والنوايا،  
والذكاء ، والصفات الأخرى للأشخاص الذين نتصل بهم . ولهذا أهميته القصوى  
لأنه ما لم نفعل ذلك فلن نستطيع أن نكيف سلوكنا لمواجهة احتياجات الظروف  
الخاصة التى تلشأ عندما يتجمع الناس. ان الشخص الذى يفتقر الى ادراك اجتماعى  
يحاول مثلاً أن يزح مع شخص فى حالة نفسية سيئة. ولسوف يقول بصفة مستمرة  
الشيء الملائم فى الوقت غير الملائم ، أو بالعكس يقول الشيء غير الملائم فى الوقت  
الملائم . ومثل هذا السلوك لن يجعلنا فقط أعضاء غير محبوبين فى المجتمع بل أنه  
ايضا سوف يعوق بدرجة كبيرة ازدهارنا المادى فى هذا العالم، على أننا نرى أنه لكى  
تكتمل الصورة لابد أن نشير الى مدرسة من مدارس علم النفس كان لها الأثر الكبير  
على نظرية السلوك . هذه المدرسة هي مدرسة السلوكية «Behaviourism» .

## أثر ظهور المدرسة السلوكية :

السلوكية « تصور » أو « ادراك » لعلم النفس قدمه منسقا فى البداية  
الدكتور جون واطسون (١) فى سنة ١٩١٣ ، وكان لب هذا التصور « الأعمال  
الموضوعية للكائن البشرى التى يمكن ملاحظتها » .

(١) جون برودس واطسون John Broadus Watson (١٨٧٨-١٩٢٨) ولد بجرانفيل فى ٩ من يناير  
١٨٧٨، حصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو ١٩٠٣ عمل أستاذا لعلم النفس فى جامعة هوبكنز  
من ١٩٠٨-١٩٢٠ ثم انصرف الى الأعمال الخاصة. قام بعدة تجارب فى سيكلوجية الحيوان والطفل.  
وقد فسر واطسون نظريته عن « السلوكية » بأنها تجعل علم النفس الفرع التجريبى  
الموضوعى من علم الطبيعة بتحديدته لدراسة العلاقة بين الحوادث البيئية « الحافزة » وبين  
السلوك « الاستجابة » ، ومن مستنتاجاته :

- (١) السلوك الواعى ناتج عن الانعكاسات المشروطة لظروف خاصة ( بافلوف ) .
- (٢) يقل التفكير والتصور الى « ارجاع مبهم » للاستجابات الأصلية المتضمنة فى الكلام  
وغيره من صور السلوك الحركية .

(٣) يمكن توجيه الطفل المتأق صحيا ، الذى يحسن تعليمه فى اتجاه معين تبعا للمؤثرات

- ١ ) An Introduction to comparative Psychology. من أهم كتبه :
- ٢ ) Psychology From a Standpoint of a Behaviourist.
- ٣ ) Behaviorism.

دائرة المعارف البريطانية ٢٣ : ٣٥ سنة ١٩٦١ .

ولقد فهم علم النفس في البداية على أنه «علم النوعي» أو «علم الإدراك» والتجربة أو العقل ، وعلى حين لم تستبعد أوجه النشاط البدني فإن قيمتها الكبرى هي في علاقاتها مع المظاهر العقلية ، وهكذا كان الأسلوب المميز لعلم النفس هو « فحص النفس » أو ما يسمى « التأمل الاستبطاني » Introspection .

ومن ثم فإن « السلوكية » من كلمات واطسون نفسه :

« حاولت أن تعطي بداية جديدة خالصة لعلم النفس نابذة النظريات المعاصرة والنظريات القديمة (١) ، ومتخلصه كذلك من كل المصطلحات والتعاريف القائمة » .

وهكذا نبذت فكرة « فحص النفس » أو « التأمل الاستبطاني » ، واعتبر أن مثل هذه الأشياء التي تلاحظ لا تكون مقبولة إلا إذا تمت بواسطة مراقبين مستقلين عن بعضهم البعض ، كل منهم يلاحظ ويراقب نفس الغرض أو نفس الحادث ، وذلك على مثال ما يتم في علم الكيمياء . وفي ضوء هذا ، فإن علم النفس يكون فرعاً موضوعياً تجريبياً لعلم الطبيعة .

ولقد سأل السلوكيون أنفسهم : لماذا لا يجعلون ما يستطيعون ملاحظته الميدان الحقيقي لعلم النفس ؟ وهكذا حددوا لأنفسهم الأشياء التي يمكن ملاحظتها وصاغوا القوانين لهذه الأشياء وحدها ، ثم تساءلوا عما يستطيعون ملاحظته . أنهم يلاحظون « السلوك » ، ويلاحظون كل ما يمكن أن يقوله الإنسان البشري أو ما يمكن أن يفعله . واذن فلتكن هذه هي النقطة الأساسية الرئيسية .

إن الكلام « فعل » وهو كذلك « سلوك » ، وسواء أكان « الكلام » حديثاً إعلانياً مكشوفاً ، أو كان تفكيراً في أعماق النفس فهو نوع من السلوك . وكانت

---

John B. Watson, Psychology from a Standpoint of Behaviourist, 3 rd ed. P. Y. (١)  
Lippincott, 1929.



وسيلة القياس التى وضعها الاخصائى فى السلوك امامه دائما هى : هل يمكن وصف كل نوع من أنواع السلوك الذى يمكن أن يراه على أساس « الباعث أو المحرك » وعلى أساس « الاستجابة » ؟

كان ما يقصده بكلمة « الباعث » أو الحافز هو أى شئ له أثره فى البيئة العامة أو أى تغيير فى التكوين نفسه تبعا للاحوال الفسيولوجية للحيوان على مثال التغيير الذى نحصل عليه عندما نحول دون هذا « الحيوان الحى » ودون النشاط أو الممارسة الجنسية ، أو عندما نمنعه من الغذاء • ويعنى « بالاستجابة » أى شئ يفعله الحيوان مثل « الاتجاه بوجهه » نحو الضوء أو « الاشاحة » بوجهه بعيدا عنه ، أو الوثوب عند سماعه صوتا مفاجئا •

وهنا قد نستطيع أن ننفلت من هذا السياق لنؤكد أن كل فرد منذ طفولته يبدأ فى تكوين السلوك ، فالطفل الصينى يستخدم عضوين لالتقاط الأرز ، ويرتدى ثيابا خاصة ، ويتعلم كيف يتكلم الصينية ، ويجلس بطريقة خاصة ، ويعبد أسلافه وما شابه هذا منذ طفولته ، وفى المقابل يستخدم الطفل الغربى المسيحى منذ حداثة الشوكة ، والسكين ، ويرتدى ثيابا من طراز معين ، ويتعلم القراءة والكتابة والحساب فى طابع معين ، ويذهب الى الكنيسة •

ولكن المفروض أنه ليس من وظيفة « العالم السلوكى » أن يناقش ما اذا كانت هذه الأشياء التى يفرضها المجتمع تدفع أو تعطل من نمو الفرد أو من تكيفه وتواءمه داخل المجتمع •

فالسلكى يعمل تحت سلطة « انتداب » يتولاها المجتمع نفسه ، ولهذا فإنه قد يجد فى طاقته أن يقول للمجتمع : « لو قررت أنت أن العضو البشرى يجب أن يسلك هذا السلوك المعين فإنه يجب أن تعد المواقف اللازمة من أنواع خاصة معينة ككذا وكذا » •

ومهما بدت هذه المقترحات والآراء صريحة فقد كان لها تأثير ثورى على علم النفس ، وكذا على علم الاجتماع ، ثم على فكرة الانسان عن نفسه •

وفي الفترة من سنة ١٩٣٠ الى أواخر الأربعينات تطورت السلوكية الى ما يسمى « السلوكية الجديدة Neobehaviourism » فقد انتقل صولجان واطسون<sup>(١)</sup> الى هل<sup>(٢)</sup> Hull الذى حاول أن يترجم برامج الفروض العلمية العامة للسلوكية الكلاسيكية الى نظرية تجريبية تفصيلية للسلوك التكيف « Adaptive » ، وكان القصد تحقيق الكشف عن قوانين أصولية كمية يمكن منها أن نستنبط بدقة المظهر الرئيسى للسلوك .

وقد تأثر الانتقال من السلوكية الكلاسيكية الى السلوكية الجديدة أو السلوكية العصرية الحديثة بوساطة استخلاص مجموعة من الفروض أو الفتاوى من فلسفة العلم نفسه ، مثل تحليل منطقية الفلسفة الموضوعية أو الوضعية<sup>(٣)</sup> والتي تعنى بطبيعة النظرية العلمية الصحيحة .

ولكن هل لم تكن التثخصية السائدة فى هذه الفترة فى الصورة التى كانت لواطسون فى فترة السلوك الكلاسيكية اذ كان لكثيرين مثل ادوارد تولمان وأور . جوثرى ، وايجون برونزيك ، ونيل ميللر نفوذ هام وأثر كبير .

ولقد انحرف كثيرون من أصحاب مدرسة السلوكية الحديثة المعاصرة عن الطريق المرسوم فى الكثير من المشكلات والنظريات ، ولكن كانت دراستهم تنتسب الى السلوكية الحديثة نتيجة اتباعهم للأسلوب الموضوعى .

ويمكن أن يقال : أن هذه الفترة تميزت بالجهد فى صياغة التحليلات الصلبة ، وفى وضع « قوانين » السلوك بأكثر مما عنيت به السلوكية الكلاسيكية .

---

(١) يجب ملاحظة أن واطسون مات سنة ١٩٢٨ .

(٢) سول هل من علماء النفس الأمريكين ومن أهم كتبه الحديثة عن السلوكية :

1 ) Principles of Behaviour, 1943.

2 ) Essentials of Behaviour, 1951.

3 ) A Behaviour System, 1952.

وأهمية هل فى الواقع ترجع الى أنه عمل على تفسير برامج واطسون الى نظريات تفصيلية .

(٣) الفلسفة التى تبحث فى الظواهر دون الاسباب Positivism

على أننا نستطيع أن نميز مرحلة ثالثة بدأت سنة ١٩٥٠ ، بظهور اتجاه نحو :  
تحرير عقيدة العالم السلوكي ، وتحرير ادراكه وتصوره المنسق ، مع الاهتمام من  
جانب الكثير من السلوكيين بمشكلات مثل : الادراك الحسي ، الشعور ، البصيرة ،  
التمييز ، والتي كان العلماء يمرون بها في الماضي دون التوقف عندها ، على  
أساس أنهم نسبوها الى مجال العقل ، كما يمكن أن نرى ترجيحاً لاستخدام  
الأساليب التأملية بواسطة أشخاص كانوا من قبل لا يرون صحة هذا الامر .

وقد تطورت النظرية السلوكية وطبقت على كل فترات تطور الانسان وكذلك  
سلوكه العام ، وميوله الاجتماعية السياسية ، بل امتدت الى تفسير ظهور الامراض  
النفسية والعقلية وكيفية علاجها وذلك بفضل العالم الانجليزي ايزنك (١) .

## العلم والدين :

اثارت العلاقة بين العلم والدين انتباه الكثير من الفلاسفة والمفكرين ، وكان  
من نتيجتها ظهور بعض الكتابات الواهية العواطف ، والأهم من هذا كله كانت  
هذه العلاقة سببا في الارتباك الشديد الذي اعترى عقول الناس حول القيم التي  
يعيشون وفقاً لها .

واشتد الصراع بين الدين والعلم ، وظهرت المذاهب والمدارس الفلسفية  
المختلفة ، فمنها من نادى بإمكان التوفيق بينهما ، ومنها ما رأت استحالة ذلك ،  
ومنها ما آمنت بوجود الله ولكنها تقيمه بقوانينه أو تقيمه بنواميس المادة والقوة .  
أو تتطرف في نزعها فتزعم أنه من ثمرات التطور في الكون الشامل . الى غير  
ذلك من الفلسفات المختلفة التي عرفها الانسان عبر التاريخ .

---

Eysenck, H. J., Cyclothymia and Schizothymia as a Dimension of Personality. (١)  
Journal of Personality, XIX, Durham, N. C, 1950, PP. 123 - 52.

وفي محاولتنا للتعرف على هذه المشكلة نرى من المناسب أن نعرض باختصار لبعض هذه الفلسفات والمدارس التي توضح لنا كيف تنظر الجماعات المختلفة الى العلاقة بين الدين والعلم ، وهل فى استطاعة الانسان أن يوفق بينهما بغية الوصول الى دين أعمق وعلم أفضل ؟

يقول الفريد نورث هوايتيهيد Alfred North Whitehead (١) : « أنه على الرغم من تقلص نفوذ الدين أحيانا وزيادته أحيانا أخرى ، فقد تقهقر مركزه فى العالم . ان سلطانه يهبط جيلا بعد جيل . ويقول هوايتيهيد ان الدين يميل الى أن يفقد نفوذه حتى يصبح عبارة أو قاعدة مناسبة تضاف بعض التنميق على حياتنا . وفى خلال القرنين الماضيين يقف الدين موقف الدفاع ، بل اتسم موقف دفاعه بالضعف » .

ويعقد هوايتيهيد مقارنة بين الموقف حيال العلم، والموقف حيال الدين بقوله : « فمثلا اذا أعلن داروين أو اينشتاين نظريات جديدة اعتبرنا هذا انتصارا للعلم . ان الجديد فى العلوم — وهو فى الوقت نفسه تنفيذ للماضى — يعتبر تقدما . أما الانتقال من موقف دينى الى موقف دينى آخر فينظر اليه على أنه هزيمة للدين . ولن يستطيع الدين أن يستعيد سيطوته الاولى الا اذا استطاع أن يواجه التغيير بنفس الروح التى يواجه العلم بها التغيير . وقد تكون مبادئه أبدية ولكن التعبير عن هذه المبادئ يحتاج الى تطور مستمر » . ومن ثم فإن هوايتيهيد يؤمن بالتوفيق بين العلم والدين ولكنه يرى أن العلم أكثر قابلية للتغيير والتطور من الدين .

---

(١) فيلسوف رياضى واقعى ( ١٨٦١ ) يعرف مذهبه بمذهب « الكيان العضوى Organism ومدرسة « الواقعية الحديثة » ، وهو يقول : ان الكون كله « كيان عضوى » كالبنية الحية فى تركيب اجزائه وان كل ما فيه من كيانات عضوية لها طبيعة الاجسام الحية فى تجمع الاعضاء وتساند الوظائف العضوية . وهو يتخيل أن الله له مكان فى هذا الكون ولا يتم لهذا الكون حقيقة لغيره ، ولكن الله فى هذا الكيان العضوى الأعظم انما يتولى التعديل والموازنة فيه على النحو الذى يتولاه دماغ البنية الحية . . فهو يريد ويفعل ، ولكنه لا يريد كل ما يشاء ، بل تأتية دواعى الارادة أحيانا من تلك البنية ، كما تأتية منها دواعى العمل وميسرات التدبير والتصرف .

والواقع أن الخلاف بين الدين والعلم خلاف شكلي وليس جوهريا ، اذا نظرنا اليه نظرة عميقة رسخ إيماننا وازداد علمنا ، وللدلالة على هذا القول نعطي المثل التالي :

« قال جاليليو : ان الأرض تتحرك وأن الشمس ثابتة، وقالت محكمة التفتيش: ان الأرض ثابتة وأن الشمس تتحرك . ويقول أتباع نيوتون الفلكيون ان كلا من الأرض والشمس في حركة . أما في الوقت الحاضر فاننا نقول : أن كل ما سبق حقيقى وسليم بشرط أن تثبت معنى « الوقوف » و « الحركة » بنفس الطريقة التى تتطلبها الحقيقة السابقة . وفى الوقت الذى قام فيه النزاع بين جاليليو ، وحكمة التفتيش كانت الطريقة التى نادى بها بهذه الحقائق ثمرة من ثمار البحث العلمى . ولكنها فى حد ذاتها لم تكن صحتها تزيد على صحة ما جاء فى كلام لجنة التفتيش . ولكن الافكار الجديدة الخاصة بالحركة النسبية لم تكن عرفت بعد ، ولهذا فان التصريحات التى كانت تعلن افترقت الموصفات المطلوبة لاثبات صحتها . ولكن موضوع حركة الأرض وحركة الشمس يعبر عن حقيقة واقعة من حقائق الكون . وكان لكل طرف من هذه الاطراف نصيب من هذه الحقائق الهامة . ولكن لقلة معارف ذلك العهد كانت الحقائق تبدو مفككة » .

ويناقض هوايتهيد ومدرسته فلسفات أخرى ينادى بها أولئك الذين يعملون فى حقل الدين أو العلم . اذ يرى بعض رجال الدين أن تفسيراتهم هى السلطة النهائية والمرجع الأخير ، وأن العلم يعتبر خاطئا اذا ناقض المعتقدات الدينية ، ويعتقد كثير منهم أن العلم هو العدو الحقود . وعلى عكس ذلك يعتقد بعض العلماء أن نوع من الدين خاطئ وأنه استمرار لخرافات اليهود السالفة . انهم يؤمنون أن العلم حقيقة وأن الدين بلاهة .

ويمثل هذا الموقف تمثيلا بارزا جوليان هكسلى Julian Huxley (١) حيث يرى ألا سبيل الى الايمان فى الدين وفى العلم معا . انه يقول : « ان طريقتى

---

(١) هكسلى : جوليان سوريل هكسلى (١٨٨٧) حفيد توماس هنرى هكسلى كاتب انجليزى من علماء علم الاحياء وكان جده الذى مات سنة ١٨٩٥ أحد العلماء الانجليز فى علم الاحياء .

الدين والعلم فى دراسة الكون والتفكير فيه لا يمكن التوفيق بينهما • ان عدم  
امكان التوفيق بينهما يشبه تماما عدم امكان التوفيق بين السحر وبين الزراعة  
العلمية ، وبين الطب والعلاج بالسحر ، وبين مذهب الباطنية وبين علم الرياضيات  
العليا » • ثم يضى فى كلامه فيقول : « ان تعميم نظرية نيوتون الخاصة بالجاذبية  
مكننا بل جعلنا نستغنى عن فكرة الله الذى يوجه النجوم كلا فى مجراه • ان  
تعميم فكرة داروين الخاصة بالارتقاء الطبيعى مكننا بل جعلنا نستغنى عن فكرة  
الله الذى يوجه تطوير الحياة • واخيرا ان تعميم علم النفس الحديث ودراسات الدين  
المقارنة مكننا بل جعلنا نستغنى عن فكرة الله الذى يقوم بتوجيه الاجناس البشرية  
عن طريق الالهام وغيره » •

ويجدر بنا هنا ان نشير الى الفلسفة المادية التى تقول : انه يجب على  
الانسان ان يختار بين العلم ، والدين •

الواقع ان النزاع بين الدين والعلم يبدو واضحا خلال تاريخ الفكر  
الانسانى ؛ ففي بداية التاريخ الأول كان الناس ينقسمون الى فريقين : فريق  
يثق فى العقل الانسانى على أساس أنه هو وحده الذى يستطيع تفسير العالم •  
وفريق يلجأ الى تفسيرات فوق عقل البشر ويستخدم نواحي الايمان العاطفية •

الفريق الأول هم الماديون والملحدون • والفريق الثانى هم دعاة المثل العليا  
بأشكالهم المختلفة •

لقد اوضح ماركس وانجلز وخلفاؤهما كيف نشأت العقائد الدينية فيقولون:  
« ان الأديان هى ثمرة العقول الانسانية • ففي عصرنا الحالى تهتم الطبقات الحاكمة  
بالاحتفاظ بالاديان حتى تستطيع تأمين امتيازاتها • ان البورجوازيين القابضين  
على زمام السلطة يستغلون الاديان حتى يعموا بصائر الشعب • ان الاديان هى  
الافيون الذى يتعاطاه المظلومون » •

« ما التناقض الداخلى الموجود فى الرأسمالية ؟ فطبعا للنظام الرأسمالى تكون  
طريقة انتاج السلع المادية اجتماعية جماعية ، بينما ملكية أدوات الانتاج ظلت

خاصه • ومن ثم كانت الازمات المتكررة المزمنة ، وبالتالي قامت الحروب • والحروب تعجل بنهاية الرأسمالية لأن الرأسمالية تحمل فكرة الحرب بين طياتها كما تحمل وتسحب عناصر العاصفة داخل طياتها •

ان المادية هي فلسفة العلم وتطبيقاته والعلم وحده هو القادر على تفسير العالم •

وبين هؤلاء الذين يؤمنون بعدم وجود استحالة للتوفيق بين العلم والدين ، وبين الذين يؤمنون بضرورة اعتناق الواحد وطرح الثاني ، يوجد فريق ثالث يحاول أن يوفق بينهما • انهم يؤمنون في الله يختلف كل الاختلاف عما يعرضه أى دين ، انهم يؤمنون بوجود قوة خلاقية توجه هذا الكون • انهم يؤمنون بالدين ولكنهم يفتقدون الدين • انهم يؤمنون بالعلم ولكنهم ينددون بالعلم • وينعت اعداء هذا المذهب بأنه روحانية علمية أو أنه خروج على الدين ، بينما يقول أنصار هذا المذهب : انه حل توصل اليه تفكير الانسان لأزمة أو مازق ، ويمثل هذه الطائفة الأخيرة روبرت ميليكيان (١) •

يقول ميليكيان : « لا يمكن أن تتأثر وظيفة الدين المسيحى أو يتأثر ايمانى بالمسيحية مثقال ذرة لو اكتشفنا أنه لم يكن هناك شخص اسمه المسيح فاذا كانت الأفكار والمثل العليا التى مثلها قد نبئت من تلقاء نفسها فى عقول الناس كانت النتيجة أكثر عجباً وأكثر الهاماً مما هى الآن لأنها تبين كيف أن روح المسيح أكثر انتشاراً فى جميع أرجاء الأرض مما ندرك » •

وهناك جماعة أخرى تسمى « اللاادرية » تقسم نفسها الى فريقين وان كانا يتداخلان فى أشياء كثيرة • يفكر الفريق الاول فى الكون ويصل به تفكيره الى أنه ليس هناك ما يمكن معرفته عنه على وجه الدقة • أما الفريق الآخر فيقبل الكون على علاته ولا يسأل نفسه كيف أو لماذا ؟ أنهم لا يقبلون الدين ، أو الاخلاص ، أو أى طريق وسط ؛ فكل شئ سواء •

---

(١) ميليكيان ، روبرت اندروز ( ١٨٦٨ - ١٩٥٣ ) عالم أمريكى من علماء الفيزياء والفلسفة

الطبيعية حصل على جائزة نوبل سنة ١٩٢٣

وفى زحمة الحياة وغليناها نجد المواقف بين الدين والعلم تعتمد الى الشد والجذب فمن قائل : « لا أستطيع أن أتصور وجود اله يكافى ويعاقب من خلقهم بعد أن جعل أغراضهم من أغراضه » . اله ليس الا انعكاسا لضعفهم . كما لا أستطيع أن أؤمن بأن الفرد يحيا بعد موت الجسم برغم أن هناك كثيرين من ذوى الأرواح الضعيفة يؤمنون بمثل هذه الأفكار نتيجة : اما للخوف ، واما للأثرة الدينية . يكفينى أن أفكر وأتأمل فى لغز الحياة التى تدوم الى الابد ، وأن أفكر فى البناء المدهش لهذا الكون الذى نراه بغير وضوح ثم أحاول بكل تواضع أن أفهم جزءا صغيرا أو متناهيها فى الصغر من مظاهر الطبيعة » .

ومن بين كل هذه الآراء المتضاربة يظهر اتجاه دينى يلقي اللوم على العلم لأنه كان سبب حدوث كوارث الحروب ، ولأنه يسير فى طريق مستقل عن تعاليم الدين .

وفى رأى الكنائس المسيحية أن الحربين العالميتين تدلان على أن العلم لم ينجح فى مهمته . وهى تطالب بالعودة الى الدين كحل للمشكلات الاجتماعية .

اما العقلية العلمية فتتقدم برأين : الاول ان الدين فى تاريخه الطويل لم يكن أداة للسلام ، الآخر أن الميادين التى سادها فساد التنظيم والخصام هى الميادين التى لم تطبق فيها الطريقة العلمية .

وبين هذه المواقف المتعارضة بين الدين والعلم يشعر الشخص العادى بعدم الامان . ألم يعمل العلم على اطالة عمره ؟ وفى نفس الوقت ألم يكن العلم هو الذى تسبب فى قيام حروب أكثر وحشية من الحروب السابقة ؟ ألا يهيب له العلم وسائل الراحة فى حياته ؟ ولكن ألم يسبب الانتاج الواسع مشكلة البطالة ؟ ألا يعين الدين على انقاذ الروح ؟ ثم أليس الدين هو الذى يشهر بالعلم الذى يهيب . لئلا نمان الامان المادى الذى يشتميه ؟ الا يبشر الدين بالاخاء بين الناس ؟ ولكن أين قام الدين بمعارضة السياسة التى تدفع أمم العالم الى الحرب ؟ ألا يندد الدين بمن لا يؤمنون بالخالق ؟ ولكن ألا يستخر العلم - الذى أنتج القنبلة الذرية واستكشف الفضاء - من هذه الأفكار ؟



هذه آراء لبعض الفلاسفة والمذاهب التي عاجت العلاقة بين الدين والعلم وهي تشير الى أن الدين والعلم قوتان كبيرتان لهما تأثير فعال في حياة الانسان وسلوكه . وعلى الرغم من أن هناك تباينا وخلافا في وجهات النظر بصدد العلاقة بينهما ، فنحن نرى أنه ليس من المحال التوفيق بين الدين والعلم ، بل أن التوفيق بينهما أمر واجب على كل انسان عاقل ، وذلك هو السبيل الوحيد لانتشاله من الارتباك والخيرة والجهل ، الى الايمان والاستقرار والعلم .

وفي هذا العصر الذى نعيش فيه اليوم ، والذى يتسم بالتقدم العلمى والاكتشافات الخارقة ، تظهر فى العالم موجة من الاخاد تلقى فى النفس الشك والقلق .

ونحن نقول : ان الايمان بالله اذا كان فى العصور الغابرة ايمانا غيبيا ، فان العلم فى هذا العصر عمقه وحققه ودعمه . ان هذا الايمان يقوم على اساس راسخ من العلم ، والمعرفة ، والعقيدة الحقة .

ان المرحلة الحاسمة التاريخية التى يمر بها مجتمعنا اليوم تقضى بأن ننظر الى الدين نظرة أعمق بحيث تتماشى مع التطور والتقدم العلمى . ان الدين لا يتناقض قط مع العلم .

واذا بدا أن هناك خلافا حقيقيا بين الدين والعلم فهو غير صحيح ، وانما هذا خلاف شكل يقع فى الحقيقة نتيجة ذلك الجدل السفسطائى بين رجال العلم ورجال الدين على أمور فرعية تتحدد مع تطور الظروف ، والأحوال ، والأزمان .

فاذا ما زود رجال الدين ، ورجال العلم أنفسهم بالمنطق السليم الذى يعتبره الطرفان معيارا للحقائق، استطاعوا أن يسعدوا البشرية بدين حق ، وعلم عميق .

## الثقافة والسلوك :

تلعب الثقافة دورا كبيرا فى سلوك الانسان . ف لدى كل جماعة انسانية بعض آراء أو أفكار معينة ، وكل الذين يتقبلون هذه الآراء هم « الداخلون فى هذه الجماعة » ، وينظرون الى من لا يؤمنون بها على أنهم متخلفون ، وفى ضوء هذه الملاحظة نجد أنه فى كل موقف من المواقف يوجد «داخلون» فى الجماعة و «خارجون» على الجماعة . ولا يمكن لأفراد الجماعة الأولى الذين يعتقدون فى سلامة آرائهم أن يتقبلوا أفراد الجماعة الأخيرة على أنهم نظراء أو مساوون لهم .

ولا يهم الأساس الذى تبنى عليه احدى الجماعتين نفسها . فكل الحروب الدينية الكبرى التى فتكت بأوروبا لعدة قرون لم يكن أساسها فكرة جنس أو عنصر . كان المسيحيون يحاربون المسيحيين ، وكان أفراد الأسرة الواحدة يحاربون بعضهم بعضا . كان لا يمكن لعضو من أعضاء البروتستانت «الداخليين» أن يسمح بمكان لعضو من أعضاء الكاثوليك « الخارجين » وبالمثل كان الكاثوليك يعتبرون أنفسهم أنهم الأعضاء « الداخلون » وينظرون الى البروتستانت على أنهم الأعضاء « الخارجون » الذين أغواهم الشيطان .

ومثل آخر بالنسبة لقضية التمييز العنصرى التى نعتبرها أكثر القضايا اهدارا لأدمية الانسان . ففي أمريكا احضر السود اليها كعبيد ، ووضعهم البيض فى زمرة الخارجين . لقد كان البيض فى الجنوب يريدون من يلقون عليه اللوم عندما تعترضهم المشكلات الكبرى ، فكان الاسود أو الخارج هو الهدف الواضح .

وهكذا أصبحت المشكلة اليوم هى أن الاسود وضع فى زمرة « الخارجين » . ولو أمكن نشر هذه الفكرة فى الجنوب لأمكن حل مشكلة « السود » . ولكن طالما شعر الجنوبيون البيض أن مشكلاتهم فى الجنوب أساسها أو منشؤها انحطاط مستوى السود فسوف تزداد حدة التوتر .

ولقد أوضح علماء الأجناس للطبيعة أن أى فكرة عن نقاوة جنس من الأجناس هراء . ولعل أحسن شرح لهذا الموقف هو الرسالة التى كتبها روث بنديكت Ruth Benedict (١) بعنوان « الأجناس البشرية » . لقد صادف هذا العمل اهتماما كبيرا خاصة حينما حظرت تداوله بين أفراد القوات المسلحة فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وذلك لأنه يحارب نظرية « الفصل » ولأنه فضح الأساطير التى اصطنعت عن الأجناس .

لقد قام علماء الأجناس بتمزيق فكرة أن السود ينتمون الى جنس منعط . ان العبارة الآتية التى وردت فى كتاباتهم تحمل نفس الفكرة : « ليس هناك رجل أعقل أو أكثر حكمة من الرجل الاسود » .

ان عامل الفروق الفردية سبب تمردا لا نهاية له فى تاريخ العالم سواء كان هذا التمرد خفيفا أو عنيفا . والداخلون فى الجماعة يؤمنون بأن مثلهم العليا تتفق مع مثل الآخرين، ولذلك فهم لا يرضون ولا يتساحون فى أن يعملوا مع أناس لهم مثل عليا مختلفة . أضف الى هذا الموقف الحقيقة التى تقول : ان أبرز حاجات الانسان النفسية هى استجابة الأفراد الآخرين العاطفية له . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نصل الى القاعدة التى تقول أنه لكى تصل حضارة من الحضارات الى حالة استقرار يجب عليها :

♦ تحديد الأهداف التى يشترك فيها الجميع .

♦ السماح لكل فرد بمجال غير محدود يعينه على أن يكيف شخصيته وفق الخطة العامة .

---

(١) روث بنديكت Ruth Benedict ( ١٨٨٧ ) أصلا من علماء علم الأنثروبولوجيا ، وقد

عنيت بدراسة الفولكلور لدى مختلف الشعوب الفطرية من الهنود الحمر فى الولايات المتحدة الامريكية وبعض شعوب جزر الباسفيك الجنوبي .

بمعنى آخر يجب أن يكون هناك حد أقصى للتعاون مع حد أقصى للحرية  
الفردية •

ويعالج رالف لنتون Ralph Linton (١) المشكلة من وجهة  
نظر مختلفة عندما يحاول أن يجمع بين علم الأجناس البشرية، وعلم النفس ، وعلم  
الاجتماع من أجل دراسة الانسان • لقد وجد أن الجنس الانساني قد وصل  
منذ مدة طويلة الى الاعتقاد بأن الجماعات المنظمة - وليست الأفراد - هي  
الوحدات البارزة في النضال من أجل البقاء • ولكن على خلاف الحيوانات الاخرى  
نجد أن الانسان هو نهاية المطاف لعملية تطورية تتجه نحو زيادة الفردية •  
لهذا لا نعجب من أن يقول رالف لنتون : « اننا مخلوقات تشبه القرد ولكننا  
نحاول أن نعيش كما يعيش النمل الأبيض دون أن يكون لنا صفاته المميزة » •

ان عدم وجود « غرائز » لدى الانسان تضيف أهمية على الثقافة • ان  
الأخيرة هي التي تزود أعضاء أى مجتمع بالتوجيه الذى لاغنى عنه فى كل شئون الحياة،  
ويختم لنتون كلامه بقوله : « بالرغم من العدد اللانهائى من الاختلافات الطفيفة  
فى استجابات الأفراد المختلفين - أو فى نفس الفرد فى أوقات مختلفة - نجد  
أن معظم أعضاء أى مجتمع من المجتمعات يستجيبون لموقف معين بنفس الطريقة  
تقريبا » •

والواقع أن الفرد يستطيع أن يعتمد على الثقافة كموجه لسلوكه كما أن لها  
تأثيرا كبيرا على السلوك الاجتماعى •

---

(١) رالف لنتون Ralph Linton ( ١٨٩٣ - ١٩٥٣ ) احد الانثروبولوجيين الامريكيين ، اسهم  
فى تطوير علم الانثروبولوجيا واهم كتبه التى صدرت فى حياته :

The Study of Man, 1936.

The Cultural Background of Personality, 1945.

نشر كتابه « شجرة الثقافة » The Tree of Culture سنة ١٩٥٥ بعد موته •

ويؤيد لنتون هذا الرأي بقوله : « ان أغط الثقافة بالنسبة للانسان هي كاللبس الجاهزة اذ تمثل البيئة الثقافية حاجيات الفرد التقريبية ، ولكنها لا تلائمها تماما الا اذا تناولتها تعديل ، مثلها تماما مثل السترة فهي في حاجة الى تعديلات داخل حدود » . وبصفة عامة نجد أن الحدود الثقافية من السعة بحيث تضم جميع الأفراد أو معظمهم .

## التعلم Learning :

لقد رأينا من قبل أن الثقافة تحدد سلوكنا في نواح كثيرة ، فهي تحدد لنا الى درجة كبيرة أى الأشياء تستحق النضال في سبيلها ، كما أنها تشكل بل تلى علينا سلوكنا وعاداتنا ، انها تحدد لنا موقفنا تجاه الآخرين : ايهم نحب ، وأيهم نكره ؟ فمثلا في جماعات ثقافية معينة قد يعجب كل شخص بالبطل الرياضي حتى اذا لم يكن له أى شغف بالالعاب . ان التعلم هو الوسيلة التي عن طريقها يتشرب المرء هذه العناصر من ثقافته ويجعلها عنصره .

وبالطبع يختلف الأفراد اختلافا كبيرا في قدرتهم على التعلم . فالبعض يتعلم كثيرا ، والبعض يتعلم قليلا كما يتعلم البعض بسرعة أو أكثر من الآخرين ، ويقنع البعض بقدر ضئيل جدا ، بينما يتنافس الآخرون في ذلك . ان حقيقة الاختلافات الشخصية هذه يمكن أن توجد فيها سبق أن بحثناه بالنسبة للسوافع والادراك . فالبعض سريع الخاطر يدرك بسرعة ، بينما البعض الآخر بليد بطيء الفهم ، وقد يمر بهم الكثير من الامور الهامة دون أن يلحظوها . ويندفع البعض بشدة في اتجاهات متعددة ، بينما يمشى آخرون على مهل بأقل قدر من القوة الدافعة فيعيشون حياة خاملة تقريبا .

والتعلم من أكثر موضوعات علم النفس التي أجريت بشأنها التجارب ، وقد استخدمت في هذه التجارب الحيوانات على نطاق واسع ابتداء من الفئران الصغيرة البيض الى الشمبانزى .

فهناك تجارب بافلوف (١) عن « الشرطية » والتي أثبتت احدى طرق التعلم وعرفت باسم « التعلم الشرطي » ، وقد ساهمت مساهمة حيوية في زيادة معلوماتنا عن عملية التعلم ، وكان لها تأثير كبير على النظرية التعليمية العامة وكذلك على طريقة بناء الشخصية . والمبدأ الذى يقوم عليه الفعل المنعكس الشرطى هو فى الحقيقة مبدأ يسير جدا . ان رد الفعل الطبيعى الذى ينشأ أساسا واصلا من مثير طبيعى قد يرتبط بمثير صناعى حتى انه بعد فترة من الوقت يؤدى المثير الصناعى الى حدوث رد الفعل الطبيعى بنفس الطريقة التى قام بها المثير الاصلى أساسا . وعملية ربط رد الفعل الطبيعى بمثير صناعى معروفة باسم « الشرطية » ، والموقف الاصلى الذى اكتشف فيه الفعل المنعكس حدث فى معمل بافلوف ، وكانت الشخصية الرئيسية هى كلب المعمل الذى كان ملاحظ المعمل يطعمه يوميا فى وقت محدد . وقد حدث أن الجرس كان يذق قبل بضع دقائق من تقديم الطعام الى الكلب ، وبعد أن استمر ذلك الأمر فترة من الوقت ، وجد بافلوف أن فم الكلب بدأ يسيل منه اللعاب بمجرد أن يذق الجرس بينما لم يكن الطعام قد ظهر بعد . ان ما حدث هو أن رد الفعل اللعابى - وهو رد الفعل الطبيعى لرائحة الطعام أو مشهده - ارتبط بالمثير الصناعى ، وهو ذق الجرس .

وتتعلم الكائنات البشرية كثيرا بالشرطية . فبتكرار اطلاقنا كلمة الوطن الائم على الدولة التى ننتمى اليها ننقل اليها الحب والاخلاص الذى نشعر به بالطبيعه نحو امهاتنا .

---

(١) بافلوف ، ايفان بتروفيتش Ivan Petrovitch Pavlov ( ١٨٤٩ - ١٩٣٦ ) فيسيولوجى

روسى ، نال جائزة نوبل فى الفسيولوجيا سنة ١٩٠٤ ، وقد اشتهر بتجاربته على الكلاب ، واستخدمت النتائج التى حصل عليها فى عمليات غسيل المخ كما سيجى بالتفصيل فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

وهناك التعلم بالمحاولة والخطأ Trial and error ، وقد قام العالم الأمريكى ثورنديك<sup>(١)</sup> بإجراء تجارب عديدة على أنواع مختلفة من الحيوانات : كالكلاب ، والقطط ، والأسماك ، والقردة ، وذلك لدراسة قدرتها على التعلم . فمن تجاربه الماثورة أنه قد وضع قطا جائعا فى قفص لا يمكن أن يفتح بابه الا بالضبط على لوحة خشبية ، او جذب حبل ، ثم رفع مزلاج صغير . ثم أغرى القط بقطعة من السمك خارج القفص ، فلاحظ اضطرابه ، وهياجه وقيامه بحركات عشوائية فاشلة ، الى أن اتفق أن مست يده أو جزء من جسمه لوحة الخشب أو المزلاج وانفتح الباب .

واخذ ثورنديك يسجل الزمن ، ثم يعيد التجربة ، ويسجل الزمن الذى يمضيه القط فى تخطئه ، وهكذا .

وقد استنبط ثورنديك أن الحركات العشوائية التى يقوم بها الحيوان نزول بالتدريج وباطراد فى محاولاته المتكررة ، كما كان الزمن اللازم لخروجه يتناقص ، وقد سجل ذلك برسم بيانى أطلق عليه « منحنى التعلم » .

ولو كان الحيوان يعرف الحل عن طريق الفهم والتفكير لانتقل فجأة من حالة الجهل الى حالة العلم ، ولكنه يتعلم عن طريق التخطيط الحركى . ولقد سميت هذه الطريقة « التعلم بالمحاولة والخطأ » ، لأنها تتلخص فى محاولة عدة طرق يتضح أن أغلبها خاطئ .

واذا طبقنا ذلك على الانسان نرى أنه أفاد من محاولاته وملاحظاته السابقة ، إذ لا يكرر كثيرا من أخطائه السابقة ، بل غالبا ما يركز انتباهه على الأوضاع التى سببت هذه الأخطاء فيما قبل .

---

(١) ثورنديك ، ادوارد لى Edward Lee Thorndike ( ١٨٧٤ - ١٩٤٩ ) أحد علماء النفس

والتربية الأمريكين وكانت له شهرة بالاضافة الى هذا فى اللغة ، وله معجم فى مفردات اللغة الانجليزية .

وهناك عديد من الأسماء الالامعة مثل : واطسون، وسكينر ، وهل، أصحابها  
أكدوا تقريبا السمات الميكانيكية للتعلم وهي « المثير والاستجابة » .

ويرون أن التعلم هو الربط بين هذين الاثنين بوسائل مختلفة ، اذ أنه  
بمجرد تعلم شيء فإنه يتكرر ويصبح عادة ببطء .

وعلى عكس هذا نجد وجهة النظر التي عرضها كوهلر ، وتولمان ، ولوين  
الذين يؤكدون حقيقة أن التعلم أساسا هو شكل من أشكال الفهم يبدأ فيه  
الموقف السلوكي كله في العمل . وبدلا من تفتيت عملية التعلم الى مثير واستجابة  
يركزون على الموقف الاجمالي الذي يحدث فيه المثير والاستجابة . وتتحكم في  
الطريقة التي ندرك بها المثير والطريقة التي نتفاعل بها نتيجة له عوامل ليست  
كلها في المثير . وباختصار يعتبرون أن التعلم هو اجمالي أو جماعي ، وليس  
جزئيا ولا فرديا .

اننا نتعلم أشياء كثيرة في فترة حياتنا . قد يتعلم الفلاح استخدام كراثه ،  
كما يتعلم آخر قيادة السيارات . ويتعلم الشخص اتجاهات معينة قد تغريه  
بعدئذ على أن يصبح محافظا أو متحررا . كما يتعلم حقائق حياته الخاصة وحقائق  
مجتمعه ، وكنتيجة لذلك قد يتحول ويصبح زعيما ، أو قائدا ، أو تابعا ، أو مختل  
الاعصاب ، أو شاعرا ، أو جراحا .

على أننا نود أن نشير هنا أن هناك كثيرا من الطرق الأخرى للتعلم ، مثل  
التعلم عن طريق الملاحظة أو عن طريق الاستبصار Insight حيث تعتمد هذه  
الطريقة أساسا في حل المشكلة على ادراك أجزائها من علاقات كانت خافية في  
اول الأمر - وغيرها من الطرق التي أثبتت صحتها .

ولن نستطرد في شرح الطرق المختلفة للتعلم حتى لا نخرج بالقارىء عن  
الموضوع ، ويكفى ما ذكرناه لنؤكد أننا كبشر لا نستطيع أن نعيش في مجتمع



ما لم نلاحظ بعناية كيف يتصرف الآخرون ؟ ولماذا يتصرفون بشكل معين ؟  
وعلى أساس تلك الملاحظات ومثلها نستطيع أن نستخرج مرشدا عمليا للعمل  
يوضح سلوكنا العام •

ان كل أشكال التعلم موجودة فى حياتنا الاجتماعية ، وما لم نحاول أن  
نصل الى جذورها ونتفهمها فانه سيواجهنا من المشكلات ما قد يسبب الكثير من  
تناقضات المجتمع •

\* \* \*

ومن ثم فان هناك العديد من العوامل التى تؤثر على سلوك الفرد كعضو  
فى المجتمع ، وكما سبق أن قلنا : اننا سوف لا نعالج كل هذه العوامل ، فهناك  
غير ما ذكر عامل الشخصية ، والرأى العام ، والعوامل البيئية المختلفة التى  
تلعب دورا كبيرا فى سلوك الانسان • الخ •

ان الهدف الاساسى من هذا الفصل كما رأينا هو أن يفهم القارئ لماذا  
يختلف الناس فى سلوكهم ؟ وما هى العوامل التى تتحكم فى هذا السلوك ؟ وتلك  
التي تتأثر بها الجماعات طبقا لتكويناتها المختلفة •

وبالانتهاء من هذا الفصل نستطيع أن ننتقل الى لب الموضوع كما سيجىء  
فى الفصل التالى •

## الجزء التاريخي

بالرغم من أنه قد يكون طبيعياً عند التعرض « للحرب النفسية » كصورة اخاذة لها أهميتها اليوم - أن يستهل الحديث بتعريف هذه الحرب وتحديد المصطلحات التي تستخدم في معالجة موضوعها - وذلك حتى يمكن أن يتهيأ للقراء فكرة أساسية عن ذلك الموضوع قبل التعمق في دراساته - فنحن نرى من الاوفق أن نبدأ بتقديم أمثلة من التاريخ تكشف عن ماهية الحرب النفسية ، وتصور طابعها ، والوسائل المختلفة التي استخدمت فيها على مر العصور ، على أن نردف بالحديث عن وظيفة هذه الحرب ، وبذلك يتم الشكل العام الذي يكون من الميسور معه الانتقال من التعميم الى التخصيص .

الحرب النفسية والدعاية كلتاهما قديمة قدم الجنس البشرى نفسه ، لكنهما اخذتا في العصر الحديث طابع التخصص مما جعلهما تبرزان في الأضواء كموضوعين منفصلين .

وعلى الرغم من أن الساسة ورجال الدين عرفوا بالتلقين منذ القدم سر الاقوال والافعال التي تحرك الانسان ، فإن التطور العلمى استطاع اليوم أن يكيف المخلوق البشرى لدرجة يتمكن بها أن يحل بعض القوى الخارجية المنظمة لمعرفته محل طبيعته . والواقع أن هذا التطور لم يفعل الى الآن أكثر من تنمية الوسائل القديمة يساعده في ذلك ما لديه من امكانيات ، ومع ذلك فقد خلقت هذه عديداً من المشكلات الاجتماعية ، والسياسية ذات أهمية كبرى .

ان التاريخ ملء بالحوادث التى يمكن أن تروى أو تنقل لايضاح تطبيقات الحرب النفسية ، ومن أولى صور هذه الحرب تلك القصة الطريفة التى تحكى عن تحوُّس الثالث عندما هم بفتح مدينة يافا فى فلسطين واستعصى عليه أمر فتحها فلجأ الى الحيلة ، والتدبيرة ، والمفاجأة ، فيقال أنه عندما هاجم بجيشه هذه المدينة ووجدها صعبة المنال أخذ يمكر بحاكم المدينة حتى ادخل فى روعه أنه ساخط على أعمال فرعون عازم على الغدر به والانضمام الى عدوه ، وظل يرأسه من خارج الاسوار محتالا حتى جازت عليه الحيلة وخرج الحاكم لمقابلة القائد . ولما اطمأن كل منهما الى صاحبه أخذ القائد المصرى يقص على حاكم يافا من اخبار قوة فرعون مما اثار دهشته وأرهب قلبه ، ولكن القائد فى آخر الامر ذكر لحاكم يافا انه عليم بسرى قوة فرعون، بل أنه يملك هذا السرى وهو عصا سحرية يمتلكها فرعون يضرب بها الارض فيعطيه الله ما يشاء . وطلب حاكم يافا من القائد أن يريه هذه العصا فاشترط الاخير أن يكونا على انفراد ، فلما اختلى بالحاكم عاجله بضربة قوية فصّره ، ثم عهد الى مائتين من رجال الجيش المصرى فأخفاهم فى غرائر ثم أمر بهم فحملوا الى المدينة يتقدمهم سانس خيل الحاكم يحمل رسالة وهمية من الحاكم الى زوجته ، وكانت الغرائر محروسة بطائفة اخرى من الجنود المصريين الذين اوصاهم القائد باطلاق من فيها من الجنود اذا دخلوا المدينة . ولم تكد أبواب المدينة تفتح فى وجوههم حتى نفذ أمر القائد وانطلق الجنود المصريون يحتلون مرافق المدينة بينما هاجمها الجيش من الخارج ، وبذلك الحيلة البارة تم الاستيلاء على يافا ، فقد مهدت الحرب النفسية التى شنّها القائد المصرى على حاكم المدينة لهذا النصر الحاسم فى تاريخ مصر القديم .

وهناك مثال آخر حدث فى معركة قادش ايام رمسيس الثانى وقد كان الحيشيون قد تزعموا الحلف المعادى لمصر واخذوا يثيرون الفتن فى سوريا وفلسطين ، فاضطر رمسيس الثانى سنة ١٨٩٤ ق م الى الخروج على رأس جيش كبير قسمه الى اربعة فيالق يعتمد كل منها على نفسه ، ثم تحركت هذه الفياق حتى دخل اثنان منها الى مشارف مدينة قادش التى اتخذها العدو مركزا للفتن والمؤامرات .

وهنا لجأ العدو الى تدبير حيلة بارعة ، فقد ظهر فجأة فى أحد المعسكرات المصرية بدويان من أهل المنطقة ادعيا أنهما تشردا من جيش العدو ، وأن ملك الحيشين قد تقهقر بجيشه شمالا الى مدينة حلب خوفا من الجيش المصرى ، وظل المصريون فى شك من هذه العملية حتى أنهم قاموا بضرب البدويين ضربا مبرحا ليعترفوا بالحقيقة ، ولكنهما أصرا على أقوالهما وهنا تقدم الفيلقان المصريان دون حذر لتصديقهما أخبار انسحاب الحيشين . وفجأة انقض عليهم جنود العدو الذين كانوا مختبئين وراء مشارف قادش وأحاطوا بهم من كل مكان وكادت تتم هزيمة المصريين ، لولا وصول رمسيس الثانى ومعه بعض حرسه الخاص وبعض الجنود الفلسطينيين فقام بشغل مؤخرة جيش العدو حتى وصلت باقى القوات المصرية وأمكنهم فى النهاية من دخول قادش بصعوبة .

ومن الطرائف التى تروى فى هذا الموضوع وهو ما يتصل بالخداع والمفاجأة فى نطاق الحرب النفسية ما يتحدثنا به « القائد المنحطب » وهو أحد قواد تحوتس الثالث فى مقبرته عن حادث طريف وقع فى شمالى سوريا ، فمنذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، أرسل قائد قوات العدو فى أثناء حصار المصريين لاحتدى مدنه انثى فرس عمدا ، وتسلمت الى المواقع ليلا قاصدا بذلك ايقاع الاضطراب بين الخيل الذكور<sup>(١)</sup> التى تجر العجلات الحربية فيربك صفوف القوات المصرية . ولكن المنحطب ظن لتلك الحيلة . وهجم على تلك الفرس وبقر بطنها بمجرد ظهورها فأحبط بذلك حيلة العدو .

كما نجد فى معركة مدين عام ١٢٤٥ ق م صورة طريفة أخرى من صور الحرب النفسية القديمة حينما استخدم جدعون الاسرائيلى المصابيح والقاذفات فى تلك المعركة . وقد جاءت القصة فى الاصحاح السابع من سفر « القضاة » وتروى أن جدعون كان فى موقف تكتيكى سيىء ، إذ كان أهل مدين أكثر منه عددا وكانوا على وشك القضاء على قواته ، ولم تكن أساليب القتال العادية بقادرة على أن تحل المشكلة ، ومن ثم فإن جدعون - مستندا الى الهام أعظم مما يمكن أن يكون لدى

---

(١) كانت جميع الخيول التى تجر العجلات الحربية ذكورا .

قادة عصره - تخير ثلاثمائة رجل لتنفيذ عملية يمكن بها أن يثير الاضطراب في صفوف العدو . كان يعرف جيدا ان من تكتيكات عصره أن يكون لكل مائة جندي حامل مشعل يضيء لهم الطريق بمشعله ، وبتزويده كلا من هؤلاء الرجال الثلاثمائة بمشعل وبوق أوجد ما يوهم العدو بوجود ثلاثين ألف رجل ، ولما كانت هذه المشاعل لا يمكن أن تضاء أو تطفأ آليا على مثال المصابيح الكهربائية الحديثة فقد أخفى هؤلاء الجنود أنفسهم ، ولكي يحققوا تأثير المفاجأة وضعوا المصابيح مختفية داخل حواملها .

وصف جددون جنوده خفية حول معسكر العدو ليلا ، ثم أطلق إشارة واحدة فاخرج الرجال كلهم المصابيح في وقت واحد ، وبرزت الانوار مبعثرة حول المعسكر ، وراح الجنود ينفخون في الأبواق بقوة كمن فقدوا عقولهم . وهب أهل مدين من نومهم مفزوعين ، وعم الاضطراب صفوفهم وقتلوا بعضهم بعضا داخل معسكرهم ، وأسرعوا بالفرار وفي أعقابهم الاسرائيليون يطاردونهم (١) .

\* \* \*

على أن هذا اللون من الحرب النفسية باستخدام وسائل غير مألوفة وغير عادية لاثارة الفزع متواترة في تاريخ كل البلاد القديمة ، ففي الصين القديمة حاول مرة الامبراطور - المغتصب للعرش - وانج مانج أن ينمر قبائل « الهون » بجيش يشتمل على قسم من « السحرة والعرافين العسكريين » بالرغم من أن امبراطور الهون العسكري وجد أن الوسائل الصحيحة المستقيمة هي خير ما يمكن الاعتماد عليه . على أن وانج مانج كان تواقا الى التجديد ولا يبرأ من هذا الشغف المزمع الا باستحداث الوسائل غير العادية واستخدامها ، ففي سنة ٢٣ ميلادية في أثناء محاولة كبح جماح حركة ناجحة لشوار خارجين على حكمه ، جمع كل الحيوانات الموجودة في حدائق الحيوان الامبراطورية ، وبعث بهذه الحيوانات بما فيها النمر ، والفيلة ، والخراتيت وحيدة القرن لاثارة الرعب في صفوف العدو ، ولكن

---

(١) سفر القضاة - اصحاح ٧ السطران ٢٢ - ٢٣

الشوار كانوا سباقين بالمبادأة فى الهجوم ، فقتلوا القائد الامبراطورى وانج صن وفى خضم الاضطراب انطلقت الحيوانات الضاربة من عقالها داخل جيش الامبراطور نفسه وافزعّت الجنود . وحدثت بالصدفة فى نفس الوقت عاصفة عاتية زادت الموقف المضطرب من سيىء الى أسوأ . وكانت نتيجة ذلك أن هزمت جنود الامبراطور ، وفقد الامبراطور السيطرة على أعصابه مما اثر على نفسيته تأثيرا بالغا ، فاعتلت صحته واسرف فى احتساء الخمر ولم يكن يتناول طعاما غير المحار ، وترك كل شىء تسيره الظروف ، ولما كان لا يستطيع أن يتمدد على فراشه أصبح يرقد جالسا على أريكة . وقد قتل وانج مانج فى نفس السنة وبقيت الصين بلا منهج سياسى حتى عصر وانج - آن - شيه « ١٠٢١ - ١٠٨٦ ميلادية » أى بعد قرابة ألف عام من مقتل وانج مانج ولا شك فى أن حربا نفسية لو أحسن توجيهها لكان من الممكن أن تغير سير التاريخ .

وكان السبب والثستائم احدى الوسائل النفسية التى استخدمها الاقدمون فى منازعاتهم ففي عام ٨٠٠ قبل الميلاد وصف الشاعر اليونانى هوميروس القتال الذى دار بين اليونانيين والطوراديين ، وفى احدى قصائده الزاخرة بالبطولة وصف الشاعر موقف العدوّ الذى اتخذ لنفسه مأوى فى مكان بعيد أمين ، قال :

احم ، ايها المختال المفترى ، الشعر

الجميل وقوادى النساء ! هل تريد

ان تتسلح مرة لتجرب حظك فى القتال

ان اقواسك وجبع سهامك لن تنفعك،

فانطلاق السهم بيد الرجل الجبان

العاجز لن يكون شديدا ..

وفى هذه القصيدة التى يذم فيها هوميروس الطرف الآخر صورة لما كان يقوم به المحاربون الاولون ، كان المحاربون الاولون فى كلا الجيشين اللذين يقفان وجها لوجه يستعينون بتبادل الثستائم حتى يؤثر كل طرف فى الروح

المعنوية لدى الطرف الآخر . ونلاحظ اليوم أن نفس هذا الأسلوب ما زال متبعاً بين تلاميذ المدارس ، فهم في مشاغلهم مع بعضهم البعض يلجأون الى القتال النفسى .

ونوع آخر من الدعاية العسكرية فى تاريخ قديم جاء فى التشهير السياسى الذى يصدر فى مطلع الحرب وذلك بقصد تبرير قانونية موقف احد الجانبين أو ابرازها ، وفى الرواية الصينية الشهيرة « سان كيو San Kuo » النص المزعوم بالاعلان عن وجود جماعة موالية تناصر الثوار من « الهون » عند ابتداء العمليات العسكرية قرابة سنة ٢٠٠ ق م ، وللنص طرافته ذلك لانه يجمع بين مختلف الاعمال والمهارات الفنية ، ولكنها منطقية معقولة وهى :

- ♦ تسمية العدو المعين .
- ♦ التوسل الى « الناس ذوى الفضل » .
- ♦ العطف على عامة الناس .
- ♦ تعضيد الحكومة الشرعية .
- ♦ تأكيد قوة الفرد وروحه المعنوية العالية .
- ♦ التضرع للعمل على قيام الوحدة .
- ♦ التوسل بالدين .

وقد ارتبط اصدار الاعلان بقيام هذه الجماعة باحتفال رسمى كبير :

« يواجه بيت هان أياما مليئة بالشور ، لقد انحلت روابط السلطة الامبراطورية ولقد انتفع الوزير الثائر « تونج شاو » من الخلاف والنزاع ليرتكب الشرور . وقد حلت النكبات على الاسر الشريفة ، وعمت القسوة وشملت كل الجماعات العادية الفقيرة . نحن « شاو » زملاء فى غمرة خوفنا على سلامة الامتيازات الامبراطورية قد جمعنا القوات العسكرية لانقاذ الدولة ، اننا نتعهد معا على أن نبذل غاية ما فى قوتنا ، ومن الضرورى ألا يكون هناك محل لأى بليلة

ولا لاي عمل يقوم على الاثرة وحب النفس • ان من يولى ظهره لهذا الرجاء سيفقد حياته ، ولن يخلف وراءه نسلا له : وليشهد الله في السماء • ولتشهد ارضا ، ولتشهد الارواح الواعية لاسلافنا القدامى على كل ما قلناه • اللهم قد بلغنا » •

\* \* \*

ولا شك أن التاريخ الاسلامى مليء بعشرات الامثلة الحية والقوية التى تدل على أن العرب والمسلمين لم يفهم من فنون الحرب الحديثة والاستراتيجية كثير مما نعرفه فى هذه الايام ، ولعل أروع هذه الامثلة هو ما حدث بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بساعة واحدة وانتشار النبا • واستغل الكفرة هذا الخبر على الفور وأخذوا يشنون الحرب النفسية ضد المسلمين ، زاعمين أن الاسلام انتهى ولن تقوم له قائمة • وأخذوا يروجون الشائعات الخبيثة لنشرها بين المسلمين وقالو : « لو كان محمد نبيا لظل بينكم ولم يمت ! » وقد بلغ من شدة هذه الحرب الباردة أن عمر بن الخطاب - وهو من أكبر زعماء المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وثانى الخلفاء الراشدين - خرج من بيته مدعورا حاملا سيفه فى يده مهددا الكفار الذين يرجفون بموت محمد قائلا : انه سيضرب عنق من يروج هذا النبا ، وظل الأمر فوضى والناس فى اضطراب ، وكاد بعضهم أن تتزعزع عقيدته • وفرح الكفار بهذه الفتنة الكبرى ، لولا أن خرج أبو بكر الصديق وحسم الموقف بخطبته المشهورة التى قال فيها بعد أن حمد الله وصلى على نبيه :

« أيها الناس : من كان يعبد حمداً فإن حمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وكانى بكم لم تستمعوا الى قول الله - سبحانه وتعالى - « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » (١) •



وهناك مثل آخر يدل على ما للتعبئة الروحية التي تنتج عن التوجيه المعنوى من أثر بالغ فى احداث التاريخ المتلاطمة .

وهذا المثل البارز فى التاريخ الاسلامى تلك القصة الخالدة لأحد قواد المسلمين الذى انقذ بها سمعة وطن وكرامة جيش ومصير أمة ذلك هو القائد « طارق بن زياد » الذى وقف على مشارف الجبل ابان فتح الاندلس ، ووجد أن جيش العدو يربى على مائة ألف فى حالة دفاع ، وجيشه اثنا عشر ألفا فى حالة هجوم ، فما كان منه بعد أن عرف عظم المسؤولية الا أن قام بحرق جميع سفن الاسطول التى اقلته من شمالى أفريقيا الى الاندلس وأشرك الجند فى حرقها وقام فيهم خطيبا فقال :

« أيها الجنود : العدو أمامكم والبحر وراءكم ،  
وليس لكم والله الا الموت أو النصر ، ولا يعينكم  
على هذا الا ما تستخلصون من أيدي عدوكم » .

فتبث الجنود وقاتلوا حتى انتصروا ، وكانت هذه الحرب النفسية حربا ايجابية أدت الى النصر كمثال على قوة الارادة وما يمكن للتأثير المعنوى أن يؤديه فى كسب معركة حاسمة .

وأظن أنه لا يغيب عن بالنا هذا المثال الثالث الذى يدل أيضا على الحنكة السياسية ، والحداع ، والمفاجأة ، ووضع العدو تحت ضغط معنوى مدمر حيث تتحول المعركة فى غير صالحه . ونقصد بذلك معركة صفين التى قامت بين على بن أبى طالب ، ومعاوية ، والتى تحمس فيها معاوية لهزيمة على والتنكيل به انتقاما لعزله أقارب عثمان من وظائفهم التى عينهم فيها . فلما التقى الجيشان أشار عمرو ابن العاص الداهية السياسى المحنك على معاوية - وقد قاربت المعركة أن تتحول فى غير صالح معاوية - أشار عليه أن يفتح المسلمون المصاحف فوق أسنة السيوف ، ويهللون ويكبرون طالبين التحكيم ، وحل الخلاف بالطرق السلمية ، وبذلك ينجو معاوية من هزيمة محققة نتيجة هذه الخدعة . ثم تمضى الحرب النفسية وتصل الى اقصاها

حينما يقبل على بن ابى طالب التحكيم فيختار وكيلا عنه ابا موسى الاشعري ، ويختار معاوية ذلك الداهية عمرو بن العاص . واتفق الطرفان على أن يكون حكمهما نهائيا ، ويجتمع المسلمون في جمع كبير لسماع الحكم الذي اتفق عليه بين عمرو ، و ابي موسى على ان يتخلع كل منهما صاحبه ويتفق المسلمون على خليفة آخر غيرهما . فيقوم ابو موسى ويعلم خلع صاحبه « على » كما يتخلع خاتمه من اصبغه فيهل المسلمون ، ثم يقوم عمرو ويعلم موافقته على خلع على ثم يبقى قبلته الدوية التي فتقت عنها جيلته وخداعه وهي تثبت معاوية في مركزه خليفة للمسلمين كما ثبت سيفه في غمده .

وكانت النتيجة المباشرة لهذه الحرب النفسية الباردة المبرزة هي حربا ساخنة استمرت بينهما زمنا وذهب ضحيتها عدد كبير من ابرياء المسلمين .

\* \* \*

ولقد كانت احدى مظاهر الحرب النفسية في الماضي ذات تأثير كبير حتى ان نتائجها لا تزال باقية حتى اليوم ، والفكرة العامة أن اعظم غزاة العالم يهوديين جثكيز خان قد حقق غزواته بالجنافل التي لا حصر لها في خيالة التتر الوثنيين. الذين اندفعوا اندفاع السيل واستطاعوا أن يغزو مناطق فسيحة من الأرض بعددهم الزافر . وقد كشفت الدراسات الحديثة عن أن امبراطورية الخان قامت على مستحذات عسكرية مليئة بالجرأة :

- ١ - استخدام قوات خفيفة الخيكة بدرجة كبيرة .
- ٢ - الانتفاع الكامل باعمال المخبرات وجمع المعلومات .
- ٣ - تدسيق استراتيجية تغلّي نصف العالم .
- ٤ - تطبيق اساليب الدعاية بكل صورها المختلفة .

كان القول في وقت واحد يقاثلون أسرة سونج في الصين ، ويحاربون الامبراطورية الرومانية المقدسة في بروسيا بفاصل آلاف الاميال بين مسرحي

الحرب دون أن تعرف أسرة سسونيخ بوجود الامبراطورية الرومانية ، ودون أن تعرف الامبراطورية الرومانية بوجود الأسرة الصينية الحاكمة بأكثر مما يمكن أن تكون دراية مستندة الى مجرد شائعات .

لقد استخدم المغول الجاسوسية للحصول على المعلومات اللازمة لشن حملاتهم ، كما لجأوا الى الشائعات وغيرها من وسائل المبالغة لتجسيم عدد قواتهم وعنف جنودهم ، ولم يكن يهمهم ماذا يمكن أن يظن أعداؤهم ما داموا ينتفضون من الخوف والركع ، وقد وصف الاوروريون خيالة المغول الضاربة وان كانت اقل عددا من الحقيقة على أنها جحافل لا حصر لها ، ذلك لان عملاء المغول كانوا يهمسون بهش هذه القصة في الطرقات . والى اليوم لا يقدر أغلب الاوروريين سرعة هذه القوات ولا مهارة القيادة ، الامر ين اللذين تواثروا للمغول عندما جهوا لهم الضربات منذ سبعة قرون .

ولقد استخدم جنكيز خان جواسيس العدو كوسيلة لارهاب جنود العدو انفسهم ، وعندما كان يستميل جواسيس العدو الى جانبه يروح يلقنهم الشائعات التي ينشرونها بين قواتهم . ولترقب ماذا يقول اول اورويي أرنج لجنكيز خان واصفا في كلماته غير المألوفة الآن كيف أن جنكيز خان أطلق « خلية النحل » على ملك خوارزم أي جعله يعيش في دوامة من الاضطراب . يقول المؤرخ : « ولقد جعل الجواسيس الذين بعث بهم ملك خوارزم لرؤية قوة جيشه وتعداده .. يقول في وصف الامر بهذه الصورة : انهم — كما قال الجواسيس للسلطان — كملو الرجولة شجمان لهم مقهر المصارعين لا يستشقون شيئا الا راحة الحرب والدماء ، ويبدون تشوقا الى القتال حتى أنه من النادر أن يستطيع القادة السيطر عليهم ، وتهذبهم . ومع هذه الوحشية التي يبدون فيها فانهم يجيدون الضبط والنظام ، ويطيعون قائدهم طاعة عمياء ، ويدينون بالولاء لاميرهم الى آخر حدود الولاء ، ويعتون بما يصل اليهم من طعام . وليس من المدهش أن يختاروا الوحوش ليأكلوها ، ومع انهم مسلمون فلم يكن من الصعب أن يستغيثوا لونا من الغداء عن كون آخر ، فهم لا ياكلون لحم الخنزير فحسب، بل أيضا ياكلون الدئاب والديبة

والكلاب عندما لا يكون هناك أى نوع آخر من اللحوم ، لا يفرقون بين ما يجوز شرعا أن يأكلوه وبين ما لا يجوز . وتضطربهم الحاجة الى الطعام لقوام الاود الى تناول كل ما يحرم على المسلمين تناوله من لحوم بعض الحيوانات . ثم يختتم الجواسيس كلماتهم بقولهم - أما عن عدد قوات جنكيز خان فان القوات تبدو كالجنادب « أبو النطيط » من المستحيل حصرها أو احتساؤها .

والواقع أن الامير قد أجرى عرضا لجنوده لاحتوائهم فوجدهم سبعمائة ألف جندي . ولا يزال جواسيس العدو اليوم - كما كانوا بالامس - لهم نفعهم فى اضعاف معنويات العدو ، ولقد قام ملك « خوارزم » وشعبه بقتال رهيب برغم توقعهم أنهم يواجهون مقاتلين يأكلون الذئاب ولا حصر لعددهم ، ولكنهم كانوا قد تركوا قوة المباداة بين يدي جنكيز خان ومن ثم كان مآلهم الهزيمة .

\* \* \*

والحق أن تاريخ مغامرات القرصان فى العالم الجديد اقترن دائما بالبحر الكاريبى ، اذ كانت القرصنة بالاضافة الى حب المغامرة وكراهية الاسبان مصدر ربح ، وكان هذا الكسب هو الدافع الاساسى الذى جعل بعض الافراد الشديدى البأس القساة من رعايا انجلترا ، والاراضى المنخفضه ، وايطاليا ، وفرنسا يقبلون على القرصنة فى البحر الكاريبى .

وكان القراصنة الاولون مجرد افراد استوطنوا « هيبانيولا » اسبانيا الجديدة وهى الجزيرة التى نعرفها اليوم باسم هاييتى وسان دومينجو ، وكانت بداية المتاعب يوم أن طردهم الاسبان من ديارهم فتولدت فى قلوبهم كراهية الاسبان وتحولت الى حقد شديد واستحال المستهترون الى مجرمين .

واستخدم القراصنة تكتيك الحرب النفسية البحرية فسدوا الطريق على السفن الاسبانية ، ونهبوها ، وأسروا بحارتها ، وهجموا على الموانى والبلاد الساحلية الاسبانية وحرقوها ، وأنزلوا الرعب فى كل مكان نتيجة استخدامهم عامل المفاجأة .

وكان القراصنة يقومون بهذه الحرب البحرية غير الرسمية لحسابهم الخاص،  
وتكن عندما اشتركت بريطانيا فى حرب معلنة ضد اسبانيا منحت القراصنة  
الانجليز تكليفا رسميا يبيح لهم تعقب سفن العدو .

وكان القراصنة يعملون وهم يعلمون أنه لو تصالحت بريطانيا واسبانيا  
فانهم يستطيعون الحصول على تصريح رسمى من البرتغال يبيح لهم العبث بالسفن  
والموانى الاسبانية فى البحر الكاريبى .

على أن القراصنة الفرنسيين لم يتوقفوا عن الاغارة على السفن والموانى  
الاسبانية فى البحر الكاريبى الا سنة ١٥٥٩ بعد معاهدة كاثو كاميرسيس (١) .

وثمة صورة اخرى من أساليب الحرب النفسية تظهر بوضوح فى استخدام  
كورتيز Cortez الاسبانى - الذى غزا المكسيك سنة ١٥١٩ - الخيل  
لنشر الارهاب النفسى فى صفوف الأزتيك Aztecs مع استغلاله التقاليد  
والأساطير المكسيكية للوصول دون أى مقاومة الى مدينة نيو مكسيكو  
« تينو سيتيتلان Tenochtitlan » فى ١٠ أو ١٨ من فبراير سنة ١٥١٩ أبحر  
هيرمان كورتيز من كوبا فى احدى عشرة سفينة لغزو المكسيك ، وقد وصل اليها  
ايام حكم منتزوما الثانى « ١٤٦٦ - ١٥٢٠ » ، وكان ملكا محاربا ومشرعا ولكن  
تعاطفه وعجرفته واستبداده جعل القبائل الخاضعة لحكمه تسكن فى وادى المكسيك  
الأوسط .

ومع أن الأزتيك الذين كانوا يسودون كل القبائل الهندية الأخرى كانت  
لهم حضارة قديمة وكانت لهم حكومة منظمة ، فقد أفزعهم هؤلاء القادمون الجدد  
الذين يركبون الخيل ، ولم يكن الأزتيك بناء الأهرام فى العالم الجديد يعرفون  
الخيول على خلاف هنود الشمال فى غربى الولايات المتحدة وفى كندا .

---

(١) تاريخ العالم للسير ج ١٠ . هامتون ٦ : ٢٩٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ الترجمة العربية .

ولكن الواقع أن العامل النفسى الأكبر تأثيرا انحصر فى أن الملك منتزوما  
- ذكره هامرتون باسم موتكيزوما - كان قد تدرب ليكون قسيسا فى عقيسة  
الازتيك الذين كانوا يعبدون عددا من الآلهة .

وكان تقويمهم يجمع بين تقويم المايا - الحضارة التى سبقتهم - وتقويمهم  
أى بين التقويم الذى يجعل السنة ٣٦٠ يوما ، والتقويم الذى يجعل السنة ٣٦٥  
يوما مقسمة الى ١٨ شهرا كل منها عشرون يوما مع خمسة أيام نحوس ، ويلتقى  
هذان التقويمان كل ٧٢ عاما .

وقد جاء الاسبان فى هذه الأيام النحوس عند التقاء التقويمين .

والأمر الآخر أن الحرب عند الازتيك نوع من العبادة ولها طقوسها الدينية ،  
وتنقضى أصول الدين بعدم افناء العدو بل على أسره حيا حتى يقدم للآلهة قربانا .

ولهذا تردد الملك فى قتال الاسبان ولم يلجأ الى العنف فى أثناء سيرهم  
الشاق حتى يصلوا الى الهضبة ، فوجدوا عوناً لهم فى القبائل التى تعارض سيادة  
الازتيك .

وكان استغلال هذه التقاليد هو الذى أنقذ الاسبان ومكن كورتيز من  
الوصول الى عاصمة الازتيك حيث مات مونتزوما فى أسر الاسبان (١) .

\* \* \*

---

(١) تاريخ العالم ٦ : ١٠٠ ، ١٠١

دائرة المعارف البريطانية ٢ : ٨٣٣ - ٨٣٤

دائرة معارف امريكانا - مجلد ١ ص ٧٤٦

بريسكوت « غزو المكسيك » Priscott, Conquer of Mexico

على أن تاريخ شركة الهند الشرقية<sup>(١)</sup> الذى استمر حتى أول نوفمبر سنة ١٨٥٨ حينما انتقلت السيادة على الهند الى التاج البريطانى ، يعتبر سلسلة من الحروب ضد البرتغال ، وضد الفرنسيين ، ومناصرة لبعض الأمراء والهنود ضد البعض الآخر سعيا وراء مصالح الشركة ، وبسطة لنفوذه حول بومباى على الساحل الغربى ، وفى أرض البنغال على الساحل الشرقى ، ثم حول مدراس فضلا عن الحروب فى ميسور وضد المهراتنا الى أن تم غزو السند وحتى تم تنظيم الحدود فى الشمال والشمال الغربى مع التبت ومع الافغان . . هذا التاريخ كله يحمل فى طياته عاملا هاما هو الوسائل الدعاية التى استخدمتها شركة الهند الشرقية فى غزو الهند ضد أفضلية عديدة كبيرة من الهنود حتى عصر كلايف .

يقول آدموند تيلور (٢) :

فى الأيام الأولى لشركة الهند الشرقية أرغم الانجليز على أن يستخدموا بدرجة كبيرة ما يعتبر اليوم « الحرب النفسية السوداء » وذلك باستخدامهم « الطابور الخامس » وباستخدام أساليب فجأة من الدعاية السرية مما مهد الطريق لجنود الشركة وللكوينز لجنين الوطنيين الذين عينوا حكاما ليخففوا العبء عن ادارى الشركة فى الأماكن المحتلة .

---

(١) فى سنة ١٦٠٠ م أعطت الملكة اليصابات جون ميلدنهال Mildenhall أحد تجار لندن تصريحاً ليتاجر باسم اتحاد تجار لندن فى الهند تحت اسم « شركة الهند الشرقية » وكان ميلدنهال يصف نفسه دائما بأنه « سفير الملكة » وقد حصل بتأثير هذا اللقب المزعوم عام ١٦١٣ م من الأمير سليم « جهانجير » بوصفه امبراطور الهند على تصريح بإنشاء محطات تجارية على الساحل الغربى للهند عند سورات Surat ، وقد وفد ميلدنهال اقدامه هناك حتى أنه عندما أرسل البرتغاليون السفن لمنع إقامة هذه المحطة الانجليزية لم ينجحوا فى غرضهم بسبب سوء القيادة وأرغموا على الانسحاب . وفى عام ١٦٥٧ منح كرومويل ( أيام الحرب الأهلية ) الشركة عهدا جديدا ثم زاد منه شارل الثانى بعد انتهاء حكم كرومويل ، ثم أعطيت بومباى للانجليز كجزء من المهر الذى أعطى للملك شارل الثانى عندما تزوج الاميرة البرتغالية كاترين أوف براغانزا .

(٢) راجع Edmund Taylor, Richer by Asia - London 1948 PP. 151 154.

وقد عمد الانجليز الى المناورة لابقاء القوى الوطنية السياسية المضادة لهم ضعيفة ومقسمة ، وبوساطة الدعاية نجحوا فى أن يملأوا عقول الهنود بخرافات مضللة ؛ فتظن كل مجموعة من المجتمع الهندى أن الجماعات الأخرى تقف منها موقف التضاد .

وكانت الحكومة الوطنية فى البلاد تستخدم الجواسيس باعداد كبيرة للتعرف على اتجاهات الراى العام فى هذه البلاد الواسعة ولضبط أى تآمر حتى قيل أن العدد كان يصل فى هذا العصر المبكر الى ثلاثين ألفا فى خدمة راجاه واحد من حكام الاقاليم .

وباستخدام الانجليز بدورهم مثل هؤلاء الجواسيس لم يخطر لهم أنهم يقومون بحرب نفسية منظمة ، ولكنهم فى الواقع كانوا يفعلون هذا دون قصد ، فلم يكن من السهل استخدام عدد كبير من الجواسيس فى أى بلد مهما كانت مساحته دون أن يكشف نشاطهم عن وجودهم ، ومن ثم تولدت بين الشعب عقدة الخوف من الجواسيس Spy Phobia وكراهية لهم ولما كان السبيل متسعا للشك فى أى شئ تولد داخل المجتمع كراهية متبادلة بين الأفراد .

وفى خضم هذه الظروف المواتية استغل الانجليز الخلافات العقائدية ، فمثلا اذا وطئ مسلم دون قصد منه ذيل بقرة رابضة فى الطريق ، أو دق هندوس على طبله أمام مسجد أثناء اقامة الصلاة نشأت اضطرابات أشبه بالحرب الأهلية ، واستغل الانجليز هذه الخلافات لزيادة الشقة بين الجماهير .

وفى معركة بلاسى Plassey التى كسب بها كلايف حملة الأسهم فى شرقى الهند الشرقى اقليم البنغال قام هذا الرجل بوحدة من أهم صور الطابور الخامس فى التاريخ ، فقبل أن يهاجم جيوش نواب البنغال - أى حاكم البنغال - عقد كلايف اتفاقا سرىا مع المير جعفر أحد قادة جيش « النواب » وبواسطة



عميل هندي في خدمة الشركة تم الاتفاق على أن يكون المير جعفر حاكما للبنغال تحت رئاسة الشركة مقابل امداد كالايف بخطة الجيش الهندي ، ومقابل معاونته للانجليز في المعركة .

وقد تمت الخيانة وانتصر كالايف ، وفضلا عن الغرامة التي فرضها على النواب المهزوم والتي وصلت الى ملايين الروبيات ؛ فان المير جعفر بعد أن خدّم الشركة لعدة سنوات تخلّصت منه الشركة بتوريطه في مشكلة سياسية .

ويقول آدموند تايلور في كتاب « تاريخ الهند لباول برائب : ان الغرامة وصلت الى خمسة ملايين دولار قسمت بين الشركة وبين كبار موظفيها ، نال كالايف وحده أكثر من نصف مليون دولار (١) » .

وتكررت قصة معركة بلاسي بعد نحو القرن في حرب سنة ١٨٤٨ ضد الشيخ وأمكن انقاذ الانجليز من الفناء نتيجة خيانة « قائدين » من قادة الشيخ اللذين ترك أحدهما جنوده بعد تحطيم كوبري كان المنفذ الوحيد للانستحاب .

وبعد ثلاث سنوات ثار الشيخ ثانية وأتخذ ضابط انجليزى « الملازم ادواردز » الموقف باستغلاله الخلاف بين الجماعات فشكّل قوات من المسلمين لمناصرة الانجليز ضد الشيخ ، وعاد الانجليز في الثورة الكبرى سنة ١٨٥٧ فسلحوا الشيخ ضد المسلمين .

وكان هجوم الانجليز على العقيلة الهندية بوساطة الدعاية فريدا في بابه ، اذ استخدموا الأسلوب العلنى ، ولم يعملوا مباشرة لاثارة الفرقة بين الجماعات . وانما كانت سياستهم تؤدى الى ذلك ، وعلى الرغم من أنهم ساووا بين الجماعات المختلفة فقد استخدموا الطوائف المختلفة في كبت الثورات ، فاذا ما ثار الشيخ استخدموا المسلمين لكبت الثورة ، واذا ما ثار المسلمون استخدموا الشيخ في القضاء على الثورة ، وبذلك كانوا يبقون الخلافات بين الجماعات مشتتة دائما .

وهكذا فباتباع الانجليز سياسة « فرق تسمد » استطاعوا أن يوجودوا  
الخواجز ، التي تمنع وحدة الشعب .

ولقد استمرت هذه السياسة الى آخر لحظة .. وكانت آخر مراحلها عملية  
تقسيم شبه القارة الهندية بين الهند وباكستان باثارة الرابطة الاسلامية ضد  
حزب المؤتمر الهندي مما لا مجال لمناقشته هنا على هذه الصفحات .

وفي غزو المانشو (١) Manchus للصين صورة فعالة من اساليب الحرب  
النفسية ، ولما كانت الافضلية العددية لدى الصينيين بنسبة « ١ : ٤٠٠ » فقد  
استخدم المانشو الارهاب كوسيلة لكبح هذه الافضلية العددية .

ففي عام ١٦٦٤ م استولى المانشو على بكين بعد أن هزموا جيش الفلاحين  
الصينيين الذين جمعهم لى تسي تشنج وكان هؤلاء أقوى مقاومة شعبية فى التاريخ

---

(١) كان المانشو هم النوشين الذين عاشوا فى جبال شنجاى الوافرة الموارد الطبيعية ، وقد  
عاش الناس فى مجتمعات ريفية يستثمرون ارض الغابات يزرعها لهم اسرى الهان  
ويصطادون اللؤلؤ من نهر موتانكيانج ، وقد وحد نورهاشو زعيم النوشين كل القبائل  
فى وحدة واحدة سنة ١٦١٦ تحت حكمه وقسم رعاياه فى ثمانية اقسام وكان رؤساء هذه  
الاقسام يشتركون فى حكم الدولة ، وكان الناس كلهم يعملون وقت السلم فى الانتاج  
فاذا بدأت الحرب تحولوا الى جنود . وجمع نورهاشو ٦٠٠٠٠ جندي هزم بهم جيش  
اسرة منج فى جبال سارهو ثم تقدم ليصطدم من جديد بجيش المنج تحت اسوار مدينة  
نينجيوان ولكن النوشين ام ينجحوا فى المعركة ، وجرح نورهاشو فى القتال ، ثم مات عند  
ارتداده بقواته الى شنجانج .

وخلفه ابنه هونجتاشى فاطلق الهان من الاسر والرق ونظاهم مع رعاياه ككتائب  
تحت امرة ضباط منهم ثم نادى بنفسه امپراطورا سنة ١٦٣٦ م وغير اسم الشعب من  
« نوشين » الى « مانشو » .

واخضع هونجتاشى منغوليا الداخلية ثم بدا اغارات على الصين واستطاع ان ينفذ الى  
ما وراء سور الصين العظيم وتقدم جنوبا الى هوبيه وشانتونج وفى احدى هذه الاغارات  
حمل المانشو معهم ٢٦٠٠٠٠ اسير من الاهلين و ٥٥٠٠٠٠ رأس من الماشية وعربات  
كثيرة من الاسلاب .

الحديث . واستمر قادة لى نسي شنج يتولون أعمال المقاومة بعد وفاته هو ،  
وامتدت هذه الأعمال الى الجنوب تحت امرة شيه-كوفا احد وزراء حكومة منج .  
وكانت الاقلية الصينية في جانب الصينيين فضلا عن طول خطوط  
مواصلات هو نجتاشى مع موطنه في مغوليا في الشمال ولكن المانشو استخدموا  
الارهاب كوسيلة لكبح الاقلية العرقية التي لدى الصينيين .

وامر المانشو بان يحلق كل السكان الصينيين شعرهم ويبقوا فقط خصلات  
من الشعر في وسط الرأس .

واستمروا يقدفون المقاومين في كيانجين بالمذبوحات والسهام حتى هلك  
السكان كلهم بعد حصار استمر واحدا وثمانين يوما .

واستمرت المقاومة في شياتنج مدة شهرين ، ومرة اخرى تكررت المذبحة .  
وتابع المانشو عمليات الارهاب ضد المقاومة الشعبية مهدين دم كل من  
يقع في ايديهم ولم يستطيعوا القضاء على آخر مقاومة شعبية في ناككنج الا في  
سنة ١٨٥٩ .

وقد استمر حكم المانشو حتى سنة ١٩١٢ حيث قضت على حكمهم ثورة  
الزعيم صن يات سن .

\* \* \*

وقد فشل الاثراك في ميدان الحرب النفسية ابان الحملة العظيمة لسنة  
١٦٨٣ في الحرب بين تركيا والنمسا أيام محمد الرابع .

ففى اواخر سنى حكم السلطان محمد الرابع قامت في النمسا حركة مضادة  
للملك ليو بولك الاول الذي تولى العرش بعد حرب الثلاثين سنة مفتعبا للعرش .

ورأس الحركة أحد أمراء المجر هو الكونت أمري دى توكل يعاونه عدد من الأمراء ، واتصل توكل بحكومة الاستانة للاستعانة بجيوشها فى حركة الخروج على ليوبولد . وبدأ زحف القوات التركية بعد أن عينت الدولة العلية توكل أميرا لبلاد المجر الوسطى ، ووصلت القوات التركية بقيادة الصدر الأعظم قره مصطفى باشا .

وعقد الصدر الأعظم مجلس الحرب ، ولكنه اختلف فى رأيه مع بعض قادته ، وأمر بحصار فيينا سنة ١٦٨٣م ، واستمر حصارها شهرين أغفل الصدر الأعظم طوالهما اجتذاب الاهلين الذين يعيشون على خطوط مواصلاته وكذا الناس فى المناطق حول فيينا ، ولم يعمل على تفتيت عضد المدافعين الذين امضهم الحصار . ولقد استولى على جميع قلاع فيينا الخارجية وهدم أسوارها بالمدافع ، وكاد يتم فتحها لولا أن وصل حنا سويسكى ملك بولونيا مع حاكم ساكس وحاكم بافاريا بجيوشهم بتحريض البابا ايناشتينيوس الحادى عشر الذى أثار فى قلوبهم نار التعصب الدينى ، وقد اشتهر حنا سويسكى بعد ذلك بلقب « حامى النصرانيين (١) » .

\* \* \*

وفى الثورة الأمريكية لعبت الحرب النفسية دورا كبيرا ، فان الحملة الدعائية التى قام بها الراديكاليون أعضاء حزب الأحرار Whig ، أدت الى التحدى الاستعمارى من جانب بريطانيا . وقد أخذت هذه الحملة طابع المهارة والتخصص وصحبت بداية العمليات الدعائية محاولات لاجتذاب الاهالى المدنيين عن طريق المنشورات التى توزع باليد .

واستخدمت القوات الأمريكية فى معركة « بنكرهل » واحدة من أوائل صور الدعاية فى خط القتال الأمامى بتوزيع نشرات على الضباط والجنود الانجليز تحثهم بصورة مباشرة على ترك صفوف الجيش الانجليزى والانضمام اليهم ،

---

(١) العميد « اسماعيل سرهنك » حقائق الاخبار عن دول البحار - المجلد الاول طبع بولاق

سنة ١٣١٢ هجرية .

وتعدهم بالأجر الكبير ، والغذاء الكثير ، والرعاية الصحية مع التحرر ، ولا تزال هذه الفكرة مثالا جيدا صالحا حتى اليوم للدعاية في ميدان القتال .

وجأ الأمريكيون الى استخدام الصحف على نطاق واسع للبحث على ضم الناس الى صفوف الثوار دفاعا عن قضية المستعمرات الأمريكية ، وعندما اتجه أصحاب الصحف الى جانب المستوطنين الامريكيين الموالين لملك بريطانيا ، حذر أصحاب الصحف من موقفهم وطلب منهم الوقوف الى جانب الوطنيين الاحرار . وفى ضوء تهديد مماثل من جانب الموالين للتاج البريطانى أبدى بعض أصحاب الصحف رغبتهم فى ايقاف اصدار صحفهم ، فحذروا ثانية بأن تعطيل الصحف سيعتبر خيانة لأمريكا .

ولقد استغل الجانبان ما تحت أيديهم من صحف استغلالا جيدا ، ولكن صحف الانجليز لم تكن منتشرة خارج المدن التى كانت معاقل القوات البريطانية . على أن المقالات التى نشرت فى هذه الصحف أو تلك والتى عنيّت بالحديث عن الموقف السياسى لكل جانب ، وناقشت أوجه الخلاف الاقتصادية ، كان لها دورها الهام وبخاصة فيما يتصل بعمليات سير الحرب .

وقد أوضح جورج واشنطن قائد « الجيش القارى » لقوات الثوار اهتمامه بالدعاية للحرب ، ووضع تدابير سياسية وعسكرية معتدلة كانت هى القاعدة التى عملت منها دعاية الوطنيين الاحرار .

وفى التاريخ أمثلة تجعلنا نقول : ان بعض الحروب تأثرت بصورة ما بكتاب أو آخر . وكانت حرب الثورة الأمريكية واحدة من هذه الحروب ، وقد وضع توماس بين<sup>(١)</sup> كتابه الحس المعقول Common Sense الذى صدر فى سلسلة

---

(١) توماس بين Thomas Baine ( ١٧٣٧ - ١٨٠٩ ) انجليزى الأصل انتقل الى امريكا

حيث عاش واشتهر بأنه مواطن امريكى ثورى ، كاتب ومفكر سياسى من طابع ممتاز ، وله

عدة مؤلفات أهمها قصته « كوخ العم توم » ولها أكثر من ترجمة باللغة العربية .

من الكتيبات ، واكتسح ما في الكتاب التفكير الأمريكى اكتساح النار للهشيم •  
وقد أشارت الكتيبات الى بعض الأسس في التفكير الأمريكى وأبرزت قضية  
الثورة في جراحة وفي أسلوب سهل حتى أن المتحفظين بين المواطنين الشوار  
لم يستطيعوا مقاومة استخدامها في الدعاية •

لقد صار الكتاب من أمهات الكتب في الأدب الأمريكى ، وفي الوقت نفسه  
صارت له مكانة في التاريخ على أساس أنه « الكتاب الذى كسب الحرب » •

وكانت تجربة أمريكا في الحرب المكسيكية أقل نجاحا ، ولقد شن المكسيكيون  
حربا نفسية ضد الأمريكين ، حتى أنهم نجحوا في جعل رجال المدفعية الأمريكية  
يقومون بمذبحة داخل صفوف القوات الأمريكية نفسها خارج مدينة نيومكسيكو •

وشرح المؤرخون في كل من البلدين وعلقوا على حوادث الخيانة والتآمر  
التي جرت في كلا الجانبين • ولقد مارس الجانبان في الحرب الأهلية الأمريكية  
الحرب النفسية ، وبخاصة من ناحية إنشاء وسائل الدعاية في إنجلترا وفي قارة  
أوروبا ، واستخدم الشماليون وسيلة تجنيد وحدات من السود ، ففكر  
الجنوبيون بدورهم قرابة نهاية الحرب في تجنيد قوات من السود • وحتى ان لم  
يكن تجنيد السود الوسيلة البارزة الرئيسية في الدعاية فإنه كان يوضح شعور  
المجتمع بالنسبة لموقف كل جانب عن السبب الذى قامت من أجله الحرب بغض  
النظر عن موضوع البقاء في الاتحاد أو الخروج عليه ، كما يوضح أن الشماليين  
والجنوبيين على السواء نقلوا عوامل الصراع السياسى كالعادة الى خط القتال •

\* \* \*

ومن الأمور التي تدعو الى السخرية والعجب ما قام به نابليون بونابرت  
حينما حاول غزو مصر عام ١٧٩٨ ليستعبد أهلها ويستغل ثرواتها ، فقد ادعى أنه  
قدم لينتشل المصريين من برائن ظلم المماليك ، وخلع على نفسه لقب حامى  
الاسلام ، بل تطرف في تبجعه ونفاقه فادعى أنه مسلم ، وأنه يحارب النصرانية  
في روما التي أرادت أن تحارب المسلمين • ولم يمض وقت طويل حتى كانت  
خيول الغزاة الأفاقين تدوس الجوامع وتضرب الثوار بكل قسوة وعنف •

ونحن نضع أمام القارئ صورة المنشور الذى وجهه نابليون الى شعب مصر  
حينما وطئت قدماء مدينة الاسكندرية ، وهو يعطينا صورة واضحة من اساليب  
الحرب النفسية .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه » .

« من طرف الفرنساوية المبني على اساس الحرية والتسوية السر عسكر  
الكبير امير الجيوش الفرنساوية بونا برته يعرف اهالى مصر جميعهم ان من زمان  
مديد الصنائج الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى  
حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الابداء والتعدى . فحضر الآن  
ساعة عقوبتهم ، واخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من  
بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون فى الاقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة  
الأرض كلها » .

« فاما رب العالمين القادر على كل شئ ، فانه قد حكم على انقضاء دولتهم » .

« يا أيها المصريون ... »

« قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم ، فذلك  
كذب صريح .. فلا تصدقوه ، وقولوا للمفتريين : اننى ما قدمت اليكم الا لأخلص  
حكمكم من يد الظالمين ، واننى - أكثر من المماليك - أعبد الله - سبحانه وتعالى -  
واحترم نبيه والقرآن العظيم » .

« وقولوا أيضا لهم : أن جميع الناس متساوون عند الله ، وأن الشئ الذى  
يتميز بعضهم عن بعض هو : العقل ، والفضائل ، والعلوم فقط ، وبين المماليك والعقل  
والفضائل تضارب .. فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يملكوا مصر  
وحدهم ويختصوا بكل شئ حسن فيها : من الجوارى الحسان ، والخيال العتاق ،  
والمساكن المفرحة » .

« فان كانت الارض المصرية التزاما للماليك ، فليرونا الحجة التى كتبها  
الله لهم • ولكن رب العالمين رؤوف ، وعادل ، وحليم •

« ولكن بعونه تعالى ، من الآن فصاعدا ، لا ييأس أحد من أهالى مصر عن  
الدخول فى المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية . فالعلماء ، والفضلاء ،  
والعقلاء بينهم سيدبرون الامور •• وبذلك يصلح حال الامة كلها » •

« وسابقا كان فى الاراضى المصرية : المدن العظيمة ، والخلجان الواسعة ،  
والمتجر المتكاثر •• وما ازال ذلك كله الا الظلم والطمع من الممالك » •

ايها المشايخ والقضاة والأئمة والجرجية وأعيان البلد ••

« قولوا لامتكم أن الفرنساوية هم ايضا مسلمون مخلصون ، واثبات ذلك  
انهم قد نزلوا فى رومية الكبرى ، وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما  
يحث النصرانى على محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردها منها  
الكوالرية(١) الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين •

« ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين  
لخضرة السلطان العثمانى ، وأعداء أعدائه • أدام الله ملكه •• ومع ذلك ان  
الماليك امتنعوا من اطاعة السلطان ، غير ممثلين لأمره ، فما أطاعوا أصلا الا  
لطمع أنفسهم •

« طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تاخير فيصلح حالهم ،  
وتعلى مراتبهم » •

« طوبى ايضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لاحد من الفريقين  
المتحاربين ، فاذا عرفونا بالأكثر تسارعوا الينا بكل قلب •

---

(١) او « الكفالرية » مأخوذة من الكلمة الافرنجية التى تعنى « فارس » وهم طائفة من خلفات  
الحروب الصليبية استقرت فى مالطة •



« لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على الممالك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر .

#### المادة الأولى :

جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها عسكر فرنساوية ، واجب عليها أن ترسل للسرا عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم فرنساوية الذي هو : أبيض ، وكحل ، وأحمر .

#### المادة الثانية :

كل قرية تقوم على العسكر فرنساوى تحرق بالنار .

#### المادة الثالثة :

كل قرية تطيع العسكر فرنساوى أيضا ينصب صنجاق السلطان العثمانى مجنبا دام بقاءه .

#### المادة الرابعة :

المشايع في كل بلد يختمون حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك التي تتبع الممالك ، وعليهم الاجتهاد التام لتلا يضيع أدنى شيء منها .

#### المادة الخامسة :

الواجب على المشايخ والعلماء والقضاء والائمة أنهم يلزمون وظائفهم . وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى في مسكنه مطمئنا ، وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة .

« والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله — سبحانه وتعالى — لانقضاء دولة الممالك قائلين بصوت عالى : أدام الله اجلال السلطان العثمانى . أدام الله اجلال العسكر فرنساوى . لعن الله الممالك واصلح حال الأمة المصرية .

» تحريراً بمعسكر اسكندرية في ١٣ شهر سيادور من اقامة الجمهور  
الفرنساوى « .

هكذا كان نابليون ، وقد عاد فهدد بالعقاب والضرب كل من يشور ضد  
المستعمر ، ولقد اراد أن يخضع أهل البلاد فتجراً على كتاب الله الكريم وزعم أن  
ما حدث للبلاد نتيجة أطماعه فيها صرح به القرآن الكريم في آيات كثيرة . ومما  
يؤسف له أن بعض المرتزقة من العلماء ساعدوه في كتابة هذه الافتراءات ، بعد  
أن امتلأت بطونهم من يد المستعمر البغيض .

اننا لم نطل الوقوف امام هذا المثال الا لما فيه من عبرة لأبناء هذا الجيل ،  
فالمستعمر مهما كان غرضه خبيث شرير ، قد يتخذ شكل الحمل النوديع أو حمامة  
السلام وهو حقيقة ليس الا حية ملساء تحمل سموم الفتك والدمار .

وبعد هذا السرد التاريخى لهذه القصص وتلك الأساطير نجد أن الوسائل  
الفعالة التى استعملت فى مضمار الحرب النفسية هى :

- ١ - الخداع عن طريق الحيل والايهام .
- ٢ - اثارة القلق باستخدام وسائل غير مألوفة .
- ٣ - الشائعات .
- ٤ - افتراءات العدو وعرض قضيته التى يحارب من أجلها .
- ٥ - خلق قوة خاصة جبارة لا تقهر .
- ٦ - التهديد بواسطة التسليح .
- ٧ - بث الذعر واطلاق الشائعات .
- ٨ - التحقير من قوة العدو .
- ٩ - الاغراء والتضليل والوعد .
- ١٠ - استغلال الخلافات الدينية والعقائدية .
- ١١ - الارهاب .

وينقص هذه اللقائمة - اذا ما قورنت بالحرب النفسية الحديثة - استعمال الرسائل المخططة على نطاق دولى واسع ، كما يتقنها كذلك استعمال الوسائل الفنية الحديثة .

وهكذا يمكن جمع شتات هذه الأمثلة لتخرج منها بنتيجة واحدة هي :

« يسعى دائما كل طرف من أطراف النزاع قبل المعركة المسلحة وفي أثناءها الى اضعاف موقف الطرف الآخر عن طريق شن هجوم عنيف على القوى الروحية والنفسية لديه ، وفي الوقت نفسه يسعى الى تقوية موقفه هو » .

## دروس الحرب بين العالميتين :

على ان النماذج الحديثة تشمل العقائد التي تنطبق على الحرب النفسية وصارت اليوم اجراء عسكريا موطد الاقدم في الجيوش الحديثة .

فقد شهدت الحرب العالمية الاولى تحول الحرب النفسية من وسيلة عرضية الى آلة عسكرية رئيسية . وقيل في تاريخ لاحق : أن الحرب النفسية كانت السلاح الذي كسب الحرب ، وراح أولئك الذين كانوا يتولون أمر الدعاية في صفوف اخطاء ينشرون الاعتقاد بأن مهارتهم كانت قاطعة ، وأن القتال المنيف الذي جرى في الخنادق لم يكن بأكثر من شل حركة الجائنين المتضادين .

والواقع اننا اذا قدرنا الحرب النفسية في خطورها العربية العربية نستطيع ان نقرر انها كانت سلاحا بين الاسلحة القساطمة في حرب ١٩١٤/١٩١٨ ، فقد لعبت سياسة اخطاء المظفة ، ونقاط ويلسون الأربع عشرة ، وطابع الاهمال الذي اتصف به القيصر غيوم ، ثم انبعاث القوميات البولندية والفنلندية والشيكية والسلافية . . دورا حقيقيا في استسلام ألمانيا سنة ١٩١٨ .

ولكن هل كان هذا الدور أعظم من الدور الذي كان للمدافع والجنود والسفن والطائرات والذبابات ؟ في الواقع ليس من السهل الاجابة عن هذا السؤال ، فمثله مثل سؤال عداء من عدائي المسافات الطويلة عما اذا كانت رثته او ساقه

أو رأسه قد أسهمت بأكثر من غيرها في فوزه • ولما كانت الحرب تدور بواسطة - وضد - كل أجزاء الشخصية البشرية ، من : بدنية ، ومهارة ، وذكاء ، وغيرها ، فإنه من المستحيل أن نميز بين دور سلاح وسلاح في تحقيق الهدف •

ولقد احتلت الدعاية مكان الصدارة في الحرب لان الأمم المشتركة في الحرب جعلت وسائل الاتصال الجماهيرية جزءا من حياتها المدنية ، وتبعاً لهذا لم يكن معدى من أن هذه المهارات التي تطورت في الحياة المدنية يجب أن تنتقل الى المجال العسكرى ، وكانت جهود الحرب النفسية لكل من الدول المقاتلة البديل المباشر لدعايته غير السياسية في أيام السلم • فأنشأت وزارة الخارجية البريطانية سنة ١٩١٤ مكتبا للدعاية ، ولكن الجزء الأكبر من الجهد كان يتم بواسطة المؤسسات الخاصة • وكانت نتيجة الصعاب التنظيمية التي قابلها الانجليز أن أصبح لديهم في نهاية الحرب وكالتان منفصلتان : الأولى تتكون من وزارة الاستعلامات تحت رئاسة لورد بيفربوك ومعها ادارة المخابرات تحت رئاسة الكولونيل بوكان للقيام بأعمال الدعاية خارج بريطانيا • أما الوكالة الأخيرة فهي اللجنة القومية لأغراض الحرب وتقوم بأعمال الحرب النفسية داخل بريطانيا •

\* \* \*

ولم ينجح الالمان في دعايتهم في الحرب العالمية الأولى ولا سيما في الجبهة الداخلية ، فلقد بدأت الحكومة الامبراطورية الحرب سنة ١٩١٤ واثقة من قوتها ، ولكنها لم تقدر عوامل القوة بين صفوف الجماهير ، فقد كان القيصر غليوم الذى ورث عن سلفه عرشا وجيشا كبيرا يؤمن بأن الأمر لا يعنى به أحد سواه ، اما الجماهير فيحسن أن يبعدوا أنوفهم عن هذه الامور •

واستفادت المانيا الهتلرية من هذا الدرس • اذ وصلت النازية الى السلطة عن طريق استمالة الرجل العادى ، وطبق هتلر هذا التكنيك في الميدان الدولى بادئا بتملق الجماهير في كل مكان ، وقام بالعروض التي تدل على القوة ، ثم انتهى الى الوحشية الباردة التي لا يهمها كل ما يحدث في سبيل تحقيق هدفها •

وكان لأمريكا في الحرب العالمية الأولى هيئتان للدعاية ، الوكالة المدنية للمعلومات والتي عرفت دوليا باسم لجنة كرييل Grael نسبة الى رئيسها مستر جورج كرييل ، ثم الوكالة العسكرية ولها قسم للدعاية او للحرب النفسية في هيئة العمليات « G - 2D » بمركز رئاسة الحملة الامريكية تحت رئاسة النقيب هيربلانكنهورن Heber Blankenhorn .

وقد وفقت لجنة كرييل في الحصول على معاونة منسقة من كل الادارات الحكومية الاخرى اذ أن رئيسها كان موضع ثقة الرئيس الامريكى . وأعدت لجنة كرييل متحدثين متطوعين يتحدثون في كل المجتمعات الامريكية ، وظهرت لافتات كتب عليها «Four Minutes Men» بمعنى أن المتحدث لا يتكلم غير أربع دقائق ، وأعدت أفلاما للدعاية عرضت في كل أنحاء العالم ، وجاء وقت هدد كرييل شركات العرض السويسرية بمقاطعتها ما لم تعرض أفلام الدعاية الأمريكية كما أرسل كرييل مبعوث الدعاية الى فرنسا ، وانجلترا ، وإيطاليا ، وسويسره ، وهولنده ، وأسبانيا ، واسكنديناوه ، والمكسيك وغيرها من بلاد أمريكا اللاتينية وكذا الصين وروسيا .

ثم جاءت الثورة البولشفية في السنة الرابعة للحرب ، واستندت هذه الثورة الى الدعاية، ثم استمرت الدعاية السلاح الرئيسى الفعال في أيام البولشفيك ثم عند التحول الى الشيوعية ، وقد استخدمت الدعاية البولشفية الوسائل التالية :

- ١ - تنظيمات الحزب الشيوعى .
- ٢ - اتحادات العمال .
- ٣ - المنظمات السرية .
- ٤ - البعثات التجارية والقنصلية .
- ٥ - النشرات التى ترسل بالبريد .
- ٦ - الملصقات والكتب والصحف .
- ٧ - الأفلام والراديو .

والواقع ان ما حققته الشيوعية في ميدان الحرب النفسية كان يعتبر دافعا جزئيا خاصا من تطبيقات الماركسية ، ولم ينظر اليه على أنه فن يمكن أن تتعلمه أو تستخدمه أية شعوب أخرى لا تدبر بالشيوعية . وكذلك اعتبر الاتساح التاريخي الذي قامت به الجيوش الصينية الوطنية بين عامي ١٩٢٢ ، ١٩٢٧ مسألة صينية بحتة ، واهلكت الدروس التي كان من الممكن تعلمها من الحرب النفسية التي قام بها الشيوعيون الصينيون . وفي أثناء هذا كانت ألمانيا تخوض غمار حرب نفسية داخلية ، ولم يستيقظ العالم من غفوته ليدرك وجود هذا السلاح الجديد ، الا بعد أن وصل هتلر الى مركز مستشار الرايخ ، وبدأ استعمال تكتيكات « القمصان الرمادية » في الثمنون الخارجية .

وهنا يجب ان نشير الى حقيقة هامة ، فالنازيون من البداية لم يؤمنوا بالعقيدة التي يشيرون بها بالقدر الذي آمن الشيوعيون بعقيدتهم . فمن البداية اعتبر الشيوعيون المعاية سلاحا جديدا قاسيا يمكن ان يؤدي الى تحقيق قوة حديثة . كان الشيوعيون قد أوضحوا بأن اقلية لها رسالة مقدسة من اختراعها يمكن ان تحصل على تعفيد الجماهير حكومة تزعم انها تهدف للعمل من أجل الشعب وان كانت لم تقم بوساطة الشعب ولا من بين صفوف الشعب ، واتخذ النازيون هذا مثلا يحتذى .

وجاء جهاز النازية الى حد بعيد تطبيقا للمثال الشيوعي، وان كان التطبيق لغاية مختلفة . كانت الغاية بالنسبة للنازية « حكم العالم » وكانت الغاية بالنسبة للشيوعية « قيام الشيوعية الدولية » . والهم ان كليهما اعتبر أن أية وسيلة لها نفعها في أي وقت ما دامت تؤدي الى الغاية البعيدة . ولما كان زعماء الحزب في كليهما هم وحدهم الذين يقررون ما اذا كان عملا معينا يمكن ان يؤدي فعلا الى « الغاية » أصبح هدف العمل هو تحقيق السيطرة والسلطة .

ونمت الدعاية في كلتا الدولتين لتكون « ايدولوجية » . على ان الذي جعل « الحرب النفسية » ذات طابع خاص في الحرب العالمية الثانية حقيقة ان النازية والفاشية قاتلتا على أساس حرب تدار بأسلوب نفسى أى « الحرب الشاملة » .

## الحرب النفسية في فترة الحرب العالمية الثانية :

واستطاعت دول المحور « روما - برلين - طوكيو » أن تجعل شعوبها أولا راضية عن القيام بحرب عدوانية ، ثم قامت بتفتيت خصومها للحصول على النصر جزئيا بعد آخر ، وكان عليها أن تخيف أعداءها المباشرين ، وأن تهدئ خصومها المنتظرين .

وقد اقتضت كل المحاولات التي سبقت العمليات العدائية استخداما واسمع النطاق للدعاية « السوداء » برغم ما بذل من جهد كبير لاختفاء تلك الدعاية .

ولقد حقق الألمان في ميدان الدعاية ثلاثة انتصارات :

١ - في المجال السياسي بجعل كتلة كبيرة من الرأي العام الدولي ترى أن مستقبل العالم يتوقف على الاختيار بين الشيوعية والفاشية .

٢ - في المجال الاستراتيجي بأن تبدو كل ضحية على أنها هي الضحية الأخيرة ، وبذلك كانوا يجدون في كل مرة الفرصة للمضغ الجيد وازدرداد ما يصفغونه .

٣ - في الميدان السيكولوجي باستخدام « الدعر الكامل » بجعل الشعب الألماني نفسه يخشى من تصفية الشيوعية له ، كما استخدمت أفلام عمليات الحرب الخاطفة لاختافة الجماعات الحاكمة في دول أخرى ولتحطيم المعنويات ، وتسبب عن ذلك ما يسمى « بالانهيار العصبي » للأمم وذلك بأبقتها دائما في حالة شك وعدم يقن مما يمكن أن يحدث لها غدا .

ومن ناحية أخرى لوحظ أن كلا من ألمانيا وبريطانيا وجدتا في الاذاعة وسيلة فعالة يمكن توجيهها الى كل دول أوروبا على الموجات العادية ، بل تستطيع كل منهما أن تتدخل في الاذاعة الاخرى بالقيام بما يسمى « أعمال الشوشرة » .

والحق أننا نجد أن كلا منهما ركز اهتمامه لجذب انتباه أكبر عدد من المستمعين والتأثير في معتقداتهم ، وعواطفهم ، وولائهم سواء أكانوا أصدقاء أم مجايدين أم أعداء .

وخرج الألمان مما يسمى « حرب الاذاعة » بدرس أو مبدأ أساسى هو عدم السماح لاذاعتهم أن تسبق الحوادث ، إذ كان الراديو الألماني يعد المستمعين أحيانا بأشياء لا يستطيع أن يحققها العسكريون ، وكان الانجليز ينتهزون تلك الفرصة بالتقاط هذه النداءات وتوجيه أنظار المستمعين اليها ، مما جعل الألمان يضعون ضباط اتصال من الجيش فى الاذاعة لمراقبة الاذاعيين فى توجيه اذاعتهم حتى لا يعدوا بما لا يمكن تحقيقه .

أما الولايات المتحدة فلم يكن لديها بعد بداية الحرب فى الشرق الاقصى بل حتى بعد اشتراكها فى العمليات الحربية بأوروبا أى أقسام مدنية أو عسكرية تتوافر لها وسائل الدعاية ، ولكن كان لها فى الواقع صلات غير مباشرة فى كل أنحاء العالم أقامتها مجموعة صحف Fortune - Life - Time فضلا عن الريدزدايجست .

وكان يبدو ممكنا أن تضع الحكومة يدها على كل صحيفة ومجلة وكل محطة اذاعة فى البلاد ، وأن تنسق هذه كلها للمصلحة القومية ، ولكن هذا لم يكن مستطاعا مع وجود دستور ومع وجود محاكم تمكن من تنفيذ الدستور ، وبذلك وضع أنه يجب توقع تدخل من جانب وسائل النشر الخاصة .

وكان أول ما فعله الرئيس روزفلت أن عين دونوفان « منسقا للمعلومات » C. O. I Co-ordinator of Information وامتلات ادارته بالاختصاصيين ولا سيما فى القسمين الخاصين بالبحوث والتحليلات ، وجمعت أكوام من المعلومات السياسية ، والجغرافية ، والاقتصادية ، ونسقت عمليات الاذاعة مع الاستراتيجية من جهة ومع السياسة الخارجية من جهة أخرى . ولكن الظاهرة الهامة أن كل المتاعب التى واجهها الأمريكيون فى الحرب النفسية التى تولوها كانت تكمن فى الناحية الادارية .



وفي ١٣ من يونيو ١٩٤٢ أنشأ الرئيس روزفلت « ادارة معلومات الحرب » Office of War Information لتتولى السيطرة المباشرة وغير المباشرة على كل الدعاية المحلية والدعاية الخارجية في نصف الكرة الغربى الذى بقى تحت ادارة لجنة روكفلر فى وزارة الخارجية ، وأخذت ادارة معلومات الحرب قسم الاذاعة من ادارة التنسيق COI التى تغير اسمها الى ادارة الخدمات الاستراتيجية Office of Strategic Services وحددت أغراضها بالآتى :

١ - استمرار جمع المعلومات •

٢ - القيام بالدعاية السوداء •

٣ - القيام بأعمال المؤامرات والتقويض بالتعاون مع السلطات العسكرية

\* \* \*

ومع أن اليابانيين لم يخترعوا الا القليل فى الحرب النفسية فقد أحسنوا استخدام « الأنباء » كوسيلة لاجتذاب المستمعين الامريكيين ، فقد استمرت وكالة « دومي » Domei للأنباء تصدر نشراتها بالانجليزية ، واستمرت أجهزة مورس اللاسلكية فى ارسال الأنباء الى الصحف الامريكية •

ومن جهة أخرى طور الروس حتى من أنفسهم فى معركة الحرب النفسية ، اذ نجحوا فى تجميع مواطنيهم وتكثيلهم ضد العدو اذ طالبوا الشعب بأداء الصلوات فى الكنائس من أجل النصر ، وأطلقوا على الحرب اسم « الحرب الوطنية الكبرى » وأعادوا للألمان ذكرى فردريك وبعثوا نصيحة بسمارك بعدم لقاء جنودهم فى أى مغامرة نحو الشرق من بلادهم، وأثاروا طبقة «اليونكرز» ضد النازيين غير المحترفين ، الذين يحطمون الجيش الالمانى ، واستخدموا الاسرى الألمان فى الدعاية ، وجعلوا الجنرالات النازيين يتحولون الى حركة الالمان الحرة .

## الشكل الحديث للحرب النفسية :

تمخضت الحرب العالمية الثانية عن صراع مذهبي كبير بين المنتصرين ، وأدى هذا الصراع الى أن عاش العالم فى جو من الاضطراب والقلق ، بدرجة فاقت ما كانت تتوقعه الشعوب التى قاست كثيرا من مآسى الحرب العالمية الثانية .

ان الحرب النفسية قد دخلت فى مرحلة لا هى حرب فعلية ، ولا هى سلام حقيقى . اذ حاول كل من العسكريين أن يعالج المشكلات الدولية بطريقته الخاصة ، ومفهومه السياسى . وتسابق الطرفان فى ميدان الحرب النفسية بشكل لم يظهر فى التاريخ الحديث ، مما أدى الى ما سماه والتر ليمان « الحرب الباردة » بأشكالها المختلفة . ان هذا الاصطلاح قد أصبح جزءا هاما من حديث المثقفين فى العالم اجمع . وعلى الرغم من المجادلات والآراء المختلفة التى دارت حوله فلم تلق أضواء للتفسير والتشرح بقدر ما أثارت من اللبس والغموض .

ان الوصف الكامل الدقيق للمرحلة التاريخية الراهنة ، لن يتضح ، ولن يكتب الا بعد نهاية هذا الصراع المرير الذى لا يتحمل أعباءه وتضحياته الا تلك الشعوب الصغيرة التى يمارس على أرضها هذا النوع الجديد من الحرب النفسية .

ان معركة خليج الخنازير ، وازمة صواريخ كوبا التى وصل فيها الارهاق النفسى لكل من العسكريين الى درجة تهدد باندلاع عاصفة عاتية قد تودى بالمدينة والحضارة الانسانية ، تعطيان صورة واضحة عما قام به الطرفان من استغلال الحرب النفسية فى مفهومها الجديد على أوسع نطاق .

كما تعطيان الأحداث الجارية الآن فى فيتنام مظهرا ساخنا حلقة من حلقات الحرب الباردة الدائرة بين العسكريين ، ولا سيما بين كل من الصين الشعبية ، والولايات المتحدة فى جنوب شرقى آسيا . ومن المشاهد أن كلا من الولايات المتحدة ، وبريطانيا تعمل بصفة خاصة لزيادة احكام الحصار على الصين الشعبية فى منطقة جنوب وجنوب شرقى آسيا بمحاولتهما اقامة سلسلة جديدة من الاحلاف

تكمّل الحصار الذى يمثله حلف جنوب شرقى آسيا ، وذلك بمحاولة ادخال اليابان ، والفلبين ، ونيوزيلاندا ، وفيتنام الجنوبية ، وكوريا الجنوبية ، وغيرها فى نطاق هذه الأحلاف .

ان المظاهر الاساسية للحرب النفسية فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية أخذت أشكالا عديدة من كلا الطرفين ، فأحد هذه المظاهر التسابق العنيف فى التسلح النووى برغم الجهود التى تبذلها الأمم المتحدة نحو السلام ، وكذا الحروب المحلية العديدة . ويمكن أن نقول : ان الصراع المذهبى بين الكنتلين والتحرر السريع لكثير من دول أفريقيا وآسيا قد جعل كلا من الطرفين يحاول أن يستعرض عضلاته التى تسند مذهبها الايديولوجى ، وقد أخذت معركة الاذاعة السوداء حظا كبيرا فى هذا الصراع وبشكل لم يظهر فى التاريخ من قبل ، وساعد على ذلك التطور الكبير فى أجهزة الارسلال ، والاستقبال ، وانتشار أجهزة الراديو الرخيصة فى جميع أنحاء العالم وستعرض بالتفصيل لهذا الموضوع فيما بعد . وفى كل يوم تطالعنا الصحافة ووكالات الأنباء بأنباء مثيرة عن اكتشافات الفضاء ، ويحاول كل معسكر أن يبرز للعالم سبقه فى هذا المضمار .

ان التناقض الذى يسود العالم فى هذه الفترة الحرجة قد يؤدى الى القضاء على مصير الانسانية . فاذا لم تتفهم الامم المتحدة وتلك القوى المتصارعة مسئوليتها التاريخية فى دعم السلام حقيقة وبذل الجهود الخالصة لتحقيق التعايش السلمى بين شعوب المجتمع الدولى ، فلا مفر من اشتعال حرب شاملة قد تقضى على البشرية فى نهاية الأمر .

## مفاهيم متغيرة

ليس من السهل بحال أن نضع تعريفا محددا للحرب النفسية ،  
أو نحدد مجالها . وحتى وقتنا هذا فإن الحرب النفسية غير واضحة في أذهان  
الكثيرين على الرغم من الكتابات الأجنبية العديدة التي عالجت هذا الموضوع . والحرب  
النفسية تبدو في أذهان الناس بمفاهيم مختلفة متغيرة ، ولم يتمكن حتى أولئك  
الذين تخصصوا في هذا الموضوع أن يضعوا هذا الاصطلاح في اطار واضح  
العالم .

وفي هذا الفصل سنحاول أن نعرض للمفاهيم المختلفة للحرب النفسية ،  
ولتعريف كثير من الثقافات لها ، بأمل أن نبرز مجال هذا النوع من الحرب وحدوده .

عرفت الحرب النفسية أول ما عرفت في ملحق معجم ويبستر الدولي  
الجديد للغة الانجليزية عام ١٩٤١ . وقد اعترف بالتعبير في الأيام الأولى من  
الحرب العالمية الثانية عندما قام جماعة من الامريكيين بترجمة بعض المطبوعات  
الألمانية الهامة بهدف أن يدرك القادة الامريكيون - العسكريون والمدنيون -  
أن دروس علم النفس يمكن بل يجب أن تستخدم في كل نواحي الحرب في  
الظروف الحديثة .

وحظى التعبير باعتراف سريع نسبيا في خلال النزاع الذي كان قائما في  
أوروبا وفي آسيا . وقبل نهاية الحرب كان قد استقر في كل مسرح عسكري

وفى كل قيادة هامة وفى كل ادارة خاصة على القيام بهذا النشاط الذى كان يوصف فى الحرب العالمية الاولى أنه من قبيل الدعاية • ويتطور هذا التعبير فى أثناء الحرب اقتصر استعماله على نشاط الدعاية العسكرية • وكانت تطلق على الدعاية السياسية الاستراتيجية أسماء مختلفة ، ولكن قلما كان يوصف هذا النشاط بأنه حرب نفسية •

وبالرغم من أن عبارة « الحرب النفسية » صادفت قبولا واسعا فى الدوائر العسكرية فى الحرب العالمية الثانية ، فإن استخدامها فى المطبوعات بعد الحرب كان بظيما • وفيما عدا الكتاب الذى وصف الحرب النفسية الألمانية الذى نشر عام ١٩٤١ ، كان أول مؤلف أمريكى (١) استخدم هذه التسمية بصفة رسمية كعنوان لكتابه هو بول لاينبارجر • وفى العام التالى ظهر كتاب « الحرب النفسية ضد ألمانيا » لمؤلفه دانييل ليرنر •

ولقد ازدادت أهمية الحرب النفسية فى ألمانيا عندما قام الألمان الذين هزموا فى الحرب العالمية الاولى ببحث أسباب انهيارهم • واعتقد خبراء الألمان أن العدو قد تفوق عليهم فى استخدام أجهزة الاعلام الجماهيرية « وهى التى يشيرون إليها غالبا تحت اسم الدعاية » ، كما يرجع سبب هزيمتهم الى فشلهم فى استخدام كل أسلحتهم للتأثير بأقصى ما يمكن على ارادة الاعداء •

وكان رواج استخدام التعبير « الحرب النفسية » هو نتيجة التوسع السريع فى ازدياد عدد علماء علم النفس المتخصصين فى ألمانيا والولايات المتحدة وغيرهما من الدول الأوروبية • كان علماء النفس يبحثون لهم عن مكان تحت الشمس ، بمعنى أنهم كانوا يتوقون لأن يشتهوا أن بإمكانهم استخدام مهاراتهم فى الدفاع القومى زمن الحرب • وفى بداية الحرب العالمية الثانية قام جماعة من الأمريكين بترجمة بعض الكتب الألمانية الى اللغة الانجليزية بفرض أن يلتبه العسكريون الى فائدة علم النفس فى مجال من مجالات الحرب فى الظروف الحديثة •

---

Linebarger M. A. Psychological Warfare, 2 ed Combat forces Press, Washington, (١)  
D. C. 1954.

ولذلك عندما نقول : ان الحرب النفسية تسمية جديدة لفكرة قديمة قد يزداد غموضها ، فليس معنى هذا اننا ننكر أهمية التسمية . وبالرغم من أن الروس لم يهتموا بالتعبير كثيرا فقد كانوا أكثر ادراكا للفكرة الاساسية من الالمان . فقد عمد قادة الاتحاد السوفييتي الذين استولوا على الحكم الى أن يجمعوا بين الدعاية وبين الأعمال الأخرى تجاه الحكومات المترنحة والجماهير غير الراضية . ولم يشعر القادة السوفييت بضرورة ايجاد كلمة جديدة لفهوم أو لفكرة مفهومة تماما ومطبقة تطبيقا كاملا .

وحتى بعد نشوب النزاع المسلح في كوريا كان الكتاب يترددون في استخدام هذه التسمية فيما عدا استخدامها في الحرب العالمية الثانية ، للإشارة الى عنوان فرع ، أو قسم من فروع ادارة عسكرية أو أقسامها .

وبعد أن تورطت الولايات المتحدة والأمم المتحدة في النزاع المسلح في كوريا عام ١٩٥٠ ، وبعد أن افتتح الرئيس ترومان الحملة الاستراتيجية الامريكية الكبرى المسماة « حملة الحقيقة » دخلت هذه التسمية تدريجيا في مجال المناقشات العامة ، وفي مناقشات الكونجرس الأمريكي وفي الصحف ، وذلك عند وصف الأنشطة التي كانت تقوم بها أجهزة الحكومة الامريكية والتي كانوا يطلقون عليها قبل ذلك اسم « استعلامات ما وراء البحار » . وفي سنتي ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ كان هذا الاسم يستخدم بطريقة غير مناسبة ليصف المجال الواسع للاتصالات الدولية التي تمتد من الدعاية العسكرية في ميدان القتال الى التبادل السلمي للعلماء وقادة الرأي بين الدول الصديقة التي يسودها السلام .

## تعريف الحرب النفسية :

ولقد جاء الاختلاف في تحديد تعريف واضح للحرب النفسية ، نتيجة ان مجال نشاطها غير متفق على حدوده ، وحتى بين الهيئات المختلفة داخل دولة واحدة ، فان مفهوم الحرب النفسية يختلف وتفسره كل هيئة بشكل متغاير .

فمن بين أول التعاريف التي وضعت للحرب النفسية التي كان تجمع عليها القوات العسكرية الأمريكية أن : « الحرب النفسية هي استخدام أى وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية ، وعلى سلوك أى جماعة لغرض عسكري معين » .

وقبل مرور عام على اصدار ذلك التعريف - وقد لاقى قبولا رسميا من كل القوات العسكرية الثلاث - قامت مدرسة الجيش البرى العامة باصدار كتاب يعرف مفهوم الحرب النفسية كما يلي : « تتضمن الحرب النفسية استخدام الدعاية ضد العدو مع استخدام عمليات عسكرية أو إجراءات أخرى تدعو الحاجة اليها لتكملة مثل هذه الدعاية » .

وبعد ثمانية عشر شهرا اصدر الجيش الامريكى معجما جديدا يتضمن المصطلحات الحربية ، وقد عرف المعجم الحرب النفسية تعريفا مختلفا :

« الحرب النفسية هي استخدام مخطط من جانب الدولة فى وقت الحرب ، أو فى وقت الطوارئ ، لاجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات اجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها » .

وبعد ثلاث سنوات اصدرت وزارة الحرب طبعة جديدة للمعجم ظهرت فيها تغييرات هامة فى هذا التعريف :

« الحرب النفسية هي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول للدعاية وغيرها من الاجراءات الاعلامية الموجهة الى جماعات عدائية ، أو محايدة ، أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها ومواقفها وسلوكها بطريقة تعين على تحقيق سياسة وأهداف الدولة المستخدمة أو الدول المستخدمة » .

ومن أهم التغييرات التى طرأت على التعريف الأول هو استبعاد الكلمات « فى وقت الحرب أو فى وقت الطوارئ » . وقد أوحى بهذا الاستبعاد الاتجاه السائد فى ذلك الوقت بشأن وصف النشاط الذى كانت تقوم به ادارة الاستعلامات الدولية التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية على أنه من قبيل الحرب النفسية .

## العناصر الأساسية :

في مارس عام ١٩٥٥ أصدرت وزارة الحرب الأمريكية كتاب ميدان يتضمن أحدث الآراء الرسمية على مفاهيم الحرب ومبادئ الحرب النفسية • وقد عرف الكتاب الموضوع كما يلي :

« الحرب النفسية هي الاستخدام المخطط للدعاية وغيرها من الأعمال التي تستهدف قبل كل شيء التأثير على آراء وعواطف ، ومواقف ، وسلوك جماعات عدائية ، أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق أهدافها القومية » •

ويجب أن نلاحظ أن هذا التعريف لا يحدد استخدام الحرب النفسية بزمان الحرب أو وقت اعلان الطوارئ ، كما أن التعريف يتضمن « الاستخدام المخطط » وأعمالا أخرى • ويجب أن نقارن هذا التعريف بالتعريف الذى ظهر فى أحد مطبوعات الولايات المتحدة العسكرية الذى طبع فى مايو عام ١٩٥٥ :

« الحرب النفسية هي استخدام مخطط فى وقت الحرب أو وقت اعلان الطوارئ للدعاية الموجهة الى جماعات معادية أو محايدة أو صديقة بغرض المعاونة على تحقيق الأهداف والأغراض القومية » •

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو هل يتضمن الحرب النفسية استخدام « أعمال أخرى » ، وهل هي مقصورة على « وقت الحرب » و « وقت اعلان الطوارئ » ؟ ويجوز أن تكون الاجابة عن هذا السؤال : « ان مجال الحرب النفسية وحدودها لا يقتصر على هذه النقاط » •

وهناك نسخة خطية للبحرية الأمريكية أعدت عام ١٩٤٦ وأعيدت كتابتها عام ١٩٥٠ ثم نشرت فى دائرة محدودة ، جاء فيها ما يلي عن هذا الموضوع :

« ان المهمة الأساسية للحرب النفسية هي فرض ارادتنا على ارادة العدو بغرض التحكم فى أعماله بطرق غير الطرق العسكرية ووسائل غير الوسائل الاقتصادية » •



« وعمليات الحرب النفسية قد تكون قصيرة المدى وقد تكون بعيدة المدى •  
وانواع نشاطها القصير المدى يشمل :

( أ ) الدعاية الاستراتيجية •

( ب ) دعاية القتال •

( ج ) نشر الاخبار •

( د ) خداع العدو بطريقة منظمة محكمة •

( هـ ) دعاية سرية •

« وتتضمن الحرب النفسية بعيدة المدى نشر الأنباء بطريقة مستمرة  
وبوسائل شتى بغرض مساعدة السياسة الخارجية للدولة ورفع سمعتها ،  
والحصول على العطف والتأييد » •

وقد يكون من المفيد أن ندرس التعاريف الآتية التي صاغتها شخصيات  
عسكرية ومدنية لها مكانتها •

كتب جنرال مارك كلارك (١) يقول :

« يتضمن التعبير الواسع « الحرب النفسية » أى عمل من شأنه أن يجبر  
العدو على أن يحول رجاله وعتاده من الجبهة النشطة وتجعله يقيد رجاله وأسلحته  
استعدادا لصد هجوم لن يأتى • ان موقفنا البرمائى فى « وتسان » هو مثل  
لذلك • لقد أجبرنا العدو على أن يبذل مجهودا كبيرا ويحرك عددا كبيرا جدا من  
الرجال وكمية ضخمة من العتاد ليعزز الدفاع عن ساحل لم يكن فى نيتنا أن  
نشن عليه هجوما » •

---

Mark Clark, From the Danube to the Yalu, Harpers and Brothers, New York, (١)  
1955, P. 371.

وكتب توماس فانيتر وزير الطيران الأمريكي السابق بأن الحرب النفسية تتضمن الخداع في علاقاتنا مع الآخرين :

« ان كلمة » حرب نفسية « ليست تسمية سليمة لان كلمة الحرب تعني ان الخداع يبرره خدمة أغراضنا . فالخداع عمل معروف في تكتيك الحرب . وهو ليس عملا سليما في وقت السلم سواء كان موجهها نحو شعبنا ، أو نحو أصدقائنا ، أو نحو أولئك الذين لم يتحيزوا لجانب أو نحو الشعوب التي قامت روسيا والصين باستعبادها . ان الحرب النفسية لا تتفق مع مبادئنا وكيمت من قبل الاعمال السليمة » .

« لقد شاع استخدام كلمة الحرب النفسية بعض الوقت حتى حصد استخدامها تقرير اللجنة التي كان يرأسها وليم جاكسون التي أوصت الولايات المتحدة ان تفلح عن الحرب النفسية . قال التقرير بضرورة إلغاء مجلس الحرب النفسية لأن أساس تكوينه كان سوء فهم الحقيقة التي تقول بأن الاستراتيجيات النفسية يمكن ان توجد بعيدة عن السياسات والاعمال الرسمية وانه يمكن معالجتها معالجة مستقلة بواسطة خبراء في هذا الميدان » .

وبالرغم من ذلك فيواصل فانيتر مناقشته للموضوع فيقع فيما يبدو انه متناقض مع ما سبق فيقول :

« وهذا لا يعني عدم وجوب استثمار الحرب النفسية كتكتيك عسكري ، كما لا يعني عدم قيام الولايات المتحدة بشرح سياستها خلفاتها ، وللمحايدين ، وللشعوب المستعبدة بشرط ان يكون هذا الشرح صادقا وديقا » .

## هل الحرب السياسية تسمية أفضل ؟

ويصف البريطانيون التشايط الذي يطلق عليه الامر يكون اسم الحرب النفسية اسما آخر هو الحرب السياسية .

وقد وصف سير روبرت بروس لوكهارت (١) المدير العام للجنة التنفيذية للحرب السياسية - فى الحرب العالمية الثانية - الحرب السياسية بأنها عبارة عن : « تطبيق الدعاية لتخدم حاجة الحرب » . ففرضها الرئيسى هو تعبيد الطرق أمام القوات المسلحة وتسهيل مهمتها » . ولا يختلف هذا المفهوم بأى حال عن التعاريف التى أوردها الكتاب الأمريكىون مثل لاينبارجر وليرنر ولاسويل وغيرهم عن الحرب النفسية . ومع ذلك فإن وجهة النظر الضيقة هذه عن طبيعة الحرب السياسية لاتمثل بالضرورة المبدأ البريطانى بالرغم من المناصب الكبيرة التى تولاها سير روبرت بروس لوكهارت فى الأجهزة السياسية وفى أجهزة الدعاية البريطانية .

وتقوم صحيفة رسمية تصدرها الحكومة البريطانية بإعطاء مفهوم عن الحرب السياسية نلاحظ فيه انحرافا شديدا ، فتقول :

« يمكن تعريف الحرب السياسية بأنها شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب فيه أن يفرض إرادته على خصومه بطرق غير طريقة القوات المسلحة . ومن الناحية العملية يمكن أن نقول : أن السلاح الرئيسى للحرب السياسية هو عملية مشتركة بين الدبلوماسية والدعاية » .

وواضح أن مفهوم الحرب السياسية التى يتحدث عنها لوكهارت ينحرف نحو استخدامها فقط فى أوقات النزاع المسلح . وعلى نقض ذلك فالبيان البريطانى الرسمى يقول : انها تستخدم بصفة عامة فى وقت السلم وفى وقت الحرب الباردة .

لقد دخلت التسمية « الحرب السياسية » المعجم الأمريكى، وتوجد فى كتابة عدد كبير من محررى الصحف . ومع ذلك فهناك فارق كبير فى الآراء بشأن كيفية استخدام هذه التسمية .

---

(١) Robert H. Bruce Lockhart Political Warfare, Journal of the Royal United Service Institution, London, 1950, PP. 193 - 206.

ويرى لاديسلاس فاراجو : ان الحرب السياسية مرادفة للحرب النفسية (١) :

« ان كلمة « حرب سياسية » هي تعبير بريطاني • ويطلق على هذا النشاط أسماء أخرى في بلاد أخرى ، ففي الولايات المتحدة يطلقون على هذا النشاط اسم « الحرب النفسية » •

« انها هذا النوع من أعمال المخابرات التي تستخدم الافكار للتأثير على السياسات • انها تعالج الآراء وتنقلها الى الآخرين • وهي عملية منظمة لاغواء الآخرين بطرق غير عنيفة ، على نقيض الحرب العسكرية التي تفرض فيها ارادة المنتصر على الجانب المنهزم : اما بالعنف واما بالتهديد باستخدام العنف » •

وكتب جون سكوت (٢) - وهو مؤلف أمريكي ومراسل اجنبي - كتابا اسمه « الحرب السياسية : دليل للتعايش التنافسي » • وهو يضع في هذا الكتاب تعريفا لهذا الاسم ويقول : انه يتضمن الأنشطة التي يطلق عليها الجيش « حربا غير تقليدية » والتي تطلق عليها البحرية « حربا خاصة » •

« ان الهدف الأساسي للحرب السياسية المدمرة هو اضعاف العدو - واذا امكن - تدميره بواسطة استخدام المناورات الدبلوماسية ، والضغط الاقتصادي والمعلومات - الصحيحة والمضللة - والاثارة والتخويف والتخريب والارهاب وعزل العدو عن اصدقائه ومؤيديه » •

« ومن الوسائل الكبرى التي تستخدم عند شن حرب سياسية هي نقل الأفكار » •

---

(١) Ladislav Farago War of Wits: The Anatomy of Espionage and Intelligence, (١) Funk and Wagnell Co., New York 1954, P. 323.

(٢) John, Scott, Political Warfare, A. Guide to Competitive Co - existence, The John Day Co., New York, 1954.

## صعوبة التعريف :

ويمكن أن ندرك الصعوبة التي تواجهنا عند تعريف الحرب النفسية من جراء المجموعة الكبيرة من المصطلحات التي شاعت عند الحديث عن الصراع الأيديولوجي الذي يسود العالم اليوم • وفيما يلي قليل من هذه المصطلحات الشائعة :

- ♦ الحرب الباردة •
- ♦ حرب الافكار •
- ♦ النضال من أجل الحصول على عقول الرجال وازادتهم •
- ♦ الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال •
- ♦ حرب الفكر •
- ♦ الحرب الايديولوجية أو العقائدية •
- ♦ حرب الأعصاب •
- ♦ الحرب السياسية •
- ♦ الاستعلامات الدولية •
- ♦ استعلامات ما وراء البحار •
- ♦ حملة الحقيقة •
- ♦ الدعاية •
- ♦ الدعاية الدولية •
- ♦ حرب الدعاية •
- ♦ حرب الكلمات •
- ♦ العدوان غير المباشر •
- ♦ الاثارة •
- ♦ الاعلام الدولي •

وقد تدوولت بعض هذه الاصطلاحات على أنها مرادفات للحرب النفسية لدى بعض الكتاب الذين طرخوا هذا الموضوع مساوين الحرب النفسية بالدعاية .

وهكذا تتردد تعاريف الحرب النفسية بين الاستعمال الضيق الذى ظهر فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، والمفاهيم الواسعة التى أدت الى انشاء المجلس الاستراتيجى السيكولوجى - انشاء الرئيس ترومان عام ١٩٥١ - والتى أدت الى أن يعين الرئيس أيزنهاور مستر جاكسون كمستشار للحرب النفسية فى أوائل عام ١٩٥٣ .

وربما كان أفضل التعاريف للحرب النفسية والعسكرية هو الذى كتبه بول لينبارجر وهو من رواد الكتاب فى هذا الموضوع . وفى كتابه المعروف « الحرب النفسية » طبعة عام ١٩٥٤ عرف لينبارجر الحرب النفسية بعناها الضيق : « انها استخدام الدعاية ضد العدو مع اجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية ، او اقتصادية ، او سياسية مما تتطلبه الدعاية » ، ثم يعرف الدعاية العسكرية بأنها « استخدام مخطط لآى شكل من اشكال الاعلام بقصد التأثير فى عقول وعواطف مجموعة معادية أو محايدة أو صديقة ، وذلك لتحقيق غرض استراتيجى أو تكتيكى معين » .

أما بالمعنى الواسع فقد عرف لينبارجر الحرب النفسية بأنها : « تطبيق لبعض اجزاء علم النفس لمعاونة المجهودات التى تبذل فى المجالات السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية » . وبدأ الثقات فى الموضوع أمثال : هارولد لاسوبل ، وادوارد باريت يتحدثون عن الأسلحة الأربعة التى تملكها سياسة الولايات المتحدة الخارجية وهى : الدبلوماسية ، والعسكرية ، والاقتصاد ، والدعاية .

وأخيرا اكتسبت الحرب النفسية المعنى الذى يقول : انها « النضال من أجل عقول الرجال وارادتهم » وذلك عندما ألقى الرئيس أيزنهاور خطابه الشهير فى حملة الانتخابات فى ٨ من أكتوبر ١٩٥٢ فى سان فرانسيسكو وقال فيه :

« يجب أن نكيف سياستنا الخارجية حتى توائم استراتيجية الحرب الباردة  
الموحدة المتناسكة . . وفي روحنا وفي عزيمتنا يجب أن نرى في هذه الحرب  
الباردة فرصة كي نحصل على نصر دون خسارة في الأرواح . وكي نفوز في نضال  
من أجل انقاذ السلام » .

وهكذا نرى أنه في عام ١٩٥٣ أصبحت الحرب النفسية تعنى الحرب الباردة،  
أى النضال العالمى بين الشرق والغرب .

ونتيجة للمعانى الكثيرة المتنوعة التى أعطيت للحرب النفسية ونتيجة للتغير  
الذى يحدث لها بصفة مستهرة ، فإننا لم نحاول أن نعطى تعريفاً معيناً لمفهوم  
الحرب النفسية فى هذا الفصل ، ولكننا أثروا أن نوضح المجال الذى يمكن أن  
تعمل فيه الحرب النفسية ، وهذا قد يبرز لنا المعنى المقصود من استخدام الاصطلاح  
فى كل مرة .

على أننا نرى أنه من الضرورى أن نشير هنا مرة أخرى الى الثمانية عشر  
اصطلاحاً السابق ذكرها لاستخلاص معناها .

فالمصطلحات الخمسة الاولى « الحرب الباردة - حرب الافكار - النضال من  
أجل عقول الرجال وارادتهم - الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال - حرب  
الفكر » كلها مصطلحات موافقية . أنها تصف عمليات نفسية فى العلاقات  
الدولية ، ويبدو أن الحرب الباردة تغطى أوسع مجال . والحرب الباردة تشن اليوم  
بكل الوسائل فيما عدا الهجوم العسكرى المباشر على نطاق واسع . أما المصطلحات  
الاربعة الاخرى فتصف الدور الايديولوجى فى هذا النضال .

أما الحرب العقائدية ، وحرب الاعصاب ، والحرب السياسية فيمكن أن يكون  
لها معانٍ موافقية أى تعريف الازمة الحالية بين الشرق والغرب ، أو معنى منوالى، أى  
وصف للأساليب المستخدمة لمواجهة هذه الازمة . أما التسمية «الحرب السياسية»  
فهى كما سبق أن ذكرنا تسمية بريطانية تحمل معنى ترابط أدوات السياسة من

دبلوماسية واقتصاد وسلاح . . الخ في وقت الحرب . وهذه التسمية تقترب من معنى « الحرب النفسية » بمعناها الواسع . والحرب الخاصة بالأعصاب هو مصطلح سيكولوجي ، لأنه يستهدف رفع حدة التوتر عن عمد .

ويستخدم المصطلحان «الاستعلامات الدولية» و «استعلامات ما وراء البحار» في الولايات المتحدة في عملية توزيع الحقائق والمعلومات التي من شأنها موازنة المعلومات المضللة التي تثيرها الجماعات المعادية ضد الولايات المتحدة .

ويعرف لاسويل (١) الدعاية بأنها : « اختيار العبارات وترويجها بقصد التأثير على سلوك الجماهير » . وبالمثل يمكن تعريف الدعاية الدولية على أنها « اختيار العبارات وترويجها بقصد التأثير على سلوك الجماهير في المسائل الدولية المختلف عليها » . وحرب الدعاية هي نفس العملية . أما حرب الكلمات فتختص باختيار العبارات اللفظية فقط وترويجها .

والعدوان غير المباشر هو تسمية واسعة لمفاهيم التخريب والتخريب والتخريب على الثورة ، كما تتضمن استخدام المعلومات والدعاية لأغراض هجومية . والاثارة هي تسمية سوفيتية صرفة ، وهي تستخدم لتصف الدعاية بين الجماهير . وبفض النظر عن المعنى الفني الصرف للاعلام الدولى فهو يستخدم ليصف من يقول وماذا يقول ولمن يقول ومتى يقول وأثر ذلك في العلاقات الخارجية . ومن ثم فاننا نجد أن هناك عنصرا من كل مفهوم من المفاهيم السابقة حسب تعريف الحرب النفسية الذى نقبله » .

---

(١) H. D. Lasswell, « Political and Psychological Warfare » in Daniel Lerner (ed) Propaganda in War and Crisis, George W. Stewart, Publisher, Inc New York 1950.



## اعادة التقييم :

في اثناء الحملة الانتخابية للرياسة أدلى دوايت أيزنهاور بوجهة نظره عن مدى مجال الحرب النفسية ، وذلك في الخطاب الذى ألقاه فى سان فرانسيسكو والذي سبق أن أشرنا الى فقرة منه :

« يعتقد كثير من الناس أن الحرب النفسية تعنى مجرد استخدام الدعاية مثل راديو « صوت أمريكا » وبطبيعة الحال تعتبر الدعاية - المكتوبة والشفوية - جزءا أساسيا لكسب الشعوب فى صفنا • ولكن ليست الدعاية هى الجزء الهام فى هذا النضال • فهناك كثير من الأدوات السامية مثل المعونة الاقتصادية المشتركة ، والتجارة والمقايضه ، والاتصالات الودية عن طريق الاسفار ، والمراسلات ، والالعاب الرياضية ، وتمثل هذه بعض الوسائل السياسية التى تساعد البرامج الرئيسية من أجل المعونة العسكرية المشتركة والأمن الجماعى » •

كان من اول الاعمال التى قام بها الرئيس أيزنهاور هو تعيين لجنة قوامها ثمانية أعضاء لدراسة مشكلة الحرب النفسية • وكان يرأس هذه اللجنة و . ه . جاكسون نائب نيويورك العام • وقد قام باستجواب ٢٥٠ شاهدا فى فترة الخمسة الشهور من ٣٠ من يناير حتى ٣٠ من يونيو ١٩٥٣ •

وقد جاء استنتاج اللجنة فى مقدمة هذا المقال • وفيما يلي ما قالته اللجنة عن الحرب النفسية :

« ••• ان المجلس الاستراتيجى النفسى الحالى الذى أنشئ فى عام ١٩٥١ لا يفى بحاجة الحكومة الحقيقية ، وعلى ذلك يجب الغاؤه . وقد تم انشاؤه بناء على سوء فهم بأن الحرب النفسية يمكن أن توجد بعيدة عن السياسة الرسمية والاعمال الرسمية ، ولذلك يمكن معالجة موضوعاته فعالة مستقلة بواسطة خبراء فى هذا الميدان •

« وفي الحقيقة هناك ناحية نفسية لكل سياسة وكل عمل في ميدان :  
الدبلوماسية ، أو الاقتصاد ، أو العسكرية . وهذا اعتبار يجب أن يلقى عناية  
أكبر ، سواء في مرحلة تخطيط السياسة ومرحلة تنفيذها ، مع عدم استبعاد  
العوامل الأخرى .

« وباستثناء الدعاية لا توجد أدوات للحرب النفسية تتميز عن أدوات  
السياسة التقليدية . فكل عمل هام في كل إدارة وكل هيئة حكومية له أثره  
في النضال من أجل الحرية سواء من الناحية الإيجابية أو الناحية السلبية .  
والمهمة الهامة هي خلق وعي في دوائر الحكومه كلها بالنسبة لآثار الأعمال الحكومية  
اليومية ، وتلسيق هذه الأعمال وتوقيتها حتى نحصل من ورائها على الحد الأقصى  
من الفوائد .

« وأهم أغراض برنامج الاستعلامات هو تقديم الدليل لشعوب الدول الأخرى  
بأن آمالهم وأمانهم من ناحية الحرية والتقدم والسلام انما يساعد على تحقيقها  
أهداف الولايات المتحدة وسياستها .

« ويجب أن توجه لتحقيق هذه الغاية مجهودات كل الأجهزة - الراديو  
والصحافة ، والمطبوعات ، والسينما ، وتبادل الأشخاص ، والمكتبات ، ومراكز  
الاستعلامات . ويجب أن توضح هذه انطباق أهدافنا مع أهداف الشعوب الأخرى .  
ويجب أن نقوم بتفسير هذه الأهداف . وهذه الرغبات نشترك فيها معهم بطرق  
تكفل قيام الآخرين بالانضمام لنا لتحقيقها .

« ولاخراج هذا الغرض الى حيز الوجود يجب أن تركز الاذاعات الأمريكية ،  
والمادة المطبوعة على الهدف ، وذلك بنشر الأنباء الحقيقية مع اختيار طائفة معينة من  
الأنباء التي توضح أعمال الولايات المتحدة وسياستها ، وخاصة فيما يهم الدولة  
التي توجه اليها الاذاعة ، أو الكتابة .

» ويجب ان تكون اللهجة واداءة قويه ومباشرة ، وان نتجنب زهمة الدعاية .  
ويجب ألا يعوق أجهزة الاعلام شيء عن عرض تنفيذ قوى حقيقي للاتهامات  
السوفيتية الفسلة « .

ولم يكن يتسم هذا القرار بصفة المفاجأة الكاملة . فكانت هناك دلائل  
قبل ذلك من هذه الاتجاهات الفكرية بشأن الدعاية والحرب النفسية - وفي الحقيقة  
كان كارول قد قام في عام ١٩٤٨ باستخدام نفس الكلمات تقريبا التي استخدمتها  
اللجنة ، عندما قدم آراءه بشأن ما يجب ان يكون عليه هدف الاستعلامات  
الامريكية فيما وراء البحار : « ان السياسة الامريكية الخارجية تركز نجاحا اذا  
استطاعت ان تقنع الشعوب ان الاهداف الامريكية لتنسجم مع آمال هذه الشعوب  
في السلام ، وفي الحرية ، وفي الحرية الشخصية « .

### تعليق :

ومن ثم نجد ان مدلولات الحرب النفسية واسعة متعددة لا يمكن تحديدها  
مستوياتها ، فهناك الحرب النفسية التي تقوم بها القوات المسلحة النساء  
العمليات ، وتستخدم لتنفيذها اغلب وسائل الاعلام من : مطابع ، واداعة ،  
ونشرات تسقطها الطائرات ، وذلك لتحقيق اهداف الحرب الحديثة .

كما ان الحرب النفسية كثيرا ما تستخدم لوصف اى صراع أيديولوجي بين  
الدول : فمنها الحرب الباردة ، والحرب الدائمة ، والانضال الممتد « على حد قول  
ماوتسي تونغ « ..... الخ .

وقد نرى هنا ان نستخدم تعبير الحرب النفسية أيضا لوصف عمليات تغيير  
الشخصية بوسائل فسيولوجية أو ميتافيزيقية ، ومن ذلك ما يسمى بغسيل المخ،  
أو إعادة البناء الذهني ، أو الكينيك السيكلولوجي . كما نرى أن تطبيق تعبير الحرب  
النفسية يمكن أن يطلق على كل الاساليب والوسائل التي استخدمت ضد عقل  
الانسان في تاريخه الطويل على الارض . ونظرا لاهمية هذا الموضوع قد أفرزنا له  
الجزء الثاني بأكمله من هذا الكتاب .

ان العنصر الجديد في المفهوم ليس في العمل نفسه بل في طبيعة هذا العمل وصفته ، وفي الحقيقة نجد أن هناك أربعة أشكال من النضال الدول نستطيع أن نحصرها هي : الحرب النفسية ، والحرب السياسية ، والحرب الاقتصادية ، والحرب الفعلية « العمليات الحربية » ويمكننا أن نضيف هنا أن مفهوم هذه الاصطلاحات يختلف من دولة لأخرى .

ان الحرب النفسية ليست أفضل أو أسوأ من غيرها من أشكال الصراعات الدولية ، والاختلاف كله أن الانسان لا يصاب منها بضرر جسماني نسبي اذا ما قورنت بحرب الاسلحة الاخرى . ومن ناحية تكاليفها نجد أنه لا يمكن مقارنة آثارها البالغة على العدو بالنسبة الى نفقاتها .

ويجب أن يكون معظم المادة التي تستخدم في الحرب النفسية حقيقيا اذ أن من السهل الحصول على ما يؤيد الحقيقة بالوثائق . ولكن لا نستطيع أن ننكر قيمة نشر الشائعات المغرضة كسلاح . ولنبين أثر ترويج الشائعات كسلاح يمكن أن تضرب مثلا يسيرا اذا ما قام فرد وذكر جيرانه أن نبا ما قد نشرته صحيفة يومية فإن المستمعين سيشغلون بالنبا ولن يحاول معظمهم التحقق من صحة هذا النشر ، مع أن الواجب الأول والأهم هو البحث عن حقيقة نشر الخبر ، بل قد يتطوع الكثيرون مدفعين بعقدة معرفة بواطن الأمور بتزويد هذه الأكاذيب ، ويؤكدون لمستمعيهم أنهم قرأوا هذا الخبر بأنفسهم . ولقد خصصنا الباب « الخامس » لدراسة هذا الموضوع الهام لما له من علاقة كبيرة وأثر بالغ على الحرب النفسية .

ومن جهة أخرى نستطيع أن نسبغ على الحرب النفسية وصفا يعكس عليها مستويات الاطار الزمني والمكاني ونقصد هنا الحرب النفسية الاستراتيجية والتكتيكية . فالحرب النفسية الاستراتيجية تهدف الى تحقيق الاتصال الجماهيري والذي يوجه الى جمهور كبير أو على مساحة شاسعة . وتكون الحرب النفسية في هذه الحالة غير محدودة بزمان أو مكان وهدفها التأثير على الآراء ووجهات النظر والسلوك في الخارج في سبيل مساعدة الاهداف القومية للدولة .

ولا تستهدف الحرب النفسية الاستراتيجية فئة محدودة أو شعبا معينا . بل تعمل من أجل تحقيق الاهداف الاستراتيجية البعيدة للدولة طبقا للاهداف القومية . ومن أجل ذلك فهي شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معان . وقد يستخدم في الحرب النفسية الاستراتيجية أكثر من عنصر من عناصر الحرب ، فالى جانب الدعاية والحرب الباردة قد تلجأ الدول الى استخدام الحرب السياسية والحرب الاقتصادية ، وأحيانا الحرب العسكرية ، وأحيانا ما تتعارض بعض هذه العناصر مما يؤثر على أهداف الخطة السيكلوجية الاستراتيجية .

وفي أغلب الدول الكبرى تقوم الأجهزة الأهلية والحكومية بدورها في الحرب مشاركة تحت اشراف مجلس التخطيط السيكلوجي الاستراتيجي ، والدور الأساسي لهذه الأجهزة هو الاتصال بالجمهور سواء عن طريق الدعاية بمختلف وسائلها أو عن طريق الاتصال المباشر ، ونظرا لتشعب الاتجاهات التي توجه الحرب النفسية الاستراتيجية ، وبالنسبة لارتباطها التام بالاهداف القومية للدولة ، فإن هذه الخطة تتغير تبعا لتغير أهداف الدولة ، وتبعا لتطور الأحداث الدولية التي تؤثر على اهداف الدولة القومية .

ولما كانت الحرب النفسية الاستراتيجية تعمل عادة في المدى البعيد ، فإن تقديراتها تكون عادة أبعد مدى من تقديرات المخابرات ، وتعتمد على قدرتها على تغيير الأحداث أكثر من اعتمادها على التقديرات الكلاسيكية .

أما الحرب النفسية التكتيكية فتوجه ضد جيوش العدو في ميدان القتال . أو في قواعده ، أو ضد رعايا الدولة بصفه عامة والموجودين منهم في منطقة القتال بصفه خاصة .

وتكون العمليات النفسية في هذه الحالة عمليات محلية تستهدف اضعاف مقاومة قوات العدو أو مطالبة الشعب بالتعاون مع القوات المتقدمة والقيام بعرقلة الجهود الحربي للدولة .

ويشرف على هذه العمليات ويديرها فرع العمليات النفسية بقيادة القوات العسكرية ، وتضع أجهزة الخدمة المدنية إمكانياتها تحت تصرف قيادة القوات العسكرية .

وبالرغم من أن المبادئ العامة للحرب النفسية واحدة فإن الوسائل تختلف  
لحد ما بين : العمليات التكتيكية ، والعمليات الاستراتيجية . ففي العمليات  
التكتيكية تعتمد الجيوش في معظم الأحيان على : النشرات ، والملصقات ، والأذاعات  
المحلية ، ومكبرات الصوت ، والشائعات ، وحملات التهمس بالإضافة إلى عمليات  
التخريب التي تساعد على تحطيم الروح المعنوية للقوات المقاتلة ، أو لرعايا الدولة .

وتهدف العمليات النفسية التكتيكية إلى تحقيق هدف قريب ومحدود ، مثل  
استسلام القوات المقاتلة ، لذا فإن العمليات النفسية كما يفهمها أفراد القوات  
المسلحة أضيق بكثير وأكثر تخصصاً مما يعنيه الصحفيون أو السياسيون عند  
حديثهم عن الحرب النفسية .

ولا تقتصر مهمة فرع العمليات النفسية في الجيش على العمل وقت الحرب ،  
بل تقوم القوات المسلحة بتولى العمليات النفسية التكتيكية في فترة ما قبل الحرب  
في جميع وسائل الاتصال العالمية ، وتستمر مسؤولية القوات المسلحة في توجيه  
العمليات النفسية في ميدان المعركة حتى بعد إيقاف القتال ، وإلى أن تعود الحالة  
إلى وضعها الطبيعي .

وعند بحث الحرب النفسية وغيرها من أدوات السياسة المتصلة بها يجب  
أن نذكر أنها تستخدم في السلام ، كما تستخدم في الحرب . ولا يمكن دائماً أن  
نضع الخط الفاصل بين الحرب والسلام كما هو الحال في الوقت الحاضر في الحرب  
الباردة . ويمكن أن نقول بقيام حرب إذا كانت هناك أعمال عدائية إيجابية بين  
دولتين أو عندما تستأنف الأعمال العدائية في أية لحظة .

وأدوات السياسة الرئيسية في وقت السلم ووقت الحرب هي :

الدبلوماسية

الدعاية

الاقتصاد

الأسلحة

وفي وقت الحرب يصبح الترتيز على الأسلحة أمرا بارزا الأهمية :

الحرب المسلحة :

الحرب التقليدية

الحرب النفسية

الحرب السياسية :

الحرب الدبلوماسية

حرب الدعاية

الحرب الاقتصادية

فالسلم والحرب هما النمطان المستخدمان في السياسة العامة في كل وقت .

## الحرب النفسية جزئياً الحرب الشاملة

### طبيعة الحرب الشاملة :

اعطى التطور الكبير فى صناعة الحرب الحديثة صورة الشمول ، بحيث تمتد المعارك لتشمل كل الجبهات وبكل ما يمكن استخدامه من أسلحة ، وفى هذه الحرب الشاملة توجد « جبهة داخلية » كما توجد « جبهات قتال » ، وتوجد كذلك الجبهة العسكرية كما توجد « الجبهة الاقتصادية » و « الجبهة السيكلوجية » .

ان الحرب العسكرية ، والحرب الاقتصادية ، والحرب النفسية ، تشكل معا نوعا من الحرب هو « الحرب الشاملة » .

وتتصل هذه الانواع الثلاثة من الحروب ببعضها البعض ، بحيث يكون النجاح العسكرى نصرا اقتصاديا اذا كانت نتيجته الاستيلاء على كميات كبيرة من موارد العدو أو سد طرق الامداد الهامة له ، وقد يكون كسبا سيكلوجيا اذا استطاع أن يخفض من معنويات العدو أو يجعل جنوده يتوقعون الهزيمة ، أو يهيب شعـب العدو للاستسلام والخضوع .

وقد يتحول النجاح الاقتصادى الى هزيمة عسكرية للعدو اذا أمكن أن يحرم من الامدادات الضرورية ، ومن الممكن أن يصير هذا نصرا سيكلوجيا اذا اضعف من معنويات العدو وجعله مستعدا للخضوع .



ومن جهة أخرى فلا فائدة من الانتصار العسكى اذا أدى الى هزيمة سيكولوجية ، فاليابانيون مثلا أنزلوا بالاسطول الأمريكى عند هجومهم المفاجى على بيرل هاربور الكثير من الخسائر ، ولكن الحصيلة النهائية للهجوم كانت خسارة لليابانيين ، لأن هذا الهجوم وحده صفوف الأمريكيين وتناسى الناس الخلافات ، والفرقة ، والانقسام بين صفوفهم ، وتجمعوا للعمل من أجل غرض واحد هو سحق اليابان .

والحرب النفسية التى هى أحدث أسلحة الحرب توجه ضد : « الفكر » و « العقيدة » و « الشجاعة » و « الثقة » وضد الرغبة فى القتال ، وهى حرب دفاعية هجومية وذلك لأنها تحاول أن تبنى معنويات الشعب والجنود ، بينما تحطم فى الوقت نفسه معنويات العدو .

والحرب النفسية جزء من الحرب الشاملة تشن قبل الحرب ، وفى أثنائها ، وفى أعقابها ، ثم أنها لا تخضع لرقابة القانون ولا لعادات الحرب ، ولا تعرف على أساس وصف الأرض أو نظام المعركة ، أو تبعاً لمعارك لها أسماء فهى عملية مستمرة ، وغالباً ما يظهر نجاحها أو فشلها بعد شهور بل ربما بعد سنوات من تنفيذها . ومع هذا فإن النجاح يمكن أن يكون ساحقاً برغم صعوبة تقديرها كمياً ، كما أن الفشل قد يكون قاتلاً وإن كان غير ملموس ، ولكن يمكن الكشف عنه وإدراكه .

والحرب النفسية لا تتواءم بسرعة مع النظريات المألوفة للحرب ، والعلم العسكرى برغم تطوره مدين بالكثير من أحكامه الى المعاليم التى تحدد مفهومه التقليدى وهو التطبيق المنظم لعنف قانونى . إن الضابط أو الجندى يقوم بواجبه عادة فى استخدام العنف دون أن يكون من واجبه تحديد العدو ، فإن : مشكلات المبادأة بالحرب ، الاعتراف بالمحايدين ، تعيين الأعداء ، إعلان السلم . . كلها من قبيل المشكلات السياسية وتخرج عن نطاق مسئولية الجندى ، وحتى فى استخدام القوة دون قيام حالة الحرب فإن الجندى يقوم بها فقط عندما توصف طبيعة العملية بواسطة السلطات الأعلى ، ونفى السلطات السياسية ، ويحدد الأعداء بواسطة القيادة العليا صاحبة السلطة . أما فى ميدان الحرب النفسية فإن طبيعة

العملية تختلف من ناحية عدم استطاعة السلطات السياسية تحديد مفهومها تحديدا واقعا ، اذ تبدأ الحرب النفسية نظرا لطبيعة أسلحتها وأدواتها ، ونظرا للمهام التي تشتمل عليها قبل اعلان الحرب بوقت طويل ، وتستمر بعد أن تتوقف العمليات العدائية العلانية . وغالبا ما يتجنب العدو في الحرب النفسية التعريف بنفسه ، فهو يختفى أكثر الوقت وراء صوت الوطن ، الدين ، أو الصحافة أو الصديق . . الخ .

ولا يحتاج الضابط أو الجندي الى أن يدرس كل طبيعة الحرب لكي يدرك واجبه ويعرف طبيعته ، فان التقاليد والمهارة العسكرية والنظام والعقيدة الصحيحة هي التي تمهد له ذلك . ولقد عين : صن تزو ، وفيجنس ، وفردريك ، وكلاوزفيتز مكان القتال من الحرب ، وقد قدروا قيمة طابعها العام .

ولكن كم من العقائد التقليدية يمكن أن تتغير في ضوء الانفجار الذري ؟ الواقع أن أحدا لا يعرف هذا ، ولكن مع أن الاسلحة تتطور فان الرجال سيبقون دائما الذين يحسنون استخدام هذه الاسلحة ، وستبقى الدوافع وعوامل الضعف في مجال الحرب كما هي يتحكم فيها العامل البشرى مهما كان شكل هذه الوسائل ، ومهما تكن مخيفة رهيبة .

والحرب من حيث هي كل محددة تحديدا جيدا من الناحية التقليدية ، ويمكن أن نتفهم الحرب النفسية تبعا لعلاقتها بالعملية كلها ، فهي لا تعدو أن تكون مجرد آلة تستخدم في مناسبة خاصة . لقد صارت عاملا تاما شاملا في الموقف العسكري، له أثره على أى قوة على ظهر الارض . وهي جزء من الحرب التي يمكن أن نعرفها في أبسط صورها بأنها قتال رسمي منظم بين الرجال . وفي هذا المجال يجب ان نفرق بين الحرب والتقاتل أو القتل ، فمملكة الحيوان لا تعرف الحرب برغم أنها تتقاتل .

ان الرجال فقط هم الذين يعلنون الحرب ويشعلون نارها ويحددون نهايتها، وهم يقومون بهذا فقط ضد بشر مثلهم .

ومن الناحية الشكلية يمكن أن نعرف الحرب بأنها : « التطبيق المتبادل المشترك للعنف بواسطة جماعات حكومية مسلحة » .

فإذا لم يكن هذا متبادلا فإنه لا يكون القتال حربا لأن عملية قتل الرجال الذين لا يدافعون عن أنفسهم لا تعتبر حربا بل هي مذبحة أو مجزرة ، أو ربما تكون جزاء أو عقابا .

وإذا لم تكن الهيئات المشتركة في القتال عامة حكومية فلن يعتبر العنف الذى تقوم به حربا ، وفى الحرب العالمية الثانية نجد أن دول المحور كانت الى حد ما تعنى بهذا التحديد لأنها لم تكن تعرف الى أى مدى مباشر ، وإلى أى درجة من السهولة واليسر سيحسب عليها نقض القواعد والاصول .

وليس من الضروري لكى يكون للمقاتلين طابع رسمى حكومى أن يكون لهم كيان قانونى ، أو بمعنى آخر أن يكونوا جنودا دائمين ، اذ يكفي تبعا للعرف الدولى أن يتوافر لهم حد أدنى معقول من ناحية العدو وأن يكون لهم لون من التعريف ، أى يكون لهم طابع يتميزون به عن عامة الاهالى المدنيين ، وأن يكون لهم الغرض السياسى الذى يسعون لتحقيقه .

وأخيرا فإن الحرب الفعلية يجب أن تكون عنيفة ، ولكن استنادا للقانون فى كل الدول الحديثة فإن الضغط الاقتصادى أو السياسى أو المعنوى لا يعتبر حربا بمفهومها التقليدى . أن الحرب هى جعل الاعمال التى لا يستطيع أى فرد أن يقوم بها لمخالفتها للقانون وقت السلم قانونية عند عملها باسم الدولة .

والواقع انك حتى فى وقت الحرب لا تستطيع قتل العدو الا اذا فعلت هذا باسم الدولة ونيابة عنها ، فإذا قام أحد أفراد دولة ما فى حالة حرب مع دولة أخرى بقتل أحد رعايا الاعداء ؛ فإن القاتل فى هذه الحالة يعتبر مجرما عاديا يطبق عليه قانون العقوبات . ومثال لذلك التهم التى وجهت فى محاكمات مجرمى الحرب ضد يابانيين وضد المان لقتلهم اناسا لم تكن حتى الحرب تمنحهم حق قتلهم .

ان حكومات العالم الحديث لتشعر بالغيرة على الحق الذى تحتكره وحدها لاستعمال العنف ، والحرب هى أعلى طراز لممارسة العنف ، كما أن الحرب الحديثة ليست مجرد لهُو وميل للقتل ، والا لما كانت هناك حاجة الى هيئات أركان الحرب اذا كانت الحرب مجرد صورة من الوحشية أو مجرد لوثة جنون لقطع رقاب الناس ، بل على النقيض فان الحرب الحديثة - كاحدى وظائف المجتمع الحديث - اما تعكس التناقض الثقافى والسياسى الذى تنبع منه . ان المعركة الحديثة عملية اصولية ، طقوسية ، معقدة فنيا ، فالجندى يجب أن يقتل فيها الناس الذين يجب أن يقتلوا بطريقة صحيحة وفى التوقيت الصحيح والمكان الصحيح ، وأن يكون هذا لاغراض صريحة معترف بها .

ولكن لماذا نقاتل بهذا الاسلوب وعلى ذلك المنوال ؟ ولماذا نقاتل هنا وليس هناك ؟ ولماذا نفعل هذا الآن وليس فى وقت آخر ؟ لماذا هذا كله ؟

الواقع أن الاجابة سهلة ويسيرة ، ذلك لأن القتال يتم بين البشر ، والغرض من ذلك هو أن يحاول كل جانب تغيير آراء الآخر .

واحيانا قد لا يمكن استمالة بعض الافراد واقناعهم ومن ثم فمن الضرورى قتلهم ، أو « تحييدهم » بأى وسيلة بدنية مثل عزلهم « اعتقالهم » أو سجنهم (١) ولكن أغلب الافراد يتوقفون عن القتال عند الوصول الى نقطة لا تصل الى الفناء أو الانقراض ، ويمكن الوصول الى هذه النقطة لو حدث واحد من امرين :

١ - اما أن يفقد المهزومون كل القدرة على التنظيم لفشلهم فى الاتفاق على القيادة وعلى الاساليب والوسائل ، ومن ثم فانهم ينفضون أيديهم من القتال لانهم لم يعد فى استطاعتهم القتال كمجموعة ، وقد حدث هذا من الامريكيين سكان الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة

---

(١) لقد وجد بعض النازيين وربما كان هتلر من بينهم ان العالم الغربى يشير نفورهم واشمئزازهم ، ومن ثم فقد قتلوا انفسهم لانهم لا يستطيعون الاستسلام ، اما فى ميدان الباسفيك فقد كان من الضرورى قتل الكثيرين من اليابانيين قبل أن يتقبلوا شروطه الخلفاء

الامريكية في أبريل عام ١٨٦٥، فقد ترك رئيس الولايات الكونفدرالية  
القطار هو والوزراء في محطة ريتشموند ، أما الذين استقلوا القطار  
الى أبعد من هذا للجنوب فقد أصبحوا « لاجئين » . لقد حدث شيء  
لهم وللناس الذين من حولهم ، ولم يعد مستر ديفس يفكر في نفسه  
على أنه الرئيس ديفس . ولم يعد الناس يتقبلون قيادته ورياسته .

ولقد حدث شيء مثل هذا تماما في ألمانيا عام ١٩٤٥ اللهم  
الا بالنسبة للادميرال دونتز .

٣ - واما أن المهزومين يحتفظون بطاقتهم على التنظيم ويستطيعون أن  
يستخدموا تنظيمهم السياسى للاتصال بالعدو ولترتيب انتهاء الحرب  
عن طريق الوسائل المنظمة للتمشى مع رغبات المنتصرين ، وقد حدث  
هذا عندما اعترفت بريطانيا باستقلال أمريكا، وعندما اعترف البوير  
بالسيادة الانجليزية ، وعندما وقعت فنلندا ما أمّلته عليها روسيا ،  
وعندما قرر اليابانيون التوقف عن القتال .

وفى بعض الاحوال يمتزج هذا كله معا ، فقد يريد أفراد الشعب أن يحل  
السلام مكان الحرب ، ولكنهم يجدون أن حكومتهم لا تحظى باعتراف العدو ، أو قد  
يظن المنتصرون أنهم حطموا حكومة العدو عندما تكون المنظمة الجديدة لا تختلف  
عن المنظمة القديمة الا فى الشكل مع اختلاف قليل عن الاسم القديم ، ولكن  
لا يزال الزعماء الدائمى موجودين ، ولا تزال الآراء القديمة مهيمنة سائدة .

ومن الواضح أنه مهما حدث فإن الحروب تشن للوصول الى تغيير نفسى  
فى العداء والخصومة ، وفى هذه الحال فإن الحروب تقوم لهدف أو لغاية سيكولوجية  
ما لم يكن هدفها الافناء ، وهذا نادر جدا .

حقا ان الحرب تعلن ضد عقول الاعداء وليس ضد أجسامهم لتثبيتها، ويشهد  
بصحة ذلك تعليقات الكتاب العسكريين فى كل عصر ، والقول الفصل والمثل  
السائر لكلاويفتز لينص على أن : «الحرب هى السياسة مستمرة بوسائل أخرى» .

وهذه الحقيقة هي في بساطة التعبير الحديث ، لواقع صحيح معترف به منذ عصر قديم ، فالجرب وسيلة من وسائل الاقتناع الخطيرة غير الاقتصادية وغير السارة .  
ولكنها وسيلة لها تأثيرها عندما تفشل كل وسيلة أخرى .

## نشن الحرب على أساس نفسي :

بالرغم من أن جميع الاطراف المعنية في الحرب العالمية الثانية قد أفتت على جهودها مستمرة في الحرب النفسية طوال الحرب ، فإن كثيرا من الكتاب اهتموا بدراسة تاريخ الرايخ الثالث، ووضعوا عدة عناوين كمحاولة لتسمية الاستراتيجيات المربعة الغربية التي خطط لها هتلر في المدة ما بين عامي ١٩٣٦ ، ١٩٤١ ، وقد أطلق عليها ادموند تيلر « استراتيجيات الارهاب » على ما جاء في كتاب له يحمل نفس الاسم « طبعة بوستون ١٩٤٠ » وسماها لاديسلاس فاراجو مؤلف « حرب الدماء » والمصحف السياسي « حرب الاعصاب » ، وقد قدم دراسته للاستراتيجية الهتلرية في كتاب طبع بنويويورك سنة ١٩٤١ بعنوان « الحرب النفسية الألمانية » ، وفي هذا الكتاب عرض خلاصة مئات الكتب والبحوث الالمانية المتصلة بعلم النفس، وبصناعة الحرب ، وأغلب مادة هذه الدراسات تقدم تجارب شخصية ودراسات في الطب النفسي والعقل ، والكتاب ككل يعتبر عرضا أخذا ببيان القدر الذي عمل به الالان ليجعلوا حربهم حربا فنية . وتوالت البحوث الكثيرة الاخرى في هذا الميدان ، ووجد أن الجديد في الجهد الحربي الالاني إنما يقع في نطاق ميدانين اثنين :

١ - الدقة أو على الأقل مظهر الدقة في توقيت الجهود السياسية ، والتآمر والجهود العسكرية كلها معا وفي وقت واحد .

٢ - الاستخدام الجيد لنتائج علم النفس الحديث لتحقيق الاهداف العسكرية وادراكها .

ويبدو أن أساندة علم النفس علموا رجال المخابرات السياسية والعسكرية الالان كيف يضعون التقديرات والتنبؤات الممكن تنفيذها عمليا . وكانت تحليلات الالان للدعاية المضادة الموجهة ضد النازية ممتازة ، فاذا ما أضفنا هذا كله الى العمليات الاستراتيجية ، والتكتيكية في الميدان تلك التي كانت ممتازة متفوقة على مثيلاتها باجماع الآراء ، فإن التأثير لم يكن تأثير مجرد حرب ، بل تأثير هذا النوع الجديد من الحرب أي « الحرب النفسية » .

ومن الواضح أن هيئة أركان الحرب الألمانية فى غزو الألمان لأوروبا قد استخدمت « تحليل الرأى العام » ، وظهر أن الكثير من هذه التحليلات لم يكن بأكثر من حدث رائع فاخر . وفى مسير الحرب أشعل الألمان نيران حرب خاطفة كانت من الناحية : التكنولوجية ، والنفسية ، والعسكرية منطقية ومعقولة راحت تؤتى ثمارها ، واستخدمت دبلوماسيتهم - للافزاع والتهويل - التهديد بالحرب لدرجة جعلت التشيكوسلوفاكيين يسلمون أرض « السوديت » دون اطلاق طلقة واحدة . لقد انتفع الألمان لأقصى مدى بالتهديد بأشعال نيران الحرب ، فلما اندلعت نيرانها فعلا حاولوا عن قصد أن يجعلوها تبدو خفيفة للغاية .

وليس ثمة قاعدة - أو بلغة أبسط - وصف للحرب النفسية فى كتب علم النفس ولا فى كتابات المشرعين للقانون الدستورى ، فان الشمول للحرب هو نتيجة للشكل الذى دارت به الحرب العالمية الثانية . أن « السلاح السرى » الذى كان لدى الألمان يكمن فى السلطة التى أعطاها الألمان صراحة وعلانية لهتلر ، وفى استخدامه المطلق لهذه السلطة بطريقة فعالة دون ما تقدير لاي شيء .

لقد قاد الفوهرر الاخصائيين ولم يحدث العكس . وإذا كان الألمان قد تباهاوا على العالم بدقة توقيتهم للأشياء ، فليس لتوافر أخصائيين على درجة خاصة من المعرفة تهيب لهم أن يخترعوا نوعا جديدا من الحرب ، بل بسبب نزوة سياسية بشعة كالحة جعلها هتلر تسيطر على كل الموارد الشاملة للرايخ الألمانى .

وبدا فى نهاية الامر أن العناصر التى جعلت الحرب النفسية ممكنة فى بداية الحرب العالمية الثانية هى نفسها التى أدت الى عقم ألمانيا ، وإلى خرابها الكامل عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ وهذه العناصر هى :

١ - السلطة الزائدة عن الحد .

٢ - الشعب الذى يعيش دون أخطاره بحقيقة الموقف .

٣ - الدعاية المركزة .

٤ - التخطيط السياسى السرى .

لقد نشى هذا النوع من الحرب مع محاولات الوصول الى الشهوة المتعطشة للسلطة ونسقت الحرب بدرجة لا حد لنهايتها ، ثم شنت الحرب مستغلة الضعف السياسى والمعنوى للعدو .

وكانت الحرب النفسية الالمانية فى المفهوم الواسع لاشعال الحرب على أساس نفسى تتوقف بدرجة أكبر على ما يسمى بالصورة الخلفية للسياسة بأكثر مما تعتمد على التكنيك السيكلوجى . ومكنت عوامل متشعبة كثيرة - مثل انعدام الوحدة بين الضحايا المنتظرين مستقبلا ، وملاطفة الدول التى لا تتأثر تأثيرا مباشرا بذلك ، ومظاهر الاسلحة الجديدة عن طريق التطبيقات المخيفة لهذه الحرب ، واستخدام الخوف من الحرب لكبح جماح الثائرين والميل الى تهدئتهم ، والوضع الجغرافى لألمانيا فى مركز المواصلات الاوروبية - من جعل « حرب الاعصاب » التى مارستها ألمانيا تبدو جديدة . ان مثل هذه الحرب النفسية ليست جديدة بالنجاح فى أى مكان اللهم الا للاعتداء بواسطة تلك الدول الفاشية أو الاستعمارية لتحقيق اطماعها وشهواتها فى أنحاء العالم . ان ما يسمى بالاستعمار الجديد والذى يوجهه الاستعمار ضد الدول المتحررة فى أفريقيا وآسيا فى النطاق الاقتصادى صورة جديدة من صور الحرب النفسية الحديثة (١) . ولكن من جهة أخرى فان هذه الحرب لا تستطيع العمل بحال ما ، أو بمعنى آخر يكون أثرها ضعيفا اذا ما كانت الدولة المستهدفة بالحرب متيقظة واعية ، ودرّب شعبها على مجابهة أساليبها الى درجة كبيرة من الوعى السياسى والاجتماعى ، حتى يستطيع أن يتفهم أهداف مثل تلك العمليات غير الانسانية .

## الحرب النفسية وعلم النفس :

على الرغم من أن لعلم النفس قواعده وأسسها ، فان الحرب النفسية يمكن ادارتها بأشخاص ليس لديهم معرفة بقواعد هذا العلم ، ودلت حوادث عدة عبر التاريخ فى الحرب النفسية على ذلك تماما ، فلم يكن جدعون مثلا ولا وانج مانج

---

(١) يرجع الى كتاب الحرب الاقتصادية فى المجتمع الانسانى لصالح نصر - دار القلم -



يعلمان شيئاً عن القواعد الأساسية لعلم النفس ، ولكنهما استغلا بالفرصة جوانب  
- ناقشا هذا العلم - في ارباب العدو ، والقضاء على معنوياته حتى استطاعا أن  
يحققا نصرا حقيقيا .

على أن التاريخ القديم مليء بالأمثلة التي أوجدت للعالم قادة عظماء وصلوا الى  
درجة عالية من المهارة الفنية في استخدام أساليب علم النفس استخداما صحيحا ،  
بل نستطيع أن نقول انهم أفادوا من هذا العلم بدرجة تضارع ما يحققه اليوم مهرة  
علماء النفس المحدثين . ولكننا اليوم لم نعد نستطيع انتظار الموهوبين أو ذوي  
المواهب النادرة لتطبيق نظريات هذا العلم في حروب العصر دون دراسة أو تخطيط .  
ونستطيع الآن أن نقول أن علم النفس الحديث يدور حول الغرائز ، والعواطف  
أكثر مما يدور حول التعليم ، كما يهتم بدراسة نفسية المجموعات والمنظمات .

ويمكن أن نتساءل ماذا يستطيع أن يقوم به علم النفس لصناعة الحرب في  
وقتنا هذا ؟ الحقيقة أنه لم يكن علم النفس هو العنصر الفعال في إدارة الحرب  
النفسية الحديثة ، الا أننا نؤكد أن العالم النفسي يساهم بمجهود فعال في هذه  
الحرب . فهو يستطيع أن يجذب انتباه الجندي الى العناصر المكونة للعقل البشري ،  
هذه الظاهرة التي تبقى في الغالبية بعيدة عن نظره غير واضحة ، وهو يستطيع  
أن يتحكم في عقلية الفرد وتفكيره ويحول سعة الخيلة الفردية الى جبن وخور  
جماعي ، وهو في استطاعته أن يحول الثقة الى اهتزاز في الشخصية والاستسلام  
والتكاسل الى ثورة عاتية . بهذه الوسائل وغيرها يخترق العقل اللاوعي للوصول  
الى الموارد التي يحتاج منها الى مادته . ومن ناحية أخرى يستطيع العالم النفسي أن  
يوضح الوسيلة الفنية أو التكنيكية التي تهدف الى ايضاح ما يخفى به العدو  
حقيقته ، فهو باختباره العملية المتواصلة على الموارد التي يحصل عليها يخترق  
عقلية العدو ، فمثلا يمكن قياس نتائج اختباره لعدد معين من أسرى العدو في  
مسرح معين من مسارح الحرب وفي فترة معينة خاصة ، وبهذه القياسات يضع  
تقديرًا منطقيًا معقولًا ، ويمكنه أن يوضح الى حد كبير الوسائل التي قد يتأثر  
منها العدو تحت ظروف خاصة معينة .

قد لا يتوافر للعالم النفسي هذا المصدر ، أي مصدر الأسرى لأجراء  
اختباره ، ولذا يعتمد الى حد كبير على مصادر أخرى كتحاليل الأنباء

أو الدعايات التي تذيعها أو تطلقها سلطات العدو الى شعبها أو جنودها في الميدان . بهذه الوسيلة يسهل على القائمين بإدارة الحرب النفسية حل عديد من المشكلات وتفهم الكثير من الأمور الغامضة التي لو أسئء تقديرها لأدت الى أسوأ النتائج في سير دفة الحرب .

ان رجل الدعاية عادة تكون لديه تطلعات نفسية بل نستطيع ان نقول ان متعته المتأصلة في نفسه هي أن يخاطب عدوه فيعامله معاملة العدو للعدو ، وغالبا ما يخبره في نشراته برأيه فيه ، بل قد يتمادى فيسخر منه ويهزأ بضعفه مما قد يسبب رد فعل عكسيا لخطة الدعاية . ان رجل الدعاية يجب ان يخبر العدو بالموضوعات أو الاشياء التي يبالي بها ، وعليه أن يبعد عواطفه الخاصة بمعزل عن العملية التي يمارسها . وهنا يستطيع العالم النفسى أن يعلم من يتولى أعمال الدعاية كيف يكون موضوعيا قادرا على تنسيق دعايته ، باردا هادئا لا تستثيره أى انفعالات نفسية . ولنتصور رجل دعاية في دولة استعمارية يخاطب أحد شعوب دول أفريقيا الثائرة التي تحاول التحرر من الاستعمار قائلا لهم: « أيها الشردمة من القتلة السفاكين يا من تعيشون في الأدغال حياة بعيدة كل البعد عن المدنية والنور . أيها الجهلة يا من لا تعرفون من العلم والحياة الا ما يفرضه قانون الغاب ، أيها الحمقى ما هي رسالتكم في الحياة ؟ انكم تعيشون في المجهل وتحتاجون الى من يستطيع أن يقودكم، وينير الطريق أمامكم نحو المعرفة والنور » .

ان رجل الدعاية هذا لا يفعل أكثر من أن يزيد هؤلاء الثائرين الاحرار رغبة في القتال والمقاومة للتحرر من قبضة هذا الوحش الذى ينادى بالمعرفة والعلم وهما بريئان منه .

وعلى عكس ذلك نرى في التاريخ القديم مثالا رائعا لنجاح الدعاية حينما نحاول أن نرى الأشياء من وجهة نظر من توجه اليهم ، فحينما كان تيموستكليس الأغريقي « ٢٥٧ - ٤٦٠ ق م » يحارب الفرس في معركة أرتيمسيوم استطاع هذا السياسي المحارب أن يضم اليه الايونيون أهل جزر البحر الايوني . اذ قام بجمع أفضل سفن الملاحه لدى الاثينيين - أهل أثينا - وذهب الى مكان تتوافر فيه مياه صالحة للشرب ، ثم حفر في الصخور بعض سطور موجهة الى الايونيين . وفي اليوم التالي حينما وصل الايونيون الى أرتيمسيوم أرض المعركة

وجدوا نقوشا محفورة في الصخور تخاطبهم : « يا رجال ايونيا انكم تخطئون للقتال ضد آبائكم بمعاونتكم على استعباد اليونان . ولهذا نناشدكم الانضمام اليها ، فان لم تستطيعوا فابعدوا قواتكم عن المعركة وحثوا أهل كاريا على أن يفعلوا مثلكم ، واذا لم تستطيعوا لا هذا ولا ذاك ، وتجدون أنفسكم مرتبطين بضرورة ملحة ، فتمارضوا عندما نشتبك في القتال ، واذكروا دائما أنكم من نسلنا ، وان العداء بيننا وبين المتوحشين انما هو من أجلكم » .

وليست الحرب ولا علم النفس بالامر الجديد المستحدث ؛ فكلا الاثنين قديم قدم الانسان نفسه ، ولكن لما كانت صناعة الحرب هي الصورة الايسر والطاقة الافضل من الناحية العملية نجد أنه أصبح لها تاريخ مسطور اقدم من تاريخ علم النفس ، بخاصة أن ما نعرفه اليوم في نطاق علم النفس كان يعرف فيما مضى تحت أسماء : الدين ، والأخلاق ، والآداب ، والسياسة ، والطب ، وغير ذلك ، ولكن نتيجة التطور جعلت الحرب النفسية الحديثة ثمار الوعى النفسى والتطبيق العمل لعلم النفس الحديث في الحروب . ان علم النفس كبقية فروع المعرفة يتطور نتيجة الدراسات المستمرة ، ولذا يجب الا نهمل أو نفهل اهمية القدرة على استخدام هذا التطور كلما سنحت الفرصة بجرأة وسرعة في الحرب النفسية .

ويستطيع العالم النفسى أيضا أن يحدد الوسيلة الفعالة التى يمكن استخدامها في الحرب النفسية ، وهو بذلك يشير الى أى من هذه الوسائل أكثر فاعلية في موقف معين - الراديو أو النشرات ، أو مكبرات الصوت ، أو العملاء ، أو غير ذلك . ويجب على العالم النفسى حينما يحدد الوسيلة أن يتصل برجال المخابرات للحصول على الموارد السيكلوجية الميسورة لديهم ، حتى يستطيع أن يضع خطته ويساعد على تنسيق الدعاية وتوقيتها حسب المواقف العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية . وليس من الضروري أن يكون العالم النفسى حاضرا بنفسه لاعطاء نصيحته لرجال الحرب النفسية ، فقد يكون وجوده محققا في الكتب التى يكتبها أو المحاضرات العلمية التى يلقيها ، أو دورات التعليم التى يعقدها لاعداد ضباط الحرب النفسية .

ان علم النفس أقرب العلوم كلها الى عمل رجل الدعاية ، بالرغم من أنه لايعدم الصلة بكثير من العلوم الاخرى ، فالحرب النفسية لايمكن فصلها عن علم

الأنثروبولوجى الذى يبحث فى نواحى الانسان الفسيولوجية ، والتاريخية ،  
والتقسيمات الجغرافية ، والأجناس المختلفة ، ولا عن علم الاجتماع الذى يبحث  
فى دراسة الانسان بوصفه كائنا اجتماعيا له أوجه نشاط مختلفة . كذلك فإن  
علم الاقتصاد وثيق الصلة برجل الدعاية ، فهو لا يستطيع أن يعزل نفسه عن  
الفاعليات الاجتماعية التى لها صلة بالانتاج ، والتوزيع ، والاستهلاك ، والرخاء .  
ان جميع الاختصاصيين فى هذه العلوم يسهمون بشئ كبير فى الحرب النفسية ، ولكننا  
نستطيع أن نقول : ان علم النفس هو الذى يشير الى ما يحتاج اليه رجل الدعاية  
من هذه العلوم الاخرى . وفى هذا المجال يجب ألا ننسى الدور الكبير الذى ساهم  
به علم النفس حديثا فيما يسمى عملية غسل المخ Brain Washing التى  
دخلت حديثا مجمع مصطلحات السياسة ، والتى تستخدم لتوجيه الفكر الانسانى ،  
أو العمل الانسانى ضد رغبة الفرد الحر ، أو ضد ارادته ورغباته كما سيجىء  
بالتفصيل عند دراسة هذا الموضوع فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

## علم النفس العسكرى :

والحرب النفسية ليست مع هذا هى الطريقة الوحيدة التى يسهم بها علم  
النفس فى انجاح القتال .

فمثلا يحتاج الجندى الى أن يتفهم الطبيعة البشرية حتى يستطيع أن يفهم  
نفسه ، ويفهم زملاءه ، ويجب أن يتعلم الضباط كيف يفسرون ، وكيف يؤثرون  
على سلوك أولئك الذين يتولون قيادتهم .

ومن الضرورى أن يعرف الجندى الكثير عن الاحتياجات البشرية وعن  
الدوافع والانفعالات . فاذا أحس بالخوف فعليه أن يعرف كيف يتصرف عندما  
يعتريه ، وعليه أن يعرف متى يكون الغضب نافعا ، ومتى يسبب المتاعب ؟ كما  
يجب أن يفهم أسباب القلق والشعور بعلم الطمأنينة وافتقاد الأمن ، وان يلم  
بأسباب وأثر انفعالات الغيظ والحقد بالنسبة للعدو ، وكذا الانفعال والتهيج  
Irritation ضد الزملاء ، وعن العلاقة بين الغذاء ، والعمليات الجنسية ، وبين  
الحياة العسكرية .

ومن الضروري أن يعرف الجندي العلاقة بين كل هذه الأشياء وبين الروح المعنوية ، وهكذا فإنه يتعلم كيف يتجنب العوامل المؤثرة على انخفاض الروح المعنوية ويعرف كيف يبني ويقيم معنويات جيدة قوية .

ويجب أن يفهم كل جندي مشكلات التكيف العقلي للجنود بالنسبة للجيش أولا ، ثم بالنسبة للقتال فيما بعد ، وأن يفهم كذلك لماذا يشعر الجنود بأنهم غير آمنين على سلامتهم ؟ وما العوامل التي تخلق الشجاعة والجرأة ؟ وما علامات اقتراب الانهيار ؟ وكيف يمكن منعه ؟ وماذا يفعل نحوه إذا ما حدث ؟

ولقد صار اختيار القادة للقوات المسلحة واحدا من أهم المشكلات في سيكولوجية الحرب . أن القائد الجيد هو الرجل الذي يستطيع أن يبني ويقيم المعنويات الجيدة ، فكيف يستطيع أن يفعل هذا ؟ وأي نوع من الرجال يجب أن يكون هو ؟ ولو كان القائد ضعيفا أو قائدا غير جيد فهل يمكن جعله قائدا جيدا ؟ .

ومن الضروري أيضا أن يتفهم الجندي عقلية الفوضى والذهماء ، وأن يعرف عوامل الفرع التي تؤثر في الجماهير . فقد يكون هذا وثيق الصلة بالجندي وعمله عندما يختلط الأهليون بعمليات القتال ، أي عندما تصير القرى والمدن وسكانها جزءا من جبهة القتال أو عندما تبدأ الجبهة الداخلية في الانهيار والتقسيم .

وقد يمكن أن يحدث الفرع داخل صفوف العسكريين أنفسهم حتى ولو كانوا جيدي التنظيم ، والضبط والربط إذا ما توافرت الظروف والأحوال التي تسبب هذا .

فما إذن هذه الظروف والأحوال التي تسبب الفرع ؟

ولماذا ينتشر الفرع وسط الجنود « الاحتياط » وليس بين الجنود العاملين النظاميين من أفراد الجيش ؟ .

أن تفهم لماذا يختلف الأفراد بعضهم عن بعض ، وكيف يمكن قياس الموارد البشرية ، ليعاون الجيش على وضع الرجال حيث يكونون أعظم نفعا .

## التقاط الكفايات وحسن توجيه الجنود :

والقوات المسلحة في حاجة الى عمال للراديو ، والى ميكانيكيين للدبابات ، وتحتاج أيضا الى مراقبين جويين وطيارين ، كذلك تحتاج الى ضباط قدر حاجتها الى كتبة عسكريين . لقد صار الجيش في بساطة يحتاج الى افراد للقيام بمئات الاعمال المختلفة ، ومن ثم صار في حاجة الى المئات من الاختصاصيين الذين تتوافر لهم كفايات وطاقات مختلفة متنوعة .

والكثير من هذه الاعمال في الجيش لها ما يشابهها في الحياة المدنية ، ولكن هناك اعمالا تتطلب تدريباً اضافياً عند التحاق الفرد بالجيش ، فسائق اللورى في الحياة المدنية يجب أن يدرّب عند التحاقه بالجيش على قيادة سيارات النقل الكبيرة في الأوحال ، وفي الظلام ، وتحت النيران ، وفي أثناء السير ضمن قافلة كبيرة . فما واجب القوات المسلحة بالنسبة لكل الاعمال التي تتطلب كفايات خاصة ، او التي تتطلب مزيداً من التدريب ؟

يجب عليها أن تتخير أو بمعنى أدق تلتقط الجنود الذين تتوافر لهم المهارات الضرورية ، ومن الطبيعي أنه لا يوجد العدد الكافي اللازم لسد احتياجاتها ، ولهذا يجب أن يدرّب الأفراد على مهارات جديدة ، ومن ثم يجب اختيار الذين يمكن أن يتعلموا بسرعة أي الذين تتوافر لهم « الشهية » للتعليم للقيام بالأعمال التي يكون فيها نقص ملحوظ .

وتتقرر قدرات الأفراد بواسطة الاختبارات ، والمقابلات ، والتسجيلات لأعمالهم السابقة . أما الذين لا تنهياً لهم هذه القدرات المطلوبة ، فيمكن أن يختبر استعدادهم وتقاس درجات صلاحيتهم ، وبذلك يدرّب الأصلح والأكثر استعداداً .

ويشكل هذا العمل برامج ضخمة لتصنيف الأفراد تبعاً للقدرات والطاقات ، كما يتطلب إنشاء عدد كبير من معاهد التدريب ومعسكراته .

ولكن ما صلة هذا بعلم النفس العسكري وما صلته ببيكولوجية القتال ؟

الفكرة أنه عندما يوضع الرجل الصحيح في المكان الصحيح يعود النفع على كل فرد ، فتستفيد القوات المسلحة ككل اذ أن الأعمال تتم بكفاية وعلى الوجه الصحيح ، ويستفيد « المقاتل » لأنه يشعر بسعادة حيث يمكن أن ينتفع من قدراته ومن طاقاته ، ومن شعوره بأن القوات المسلحة تعتمد عليه وتفيد بعمله .

والجندى يحتمل مسؤولية عمله وترتفع معنوياته ، وهنا يعود النفع أيضا على القوات المسلحة اذ أنها تحتاج الى المعنويات أكثر مما تحتاج الى الكفايات ، كما تحتاج الى الولاء والحماس والغيرة مما يعتبر « لقاحا » ضد الهزيمة .

على أنه ليس على القوات المسلحة فقط أن تضع كل فرد في مكانه الصحيح . بل من واجب الفرد أيضا أن يعرف كيف ينفع الى أقصى درجة من مواهبه وقدراته .

ومن أجل هذا هناك كثير من ألوان المعرفة التي يجب أن يلم بها الجندى ويوضح هذا كيف صار القتال عملية مركبة .

ان الفكرة الاولى الفطرية للقتال ، هي أن الجندى يندفع عندما يواجه عائقا يعطل تحقيقه للغرض الموكل اليه ، ويندفع بقوة أكبر لو ازدادت المقاومة المعطلة ، ويغضب اذا ما اشتدت المقاومة ، ويتحول اذ ذاك اندفاعه الى قتال .

وفي هذا القتال يستخدم كل ألوان المعرفة والمهارات ، وباستغلاله هذه المعرفة يعرف كيف يستخدم عينيه في الظلام ، وكيف ينظم الوسيلة التي تجعله يسمع وهو داخل الطائرة يحركاتها ذات الأصوات العالية ، وهو بتفهيم الطبيعة البشرية يعرف كيف يقيم معنويات أفضل تتغلب على الخوف .

انه باختصار يقاتل باستخدامه كل موارد العلم بما في هذا موارد علم النفس .

ومن واجبه أن يفعل هذا لأن الحرب صارت حربا شاملة .

# الباب الثاني

## التنظيم والأفراد

- ♦ الفصل الأول  
التنظيم للحرب النفسية
- ♦ الفصل الثاني  
مؤهلات الأفراد





## التنظيم للحرب النفسية

واجهت مشكلات التنظيم الخاصة بالحرب النفسية معظم الدول الكبيرة في نضالها وصراعها ، ولقد سبق أن أشرنا الى منظمات الحرب النفسية في بعض الدول والأعمال التي وكلت اليها ، ولكن هذا لا يكفي في مجال الحرب النفسية لمن يجب أن يمعن في دراسة مشكلات تنظيم هذا النوع من الحرب التي أصبحت اليوم موضع عناية العالم أجمع .

وفي هذا الفصل سنحاول دراسة منظمات مختلفة في دول متباينة في : عقيدتها ، وأسلوبها السياسي ، وحياتها الاجتماعية حتى يمكننا أن نعرف أثر هذه العوامل المختلفة على التنظيم القائم في كل منها .

وقد اخترنا فترتين زمنييتين لهذه الدراسة هما : فترة الحرب العالمية الأولى، وفترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها مباشرة ، حتى يمكننا أن ندرك الاختلاف في مفهوم الحرب النفسية في كل من هاتين الفترتين .

ونورد ان نلفت النظر الى ان الهدف من هذه الدراسة ليس مجرد شرح التنظيمات المختلفة التي انشأت لشن الحرب النفسية أو المساهمة فيها ، ولكن هدفنا هو أن نوضح الى أى مدى كان للعوامل الايدولوجية والبيئية والتقنافية والسياسية وغيرها أثر كبير على شكل هذه المنظمات . وثمة نقطة أخرى يجب ألا تغيب عن بالنا وهي أهمية التخطيط السليم عند القيام بمثل هذا العمل ، وكذا ضرورة التنسيق الكامل المبني على الايمان الكراسخ بها يقوم به كل فرد في هذا التنظيم ، ومحاولة حل مشكلات الادارة التي لا يخلو منها أى تنظيم .

## منظمات الحرب النفسية في الحرب العالمية الاولى :

الحقيقة أن كل الحكومات تقوم الى حد ما بالدعاية كجزء من مهامها العادية في وقت السلم . انها تقوم بالدعاية لمصلحة اصدقائها ، وهذا أمر لا مفر منه .

لقد اعترفت الدول في فترة الحرب العالمية الاولى ان تعبئة الرجال والعتاد لم تكن كافية ، اذ يجب أن تكون هناك تعبئة للرأى . وقد انتقلت السيطرة على الرأى - كما كانت على الحياة وعلى الممتلكات - الى أيدي رسمية .

حقيقة ان سيطرة الحكومة على الرأى هي نتيجة حتمية للحرب الحديثة الشاملة ، ولكن الهم هو الى أى مدى تحاول الحكومة أن تقوم بدعايتها سرا ، وإلى أى مدى تقوم بها جهرا .

ان قوة الدعاية تزيد اذا اُضيفت اليها سلطة الحكومة . واذا استثنينا حالات صغيرة - مثل تهريب مواد الدعاية داخل اراضى العدو المتاخمة - لاتفقد الحكومة شيئاً اذا كانت كل عمليات الدعاية فى البلاد المحايدة والبلاد الصديقة تتم بشكل سافر ، والا حلت الريبة والشك محل الثقة التامة والتفاهم اللذين لا غنى عنهما ، وعلى سبيل المثال كانت لجنة الاستعلامات العامة الامريكية على حق حينما قامت باخطار الحكومات المحايدة عن كل ما تريده داخل حدودها الحيادية .

ويعلق هارولد لاسويل على مشكلة التنظيم بقوله :

« واذا قبلنا المبدأ الذى يقول بضرورة القيام بالدعاية من جانب الحكومة المحاربة بشكل سافر تبقى أمامنا مشكلة التنظيم . فما الهيئات التى يجب ان تنفذ هذه العملية ؟ الى أى مدى يكون توحيد القيادة عملياً ؟ ان موضوع تنفيذ الحرب يضع عدة خدمات حكومية فى مهمة السيطرة على مصادر معينة للمعلومات . فهناك وزارة الخارجية فى الداخل ، وهناك السلطان السياسى والقنصل فى الخارج . هناك وزارتا الحرب والبحرية فى الداخل وهناك الملحقون العسكريون والبحريون فى الخارج . هناك الهيئة العامة لأركان الحرب ، وهناك مقر القيادة الميدانى ، وهناك وزارات الخدمات المختلفة التى تشترك فى مشكلات التمويل والتنظيم الداخلى . ان مجرد تعدد هذه الهيئات كاف لأن يذكرنا بالقول الواضح بأن التأثير على المواقف تتضمنه كل مهمة وأنه غير ممكن الفصل الكامل بين الواحدة والأخرى » .

ويعود لاسويل فيقول :

« ان عدم التوحيد قد يسفر عن أخطار • فقد تحاول كل من وزارة الخارجية ومقر قيادة الميدان الاقناع بوسائل متضاربة مما ينال من سمعة الدعاية • قد يعلن العسكريون في الداخل تدمير المباني العامة في البلاد المحتلة الأمر الذي يثير رعب الممثلين السياسيين في البلاد المحايدة • وهناك احتمال انتشار الأخبار السيئة ذات الانواع المختلفة في نفس الوقت ، مما يخلق حالة من القلق غير المرغوب فيه وذلك اذا قامت كل هيئة بنشر أخبارها على الجمهور • فقد تأتي أخبار عن : خسارة بحرية ، أو خسارة عسكرية ، أو خسارة جوية في وقت يكون فيه نقص في الدقيق أو تكون فيه مشكلات خاصة بالأجور أو الأسعار في الداخل • فاذا كانت تتولى أمر هذه الأخبار هيئة مركزية فانه يمكن أن تقوم هذه بتوزيعها على فترة من الزمن ، وتجعل أثرها غير محسوس عن طريق الأخبار الطيبة عن الموقف العام •

ويؤدي عدم التوحيد الى ازدواج كبير في المجهود • فاذا قام العسكريون بنشر نفس النشرة التي نشرها السلك الدبلوماسي ، وقاموا بتوزيعها بواسطة الملحقين العسكريين في الخارج ، في الوقت الذي يكون فيه الملحقون السياسيون يقومون بتوزيعها - فهذا العمل لا يخدم أى غرض • ومن الصعب مراجعة السياسة العامة في ضوء مجهودات الدعاية اذا لم يكن هناك جهاز ينظم تصريف عملية الدعاية » •

ويرى لاسويل انه قد تقع بعض الأخطاء نتيجة عملية التوحيد ، وقد يؤدي مشروع التوحيد الى معاداة بعض الهيئات الأخرى وتحطيم المعنويات •

فاذا تركزت السيطرة على الدعاية الخارجية والدعاية المحلية فى يد رجل واحد فقد يقاسى الآخرون من الرأس المسئول .

ولكن على الرغم من ذلك فان وجود أساس تنظيمى يحتفظ لكل هيئة من الهيئات المشتركة بدرجة كبيرة من الاستقلال الذاتى ضرورة لا غنى عنها فى الحرب النفسية .

واذا تساءلنا عن أشكال التنظيم التى كانت ممكنة فى هذه الفترة فإنا نجد الإجابة عن ذلك فيما اتبع فى الحرب العالمية الأولى .

قد تكون هناك إدارة واحدة مسئولة عن جميع أعمال الدعاية ، أو قد توجد لجنة يتفرع منها منفذون كل منهم مسئول عن فرع من فروع الدعاية ، مثل : الدعاية ضد العدو ، الدعاية فى البلاد المحايدة والبلاد الخليفة ، الدعاية بين المدنيين ، الدعاية بين القوات المحاربة .

أما الطريقة الثالثة فتتم بتنظيم مؤتمر صحفى عام تشترك فيه كل الإدارات ولكن مع ترك كل أشكال الجهود والآخرى للهيئات المعنية ، وهى : وزارة الخارجية ، مقر القيادة العامة ، وزارة الحرب ، وزارة الداخلية . وبصفة عامة فقد اتبعت الولايات المتحدة الطريقة الأولى ، واتبعت بريطانيا الطريقة الثانية واتبعت ألمانيا الطريقة الثالثة .

وعقب دخول الولايات المتحدة الحرب أصدر رئيسها أمرا بتأليف لجنة للاستعلامات العامة . وكانت تتألف من وزراء البحرية والحرب والخارجية ومستر جورج كريل . وفى الحقيقة كان مستر كريل مسئولا عن كل مظهر من مظاهر الدعاية سواء فى الداخل أو فى الخارج . وكان من بين نتائج هذه الطريقة أن منح كل ممثل من ممثلى اللجنة فى الخارج هيئة ثلاث وزارات حكومية لاشباع كرامة كل منهم .

وبينما نشأ النظام الأمريكى بجرة قلم واحدة ، وظل دون تغيير فى أثناء الحرب ، فان النظام البريطانى اعتراه سلسلة طويلة من التغيرات المعقدة ، وقد كتب الميجور جنرال سير جورج أستون فى ذلك يقول :

« ان السياسة الحزبية قوم شكاكون ، لا ياتمنون اى حكومة على اموال تنفقها على الدعاية خوف أن تصرفها لمصلحتها أكثر مما تصرفها على مصلحة البلاد . ولهذا السبب أنشئت ( لجنة أهداف الحرب البرلمانية ) من ممثلى كل الأحزاب . وقد أسند الى اللجنة عمل الدعاية فى الداخل ولكن وجه اليها كثير من النقد » .

وأنشئت ادارة صغيرة فى ولنجتون هاوس لاعداد النشرات والاعلانات ، وأصدرت ولنجتون هاوس تقرير « برايس » الذى اعتبر نصرا من انتصارات الحرب عن دعاية الجبهة ولكن مادته كتبت كما لو كانت صادرة عن هيئة خاصة لا رسمية . ثم تكونت بعد ذلك لجنة للأفلام والاناسلكى تحت رئاسة مستر ماير ، ولكن كانت علاقتها بوزارة الداخلية ووزارة الخارجية غير مؤكدة . وأنشئ مكتب للصحافة فى أغسطس ١٩١٤ الحق بعد ذلك بوزارة الداخلية .

وكانت وزارة الخارجية تقوم بالوان النشاط الآتية على ما جاء على لسان مستر اكلاند وكيل وزارة الخارجية فى بيان القاء فى البرلمان :

« نحن نقوم الآن باتخاذ خطوات لنرى كيف اننا نمد صحافة الدول المحايدة بما يسمى اخبارا بكل معنى الكلمة فتسبب ، بل كذلك بالانباء التى قد تبدو لنا هنا عادية بينما تثير هى اهتمام البلاد الأخرى ، فمثلا الأحوال فى هذه البلاد أو المعلومات الخاصة بتجاريتها وبموضوع العمالة وبموضوع التجنيد وغير ذلك من الموضوعات الخاصة ببلادنا والتى تهتم فى نفس الوقت أصدقائنا » .

وفى يناير عام ١٩١٧ تكونت ادارة الاستعلامات ، وكان الكولونيل بوكان يتولى اربع هيئات مبشرة . وكان بوكان مسئولا أمام وزارة الحرب وأمام رئيس الوزراء ، كما أنشئت لجنة استشارية تتألف من لورد نورثكليف ولورد بيرنهام ومستر روبرت دونالد ومستر ك . ب . سكوت .

وكانت وزارة الحرب قد نظمت هيئة مستقلة للقيام بالدعاية ضد الجيش الألمانى والمدنيين . وأخيرا عين لورد بيفربروك فى فبراير عام ١٩١٨ وزيرا للاستعلامات . وعين فى نفس الوقت لورد نورثكليف مديرا للدعاية فى بلاد

الاعداء • وعين مديرون للمخابرات في البلاد المحايدة وللدعاية السينمائية • وكان لورد نورثكليف مسئولاً فنياً أمام لورد بيفربروك في الشؤون المالية ، ولكن كان له حق الاتصال المباشر برئيس الوزراء ووزارة الحرب • وكان الارتباك أسوأ من ذي قبل عندما ألحقت إدارة دعاية الاعداء بالبعثة الحربية البريطانية التي كان يعمل لها نورثكليف في الشهور القليلة السابقة . وقد افتتحت مؤتمرات غير رسمية لتنسيق الجهود ، وأخيراً رأس لورد نورثكليف لجنة سياسة الدعاية ، وتحققت وحدة العمل وإن كان ذلك على حساب جهد كبير مستمر لعدة سنوات •

وأهم فرق بين الخطة الأمريكية والخطة البريطانية هي أن الأخيرة وضعت الدعاية المحلية والخارجية في يد موظفين منسقين • ولم يفرق النظام البريطاني بين نورثكليف وبيفربروك ، فكان لكل منهما مثلاً حق الاتصال برئيس الوزراء ووزارة الحرب • وكان البريطانيون يؤكدون ضرورة وجود استقلال ذاتي للإدارات عند معالجة الدعاية في الداخل أو في الامبراطورية والدول المحايدة والخليفة والمعادية • كانت المصالح المتنوعة التي تجابه البريطانيين تبرر هذا الاجراء لأن المشكلات التي قامت أمامهم كانت مميزة تماماً • لقد دخل الأمريكيون الحرب لا ليكسبوا المحايدين الى صفوفهم ولا ليوحوا الى فريق بأن يقف ضد فريق آخر • لقد كانت لهم رسالة يسيرة في موضوع الدعاية ، وكان يمكن أن تقوم بها هيئة تنفيذية واحدة دون خطورة كبيرة •

ولقد كان للألمان الحد الأدنى من المجهود المنسق لشئون الدعاية • لقد كانت كل ادارة تسير في طريق خاص بها ، وكان التعاون الرسمي الوحيد بينها يتم عندما ينعقد المؤتمر الصحفي الذي يتم مرتين أو ثلاث مرات في كل أسبوع • وكان يشترك في المؤتمر ممثلو وزارة الحرب وهيئة أركان الحرب وإدارة البحرية والسلطات العسكرية ووزارة المستعمرات وهيئة البريد ووزارة الداخلية ووزارة الخزانة ووزارة التموين ووزارة الخارجية • وكانت رئاسة المؤتمر تجيء بالتناوب ، كما اختار الصحفيون لجنة تتكلم باسمهم •

وكان على السلطات العسكرية أن تبنى عملها من الأساس • فعند بداية الحرب كان هناك موظف واحد يتصل بالصحافة • ولكن سرعان ما تكونت هيئة



ضخمة للصحافة لكتابة تقارير عن العمليات الحربية ولتشر صحافة الميدان وللرقابة على دخول الصحف المحلية ووصولها الى الجيش وللقيام بالدعاية ضد الأعداء .

وكانت وزارة الخارجية بطيئة في عملها ولكن عندما وقعت موقعة المارن في اكتوبر ١٩١٤ وظهر أن الصلح بعيد الوقوع تكون مكتب نشط كان يصدر كميات ضخمة من مادة الدعاية .

وعندما تطورت الحرب زاد الصراع حدة بين السلطات العسكرية والسلطات المدنية . لقد ثار غضب العسكريين عندما عرض « أرزبرجر » Erzberger اقتراحا في عام ١٩١٧ لعقد الصلح ، كما سبق أن ثاروا عندما تقدم « بثمان هولويج » Bethmann Hollweg بغضن الزيتون عام ١٩١٦ . لم يكن العسكريون يطيعون صبرا عند ذكر كلمة السلام أو الصلح . كانوا يريدون صلح المنتصر الذي على الشروط . لقد عرض لودندورف هذه الآراء على صحافة برلين لتعرض على الشعب . وفي الحال قبل اليساريون والوسط التحدى وشنوا هجوما على العسكريين لمحاولتهم التدخل في السياسة . وحتى يتجنب المستشار الوقوع بين نار الحزبين - كما حدث لسلفه - رفض أن ينشئ وزارة مستقلة للدعاية .

لقد اقترح العسكريون ذلك في مناسبات ثلاث مختلفة لأنهم كانوا قد بدأوا يشعرون بتأثير دعاية الحلفاء . وأخيرا أنشأت القيادة العامة هيئة صحافة كي تصل بها الى قلوب الشعب . ونجحت هذه الهيئة بالرغم من معارضة الصحف الكبرى ، وبتوجيه من الجنرال لودندورف رسمت خطة مفصلة لاثارة وطنية المدنيين والمقاتلين في ٢٩ من يوليو ١٩١٧ .

أما الفرنسيون فقد عهدوا بدعايتهم الى الهيئات الدبلوماسية والهيئات العسكرية والهيئات البحرية ، ومن آن لآخر كانوا يستكملون هذا العمل في الخارج بايفاد مندوب سام يجمع بين مهمة الدعاية وسواها من المهام الاقتصادية وغيرها . وكان لبيت الصحافة<sup>(١)</sup> عملاء ملحقون بالسفارات في الخارج .

---

(١) لجنة شكلت عام ١٩١٨ للإشراف على الدعاية الأدبية والفنية خارج البلاد ، تحت إشراف وزير التعليم والفنون الرفيعة .

وبالرغم من أن مشكلة تنظيم حملات الدعاية لم تحل حلا مرضيا في الحرب الأخيرة فإن تجربة الحلفاء في بعض المشروعات كانت كاملة لدرجة أسفرت عن مبادئ سليمة في الإدارة •

ويقترح سير آرثر سولتر<sup>(١)</sup> تنظيما يرى أنه حل مناسب لمشكلة الإدارة :

« ليس هناك شيء عديم الأثر مثل وجود لجنة تتألف من أشخاص ليس لكل منهم دور معين أو سلطة تنفيذية شخصية ومع ذلك يحاول أن يوجه العمل التنفيذي • ولكن إذا كان هناك عدد من الأشخاص - لكل منهم سلطة تنفيذية مباشرة يستمر في ممارستها في مجاله الخاص - فإنه يمكنهم أن يجتمعوا من وقت لآخر لدراسة اجراءاتهم المشتركة وتعديلها وفقا لخطة مشتركة • ثم يرجعون بعد ذلك الى وزاراتهم لتنفيذ ما اتفقوا عليه ، عند ذلك تصبح اللجنة ادارة مؤثرة للعمل التعاوني » •

## فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها :

والآن ننتقل لدراسة تنظيمات الحرب النفسية لثلاث دول كبيرة تختلف كل منها عن الأخرى اختلافا كبيرا في نظامها السياسي والعقائدي والاجتماعي بأمل أن نبين نظرة كل منها الى الحرب النفسية ومدى أثر ذلك على منظماتها •

## التنظيم الألماني :

بعد أسبوع من استيلاء النازي على الحكم حصل هتلر على مرسوم بتوقيع هاندنبرج بانشاء وزارة الدعاية وكان ملخص خطة التنظيم النازي للدعاية هو :

« يجب أن تتركز السيطرة على أنشطة الدعاية ، وسوف تتساوى مهمة الدعاية من حيث الأهمية مع أى مهمة حكومية أخرى • ويجب أن تتاح للقائمين على شئون الدعاية فرصة الحصول على كل المعلومات وكل الخطط الخاصة بالهيئات

الأخرى وسوف تستغل هيئة الدعاية كل فرص الدعاية . ويجب ألا يسمح لهيئة أخرى بالعمل المستقل في هذا الميدان . وسوف يشغل وظائف الدعاية ذات المسؤولية أكثر الناس إخلاصا للحركة وأكفؤهم من الناحية الفنية . ويجب أن يتم احتكار السيطرة على كل أجهزة الإعلام الجماهيرية ويشمل ذلك الموسيقى والفن والمسرح والعمار والكتب والتجارة السياحية والأسواق والمعارض والمدارس وغيرها . وعلى قدر الامكان يجب أن تتم السيطرة على هذه الأجهزة بشكل لا تبدو فيه الرقابة على أنها مباشرة » .

ونتيجة لذلك أصبح رجل واحد - هو جوزيف جوبلز - مديرا للدعاية . ولكونه وزيرا في الحكومة كان مسئولا أمام هتلر فقط . وهكذا أصبح جوبلز صاحب النفوذ الأول في هيئات الدعاية الثلاث : وزارة الحرب وإدارة الدعاية في الحرب وغرفة الرايخ للثقافة . وك رئيس لكل من هذه الهيئات كان مسئولا فقط أمام هتلر .

وكان منصب جوبلز كثالث رجل في النازي يعنى أن وزارته كانت قوة كبيرة في الحكومة ، وكانت الحكومة تبدو كما لو كانت تعمل كأنها قسم متفرع من وزارة الدعاية . فكانت السياسات تنفذ أو تنبذ حسب تأثير رجل الدعاية . ولم تكن قوة الوزارة نتيجة لمكانة جوبلز المباشرة عند هتلر ، بل كانت ترجع لمعرفته بخطط الوكالات الحكومية الأخرى . وكانت مفكرة جوبلز تحتوى على أمثلة كثيرة عن استخدامه للخطط وغيرها ، فكتب في إحدى المناسبات يقول :

« كنت أناقش تكتيكاتنا بالنسبة للوزارات الأخرى . واني اعتبر أن واجبي يقتضى أننى لا أقصر على أن أنظم وزارتي فحسب ، بل كذلك أحارب الانهزامية التي كانت شائعة في دوائر برلين الحكومية » .

وقال في مجال آخر :

« انى أتساءل ما اذا كان من الواجب أن أرسل رفاق الحزب كي يكونوا مخبرين أو مراقبين في المحاكم المختلفة حتى أستطيع أن أقف على كل شيء بهدوء ، وأتمكن من اتخاذ الاجراءات ضد الاحكام التي لا تتماشى مع الوقت » .

وتدفقت التقارير السرية من كل الهيئات الى الوزارة ، وكانت وزارة الدعاية على اتصال بموقف الحزب كما كانت على علم بالأحداث الطبية وغير الطبية. وكانت حالة الراى العام لا تحددها التقارير الواردة من الفروع المختلفة التابعة لوزارة الدعاية فحسب بل كذلك بواسطة الهيئات الاخرى مثل الجستابو التى كانت تتخصص فى عمل مسح للراى العام . والى جانب هذه المصادر كانت هناك وكالات مخابرات تغذى الوزارة بالمادة السياسية .

ومن بين المنظمات التى كانت تضطلع بهذا العمل « معهد الجغرافيا السياسية » و « مكتب رينتروب » و « مؤسسة النشاط الالمانى فى الخارج » و « الاكاديمية الالمانية » و « الجماعة العاملة فى الهندسة السياسية » و « الهيئة الاكاديمية للتبادل الاكاديمى » .

وحاولت وزارة الدعاية أن تنفذ مبدأ السيطرة الواحدة على الدعاية ، ولكنها لم تنجح فى ذلك النجاح الكامل . ففى وقت من الأوقات كانت لوزارة الدعاية السيطرة على الدعاية الدبلوماسية . وقد نجح جوبلز فى وضع ملحقين للدعاية تحت اشراف وزارة الدعاية فى كل منصب خارجى وفى الوظائف الصغرى حيث لم تكن الخبرة الدبلوماسية أو الخلق ضرورية كان الوزير هو ملحق الدعاية وكان التدريب فى ميدان الدعاية أكثر من التدريب الدبلوماسى . وقامت هيئات حكومية أخرى باستخدام وزارة الدعاية كوسيلة للاعلان عن نفسها ، وسلمت هذه السلطات رسميا الى وزارة الدعاية حال انشائها .

وقد نظم جوبلز وزارته على أساس أن تكون نواة لرجال الدعاية من الصفوة المختارة . وقد اختار هؤلاء من بين رجال الدعاية فى الحزب النازى الذين برهنوا على كفاءتهم فى الايام الاولى للنضال ، ووضع فى المناصب الادارية الصرفة الموظفون المدنيون ذوو الخبرة .

ويمكننا أن نلمس السبب فى موقف جوبلز ، ففى خطاب ألقاه فى قصر الرياضة قال :

« مادمنأ نحن الاشتراكين الوطنيين مقتنعون بأننا على صواب فلا يمكن أن نسمح لأحد غيرنا أن يدعى أنه على صواب كذلك ، فإذا كان على صواب فلا بد أن يكون اشتراكيا وطنيا ، ولكنه إذا لم يكن اشتراكيا وطنيا فلا يمكن أن يكون على صواب ! » •

لقد كان جوبلز متعصبا ، وكتب يقول أثر اجتماع له مع هتلر : « هناك في السماء يظهر سحاب يأخذ شكل الصليب المعقوف • انه ضوء يسطع في كبد السماء • لقد أوضحت لي هذه الايام الطريق والاتجاه • لقد اختفت آخر شكوكي . سوف تعيش ألمانيا • فليعيش هتلر ! » •

وكانت وزارة الدعاية تدير كلية سياسية لتدريب رجال الدعاية • كذلك تولت الوزارة ادارة المعهد الالماني للشئون الدولية وجعلته مدرسة لتدريب النازيين الذين تسند اليهم مناصب في الخارج • ولكي نأخذ فكرة عن التدريب يمكن أن نلقى نظرة على تخريج المتحدثين والخطباء الذين كان تدريبهم ينقسم الى قسمين : أيديولوجي وفني ، وكان منهج الدراسة يشمل دراسة كتب مثل « كفاحي » و « الطبيعة تأليف روزنبرج » و « مبادئ وأهداف الاشتراكية الوطنية » « وكفاح في برلين جوبلز » و « كتاب في نظرية الاجناس تأليف جنتر » • وكان الامتحان النهائي يعقد أمام لجنة مكونة من مندوبي ادارة الدعاية ومكتب التدريب الايديولوجي وكلية التدريب التابعة للحزب •

وحالما تكونت وزارة الثقافة العامة والدعاية تولت أمور الدعاية الخارجية • وتدل أقسام الوزارة على مدى سيطرتها : قسم الخارج ، قسم الترفيه ، قسم الافلام ، قسم الموسيقى ، قسم المسرح ، قسم الفنون الجميلة ، قسم الادب ، قسم الإذاعة ، قسم الصحافة المحلية ، قسم الصحافة الأجنبية ، قسم السياحة ، قسم تنسيق الدعاية •

وبالإضافة كان جوبلز رئيسا لادارة الدعاية بالحزب ، وأصبح بعد ذلك رئيس قسم الثقافة بالرايخ ، وكان الأخير قد أنشئ للإشراف على الانتاج ، وكان مقسما الى سبعة فروع تقابل النقابات المهنية للفنانين والعاملين في ميدان الفكر •

ولم تقم وزارة الدعاية بحركة سافرة للاستيلاء أو السيطرة على أجهزة الاتصال فيما عدا نظام الاذاعة الذى كانت تملكه الحكومة من قبل ، أما الصحف والمجلات فقد تركت فى يد أصحابها السابقين ، ولو أن الحزب قام بشراء بعض الصحف وجعلها من أجهزته •

وكان الضغط الاساسى لتوحيد الانتاج يتم عن طريق السيطرة المحكمة على مصادر المعلومات • ولما كان كل شىء يتم عن طريق وزارة الدعاية فقد أصبحت هذه ، المكان الوحيد الذى يمكن أن تستقى منه المعلومات •

ولقد نفذت الرقابة تحت ستار تهديد لا يكاد يكون مستترا ، فلقد كان شبح معسكرات الاعتقال والمصادرة تجعل أى محرر صحفى أو منتج فيلم يسير فى الصف مع القافلة •

وكانت غرفة الثقافة التابعة للرايخ هى التى تسيطر على ميدان الفنون • ولما كان لزاما على كل من يريد أن يعمل فى حقل الفنون أو فى حقل الاعمال الفكرية أن ينتمى الى غرفة الثقافة ، فقد كانت هذه الغرفة - بدلا من وزارة الدعاية - هى التى توجه الاعضاء وترشداهم الى الطريق المطلوب •

ويعالج كتاب هادا موفسكى عن الدعاية مناقشة كيفية استخدام الشعارات الصحيحة والتفسيرات التى كان النازى يصرون عليها • لقد كان النازى ينادى باستخدام « المنظمات العامة » و « التعاونيات » الى أقصى حد • وكانت هذه تبدو كما لو كانت معقدة بينما هى فى الحقيقة تتفق مع الاحوال المعيشية المختلفة • وكانت طرق الدعاية الرسمية التى تتبعها تتفق مع الاهداف الرئيسية لحياة كل الامة ، وكانت قوة الدولة التنفيذية تجعل من المستحيل القيام بأية محاولة - سلبية أو ايجابية - لعبور هذا الخط وتعمى هذه الاهداف ! وكان يؤكد رسالة هذه المنظمات احتكار أجهزة الاعلام الجماهيرية والتعاون الكامل من جانب المدارس،

وقال : ان المدارس الالمانية يجب أن تقلع عن « ولائها لمبدأ الحرية والفردية »  
ويجب في المستقبل أن تكون المهام العامة للدعاية القومية متضمنة تحديد المادة  
التي تدرس في المعاهد التعليمية طالما هي متعلقة بأى شىء سياسى » .

وهو يحذر الاجهزة من عواقب عدم التعاون تعاوننا كليا مع الحركة « فاذا  
رضيت النخبة الممتازة بمحض ارادتها عن وضع أنفسها فى خدمة قضية امتنا  
بكل اخلاص وعاطفة فلن تكون هناك حاجة لان نتقص من حرية الصحافة عن  
طريق الرقابة او التشريع. بل سوف يكفى أن نتيح الفرصة من الناحية التشريعية  
أمام الجماعات المهنية كي تظهر أنفسها من العناصر غير المرغوب فيها وتوقف  
نشاطها » .

## منظمات الحرب النفسية الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية :

عندما دخلت أمريكا الحرب فى ٧ من ديسمبر ١٩٤١ كانت مهمة نشر الدعاية  
فى الخارج يتولاها كل من مكتب تنسيق الشؤون الأمريكية الذى كان يقصر  
نشاطه على أمريكا اللاتينية ، ومكتب تنسيق الاستعلامات الذى كان يعمل فى  
باقى العالم .

وكان قد أنشئ فى ١٦ من أغسطس ١٩٤٠ مكتب تنسيق الشؤون الأمريكية  
تحت ادارة نيلسون روكفلر للاضطلاع بمهمة تنمية العلاقات الطيبة بين الشعوب  
الأمريكية . وكانت النظرة الى نواحي الاستعلامات المختلفة مثل الصحافة والاذاعة  
والسينما هى أنها جزء مكمل لبرنامج العلاقات العامة الثقافية والتجارية الذى  
كانت تقوم به متعاونة تعاوننا وثيقا مع وزارة الخارجية .

وعندما أعلنت الحرب ساءد مكتب تنسيق الشؤون الأمريكية على اقناع  
شعوب أمريكا اللاتينية بضرورة قيام تضامن فى نصف الكرة الغربى حماية  
لمصالح هذا الجزء من العالم .

## تنسيق المعلومات :

وفي ١١ من يوليو ١٩٤١ أنشئ مكتب تنسيق الاستعلامات بمقتضى أمر عسكري أصدره الرئيس روزفلت ، وأسندت اليه مهمتان : الأولى تنسيق جمع المعلومات من جميع المصادر وتحليلها بما في ذلك القوات المسلحة ، والأخيرة اذاعة المعلومات في الخارج في مناطق خارج أمريكا اللاتينية .

وكانت المهمة الثانية غير واضحة في الأمر الخاص بإنشاء المكتب ، لكن كان مفهوما عند كل من رئيس الولايات المتحدة ورئيس مكتب التنسيق جنرال وليم دونوفان انه من الضروري أن تنشأ هيئة استعلامات خارجية كجزء مكمل لمكتب تنسيق الاستعلامات . وكان الرئيس قد أصدر توجيهاته ألا تشترك هذه الهيئة في نشاط الاستعلامات المحلية .

وقام الجنرال دونوفان وكان كولونيلا في ذلك الوقت بتعيين روبرت شيروود مديرا للهيئة الاستعلامات الخارجية F I S ، ومقرها مدينة نيويورك .

كانت هذه الهيئة ذات الاستقلال الذاتي تضطلع بترويج مبادئ الديمقراطية ونشر قضية الامم المتحدة وشرح أهداف الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم فيما عدا أمريكا اللاتينية . وطبقا لتوجيهاتها كانت هيئة الاستعلامات الخارجية تشرح خططها ومشروعاتها الخاصة بسياسة الولايات المتحدة الخارجية والعسكرية بالاشتراك مع وزارات الخارجية والحرب والبحرية ، كما حاولت أن تحقق أهدافها الخاصة بعملياتها بالتعاون الوثيق مع الحكومة البريطانية .

وكانت هيئة الاستعلامات الخارجية تعمل على أساس افتراض أن الحكومة الديمقراطية لا يمكن أن تقوم بدعاية كاذبة في الخارج كذلك التي كان يقوم بها جوبلز ، وأن الأساس السليم الوحيد هو الصديق . وطبقا لهذا حاولت أن تقوم ببرنامج للدعاية تكون فيه الاخبار اليومية العنصر الاساسي .

وعندما دخلت أمريكا الحرب في ديسمبر ١٩٤١ كان مكتب تنسيق الشؤون الأمريكية وهيئة الاستعلامات الخارجية يقدمان برامج على الموجة القصيرة ، ولكن



لم تستخدم فى البرامج الموجهة الى ما وراء البحار الالغات قليلة ، فمثلا لم يوجه برنامج باللغة اليابانية على الموجة القصيرة الى الامبراطورية اليابانية الا بعد مرور ساعات من الهجوم على بيرل هاربور . وكانت محطات الارسال التابعة لهيئة الاستعلامات الخارجية مثبتة على الساحل الغربى للولايات المتحدة .

وبالرغم من استخدام الحرب النفسية على المستوى الاستراتيجى والمستوى التكتيكى فى الحرب العالمية الاولى فان الامريكيين بدأوا عمليات مشابهة فى الحرب العالمية الثانية دون الاستفادة من درس الحرب الاولى . وبالإضافة الى ذلك كان قادة القمة من الرئيس الى من هم أقل منه مشغولين فى المشكلات الاستراتيجية العامة العسكرية والسياسية من جهة ، ومن جهة أخرى لم يفهموا امكانيات الحرب النفسية فى النضال العالمى ضد النازى وضد اليابانيين . وكانت النتيجة أن التفكير فى نوع التنظيم الذى تحتاج اليه عمليات الحرب النفسية لم يكن واضحا ولا ثابتا ، وكانت النتيجة العامة أن سادت الفوضى هذا المجال فى أثناء السهور الستة التى أعقبت الهجوم على بيرل هاربور .

وقد أدى الارتباك الذى حدث بشأن كيفية تحقيق برنامج الدولة الخاص بمعلومات الحرب - فى الداخل وفى الخارج - الى تقديم عدة مقترحات عن كيفية اعادة تنظيم هذا المجهود . وكانت كل خطط اعادة التنظيم تشترك فى المظاهر المختلفة الآتية :

« لقد اعترف الجميع بأن الموقف الحالى ليس طيبا ، واقترح الجميع أن خطوط المسؤولية الادارية يجب أن تحدد بوضوح ، وطالبوا بتخطيط أفضل وبنظام لتنسيق الانتاج » .

مكتب معلومات الحرب :

وفى ١٣ من يونيو ١٩٤٢ صدر امر تنفيذى رقم ٩٦٨٢ بإنشاء مكتب معلومات الحرب . وكان هذا الامر قد صدر بناء على مقترحات وردت فى مذكرة خاصة باعادة تنظيم خدمات معلومات الحرب التى قدمها رئيس الميزانية الى رئيس الولايات

المتحدة في ٧ من مارس ١٩٤٣ • ولكن نيلسون روكفلر رئيس مكتب تنسيق الشئون الأمريكية قاوم الحاق مكتبه في هيئة خاصة بالمعلومات الخارجية • وكانت النتيجة أن ترك الأمر الخاص بإنشاء مكتب معلومات الحرب مكتب تنسيق الشئون الأمريكية خارج التنظيم الجديد •

وقد أنشئ مكتب معلومات الحرب بأن نقل اليه عدة خدمات خاصة بالمعلومات سواء الداخلية منها والخارجية • ومن بين الهيئات أو الخدمات التي ضمت الى مكتب معلومات الحرب الهيئات الآتية : مكتب الحقائق والارقام ، مكتب التقارير الحكومية ، نشاط المعلومات العامة الخاصة بمكتب ادارة الطوارئ ، هيئة المعلومات الخارجية التابعة لمكتب تنسيق المعلومات •

والواقع أن هيئة المعلومات الخارجية التابعة لمكتب تنسيق المعلومات ونشاطها هما ما يهم دارس الحرب النفسية ، فحينما ضمت الى مكتب معلومات الحرب أصبحت هيئة المعلومات الخارجية فرعاً له فيما وراء البحار • أما الفرع المحلى لمكتب معلومات الحرب فكان يتألف من الموظفين الذين نقلوا اليه من مكتب الحقائق والارقام ومكتب التقارير الحكومية ومكتب ادارة الطوارئ ، وهذا لا يهم في كثير دارس الدعاية الخارجية والمعلومات الدولية •

أما بقية مهام مكتب تنسيق المعلومات الخاصة بجمع البيانات والمعلومات عن المناطق الخارجية فقد نقلت الى هيئة جديدة « مكتب الخدمات الاستراتيجية » تحت ادارة الكولونيل دونوفان ، ثم حول مكتب الخدمات الاستراتيجية بعد ذلك الى هيئة تابعة للهيئة المشتركة لرؤساء هيئة أركان الحرب •

ولم يقسم الامر الصادر بإنشاء مكتب معلومات الحرب المسؤولية بينه وبين مكتب الخدمات الاستراتيجية فيما يخص الحرب النفسية •

وفى السنة الاولى من وجود مكتب معلومات الحرب كان نشاط المعلومات المحلية هو السائد. وقد ظل فرع ما وراء البحار يؤدي عمله حتى آخر ربيع أو صيف عام ١٩٤٣ كما ظل وحدة قائمة بذاتها • وفى المدة منذ انشاء مكتب معلومات

الحرب في يونيو ١٩٤٢ حتى ٩ مارس ١٩٤٣ كانت هناك ثلاثة عوامل ذات أثر على طبيعة التنظيم جاءت نتيجة خبرة الحرب : الاول كان نشاط ما وراء البحار الخاص بمكتب معلومات الحرب ومكتب الخدمات الاستراتيجية غير محدد . الثاني كان تنسيق العمل بين مكتب معلومات الحرب ومكتب الخدمات الاستراتيجية ومكتب تنسيق الشئون الامريكية تفرقه اختلافات . الاخير بالرغم من ان الجهود ذات الكبرى للقادة الكبار كانت خاصة بالبرامج الخطية فان مكتب الخدمات الاستراتيجية تحت القيادة الديناميكية للجنرال دونوفان كان يقوم برسم خطط بعيدة المدى خاصة بالحرب النفسية وعلاقتها بالعمليات العسكرية المقبلة . وكان لا يتقبل هذه الخطط روبرت شيرود رئيس فرع ما وراء البحار أو الل دافيز مدير مكتب معلومات الحرب .

ولقد حاولت الهيئة المشتركة لرؤساء اركان الحرب في ديسمبر ١٩٤٢ في اثناء العمليات العسكرية الامريكية في الحرب العالمية الثانية ان تفرض النزاع الذي كان قائما بين مكتب الخدمات الاستراتيجية ومكتب معلومات الحرب ، وذلك باصدار امر يخول لمكتب الخدمات الاستراتيجية السلطة التامة لخطيط الجبر نامج العسكري للحرب النفسية وتنفيذه وتنسيقه . وقد ثبت بعد ذلك ان اصدار هذا الامر لم يكن مفيدا ، فلم يتغلغل الامر ليصل الى اساس المشكلة وهو عدم وجود تنسيق .

واستمرت مناقشة الهيئات بعضها مع بعض ، وادى ذلك الى ان أصبحت كل هيئة لا تعرف ما تخططه أو تفعله الهيئات الاخرى . وثبت ان منشور الهيئة المشتركة لرؤساء اركان الحرب لم يكن فيه حل للمشكلة ، لانه لم يركز كثيرا على الفلسفة الامريكية السائدة أو المفهوم السياسي السائد ، وهو ان الدعاية - ان لم تكن الحرب النفسية كلها - يجب ان تكون اولا واهيرا مستوية المدنيين .

ونتيجة لذلك تقدم مستر دافيز رئيس مكتب معلومات الحرب ومستر روكفلر رئيس مكتب تنسيق الشئون الامريكية باحتجاج الى الرئيس ضد اغتصاب العسكريين للسلطة .

وعقب هذا الاحتجاج القلم للرئيس صدر أمر تنفيذى رقم ٩٣١٢ بتاريخ ٩ من مارس ١٩٤٣ حدد بوضوح مسئولية مكتب معلومات الحرب في قيادات ما وراء البحار . وجاء في الامر الجديد أن مكتب معلومات الحرب هو الهيئة المسؤولة عن عمليات المعلومات والدعاية السافرة في الخارج .

ولكن لم يوضح الامر تماما مهام الحرب النفسية التي يحتفظ بها مكتب الخدمات الاستراتيجية ، فمثلا لم يذكر الامر ما اذا كان مكتب معلومات الحرب او مكتب الخدمات الاستراتيجية له سلطة على نشاط الثوار او في حملات الدعاية المستترة . ولم يقل الامر كثيرا نحو حل المشكلات الخاصة بتنسيق العمل بين الهيئات المنفصلة . ومع ذلك فقد كان تقدم الحرب هو الذى عمل على حل أو تخفيف حدة هذه المنازعات بين الهيئات .

#### حيات الحرب النفسية داخل المنشآت العسكرية :

وفي اوقات مختلفة في أثناء سير الحرب كانت الهيئات العسكرية في واشنطن تظهر اهتماما عاديا بهميات الحرب النفسية . فانشأت وزارة البحرية بصمة سريّة فرع الحرب الخاص داخل نطاق مكتب المخابرات البحرية لتخطيط العمليات الخاصة بمنطقة الحرب النفسية والياديين المتصلة بها . وكان كابتن زاخارياس احد الشخصيات الحركة لهذه الهيئة . فبالإضافة الى النداءات التي وجهها زاخارياس لليابان عام ١٩٤٥ فان من أهم الاعمال المتصلة بالحرب النفسية التي قام بها موظفو البحرية كانت النداءات التي وجهت الى غواصات النازى .

أما في وزارة الحرب فلم يكن تأييد الحرب النفسية بنفس قوة وزارة البحرية . وقد تألفت جماعة الدراسات الخاصة قبل نشوب الحرب فعلا ، ولكن كانت هذه الجماعة جماعة استرايجية على مستوى عال أكثر منها هيئة تخطيط للحرب النفسية . وفي أثناء عمرها القصير نسبيا اتفقي نشاطها انشاء حلقة اتصال مع مكتب معلومات الحرب ومكتب تنسيق الشئون الامريكى لتزويده

هذين الكتين بالمعلومات العسكرية التي تساعد على اظهار الولايات المتحدة في ضوء افضل للعالم . ومن بين اعمالها الكبرى انشاء لجنة الحرب النفسية المشتركة داخل الهيئة المشتركة لرؤساء اركان الحرب .

ولجنة الحرب النفسية المشتركة عبارة عن هيئة عسكرية وتتكون عضويتها من موظفين عسكريين ، وقد حددت مهامها على النحو التالي :

« تبدأ وتشكل خطط الحرب النفسية ، وتقوم بتوجيه من اللجنة المشتركة لرؤساء اركان الحرب بتنسيق الحرب النفسية الخاصة بهيئات الولايات المتحدة الحكومية والتعاون مع الامم المتحدة لتحقيق الهداف الذي يتفق مع استراتيجيات الحرب النفسية » .

لقد كان هذا عملا فيه طموح بالنسبة لجهازة عسكرية نظرا للبرامج العدائية التي كانت تمولها الهيئات المدنية والتي كانت تنال تأييد البيت الابيض وطبيعي أن لجنة الحرب النفسية المشتركة لم تقم بعمل كبير . وبعد انشاء مكتب معلومات الحرب رفض هذا المكتب أن يتعاون مع لجنة الحرب النفسية المشتركة . وأعادت الهيئة المشتركة لرؤساء اركان الحرب تنظيم لجنة الحرب النفسية المشتركة التي كانت مشغولة جدا بحل كثير من المشكلات الادارية الخاصة بكتب الخدمات الاستراتيجية . وفي أواخر عام ١٩٤٢ توقف نشاط لجنة الحرب النفسية المشتركة وعطلت نهائيا بواسطة الهيئة المشتركة لرؤساء اركان الحرب . وبعد هذه الحركه لم تحاول أى لجنة من جان الهيئة المشتركة لرؤساء اركان الحرب أن تارس أى مسئولية دائمة لها صلة بعمليات الحرب النفسية .

منظمات الحرب النفسية في القيادات العسكرية فيما وراء البحار :

كان الامر رقم ٩٣١٢ بتاريخ ٩ من مارس ١٩٤٣ الذي أعاد تحديد مهام كل من مكتب معلومات الحرب ومكتب الخدمات الاستراتيجية مسئولا الى حد كبير

عن طبيعة منظمات الحرب النفسية التي أنشئت في أثناء الحرب في القيادات الموجودة فيما وراء البحار . كان هذا الجزء من الامر الذى نص على ضرورة الحصول على موافقة قائد الميدان معمولاً به بدقة ، وكان ذا تأثير كبير على مدى العمليات التي كانت تتم وعلى نوعها .

كان تنظيم عمليات الحرب النفسية في كل مكان يتم على أساس ارتجالى . لم يكن هناك تبادل كبير للمعلومات بين القيادة العسكرية الكبرى والقيادات الأخرى . ولهذا لا يمكن لانسان أن يصف بجرة قلم واحدة خصائص التنظيم الذى كان موجودا فى الجيش لسير عمليات الحرب النفسية فى الميدان . كانت هناك اختلافات هامة فى التركيب أو التشكيل بين كل قيادة والقيادة الأخرى .

وكانت المنطقة التي بدأت فيها الولايات المتحدة القيام بمجهود عسكري فى الحرب النفسية فى الحرب العالمية الثانية هى شمال أفريقيا . لقد كانت طبيعة العملية « انجليزية أمريكية » وشخصية القائد « جنرال أيزنهاور » هى التي حددت لون التنظيم الذى كان ينفذ هذه الحملات فى القارة فى المدة من ١٩٤٣ حتى ١٩٤٥ ، وكان مفهوم جنرال أيزنهاور الخاص بالتنظيم العسكري يتطلب انشاء هيئة موظفين عسكريين لتخطيط عمليات الحرب النفسية والاشراف عليها . وكانت هذه العملية قسمة مشتركة بين الامريكيين والبريطانيين .

وكان مفهوم التنظيم طبقا لقيادة الجنرال أيزنهاور أن يحقق التضامن بين المواهب الامريكية والبريطانية ، كما يهدف التنظيم الى استخدام الموظفين الذين يشغلون وظائف ذات مسئولية كبرى ، على حسب قدراتهم الفردية بغض النظر عما اذا كانوا ينتمون الى هيئات عسكرية أو يتبعون هيئة مدنية . وكانت نتيجة ذلك فى قيادات جنرال أيزنهاور فى شمال أفريقيا ١٩٤٣ ، وفى قيادة شمال غربى أوروبا ١٩٤٤ - ١٩٤٥ أن اسند أكبر منصب فى الحرب النفسية الى قائد أمريكى .

قسم الحرب النفسية « القيادة العليا لقوات الحلفاء » :

ولقد أسندت مهمة تخطيط واستخدام الحرب النفسية والتنفيذ الفعلي للعمليات في منطقة قارة أوروبا الى قسم الحرب النفسية التابع للقيادة العليا لقوات الحلفاء . وكان هذا القسم جزءا خاصا من أجزاء القيادة العليا لقوات الحلفاء . وعلى خلاف أقسام القيادة الأخرى كان هذا القسم يسند اليه مهمتا تخطيط الأفراد والعمليات .

وكانت مهام قسم الحرب النفسية هي :

- ♦ شن الحرب النفسية ضد العدو .
  - ♦ استخدام كل الأجهزة الممكنة الخاصة بالحرب النفسية وحفظ الروح المعنوية للدول الصديقة التي كان يحتلها العدو واقناع شعوب البلاد بالانصياع لرغبات القائد الأعلى .
  - ♦ القيام بعمل دعاية متصامنة في البلاد الصديقة المتحررة .
  - ♦ السيطرة على خدمات المعلومات في الجزء الذي يحتله الحلفاء من ألمانيا .
- وكان يساعد رئيس قسم الحرب النفسية أربعة نواب وقد أسند اليهم الاشراف على الفروع الآتية :

- ♦ الخطط والمنشورات .
- ♦ المخابرات .
- ♦ الاذاعة .
- ♦ النشرات .
- ♦ الصحافة .
- ♦ الأفلام .
- ♦ المطبوعات .
- ♦ العمليات الخاصة .

وفي الأقسام المستقلة والأقسام الفرعية لقسم الحرب النفسية كان يتولى بعضها بريطانيون والبعض الآخر أمريكيون . وعندما كانت الرئاسة في يد بريطاني كان نائب الرئيس الأقدم أمريكا والعكس بالعكس . وكان هذا الاجراء يدفع المجموعة الى أن تفكر وتخطط وتعمل معا كفريق واحد أكثر من العمل كممثلين للهيئات المدنية أو الهيئات العسكرية لهذه الدولة أو تلك .

## التنظيم السوفييتي للحرب النفسية :

انتشرت في المحافل الغربية أسطورة تقول : أن الشيوعيين قد اكتشفوا قوة غامضة للكلمات ، ولكن هذه الفكرة تعتبر الى حد كبير غير دقيقة ، بل تعتبر فكرة خاطئة مضللة .

والواقع أنه لم يعد هناك غموض ولا ابهام في العمليات النفسية عند السوفييت ، فقد توافر الآن الكثير من المعلومات التي أزال الغطاء عن النظرية السوفييتية . فهناك كتابات لنين ( ١ - ٣ ) وستالين ( ٤ - ٥ ) ، وكذا اجراءات ومناقشات مجلس السوفييت الاعلى وغيره من الهيئات التي تناقش في اجتماعاتها هذه العمليات ، كما تتوافر أيضا على سبيل المثال الكتيبات المعدة لتعليم الدعاة ، والكتب الدراسية لمدارس تعليم الشيوعية ، والدوريات والنشرات التي تستخدم لنشر الدعاية وتقديم المعلومات للدعاة الذين يقومون بهذه الدعاية ، وغير ذلك من المراجع التي يمكن الاعتماد عليها .

على أن هذا ليس كل شيء فهناك دراسات كثيرة عن الدعاية السوفيتية ، كما أن هناك حصيلة تزايدت عن المعلومات المستقاة من أولئك الذين يفرون من

---

Vladimir I. L., A Training Pamphlet , 1920.

(١)

, , , , Selected Works International Publishers Co, New York, 1939.

(٢)

, , , , Collected Works, International Publishers, New York, 1927, 1 : 226.

(٣)

Joseph Stalin, Problems of Leninism, Foreign Publishing House, Moscow, 1940, P. 211.

(٤)

Joseph Stalin, Works State Publishing House, Moscow, 1946 - 1952.

(٥)



الجانب السوفييتي « المرتدين » Defectors وغير هذا من المصادر من داخل  
الفلك السوفييتي نفسه . ولذا فمن الصعب - في ضوء معلومات كهذه - أن يكون  
من الصحيح أو الدقيق أن نقول عن النظرية السوفييتية للعمليات النفسية : أنها  
مبهمة غامضة .

على أنه من جهة أخرى من المضلل أن نفكر في هذه العمليات السوفييتية  
على أساس الكلمات فالكلمة لا تقف وحدها في التخطيط السوفييتي ، ومن البداية  
قيل للشيوعيين بوساطة قادتهم : أن الكلمات ليست كافية وانها يجب  
أن تندمج في الأفعال ، وأن تنغمر هي والأفعال معا في « التنظيم » ، والحقيقة  
الواضحة على ما يقول هارولد لاسويل Harold Lasswell (١) وكما أشار  
غيره : ان الشيوعيين لا يخوضون المعركة اطلاقا من أجل السيطرة على عقول  
الرجال عامة اللهم الا فيما هو ضروري لكسب عدد معين من عقول الرجال  
بقصد اكتساب المصادر المادية لقوة يظن ان عقول الجماهير تتأثر بها وتعمل  
بوحيا . . أى بمعنى آخر أن المعركة تهدف الى اكتساب عقول الزعماء والقادة .

ولهذا فاننا عندما نحاول أن نصف العمليات السيكولوجية السوفييتية  
فاننا لا نكون في الواقع متحدثين عن « سلاح الكلمات » بقدر ما نكون متحدثين  
عن « سلاح خاص بالتنظيم » Organizational على ما يطلق عليه سلزنيك (٢) .

واذا كان السوفييت قد اكتشفوا أى شيء جديد فليس هو « قوة الكلمة »  
بل قوة الحزب المنظم والمكرس للقتال .

---

(١) Harold D; Lasswell, « The Strategy of Soviet Propaganda » Proceedings of the  
Political Science 1931 24: 66 76.

وقد أعيد نشرها في كتاب :

The Process and Effects of Mass Communications University of Illinois Press,  
1934 PP. 537 - 547.

(٢) Philip Cleznisk, The Organizational Weapon Study of Bolshevik Strategy and  
Tactics McGraw - Hill Cy, New York 1932.

والحق أن هناك فكرة مجردة عن « حزب يعمل كله » مع استخدام الكلمات والأفعال في تجمعات وطوابع تبعا للحاجة في السلم أو في الحرب لمناصرة وتعضيد أهداف الحزب .

ولهذا فإن الطريق الى تفهم الحرب النفسية عن السوفييت انما يجىء عن طريق تفهم هذا الحزب المقاتل . تفهم معتقداته وأهدافه ووجهات نظر الحزب على النطاق العالمى وتنظيمه ثم تفهم عقيدته التكتيكية ، وهذه كلها تتحكم في التنظيم السوفييتى للحرب النفسية .

### نواة التنظيم :

والخطوة الأولى فى الطابع الشيوعى هى بناء نواة تنظيم مقاتل منظم عنيف صلب ، ونجد هذا موضعا بعناية فى وثائق الحزب ، وقد جاءت هذه السطور فى احدى دراسات المؤتمر الدولى الثانى لسنة ١٩٢٠ :

« يجب أن يكون الهدف الأساسى فى العمل مجموعا بوساطة الحزب الشيوعى أو بوساطة الافراد الشيوعيين ، هو ايجاد النواة الشيوعية فى كل مكان يمكن أن تتوافر فيه بروليتاريا أو شبه بروليتاريا حتى ولو بأعداد قليلة » .

والمشكلة فى هذه المرحلة هى الحصول على أنصار ومشايين لتحويلهم من مجرد « مشايين يناصرون بالموافقة ما يقال لهم الى عقائدين يمكن مطالبتهم بالموافقة التامة على كل ما يلقي عليهم » ، ولهذا فإن الدعاية الموجهة لهذا الغرض يجب أن تشتمل على محتوى عقائدى عالى الدرجة ، كما يجب الاعتماد تماما على مدارس التوعية فى الحزب .

ولقد أدت التوجيهات الماركسية بالبولشفيك الى أن يركزوا جهدهم على الطبقة العاملة ، ويقول لينين فى كتيبه الصادر سنة ١٩٢٠ :

« يجب أن نكون قادرين على أن نصمد ازاء هذا كله وأن نتحمل أى تضحية بل نلجأ - لو قضت الضرورة - الى القيام بأى خدعة أو حيلة أو أى عمل غير

قانوني مهما كانت صورته ، والى أى مراوغات وحيل كى ننفذ الى داخل اتحادات العمال وأن نبقى داخلها ثم نتابع القيام بعملنا الشيوعى داخل هذه الاتحادات بأى ثمن » .

والواقع أن ذكره لاتحادات العمال بدلا من جماهير الطبقة العاملة يوضح نية البولشفيك فى تعبئة التنظيم القائم الموجود ، وقد جاء فى المؤتمر الدولى الثانى : « ولا يخشى الشيوعيون منظمات العمال الكبيرة التى لا تتبع أى حزب حتى ولو كانت رجعية الطابع ، فان الحزب الشيوعى يتابع عمله داخل مثل هذه المنظمات ويقوم بتعليم العمال دون كلل أو ملل » .

وعندما حولت المنظمات الشيوعية انتباهها من حافات أوروبا الى آسيا والبلاد الأقل اتجاها للصناعة بدأ الجهد الذى يبذل فى التنظيم يتحول نحو جماعات أخرى مثل العمال الزراعيين ، وفى الصين مثلا كان مركز الثقل للحركة الشيوعية فى المزارع لا فى المصانع ، ولكن كانت هذه تمثل المصادر المتوافرة للتوتر الذى تثيره الجماهير ، وتمثل القوة الخفية الكامنة ، ومن ثم فانه كالعادة كانت المناورة الأولى بناء القوة داخل الجماعات الاحتياطية القائمة وغير الراضية عن حالها .

وفور أن ينفذ أعضاء الحزب الى مراكز أعصاب المجتمع فانهم يبدأون المناورة بموافقة الحكومة نفسها ، وهم فى هذه المرحلة يكونون أقوى بالقدر الذى يمكنهم من العمل كأحزاب وكاتحادات .. الخ ، كما أنهم يستطيعون عقد تحالفات مع جماعات أخرى ذات قوة .

يقول ستالين عن هذا :

« ان أولئك الذين لا يثقون بأنفسهم هم وحدهم الذين يخافون أن يقوموا بتحالفات موقوتة مع الناس الذين لا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم » .

ولكن ستالين والزعماء الآخرين حذروا الحزب من الاستخدام السيئ لأى تحالف ، دون أن يغض النظر لحظة واحدة عن حقيقة أن هذا الحليف الموقوت هو عدو المستقبل .

فان الحزب اذا ما دخل في علاقات غير العداء العلنى مع اى جماعة خارجية أخرى فانه يجب أن « يستخدم الحزب هذه الجماعة » والا « استخدمته هى » ، ولا يجوز بحال ما الاعتماد على معونة اى جماعة خارجية الا فى حالة التحالف الموقوت ، وتعتبر هذه التحالفات علاقات عابرة زائلة يمكن الدخول فيها بحرص وحذر ، واستخدامها كخطوات للوصول الى قوة أعظم .

## الكلمات والأفعال :

ولقد عرف ستالين الزعامة السياسية بأنها :

« القدرة على اقناع الجماهير بصواب سياسة الحزب » ، وقد قال أيضا : « لو أن دعاية حزب صارت بسبب ما عرجاء ركيكة فلا معدى من أن يضعف عمل حزبنا ودولتنا » .

وقال لينين : « ان للدعاية أهمية قصوى للانتصار النهائي للحزب » .

ولكنه اضاف فى فرصة أخرى « لقد حققت ديكتاتورية البروليتاريا نجاحا بسبب انها عرفت كيف تقرر الاكراه والالزام بالاستمالة والاقناع » فان الكلمات لم تكن كافية .

ولقد اشار الزعماء دون تغيير وتباين فى المعانى وان تباينت أو اختلفت فى الألفاظ الى أن ملايين الدعاة لا يستطيعون وحدهم أن يحققوا نصرا ، فقال لينين (١) « لما كانت المسألة - ولا تزال حتى الآن - مسألة اكتساب طليعة البروليتاريا الى الشيوعية فان الدعاية - الى هذا الحد - تحتل مكان الصدارة ، وتعتبر دوائر الدعاية حتى مع كل ما فيها من نقص ذات نفع تحت هذه الظروف وتجيء بنتائج لها ثمارها ، ولكن عندما تكون المسألة مسألة الدور العمل للجماهير أو دور التنسيق والتسيق والتدبير او كانت لتشكيل قوى الطبقات فى مجتمع معين للمعركة

(١) سترنيك فى كتابه « السلاح التنظيمى » ص ٩ .

النهائية الحاسمة ، فإن الدعاية والتي هي مجرد تكرار لحقائق الشيوعية الخالصة لا تكون ذات نفع ، وتكون وظيفة الدعاية اذ ذاك حث الطليعة واجتذابها ، ولكن واجب مناورة الجماهير في المعركة ضد الراسماليين ليس هو بالامر الذى يمكن ان يتولاه رجل الدعاية وحده » .

ولقد قال لينين « يجب ان تكون كل خلية او كل لجنة من افراد الحزب بمثابة قاعدة تعضد اعمال الاثارة والدعاية والتنظيم بين الجماهير ، اى يجب ان يذهب افراد الخلايا واللجان الى حيث تكون الجماهير ، ويجب ان يوجهوا وعيهم في كل خطوة نحو الشيوعية ، ويجب ان يربطوا بين كل مسألة خاصة وبين واجبات البروليتاريا ، ويجب ان يستخدموا كل محاولة لزيادة تدعيم قضية الطبقة - يقصد قضية طبقة البروليتاريا - وان يستطيعوا بنشاطهم وبتأثيرهم المعنوى ان يحصلوا على الزعامة والقيادة في كل منظمة قانونية للبروليتاريا » .

ولقد كان بلخانوف Plekhanov (١) هو الذى وضع التوضيح الشهير الذى يفرق بين « الدعاية » وبين « الاثارة » فقال :

« ان رجل الدعاية يقدم آراء كثيرة لفرد واحد او لعدد قليل من الافراد ، ولكن المثير الذى يقوم باشغال الفتن يعرض رأيا واحدا او آراء قليلة لجمع غير من الناس (٢) » .

كما قال لينين في تعليقه على هذه التفرقة وصورة التباين بين « الدعاية » وبين « الاثارة » على ما يذكره بلخانوف :

« يشبث المثير انتباهه على ظلم أو جور ثابت معين يوجده أو يولده التضارب أو التناقض المتوارث فى الراسمالية ، ثم يعمل تبعا لهذا على اثارة عدم رضا

---

J. Peters, The Communistparty, A Manual on Organization, Workers Library, (١)  
New York, 1935, P. 202.

G. Plekhanov, Sochineniya (Works), Gosudarstvennoe Izdatel, Sivo, Moscow, 1927. (٢)

الجمهير وسخطها ضد هذا الظلم الصارخ تاركا لرجل الدعاية مسؤولية اعطاء توضيح كامل للتناقضات ، وهذا هو السبب في أن رجل الدعاية يعمل عن طريق الكلمة المكتوبة على حين يعمل الكثير على أساس الكلمة الشفوية » .

ولهذا ففي التفكير الشيوعي لا يوجد حد فاصل بين رجل الدعاية وبين المثير ، فكلاهما تتطلبه الحاجة في الحزب المقاتل ، وتكيف كلمات كل منهما وأعماله ضمن ألوان النشاط التنظيمية المختلفة للحزب .

### التنظيم للقتال :

وليس من الضروري أن نذكر هنا الكيان الكامل للحزب ، ولكن قد يكون من المرغوب فيه أن نوضح العلاقة بين « الدعاية » و « الاثارة » وبين الكيان الكامل للحزب .

ان أبرز النقاط التي يجب توضيحها هي أن السيطرة على نشاط الدعاية والاثارة انما يتم في أعلى مراتب ودرجات رياسة الحزب ، وإدارة الدعاية Agtiprop (١) واحدة من الإدارات السبع في اللجنة المركزية للحزب ، ولكنها لا ترسم السياسات الأساسية للدعاية فان هذا حق اللجنة المركزية نفسها ، ولا تتولى هذه الإدارة أيضا إدارة برنامج الدعاية والاثارة وما إلى هذا من نشاط مماثل ، فان مسؤولية العمليات الجارية في البرنامج تتولاها الوكالات الحكومية المعنية ، ولكن هذه الإدارة في الواقع تجمع وتحلل المعلومات التي يمكن على أساسها أن تقرر اللجنة المركزية كل ما يختص بالسياسات النفسية Psychological Politics وبعد ذلك تقوم اللجنة بتفسير هذه القرارات وتقسيمها ، ثم عن طريق فروعها وعن طريق وحدات الحزب المماثلة في المناطق والنواحي ، تطمئن الإدارة المركزية إلى أن كل الآلة تسير بانتظام دون أي معوق .

---

(١) Agtiprop اختزال الاسم قسم الدعاية والاثارة Propaganda and Agitation Section

في اللجنة المركزية للحزب .

وقد يمكن تصوير مدى أو مجال هذا اللون من نشاط الحزب بأن نوضح  
الاقسام والفروع التى فى الادارة المركزية للدعاية والاثارة (١) :

- ♦ قسم أو قطاع يتولى تعليم أعضاء الحزب كما يتولى تعليم المثقفين من غير أعضاء الحزب Non-Party Intelligentsia العقيدة الشيوعية .
- ♦ قسم لأعمال الاثارة يعتبر مسئولاً عن التعليم السياسى للجماهير وعن تعبئة كل أفراد الشعب للقيام بما يريده الحزب .
- ♦ قسم مركزى للصحافة يشرف على صحف موسكو التى توزع فى كل انحاء الاتحاد السوفيتى ، ويجمع كل رؤساء التحرير ليصدر لهم التوجيهات ولنقد كل ما ينشر فى الصحف .
- ♦ قسم محلى للصحافة من واجبه اصدار التوجيهات Directives للسلطة الآلاف جريدة المحلية التى تصدر فى الاتحاد السوفيتى . ويعقد مؤتمرات اقليمية لرؤساء التحرير فى كل اقليم ويفحص بين حين وآخر ما ينشر فى هذه الصحف .
- ♦ مع ان الاذاعة والسينما تتولاها ادارات حكومية مختصة فثمة قسمان للاذاعة وللسينما لمراقبة النشاط فى هذين المجالين وتوجيهه .
- ♦ قسم يعنى بما ينشر من دراسات أدبية اذ يقول لنين : « يجب أن تتمشى الآداب مع اتجاهات الحزب » .
- ♦ قسم للإشراف على الشؤون الفنية : الموسيقى ، المسرح ، الرسم ونحو هذا .
- ♦ قسم علمى يشرف على التثقيف العلمى وعلى استخدام العلماء .
- ♦ قسم مدرسى لشرح سياسات الكرملين وجمع المعلومات عن الموضوعات والمشكلات التى تتطلب توجيهات جديدة .

---

(١) Louis Nemzer, The Kremlin's Professional Staff : The Apparatus of The Central Committee, Communist Party of The Soviet Union, A. P. Review 44 : 46-53, 1953.

♦ وأخيرا قسم ثقافى للتوعية لتوجيه نشاط المنتديات واتحاد العمال  
وغرف المطالعة العامة والمراكز الثقافية الأخرى فى كل جمهوريات  
الاتحاد السوفيتى .

هذا التنظيم هو ما يطلق عليه دوميناش Domenach اسم « البرنامج  
الشامل » (١) فى المقال الذى كتبه عن « دعاية لينين » ذلك لأن كل حياة المواطن  
تكون غرضا لهذا البرنامج ، فالمدارس ابتداء من المرحلة الابتدائية تكرر على أذان  
الطفل سياسة الحزب وتعاليمه ومخططه ، والصحف على ما قال لينين لا تكون  
وسيلة للدعاية الجماعية ولا تكون عاملا للآثارة الجماعية فحسب بل تقوم أيضا  
بدور التنظيم الجماعى . والعلم والموسيقى ، والفن ، والسينما والآداب يجب أن  
تعبر كلها على ما قال زدانوف عن رغبة الحزب وإرادته ، وفى كل مكان نجد  
« المراقبين » Observers و « المثيرون » Agitators وهؤلاء على ما يقول  
ديمتروف : « يجب أن يعارضوا دون مسالة أو هوادة أى انحراف عن الاتجاه  
البولشفى » .

هذا عن العمليات الشيوعية السيكولوجية داخل الفلك السوفيتى حيث  
توجه الدول الشيوعية ٩٠٪ من جهدها الخاص بالدعاية . أما خارج حدودها  
فالمصورة تختلف وإن كان هذا الاختلاف هو فقط فى الدرجة والتوقيت ، فالحزب  
المقاتل يعمل فى كل مكان ، ويستخدم نفس الاسلحة التنظيمية ويستجيب  
لنفس السيطرة الصلبة الجامدة .

### أثر التنظيم فى الحرب النفسية :

الواقع أن روسيا السوفيتية هى أول دولة فى العالم استطاعت أن تخلق  
تنظيما شاملا لدعاة وإداريين ومنظمين يعملون كل الوقت لخدمة الحزب كما أنها  
أول دولة فى العالم استطاعت أن تكرم وتكافئ هذه المجموعة الكبيرة من الناس  
الذين يعملون من أجل الحزب .

(١) Jean - Marie Domenach, «Leninist Propaganda» Public Opinion Quarterly, 15: 272, 1951.



وبالإضافة لذلك فإنه يساند هذا البيان عون آخر للحرب النفسية ،  
ذلك هو الحجم الكبير والتباين الواسع لموارد القتال المتوافرة • فالحزب يشمل  
عددا كبيرا جدا من الاعضاء ، اذ يصل عدد أعضاء الحزب الشيوعى السوفيتى  
الى ستة ملايين عضو ، وقد لا نكون مغالين اذا قلنا ان كل عضو من هؤلاء  
الاعضاء - الى حد ما - داعية مدرب •

كما ان كل وسائل الاتصال فى العالم الشيوعى توجه لخدمة الحزب ، وكذلك  
فان الجهاز كله حتى فى اوقات الفراغ يعتبر دائما فى خدمة الحزب ، ويقوم الحزب  
فى كل مكان من العالم باداء واجباته مستخدما أى وسيلة وافق عليها الحزب  
وارتضاها وأقرها ، ولا شك ان هذا كله يشكل قوة مقاومة صلبة عنيفة  
لا مثيل لها •

ولقد أعد الحزب البرامج بحيث تمس المواطن فى كل مرحلة من مراحل  
حياته ، فهو يسيطر على الاغاني التى يشدها والالعاب التى يمارسها وهو فى  
المرحلة الأولى من دراسته ، ثم يسيطر على المسرحيات التى يشاهدها وعلى الكتب  
والدوريات التى يطلعها والموسيقى التى يسمعها فى شيخوخته ، كما ان البرنامج  
هو الذى يحدد أنواع المنظمات التى يسهم فيها •

وبالإضافة الى هذا البرنامج الشامل توجد أسلحة الخث والاقناع والاصلاح  
والتهذيب ، فهناك التعليمات والاوامر ، وكذا الدعاية وقوميسرية الشؤون  
الداخلية (١) NKVD •

على اننا نود ان نشير هنا الى ما سبق أن ذكرناه وهو عدم فصل السوفييت  
بين « الكلمة » و « الاجراء » فى عمليات الحرب النفسية ، ولذا فانهم لا يواجهون  
الا اقل المتاعب فى تكييف عمليات الحرب النفسية •

---

(١) NKVD هى Narodni Komissariat Vnutrennikh Del أى قوميسرية الشعب للشئون

الداخلية •

## مؤهلات الأفراد

يلعب العامل البشرى دورا كبيرا فى عمليات الحرب النفسية التى يجب أن نعترف بأنها ليست نشاطا عاديا متجانسا ، ولهذا لا يمكن أن نحدد فى كلمات قليلة المؤهلات التى يجب أن تتوافر فيمن يعمل فى هذا النوع من النشاط .

وبالرغم من أننا قد نوافق على أن أعمال الدعاية تحتاج الى نوع فطرى من الذكاء ، فإن كثيرا من المعلومات التى يحتاج اليها الشخص يمكن أن تكتسب . وفضلا عن ذلك فإننا فى حاجة الى مجموعة من المعايير نستطيع بواسطتها أن نميز الكفاءات والمهارات فى ميدان الدعاية ، وبمعنى آخر ما العوامل المهيئة لفرص النجاح التى يمكن أن نلمسها عند اختيار من سيعملون فى ميدان الحرب النفسية ؟

لقد كتب بالتفصيل عن مؤهلات العاملين فى الحرب النفسية سير روبرت بروس لوكهارت ، وهو من أقدر من عملوا من البريطانيين فى مجال الدعاية فى ربع القرن الماضى . وقد استقى كلامه من خبرته فى العمل فى ادارة المخابرات السياسية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية ومن عمله كمدير عام للادارة التنفيذية للحرب السياسية ، وذلك خلال الحرب العالمية الثانية .

ويقول لوكهارت فى هذا الصدد (١) :

« لا يمكننى أن أقول أن الادارة التنفيذية للحرب السياسية كانت عبارة عن فريق سهل . لذا يجب على كل عامل فى ميدان الدعاية أن تكون له صفات

(١) Lockhart Robert H. Bruce, Political Warfare, Journal of The Royal United Services Institution 93, 1950.

« البريمادونة » أى الممثلة الاولى - كما قال ذلك أرنست تولر - يجب أن يولد بعين واحدة . كانت الادارة تتكون من موظفين مؤقتين يتصفون بروح الجماعة ولكن كانت تعوزهم معرفة الاجراءات الرسمية . لم يكن ينقصهم العقل وبخاصة فى التنظيم الذى كان موجودا فى ووبرن حيث جمع ركس ليبير مجموعة متنوعة من المواهب ودربها ، وهى التى أعطت الشكل لسياسة الدعاية التى اتبعت فيما بعد .

« كان تشكيل الادارة التنفيذية للحرب السياسية متنوعا تنوعا غير عادى . كانت تضم حفنة من العسكريين المحترفين ومن الموظفين المدنيين ، أما البقية فكانوا من جهات شتى مثل الصحفيين ورجال الاعمال وخبراء الاعلانات والمدرسين والمؤلفين ورجال الادب والفلاحين والقضاة ورجال البورصة وعلماء النفس وعمداء الجامعات . وانى لا اعتقد أن مهنة معينة لها ميزة خاصة عند التدريب . فرجل الدعاية يولد ولا يصنع . ومما لا شك فيه أن الصحفيين كانوا أفضل من غيرهم فى ميدان الدعاية . كانوا يكتبون أحسن النشرات . كانوا أكثر الناس فهما لقيمة الكلمة الشفهية والكلمة المكتوبة . وفى ادارة كانت تتطلب دائما السرعة الفائقة كان الصحفيون وحدهم هم الذين لديهم الشعور بضرورة السرعة . ولما كانوا قد اعتادوا على العمل السريع الزوال فانهم يتفوقون فى مجال السياسة ، وكانوا يشعرون أحيانا بخيبة الأمل عندما يواجهون ضرورة العمل الدائم . وكان المدرسون ممتازين ، وكان العمداء يتمتعون بعقول ممتازة ولكنهم كانوا يميلون الى عدم تقبل النقد . وباستثناء حالة واحدة كان خبراء الدعاية سلبا فى خيبة الأمل . ولى رأى صريح فى رجال علم النفس . كنا نستخدم ثلاثة منهم ، واحدهم على الأقل قام باداء عمل مفيد فى القسم الالمانى . وللتحليل النفسى دور اكيد فى الحرب السياسية ولكن لم يجر اختبار له فى الحرب حتى نستطيع استخلاص نتائج محددة . ومن وجهة نظرى الشخصية الخاصة بالدعاية أقول أن دورهما من الخبرة الخاصة عن بلد من البلاد أفضل من طن من المعلومات النظرية . ولا تنطبق هذه النظرية على علماء النفس فحسب ولكنها تنطبق أيضا على كل رجال الدعاية الذين استخدمناهم » .

ووصف لاينبارجر طبيعة العمل الجماعى فى ميدان الحرب النفسية بالنسبة  
للتخطيط والعمليات ، بقوله (١) :

« تتطلب الحرب النفسية المؤثرة أن يجمع الفرد الواحد أربع مهارات :

١ - معرفة عملية بتنظيم الحكومة وسياستها حتى يستطيع أن يفسر  
أغراض الحكومة وخططها تفسيراً سليماً .

٢ - معرفة جيدة بالإجراءات العسكرية والبحرية والعمليات الحربية مع  
فهم كاف لقانون الحرب - البحرية منها وغير البحرية - وذلك حتى  
يكيف التصريحات الخاصة بالدعاية مع المواقف ومع عمليات الدعاية  
العملية .

٣ - معرفة مهنية بوسائل الإعلام أو على الأقل بإحداها « نشر الكتب  
والمجلات والصحف ، والاذاعة ، الإعلان بفروعه المختلفة » أو بمجال  
متصل بذلك اتصالاً وثيقاً كتسقط الأخبار السياسية ، والتعليم  
البصرى .

٤ - فهم وثيق على المستوى المهنى لمنطقة معينة مبنية على معرفة شخصية  
ومعلومات عن اللغة والتقاليد والتاريخ والسياسة العملية والعادات .

وفوق هذا فهناك مهارة خامسة تجعل من الشخص عاملاً كاملاً فى  
هذا الميدان .

٥ - فهم لعلم النفس وعلم الاجناس وعلم الاجتماع والتاريخ والعلوم  
السياسية « .

---

(١) Linebarger, Paul M. A., Psychological Warfare, 2d ed, Combat Forces Press, Washington, D. C., 1954, PP. 99-103.

ويعلق لاينبارجر على ذلك ببحث قائلا :

« ان الرجل الذى يتقدم ليقول أنه تتوافر فيه كل هذه المؤهلات الخمسة  
اما أن يكون منافقا واما عبقريا واما كليهما » .

ثم يعود فيقول :

« ... وليس هناك محارب نفسى كامل . ومع ذلك فكل فريق من فرق  
الحرب النفسية يمثل كل هذه المهارات مجتمعة . قد تتوافر اثنتان أو ثلاث منها  
فى بعض الاعضاء وقد لا تتوافر واحدة منها فى الاعضاء الآخرين . ولكن كل  
العاملين فيما عدا العاملين فى أعمال معينة يمزجون كل هذه المؤهلات بعضها  
ببعض .

« ويجب على رجل الاعلان أو الصحفى الذى يقصد الحرب النفسية أن يتعلم  
شيئا عن الجماعات المعادية أو المحايدة أو الصديقة التى يخاطبها ، ويتعلم شيئا  
عن اجراءات حكومة الولايات المتحدة المدنية ، ويتعلم تنظيم الجيش والبحرية  
وعملياتهما ، ويتعلم شيئا عن علم النفس أو علم الاجتماع أو علم الاقتصاد حسب  
موضوع عمله » .

ويرفض دانيال ليرنر وجهة النظر التى تقول أن رجل الدعاية موهوب  
لا مصنوع ، بل يؤمن بالراى القائل بإمكان خلق المهارات فيه :

« ... ويمكننا أن نبدأ من وجهة النظر التى تقول أن الذكاء هو عنصر  
لا غنى عنه ، ولما كان هذا المؤهل ضروريا فى كل العمليات الفكرية فانه لا يبين  
لنا الخصائص المميزة لرجل الدعاية » .

« ... ويؤكد مستر كروسمان عاملين : القدرة على فرض النفس على تفكير  
المستمعين ، والقدرة على معرفة اللحظة المناسبة للكلام بقصد الحصول على اقصى  
تأثير » .

وفيما يلي بيان بالمؤهلات الأساسية اللازم توافرها في رجل الدعاية :

١ - المعرفة الوثيقة بالمستمعين : تاريخهم ، لغتهم ، أساطيرهم ، معاهدتهم ، عاداتهم ، تركيبهم الاجتماعي ، سياستهم .

٢ - المعرفة التفصيلية بتطورات المستمعين : معتقداتهم التي تهدف الى التوحيد ، ما يشكون منه ، معتقداتهم التي تهدف الى انقسامهم ، هواياتهم الشائعة في الملابس والكلام ، تاريخ دعايتهم .

٣ - فكرة منظمة عن سياسية عملية الدعاية ، وتتطلب هذه ادراكا دائما بأن غرض الحرب النفسية هو استخدام آمال الهدف والخاوف والرغبات في استعمات العبارات لتحقيق أغراض السياسة .

٤ - فكرة منظمة عن عملية الثقافة النفسية الخاصة بتشكيل الآراء ، وتتطلب هذه ادراكا بأن الحرب النفسية تعمل داخل بيئة متسعة .  
وأي عنصر من عناصر البيئة كفيلا بأن يؤثر على بناء أي هدف .  
وتكمن مهارة عامل الدعاية في قدرته على اكتشاف العناصر المؤثرة الحاسمة في أي هدف وكيف يمكن استغلالها .

٥ - « انفس في السياسة » وهذه الصفة صعبة في التحديد . لا يهم أن يفتح رجل الدعاية خياشيمه عندما يثار موضوع سياسي ، ولكن المهم أن يشم أو يحس العواطف السياسية لأي موضوع سواء كان الموضوع يعالج عبارات عقائدية عالية أو يعالج عبارات أولية للحياة بين جماعة من الناس .

٦ - فصاحة التعبير ، إذ يجب أن تكون لديه المقدرة على قوة التعبير ولكن تحت السيطرة . أن سهولة التعبير وطلاقته هي مهارات غير شائعة ، كما هي الحال في اللغات الأجنبية .

وليس المقصود مما تقدم أن نضع قائمة شاملة بالصفات اللازمة لرجل الدعاية ، ولكن المقصود هو الإشارة الى أنواع المواهب والاهتمامات التي يمكن لرجل الدعاية أن يحصل عليها بالخبرة والتعليم والتي يمكنه أن يحولها الى مهارات للاستعمال .

وهناك مهارات أخرى معينة لازمة في مهام معينة . فواضع الخطط يجب أن يعرف كيف يحول سياسة الاغراض السياسية التي يخدمها الى دعاية ، وكاتب النشرات يجب أن يعرف كيف يمكن تحويل سياسة الدعاية الى نصوص تقع تحت عين القراء ، والمذيع يجب أن يعرف نفس الشيء بالنسبة لتحويل سياسة الدعاية الى مادة تؤثر في أسماع العدو ، ورجل المخابرات يجب أن يعرف كيف يختار ويراقب ويسجل كل البيانات التي يعتمد عليها كل أعضاء الدعاية .

على أن هذه المهارات والصفات الطبيعية التي يجب أن تتوافر في رجل الدعاية لا تكفي وحدها لنجاحه ، فبدون التدريب الذي يستهدف استمراره لعدة سنوات لا يمكن للقائمين بعمليات الحرب النفسية من أن ينفذوها على أكمل وجه . وحتى ولو كان رجل الدعاية ذكيا بالفطرة ، فإنه لا يستطيع أن يصبح بارزا بدون هذا التدريب السابق . ان معرفة الهدف المعين - عن طريق الخبرة والتعليم - هي أساس تدريب رجل الدعاية الناجح .

كما ان من المؤكد أن التدريب سيسفر عن مستوى عال من رجال الدعاية ، مما يسهل اكتشاف أنبه الأفراد أثناء التدريب ، وربما كان أهم من ذلك اكتشاف الجماعات التي يمكن أن تعمل معا كفريق .

ولنتنقل الآن الى مناقشة المؤهلات المطلوبة في العاملين بميدان الحرب النفسية حسب التقسيم الوظيفي لهم :

## رجال الأفكار :

ان النشرات العامة التي تصدرها الادارة التنفيذية للحرب النفسية ، يجب أن تفسر في ضوء أهداف الدولة قبل أن تترجم الى دعاية . ويقوم بهذه المهمة رجال الافكار ، فهم الذين يعطون الشراة التي تخلق الدعاية السليمة .

أن عبارة « رجل دعاية موهوب » لا تحل مشكلة الوصول الى معيار لاختيار رجال الأفكار في المستقبل . ومن الواضح أيضا أن الخيال الذي يتيح رؤية العدو من الداخل يجب أن يستند الى معرفة بالعدو . وبعبارة أخرى بينما يمتلك رجل الدعاية ذو الافق الواسع بعض صفات غير محسوسة كالخيال والاحساس والادراك بدرجة تفوق ما عند الناس الآخرين ، فإن هذه القدرات يكملها معين من الخبرة والمعرفة والتصرفات ، وهذه المؤهلات الأخيرة يمكن على الأقل أن تحدد وأن تبوب .

١ - يجب أن تكون لديه معرفة شخصية وثيقة بالشعب الهدف ، فلكي يربك العدو يجب أن يعرف الشيء الكثير عنه .

وتعتبر المعرفة الوثيقة بالجماعة الهدف هي الصفة المميزة لرجال الأفكار بصفة عامة . وقد لخص الرجل الذي كان مسئولاً عن عمليات راديو الميدان في الجيش الأول الأمريكي المؤهلات المطلوبة في رجل الأفكار في الحرب النفسية بقوله :

« اعتقد أنه يجب أن تكون لديه معرفة واسعة بالناس والمنطقة التي سوف يعمل فيها . فإذا كان قد جاب هذه المنطقة قبل ذلك أو كانت لديه فرصة التعلم فيها فإن ذلك يساعد كثيرا على تفهم الصفات النفسية لأهلها وتقاليدهم ومستوياتهم العامة الفنية والتربوية وموقف البلاد الاقتصادي بصفة عامة . أن الرجال الذين تفوقوا في عملهم كانوا أولئك الذين عرفوا المنطقة أو كان لهم بها اهتمام خاص أو كان لهم فيها أقارب أو سافروا اليها أو تعلموا فيها أو أولئك الذين عرفوها جيدا » .

٢ - يجب أن يكون رجلا مثقفا جدا . وقد ثبت من خبرة الحرب العالمية الثانية أن الذين نالوا قسما من الثقافة أعلى من المتوسط هم الذين كانوا أقدر من غيرهم على امتصاص المعلومات الضرورية عن البلاد الأجنبية . على أن الخبرة الناتجة عن المعيشة في البلد الأجنبي لا تعد ضمانا بأن الفرد يهضم الأشياء اللازمة لمن يعمل في ميدان الحرب



النفسية . وقال أحد الرجال وكان قد عمل ضابط اتصال في عملية خاصة بالحرب النفسية : « ان الرجل الأكاديمي بأساسه الثقافي والتاريخي يستطيع أن يفهم هؤلاء الناس فهما كاملا حقيقيا أكثر بكثير من الشخص الذي أمضى هناك فترة من الزمن يعمل في شركة تجارية ولكنه يفتقر الى هذا الاساس الثقافي » .

كما يرى الكثيرون من ذوي الخبرة أن الفئة التي لها هذا الاساس الثقافي المطلوب قد توجد بين الصحفيين ، وبينون هذا الرأي على أن حقيقة الشخص الذي يعمل في مجال الصحافة وله نفس المؤهلات التي يتمتع بها الأكاديمي ، يتيح له عمله الصحفي أن يعرف ما فيه الكفاية عن ثقافة الشعب الهدف وتاريخه وهذا بدوره يجعله يدرك أحاسيسهم ومشاعرهم الحقيقية .

٣ - يجب أن يكون لديه ادراك سياسي . فقد يضع التعليم العالي الشخص في موقف طيب ولكن الدراسة والاهتمام لهما قيمتهما الكبرى اذا وجها وجهة معينة . وقال أحد العاملين في حقل الحرب النفسية وكان يحمل شهادة اندكتوراه في العلوم السياسية « ان الحرب النفسية في جوهرها هي السياسة . انها ليست علم نفس . انها سياسة . انها سلوك سياسي . انها عبارة عن مواقف الافراد ومواقف البلاد ومواقف الجماعات وكيف تتغلغل فيها ! » .

وعلى أساس هذه النظرية يواصل المتحدث كلامه فيقول :

« يجب أن يكون لديه وعي سياسي . يجب أن تكون عقليته سياسية . ان الرجال الذين يعملون في هذا الميدان يجب أن تكون لديهم حاسة السياسة التي يولد بها بعض الناس . لا يمكنك أن تفعل ذلك بعد قراءة كتاب عن السياسة . يجب أن تكون مهتما بكل عواطفك بالسياسة وبالشئون العالمية » .

٤ - يجب أن يلم بلغة الدولة الهدف . فالرجل الذي عاش في البلد الأجنبي وقتا طويلا وفي نفس الوقت يكون من الرجال ذوي الفكر

فانه يلم عادة بلغة القوم الذين عاش بينهم ، وهذا يساعده على تفهم  
كثير من العبارات الدارجة التي يستخدمها هؤلاء القوم والتي يكون  
لها تأثير عكسي لو استخدمت بطريقة غير صحيحة .

ويقول البعض : أن اللغة ليست لازمة لزوما تاما ، ولكن اذا كنت تقوم بطبع  
نشرات أو تدبير محطة اذاعة فالواجب أن تستخدم خبراء لهذه العملية في اللغات .

والواقع أن الحديث عن الاهمية البالغة للغة مغال فيها . ان المهم هو معرفة  
الطابع والسلوك القومي والاساس الذي يقومون عليه .

٥ - يجب أن يشعر ببعض الميل نحو الشعب الهدف . وحتى يعرف  
ويفكر في الطريقة التي يهاجم بها هيكل العدو المعنوي ، يجب أن  
يفهم عمليات تفكير العدو وانماط سلوكه وتصرفاته ومنطقه ،  
ثم يحاربها .

ويقول بعض الباحثين أن الكراهية حاجز يحول دون تحقيق ذلك . ويؤكد  
هذه الحقيقة القول الآتي :

« أن أحسن من يقوم بالدعاية هو رجل لا يعرف الحقد . فانت اذا حققت  
كنت متحيزا ، ويجب ألا تكون متحيزا . أما اذا لم تكن متحيزا فقد توافر لديك  
الفهم . فأولا يجب أن تفكر فيما تريد أن تفعله . يجب أن تحدد رد الفعل الذي  
تريد أن تحققه . وانت لا تستطيع أن تفكر بوضوح في رد فعل هؤلاء الناس  
 طالما أعمت الكراهية بصرك . يجب أن تخطط عملك على وجهة نظر واضحة وضوحا  
 كاملا ليس فيها غموض . يجب أن تقول لنفسك : « لو أن س من الناس سيكون  
 له رد فعل من نوع خاص ، ولو كان رد الفعل هذا ليس المطلوب فانه يجب أن  
 أستمتر في البحث حتى أصل الى رد الفعل المطلوب حقيقة . ان الرجل الذي يكره  
 لا يستطيع أن يفعل هذا ! » .

وقد يكون رجل الأفكار فردا قويا ولكن ليس من اللازم أن يكون محبوبا  
من الجميع . ان الشخصية المحبوبة والقدرة على التعامل في يسر مع كل أنواع

الناس هي من العناصر الهامة في عمل الحرب النفسية ولكن ليس من الضروري أن يحتاج رجال الافكار الى هذه العوامل .

ان الرجال الذين يستطيعون التفكير في الحيل القدرة الخاصة بالحرب النفسية هم في العادة اقوياء الارادة ومن ذوى الراى . انهم يحظون بالاعجاب ولكنهم قد يثيرون العداوة أو عدم الرضا . هكذا كان الحال مثلا مع ريتشارد كروسمان . الذى كان يعتبر رجل دعاية من الطراز الاول . كان كروسمان يوصف بأنه شخصية محبوبة ولكن من النوع الخطر ، وكان معظم الناس يقولون له هذا في مواجهته .

وكان زملاء كروسمان يرونه خطرا لأنهم لم يكن فى استطاعتهم التنبؤ بما كان يفعله شخصا أو سياسيا . ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يعترفون أن هذا ما خلق منه رجل دعاية ممتازا .

وبالاضافة لذلك فان رجل الافكار يجب أن تتوافر فيه الشروط الآتية :

١ - أن يتصف بعدة مميزات اضافية كأن يكون عاش في البلد الأجنبى وتشبع بروح أهله ، وكان حب استطلاعاه كفيلا بأن يجعله يتعلم تاريخه الثقافى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى .

٢ - أن يكون لديه الاساس الكافى الذى يعينه على تفسير هذه المعرفة .

٣ - ألا يكره شعب هذه البلاد بدرجة تجعل كرهه يتدخل فى حكمه السياسى وحكمه الدعائى . أمثال هذا الشخص يوجدون فى الغالب فى الدوائر الاكاديمية والدوائر الصحفية .

ان العثور على أشخاص تتوافر فيهم كل هذه المؤهلات ليس بالأمر اليسير ، فهذه العبقرية غير المحدودة نادرة ، ولكننا حسن الحظ لسنا فى حاجة الى كثير من هؤلاء الناس فى الحرب النفسية . وقد أوضح أحد كبار الاداريين الامريكيين ذلك بقسوله :

« الحقيقة أننا لا نحتاج الا الى عدد قليل جدا من رجال الدعاية الحقيقيين •  
ويكفى جدا أن يكون في المنظمة ستة من رجال الدعاية المحترفين » •

وذهب بعضهم الى القول أن كثرة العقول قد يفسد جو المنظمة الخاصة  
بالحرب النفسية •

وقال ادارى آخر : أنه اذا استحال العثور على شخص يجمع كل هذه الصفات  
فانه يمكن أن نعثر على رجلين أو ثلاثة تكون لديهم كل هذه الصفات بالتضامن :

« يحدث أحيانا ألا تستطيع أن تجد من يجمع بين هذه المؤهلات فى ميدان  
الدعاية ، أى شخصا يعرف الكثير عن الناس الذين يخاطبهم ويتحدث عنهم ،  
ويعرف فى نفس الوقت كيف يتكلم ليحقق الغرض من كلامه • ولذلك تجد  
نفسك مضطرا الى أن توفق بين طلباتك • فتوجد الشخص المتخصص فى المنطقة  
وتوجد الصحفي أو الكاتب وهكذا • ويستمر هذا الوضع حتى يأتى الوقت بعد  
عدة شهور عندما يكون الصحفي أو الكاتب قد التقط وعرف الأشياء ذات المعنى  
بالنسبة للمنطقة ويقوم بها بنفسه » •

## الاداريون :

ليس هناك عمل تجارى أو صناعى كبير يقلل من شأن الحاجة الى رجال  
لادارة أجهزة التنظيم وتنفيذ الخطط • وبالرغم من ذلك فطبقا للتقارير التى  
قدمها كبار المسؤولين والتقارير المكتوبة عن عمليات الميدان المباشرة حدث فى  
خلال الحرب الماضية أن أهمل تدريب الاداريين للحرب النفسية • وقال ادارى  
مدنى عمل فى فرع الحرب النفسية التابع لقيادة الحلفاء الافريقية ، « انه كان من  
الصعب العثور على مثل هؤلاء الضباط » •

وكان هذا النقص نتيجة تخطيط خاطيء ، ومن ثم كانت الحاجة الى أشخاص  
لهم مؤهلات خاصة فى المجالات الادارية الصرفة • ولكن لا يكفى - كما قال

أحدهم - في مجال الإدارة أن نقول أن القدرة الإدارية هي صفة مطلوبة • وهنا يثار سؤال : ما الذي يجعل من الشخص إدارياً في الحرب النفسية ؟ فمثلاً هل الشخص ذو الخبرة الإدارية صالح لأن يدير عملية للحرب النفسية ؟ هل احتياجات المهارة الخاصة بالإداري الذي يخدم في نفس الميدان مثل المهارات المطلوبة من الإداري الذي يعمل على مستوى السياسة أو تختلف عنها ؟ •

ونجد الإجابة عن بعض هذه الأسئلة إذا درسنا أساس بعض الرجال الذين يعتبرهم زملائهم إداريين ممتازين في مجال الحرب النفسية في أثناء الحرب العالمية الثانية وإذا تصفحنا ردود الذين كانوا يبحثون مشكلة الإدارة • وفي ضوء هذين النمطين من البيانات يمكن أن نستخلص ما يأتي عن إداري الحرب النفسية المثالي :

١ - هو منفذ ذو خبرة ، فبالرغم من أن الإداريين قد سحبوا من ميادين متنوعة فإن الرجال الذين نجحوا في تولي المناصب الإدارية في عمليات الحرب النفسية في أثناء الحرب الماضية هم أولئك الذين كانت لهم خبرة في تشكيل المنظمات الواسعة وإدارتها • لقد كانوا رجالاً تحملوا المسؤولية وكانت لديهم روح المبادرة • كانوا قد تعودوا على الأعمال الروتينية ومراعاة التفاصيل • والأهم من ذلك كله أنه توافرت فيهم القدرة على معاملة المرؤسين • كل هذه الصفات هي عناصر لازمة في إداري الحرب النفسية •

وقد أكد أحد الإداريين بمكتب معلومات الحرب الأميركي القدرة على اختيار المسؤولين بقوله :

« عندما بدأت عملي في المجلة الألمانية - التي كان ماك كلور مسئولاً عنها - ذهبت لمقابلته وقلت له : المفروض أن أدير هذه المجلة بناءً عن تكليف من لندن لأنني كنت أدير مجالات أخرى بها ، وأنت مسئول عن عملي • فكيف ستتولى الإشراف علي ، لأن الواجب أن تشرف على بطريقة ما ؟ فرد علي قائلاً : هناك طريقة واحدة للإشراف عليك ، فأنت مسئول عن المجلة • فإذا كانت مادتها

ردیئة فستذهب الى سلة المهملات • لقد كان يعرف كيف يكلف من يضطلع  
بالمسئولية • لقد كان يعرف أن هناك أشياء لاخبرة له فيها ، كذلك كان يعرف  
أن هناك أشياء تفوق معرفته لها معرفتنا !

ويضيف آخر صفة ثانية للادارى بقوله :

« ان الصفة الأساسية في القائد هي استعداده لان يضع تحقيق المهمة  
فوق اعتبارات الشعبية الشخصية • فانت لا يمكن أن تكون شعبيا ومؤثرا في  
نفس الوقت » •

هذه هي الصفات الاساسية التي يجب أن تتوافر في الادارى الناجح •  
وهي لا تجعله مختلفا عن رجال الاعمال • ولكن هناك مواقف تقابل ادارى الحرب  
النفسية مما يحدد امامه المجال عند اختيار موظفيه •

٢ - انه يقوم بأعمال من شأنها أن ترهف حاسته من جهة ردود الافعال  
العامة • ولما كان عمله متصلا بمواقف سريعة التغير فعليه أن يكون شخصا مرنا  
ذا حساسية بالنسبة لردود أفعال الناس الذين يتعامل معهم ، ويجب ألا يكون  
متحيزا في نظراته الضيقة ، لانه يجب أن يدرك معنى قراراته الخاصة بالناس  
الذين لهم أساس يختلف عن أساسه •

وقال أحد المدنين الذى كان يرأس المطبوعات في مكتب معلومات الحرب  
الأمريكي في الشرق الأوسط عن موضوع حاجة الادارى الى النظرة الواسعة :

« ومن ناحية الشخصية فأهم شيء هو قدرته على أن يساير الناس في  
المجالات التربوية والاجتماعية والقومية ، ويجب أن يحظى باحترامهم » •

وقال آخر - وهو ادارى كبير في فرع الحرب النفسية التابع للقيادة  
الافريقية للحلفاء « ان ادارى الحرب النفسية يجب أن يكون رجلا سبق له أن  
تعلم كيف يكيف نفسه طبقا للظروف الاجنبية والاشخاص الاجانب » •

ويقول نفس الشخص « ان مديري الصحف يصلحون لتولى الاعمال الادارية فى الحرب النفسية فيما يختص بالكتابة والنشر وتوزيع المادة المكتوبة أو برامج الاذاعة بسبب ما لديهم من خبرة سابقة » .

٣ - انه يعرف شيئا عن الاجراءات العسكرية . ولما كانت الحرب النفسية فى زمن الحرب تسير جنباً الى جنب مع العسكريين فمن المهم أن يكون الادارى ملماً بالاجراءات العسكرية . كما يجب أن يفهم العلاقة بين الحرب النفسية وبين العمليات العسكرية الشاملة .

لقد كان عدم الإلمام باجراءات الجيش عقبة كئوداً أمام كثير من العاملين فى الحرب النفسية فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقال أحد العاملين الذين اشتركوا فى عمليتي التخطيط والادارة :

« ان نقطة الضعف أمام كثير من أفراد الحرب النفسية هى أنهم وجدوا من الصعب عليهم أن يكتفوا أنفسهم حسب متطلبات الجيش وأعماله الكتابية » .

٤ - يجب ألا يكون متخصصاً . لقد أجمع الكل على أن الرجل الذى يوضع لتولى الشئون الادارية يجب ألا يكون متخصصاً فى نوع واحد من العمليات . ويقتضى عمل الادارى أن يكون لديه الملم واضح بهدفه وأن يكون قادراً على أن يظفر بمعاونة رجاله الكاملة فى تحقيقه . أما الاعمال الفنية فيمكن أن توكل الى متخصصين .

٥ - يجب أن يكون متفهماً لعمليات الحرب النفسية المختلفة ، ولكى يكون اشرافه على الرجال الذين يعملون تحت امرته ذا فاعلية يجب عليه أن يتفهم العمليات المختلفة التى يكون مسئولاً عنها ، وهذه المعرفة تتضمن الملمه بالجانب الفنى والجانب الابتكارى لعمله .

وبالاختصار فان الادارى الناجح هو الذى يعرف كل شئ ويكون لديه أساس وخبرة وتنفيذية بالاعمال العامة ، كما يجب أن يملك الشخصية التى تتيح له التعامل فى يسر مع كل من المدنيين والعسكريين .

والواقع أن القيادة هي أهم من أى شىء آخر فى عمليات الحرب النفسية .  
فى مقدورك أن تصادف الاشخاص الذين يعرفون المنطقة جيدا ، أو الفنيين  
الناجين أو الكتاب النابهين ، كما يمكنك أن تستأجر كل هؤلاء . ولكن القيادة  
والادارة هي أهم شىء لانجاز أى عمل من الأعمال .

## رجال الاتصال :

وحتى تحقق الحرب النفسية أغراضها - ولا سيما فى الناحية التكتيكية -  
يجب أن تعتمد على التعاون بين هيئات كثيرة . فمثلا اذا كان الهدف هو الحصول  
على معلومات تكون أساسا لمادة النشرات أو اذاعات الراديو أو نداءات بمكبرات  
الصوت فالواجب أن تتصل بأسرى الحرب وتطلع على تقارير المخابرات . هذا  
يتطلب العمل الوثيق مع قسم المخابرات ، أما توزيع النشرات فيتطلب خدمات  
المدفعية وسلاح الطيران .

ومن ثم فإن الحرب النفسية تحتاج الى بعض العاملين القادرين على تعبيد  
الطريق بالتعاون مع المنظمات والأفراد الذين لا يعملون فى الحرب النفسية وهؤلاء  
الأفراد يسمون « ضباط الاتصال » . ولاهمية العمل الذى سيقومون به ، فانه  
لا بد أن تتوافر فى كل واحد منهم مؤهلات وصفات معينة يمكن أن نذكر أهمها  
فيما يلى :

١ - يجب أن يكون قادرا على أن يساير كل أنواع الناس . وقد أجمع  
الكل على أن العلاقات الناجحة مع غير العاملين بالحرب النفسية تسفر عن علاقات  
شخصية طيبة كان من العسير أن تتم .

ان طبيعة الانواع المختلفة من الجماعات التى يجب أن يتصل بها ضابط  
الاتصال تساعد على تحديد الصفات التى يجب أن تتوافر فيه . ان أهم صفتين  
يجب أن يتمتع بهما هما النظام وتفهم البشر .



٢ - يجب أن يتمتع بصفة المبادأة • وقال أحدهم ، وعلى الرغم من أنه لم يكن في يوم من الأيام ضابط اتصال فقد كلف بإقامة محطات راديو كلما توغل جيش الحلفاء في أراضى الأعداء - يصف كيف كانت العلاقات تتوطد حالما يظهر عامل الحرب النفسية اهتماما في مساعدة الجيش :

« عندما كنا نحاول أن نعرف ما كانوا يحتاجون اليه كان حبهما لنا يزداد • فعندما اعترضتهم مشكلة عبور الراين وعمل كوبري من القوارب قمنا نحن بتكرار الاذاعة ثمانى مرات في اليوم عن مستويات فيضان نهر الراين ، وهكذا تمكن مهندسوهم من أن يضعوا قواربهم عند المستوى المناسب ، وكان هذا ذا أثر كبير بالنسبة لعلاقاتهم بنا • فهنا اشتركنا فعلا في عمل عسكري معاون لهم ما كان في استطاعتهم أن يقوموا به بمفردهم • وقد قدروا هذا العمل ، وكان هذا رائعا منا ! » •

٣ - يجب أن يكون شجاعا ، فقد يتطلب الموقف لياقة بدنية على مستوى عال • ان هذا القول يصدق على الأخص على الرجال الذين كانوا يعملون مع سلاح الطيران • وقد أكد ضابط مخابرات كان يعمل في فرع الحرب النفسية التابع للقيادة العامة للحلفاء الحقيقة التي تقول ان رجال الاتصال في السلاح الجوى يجب أن يعملوا مع الطيارين ورجال القوات الجوية ، ويجب ألا يجفلوا من خروجهم في مهمة لالقاء النشرات على العدو •

٤ - يجب أن يكون ملما تماما كاملا بالحرب النفسية • لقد أكد كثيرون من ذوي الخبرة قدرة ضباط الاتصال في كسب الاصدقاء والتأثير على الناس • ومع ذلك فقد اعترف معظمهم أن الجاذبية وحدها لا تكفى • وقال أحدهم وكان قد سبق له العمل في بورما :

« ان ضابط الاتصال الذي يتعامل مع العسكريين يجب أن يعرف ما يتحدث عنه • يجب ألا يسألهم عما يفعلون بل يجب أن يخبرهم عن الحرب النفسية ويجب أن يقيم الدليل على كل ما يقول » •

ان ضابط الاتصال الجير بعمليات الحرب النفسية قادر على ان يؤدى عمله أكثر من غيره ، وحتى يظفر بتعاون الجماعات الاخرى يجب ان تكون معلومات رجل الاتصال تامة عن عمله • يجب ان يفهم اهدافه • يجب ان يعرف ما فيه الكفاية حول العمليات الفعلية حتى يستطيع ان يقيم المواقف العسكرية مع المواقف السيكلوجية ، كما يجب ان يلم الماما كافيا بالعمليات السابقة حتى يمكنه ان يستشهد بالخبرات السابقة ويقيم الدليل على كفاية الحرب النفسية فى المواقف المشابهة •

٥ - يجب ان يفهم تنظيمات العسكريين وقدراتهم ، ويعرف كيف يعملون حتى يتجنب عداوة الناس الذين يسعى الى كسب تعاونهم •

ان المام ضابط الاتصال بعمل العسكريين - الى جانب انه يساعده على تجنب الأخطاء - يفيد في كل المناقشات التى يدخل فيها عن كيفية التصرف فى الحرب النفسية • لقد قال ضابط الاتصال فى المدفعية ان من الضروري على ضابط اتصال المدفعية ان تكون لديه المهارة التى يحتاج اليها كل من يدرب ليكون رجل مدفعية ! كذلك اقترح بالنسبة للرجل الذى يصبح حلقة اتصال بين قادة الحرب النفسية وبين القوات الجوية فى شمال أفريقيا ان يكون فاهما للمشكلات التى قد تعترض العسكريين ، وقال « ان مهمته ليست ان يفضى الى القوات الجوية بما تريده منهم بل ان يعمل مع قيادة القوات الجوية ويكتشف ما عندها من امكانيات » •

وقد نمت الاحتياجات المطلوبة فى رجل الاتصال نتيجة للمواقف الغريبة للحرب النفسية فى أثناء الحرب العالمية الثانية • كانت مهام رجل الاتصال فى ذلك الوقت ذات شقين : كان عليه ان يكسر مقاومة الحرب النفسية من جانب العسكريين ، كما كان عليه ان يقوم بدور الوسيط بين المدنيين والعسكريين الذين كانوا فى أغلب الاحيان يتبادلون مواقف العداء •

ولما أصبحت الحرب النفسية تشكل موتفا أقل غموضا من ذى قبل تجاه المنظمات العسكرية أصبح فى الامكان تبسيط المؤهلات الواجب توافرها فى رجل الاتصال الذى يعمل فى الميدان •

ومما لا شك فيه أن رجل الاتصال يجب أن يتمتع بشخصية جذابة وبذكاء ظاهر وأن يكون منتظما ، كذلك يجب أن يكون متخصصا في بعض الأنواع بالمنطقة التي تمارس فيها الحرب النفسية وحيث يعمل العسكريون . ومع ذلك ففي المستقبل لن يحتاج رجل الاتصال لأن ينتقل بقاذفة القنابل التي تحمل المنشورات ، ولن يحتاج الى أن يجد حلا للمشكلات الفنية التي تنشأ في كلا الجانبين إذ أنه سد الهوة التي كانت تفصل بينهما ، ولن يحتاج الى تقديم الرشوة الى العسكريين الذين ليس لديهم الاستعداد للايمان بقيمة اخرب النفسية .

٦ - يجب أن يعرف الجماعة الأجنبية التي يعمل معها . وعلى سبيل المثال : كان الرجل الأمريكي الذي يشغل وظيفة رجل الاتصال للحرب النفسية مع جماعة الراديو الفرنسية قد قضى بعض الوقت في الدراسة كطالب في فرنسا . كان يعرف الفرنسيين كما كان يعرف الأمريكيين . ونتيجة لهذا كان في مقدوره أن يتعامل جيدا مع الفرنسيين وكان صالحا وناجحا حينما كان يقوم بمرور المهدى إذا ما تطور الأمر وأدى الى احتكاك .

٧ - يجب أن يعرف لغة الجماعة الأجنبية التي يتعامل معها . ان الطلاقة في استخدام اللغة الخاصة بالجماعة الأجنبية التي يتصل بها أمر مفروغ منه بالنسبة للرجل الذي يعرف الأجانب وثقافتهم .

فاذا استطاع ضابط الاتصال أن يوطد صلته عن طريق اللغة مع الجهة المعارضة فانه يكسب المعركة . ويبدو أن المقدرة على التحدث باللغة حتى ولو لم تكن مصحوبة بالفهم التام للناس وثقافتهم تخدم عملية الاتصال خدمة جليلة .

٨ - يجب ألا يكون محدود التفكير في موقفه تجاه الأجانب . من المهم جدا أن الرجل الذي تختاره للتعامل مع الحلفاء أو الأجانب يجب ألا ينظر باحتقار نحو الأجانب . ويجب أن يكون قادرا على التعاطف مع الشعوب الأجنبية ، أما من الناحية المثالية فيجب أن يكون شخصا تتضمن خبرته معرفة وثيقة بالأجانب نتيجة لمعيشته في الخارج .

## الرجال المبكرون :

يحدد الرجال المبكرون شكل رسالة الحرب النفسية ومادتها ولذلك يعتبرون لب العمليات الخاصة بالحرب النفسية . انهم الرجال الذين يترجمون السياسات والافكار الناجمة ويحولونها الى نشاط يومي ، وهم يقومون في كل يوم بابتكار افكار خاصة للتشرات وبرامج الراديو والاذاعة بكبريات السموت . وهم في اغلب الاحوال اكتاب واما فنانون، والفئة الاولى اكثر من الفئة الاخيرة ، يجب ان تتوافر فيهم ؛ الاقل بعض المؤهلات الخاصة برجال الافكار ، ولكن الحرب العالمية الثانية اثبت انهم يستطيعون العمل بكفاءة دون حاجة منهم الى هذه التشارة الاضائية لي كانت تميز ريتشارد كروسمان وغيره من عباقرة الدعاية في الحرب العالمية ثانية .

وفيما يلي بيان بالاولات التي يجب ان تتوافر في الكاتيب الذي يساهم مساهمة فعالة في الحرب النبية سواء كان يكتب من مكتبه بقر القيادة او كان يعمل في مكتب متنقل بالست :

١ - يجب ان يعرف هدفه معرفة تامة . ان جزءا من عمل الكاتيب هو تفسير الهدف ومعرفة السياسة العامة ولذا فان الصفة الاساسية المطلوبة في الكاتيب هي ان يعرف هدفه معرفة كاملا

ان الكاتيب - مثله مثل دحل افكار - يجب ان يكون قادرا على ان ينظر الى العالم بعين الهدف ، وذلك حستطيع ان يتنبأ بالطريقة التي سوف يفسر بها الهدف مضمون نشرته او اذاعته ولقد مس ضابط في الجيش كان يعمل في حقل الحرب النفسية في منطقة وساليسفيك هذا الموضوع بقوله :

« اني اعتقد اولا ان الرجل ؛ ان تتوافر لديه معرفة أساسية او فهم للناس الذين يعمل ضدهم . يجب انهم كيف يفكرون وكيف يتصرفون لان الرجل قد يقوم بعمل جليل بكتابة تشدد الاكائن ، ثم يكرر نفسه محاولا ان يفعل نفس الشيء ضد اليابانيين فييوستل . ففلسفة الاكائن واعمالهم وردود

اعمالهم وتصرفاتهم نحو أشياء معينة تختلف كل الاختلاف عن ردود أفعال الآسيويين في نفس الأشياء . ولهذا اعتقد اعتقادا جوهريا أن أى رجل يحاول أن يقوم بدعاية أو بدعاية مضادة يجب أن يعرف الناس الذين يوجه دعايته نحوهم .

ويبدو أنه من المتفق عليه أن الإقامة في نفس المنطقة هي أفضل وسيلة بالنسبة للكاتب كي يحصل على المعلومات التي يريدونها . وقد أوضح أحد كتاب النشرات الذين عملوا في مكتب معلومات الحرب الإيهيكي باسم إحدى مزايا المعيشة في البلد الأجنبية فقال :

« إذا أنت عشت في البلد الأجنبي يمكنك أن تصيف إلى النشرة المرسلة إلى الشخص العادى هذه اللمسة الخفيفة التي تشعر أنك متصل به اتصالا وثيقا .  
بعبارة أخرى أن خبرة الحياة في البلد الأجنبي ذات قيمة » .

٢ - يجب أن يكون طلقا في استخدام اللغة الأجنبية . ولما كان الرجال المبتكرون يتعاملون مباشرة بواسطة اللغة المكتوبة أو اللغة المسموعة كان الإلمام الكامل باللغة أهم لهم أكثر من رجال الأفكار ولا يعنى هذا دراسة الكتب المدرسية . فكتابة النشرات أو أعداد الإذاعات تحتاج كي تكون مؤثرة إلى معاملة اللغة في شكلها الحى الدارج .

وحتى يكون عمل الدعاية الذى تقبه بالنسبة للعدو مؤثرا يجب أن تعرف اللغة مائة في المائة . والا فالأفضل ألا تقوم به . فانت مثلا إذا كتبت نشرة واحتوت على غلطة هجاء واحدة فاسل لك أن تحرق النشرة كلها . أن أعظم سلاح يتسلح به هو أن يرى الج آخر أنه يعرف كل شيء عنهم . أن سهولة التعبير بلغتهم أمر حيوى !

٣ - يجب أن تكون لديه القابى يعبر عن نفسه بوضوح وبدقة . لقد أشار كثيرون إلى أن الحرب النفسية تطلب كتابا كبارا أو فنانين عبقرين . أن مهمة الكاتب أو الفنان هي أن يمادة النشرات بشكل له معنى للمستمعين

وهذا يتطلب أقل ما يمكن من الكفاية ككتاب أو كفنان • وقد اكتشف عضو في الفرقة الرابعة في راديو لوكسمبورج أن الروائي المحترف لا تناسبه هذه الألوان من النشاط :

« هناك شاب كان كاتباً نابهاً • ولكنه كان كاتباً صرفاً • كان يريد أن يكتب ما يشعر به • والكتاب الكبار أنانيون • انهم يحبون أن يكتبوا ما يرونه وما يشعرون به • انهم يحبون أن يختاروا موضوعاتهم • ان من نحتاج اليهم هم أناس لهم القدرة على أن يعبروا عن أنفسهم ببساطة وسهولة عن طريق الكتابة أو الكلمة المسموعة » •

وقد قال أحدهم ممن كانوا يقومون بتدريس أساليب الدعاية للرجال الذين يهيئون للعمل في الشرق الأقصى ، وكان هو نفسه في حياته المدنية روائياً معروفاً :

« ليس للمهارة الأدبية أى صلة مطلقاً بكتابة النشرات • وعندما بدأنا نجند الناس لكتابة النشرات اتجهنا بطبيعة الحال الى الكتاب سواء كانوا كتاب القصص الخيالية أو كتاب الصحف ، أو كتاب الاذاعة وغيرهم • وبينما أثبت كثير منهم كفايتهم ككتاب للنشرات فانه لم يكن مرجع ذلك الى مهارتهم الخاصة في استخدام الكلمات • ان ما كانوا يحتاجون اليه فعلاً هو الذكاء الاساسى - وانى أقول أن هذه هى الحاجة الجوهرية فى كل ميدان تقريباً - وذلك حتى يمكن للرجل أو المرأة أن تفهم بسرعة ما عناصر النشرة • ان القدرة على الكتابة ليس لها علاقة بهذا ، ان المهم هو القدرة على فهم ضرورة التعبير عن الشئ باختصار حتى ولو كان بطريقة بها أخطاء فى النحو » •

وقال رئيس سابق بقسم النشرات فى فرع الحرب النفسية التابع للقيادة العامة للحلفاء :

« اذ لم يكن فى استطاعة الانسان أن يعبر عن نفسه بالكتابة فانه لا ينبغى أن يتوقع ممن يقرأ كتابته أن يعرف ما يتحدث عنه ، كما يجب أن يكون قادراً على التعبير عن نفسه بوضوح بالكلام • فقد تسنح له الفرصة كى يوجه حديثه الى الاعداء بواسطة الراديو أو بوسيلة أخرى •

واذا لم يكن لدى العامل المبتكر القدرة السهلة في استخدام لغة الجماعة  
الهدف فانه يجب أن تكون لديه القدرة على أن يعبر عن نفسه بدقة وبفهم  
وبوضوح » •

٤ - يجب أن يكون لديه وعى سياسى • والكتاب كرجال الافكار لانهم  
يتعاملون مع مواقف حية ومتغيرة . يجب أن يكونوا رجالا لديهم الحاسة لفهم  
المغزى السياسى لما يقومون به •

ان النظرة الشاملة الى ما هو حادث أمر أساسى بالنسبة للرجل المبتكر  
فى الحرب النفسية • يجب أن يكون لديه أساس ثابت من الناحية السياسية •

٥ - يجب أن يكون متزنا من الناحية العاطفية وسهل التكيف • وهناك  
عوامل متنوعة فى بيئة عمله تتطلب من العامل المبتكر فى الحرب النفسية أن يكون  
ثابتا ومرنا فى نفس الوقت •

ولقد قال أحد مدرسى الحرب النفسية السابقين « هناك أشياء كثيرة تجرى  
وراء المسرح وعلى مسافات بعيدة تؤثر فى النهاية فيما تفعل لدرجة تتطلب منك  
عقلية فلسفية من ناحية قصور الناس الذين يتولون توجيهك أو الناس الذين  
تتعامل معهم ، وتحصل منهم على البيانات مما قد يجعلهم يبدون لك كما لو كانوا  
غير عقلاء أو غير أذكىاء أو يعوزهم التوجيه » •

ان الرجل المبتكر يجب أن يتمتع بحب النظام لدرجة تجعله ينفذ ما جاء فى  
المنشور سواء كان يوافق على محتوياته شخصيا أو لا يوافق . كما يجب أن يكون  
قادرا على التعامل فى سر مع زملائه العاملين الذين لهم أساسات متباينة تماما ،  
وأخيرا فانه يجب أن يكون قادرا على أن يكيف أسلوبه وتكتيكه حتى يتفق مع  
ذوق مستمعه أو قارئه •

ومما لا شك فيه أن بعض الرجال المبتكرين الذين يعملون فى عملية خاصة  
بالحرب النفسية قد يعملون فى منطقة قتال أو منطقة قريبة من مناطق القتال •

ولذلك يجب على من يعملون في الخارج أن يكون لديهم الاستعداد لمواجهة هذه الحقيقة التي تقول أن الظروف المعيشية التي يقابلونها ستكون مختلفة عن تلك التي اعتادوا عليها . أما بالنسبة للرجل المبتكر الذي يعمل في منطقة قتال فإنه يجب أن يكون قادرا ومستعدا على تحمل أخطار هذه الحياة دون تدمير أو تملل .

٦ - يجب أن يكون في حالة جسمانية طيبة وأن تكون لديه اللياقة البدنية .  
فحتى يستطيع الرجال الموجودون في الخطوط الامامية من الجبهة مقاومة متاعب الحياة يجب أن يتمتعوا بأحسن صحة . فالشخص الذي هو دون الكمال من الناحية الصحية لن يكون عقبة في اتمام العمليات فحسب بل قد يعرض صحته للتدهور أيضا . وعندما يعمل الرجل المبتكر في جبهة المعركة فلن يقل تعرضه لخطر الرصاص وشظايا القنابل عن الخطر الذي يتعرض له أحد جنود المشاة . ولذلك وحتى يستطيع أن يؤدي العملية المطلوبة منه يجب أن يكون لديه شجاعة شخصية .

٧ - يجب أن يكون لديه أساس في الأمور العسكرية . وهناك سببان يجعلان من الضروري على الرجل المكلف بعمل ابتكاري في الجبهة أن يكون على خبرة في القتال وأن يكون قد تلقى تدريبا عسكريا . فأول كل شيء عليه أن يكون قادرا على أن يحمي نفسه اذا تعرض لخطر ، كما يجب أن يعرف كيف يحفر الخنادق وماذا يفعل لو تعرض لقنابل العدو . واذا اشتبك مع العدو في قتال تستعمل فيه الأسلحة الخفيفة فإنه يجب أن يعرف كيف يستخدم الأسلحة .

٨ - يجب أن يكون قادرا على التفكير بسرعة . ففي منطقة القتال قد يتغير الموقف بسرعة ، وقد تبدو مادة الحرب النفسية كما لو كانت عتيقة لا تصلح للتوزيع . ولذلك يجب على الرجل المكلف بعملية الاذاعة أن يكون قادرا على إعادة كتابة مادته في الحال ، وقد قيل في ذلك :

« يجب على العاملين في الحرب النفسية أن تكون مواردكم كبيرة ، بمعنى أنهم يجب أن يكونوا قادرين على أن يفكروا في آراء جديدة في الحال لان الوقت



لا يتسع • فانت لا تعرف ما يفكر فيه عدوك • ولذلك عليك أن تبتكر في الحال وأن تستفيد أكبر فائدة ممكنة من كل موقف لأن الأشياء لا تتم دائما وفق الخطة التي تضعها » •

ونوجز ماسبق فنقول ان العمل الابتكاري بالنسبة للحرب النفسية يتطلب من القائمين به معرفة تفصيلية بجماعة الهدف ، وأن يتمتع بطلاقة في اللغة ، وقدرة على الكتابة والكلام بوضوح وبايجاز ، كما يجب أن يكون لديهم وعي سياسي وأن يخضعوا للنظام وأن يكونوا مرنين ، وكلما قربوا من الجبهة تطلب الأمر أن يكونوا في حالة جسمانية لائقة • كما يجب أن يكونوا على أساس من ناحية الأمور العسكرية وقادرين على التفكير في التو واللحظة •

## الباحثون :

هناك جزء مكمل لعملية الحرب النفسية وهو الخاص بجمع الانباء وتقييمها ، وعلى أساسها يستند جزء كبير من الدعاية •

ويشمل ذلك الاستماع الى اذاعات العدو وقراءة دعايته المكتوبة والاطلاع على الوثائق المضبوطة واستجواب أسرى الحرب وتقييم كل المعلومات الواردة من كل هذه المصادر •

ويجب أن يكون الرجال الذين تسند اليهم هذه المهام مؤهلين تأهيلا عاليا في نواح كثيرة • وفي بعض الاحيان تشبه مستويات اختيار الباحثين مستويات العاملين في المجال الابتكاري • وعلى العموم يجب أن يكون الباحث من الطراز الممتاز سواء كان ذلك من ناحية الاساس أو من ناحية الشخصية :

١ - يجب أن يكون خبيرا في لغة الجماعة الهدف • ونحن نذكر اللغة على أنها من أول المؤهلات التي يجب أن تتوافر في الباحث • فعلى خلاف رجل الأفكار أو الكاتب لا يمكن للباحث أن يقوم بمهمته بدون ذلك •

فالمستجوب مثلا يشعر بالخيرة ما لم يكن في مقدوره التحدث بحرية مع الاسير الذى يستجوبه . وهذا يعنى أن المستجوب « يجب ألا يكون رجلا يتكلم اللغة من الناحية الاكاديمية فحسب بل يجب أن يتكلمها كما لو كان أحد ابنائها . ونفس هذه المهارة اللغوية يجب أن تتوافر بطبيعة الحال في الشخص الذى يستمع الى اذاعات العدو وقيمتها والشخص الذى يتتبع ما تكتبه صحافة العدو .

٢ - يجب أن يعرف الشعب الهدف . وحتى يستطيع الباحث أن يقيم المادة التى يجمعها من أجهزة الاعلام الجماهيرية ومن العلاقات المباشرة بجنود العدو يجب أن يفهم الاحداث الجارية المختلفة والافكار الخاصة بالعدو ، ويأتى هذا الفهم نتيجة معرفة الشعب الهدف وثقافته .

٣ - يجب أن يتسم المستجوب بالمهارة مع الناس ، كما يجب أن يكون ناضجا من الناحية العاطفية . وحتى يستطيع أن ينجح مع أسير الحرب ويحصل منه على المعلومات المطلوبة يجب على المستجوب أن يكون قادرا على أن يقيم صلة بينه وبين الاسرى كلهم ويتكلم معهم على مستواهم ، لكي يجعل كلا منهم يصب كل ما فى قلبه له كما يفعل الاخ نحو أخيه الاكبر . ويجب ألا يتعالى عليهم لانه بتعاليه لا يحصل على ما يريد . وقد يكون هذا مجديا من الناحية التكتيكية - مثلا عندما يريد معرفة موضع مدفع - ولكن اذا كان يريد معرفة معلومات غير عادية ، فانه يجب عليه أن يكون كلامه له فى مستوى الند للند .

على أن أهم ما يجب أن يتوافر فى المستجوب هو أن يكون ناضجا ، ويجب ألا يختار شباب صغير لاسمستجواب كبار السن من الاسرى اذ أنه لن يستطيع ان يؤثر عليهم .

٤ - يجب أن يكون للمحلل أساس من العلوم السياسية . وكان هناك اتفاق على ضرورة وجود تدريب اكاديمى كبير خاص بكل نمط من أنماط التقييم الذى يحتاج اليه محلل الدعاية . فالباحث الذى من طبيعة عمله تحليل نتائج

دعاية العدو يجب أن يكون شخصا درس العلوم المتصلة بالعلاقات الانسانية والتاريخ والعلوم السياسية والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والرأى العام والدعاية .

ان رجلا تتوافر فيه هذه الشروط هو أفضل من يقوم بمهمة التحاليل ، ان هذا الرجل - طبقا لرأى احد رجال المخابرات الذين كانوا يعملون فى مكتب الخدمات الاستراتيجية الأمريكية - يستطيع أن يفهم بسرعة ، وعندما يقرأ فانه يعرف معنى ما يقرأ . وهو يستطيع أن يميز بين الشائعة والحقيقة ، بين المعلومات الجوهرية وغير الجوهرية .

وبالرغم من أن العامل فى ميدان البحث يحتاج الى نفس المعلومات عن نفس المنطقة مثل « رجل الأفكار » ومثل الكتاب فانه الى جانب ذلك يجب أن تكون عقليته تحليلية أكثر منها مبتكرة . فبدلا من أن يبنى شيئا من معلوماته نجد أن مهمته هى تحطيم المادة التى تمر بين أصابعه كى يقيمها ، كذلك نجد أن الرجل المبتكر ربما يكون قد حصل على مهارة نتيجة خبراته فى أمكنة متنوعة ، أما محلل الدعاية فعلى العكس قد حصل على مهارته نتيجة وجوده فى بيئة أكاديمية . وبالإضافة الى ما تقدم ، يجب أن يعرف الباحثون لغة البلاد كما يعرفها أهلها .

## الفنيون :

ان العمود الفقرى للحرب النفسية هو الرجال الذين يديرون المطابع وأجهزة الارسال الإذاعية ، ويقدمون كل الوسائل الميكانيكية التى تعمل على نشر ما صاغه المبتكرون من دعاية . وهم ليسوا مهمين للحرب النفسية فقط ولكنهم يكونون أغلبية موظفيها . وقال ادارى سابق كان يعمل فى قسم الحرب النفسية التابع للقيادة العليا لقوات الحلفاء فى الميدان الغربى : « أنت فى حاجة الى ٩٠٪ من الرجال ذوى المهارات الميكانيكية المنظمة » .

وهناك نفر قليل ساعدتهم خبرتهم على دراسة الرجل الفنى بتفصيل أكثر .  
ويمكننا من مجموع التعليقات أن نرسم صورة تبين المهارات أو الصفات التى يجب  
أن يتصف بها الفنى حتى يكون عمله مؤثرا فى الحرب النفسية . يجب أن تتوافر  
فى الرجل الفنى الخصائص التالية :

١ - معرفة عمله ، فمما لا شك فيه أن الرجل الذى يعهد اليه بالة  
الطباعة يجب أن يعرف كيف يديرها . قد يصادفه نقص فى القاطع أو قد يحتاج  
الى أن يحل قطعا محل قطع مكسورة . ولذلك فالرجل الفنى المؤهل لكى يتغلب  
على عقبات من هذا النوع يجب أن يعرف آلاته بدرجة تتيح له أن يتلافى مثل هذه  
الاضمات بدل أن يستسلم .

٢ - اتزانه من الناحية العاطفية . ولما كان يعمل فى الغالب تحت ظروف  
غير مواتية يتعرض فيها لأوجه نقص خطيرة فانه يجب أن يكون الرجل الفنى  
ذا طبيعة معتدلة .

وليس من المستحيل بالنسبة للرجل الفنى الذى حصل على المهارة المطلوبة  
أن يحصل أيضا على الطبيعة التى تجعله يشبث للفشل الذى قد يصادفه فى العمل  
فى منطقة القتال . ويعتقد أحد الرجال الذين عملوا فى الاشراف على آلات  
للطباعة : « ان من يعمل فى مثل هذا العمل الانتاجى يجب أن يتمتع بقدر كبير  
من الصبر » يجب أن يتدرع الشخص بالصبر التام عندما يتعرض للظروف التى  
يتعرض لها من يعمل فى هذه الظروف .

والى جانب كونه خبيرا ميكانيكيا ، يجب على الرجل الفنى الذى يعمل فى  
مجال الحرب النفسية أن تكون له شخصية ثابتة . أى أنه يجب ألا يهتز نتيجة  
مصادفته لمواقف لم يذنب بها .

٣ - يكون اهتمامه بالأفكار معادلا لاهتمامه بالآلات ، وقد لاحظ كثيرون أن الموظفين الفنيين لا يستلزم عملهم أن يكونوا خبراء في اللغات أو في المنطقة . ولكن حتى يستطيعوا القيام بأعمالهم بكفاية داخل المنظمة يجب أن تكون لديهم فكرة على الأقل عما تحاول الحرب النفسية أن تفعله .

ولكن مثل هذا التدريب قد لا يجدى مع الأشخاص الذين ليس لهم ميل إلى الأفكار ، ومن جهة أخرى فإن الاستعداد العقلي وإن كان مفيدا بالنسبة للرجل الفني لا يمكن أن يكون بديلا للاستعداد الفني والالام بالعمل .

## موظفو الخدمات :

يقول الرجال الذين كانوا يتولون اختيار موظفي وحدات الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية : أن أى رجل يمكنه أن يقود سيارة نقل أو يطهو وجبة أكل ويركب إيربيل يستطيع أن يؤدى نفس هذه المهام فى منظمة الحرب النفسية . ولكن التجربة أثبتت أن هذا الكلام ليس صحيحا .

فقد شكوا كثيرون من حدوث الاحتكاكات - وأحيانا الاعمال العدائية - بين من يقومون بالعمل الفكرى ومن يؤدون أعمالا فى مستوى أعداد الطعام أو قيادة السيارات ونحو ذلك .

أن جماعة الحرب النفسية من وجهة نظر الكفاية يجب ألا تكون مكانا لمن لا يصلحون . وتفصح التقارير التى كتبت عن الصعاب التى كان يلاقها المسئولون على مستوى مرتفع فى الحرب العالمية الثانية عن ضرورة توافر شرطين فى رجل الخدمة :

١ - يجب أن يكون متوسط الذكاء . وبالرغم من أن عامل الخدمة لا يطلب منه أداء أعمال فريدة فى الحرب النفسية فإنه يجب أن يفهم معنى الحرب النفسية ودوره فيها .

وبالرغم من أن تلقين رجال الخدمة هو موضوع يمكن العناية به فانهم يجب ان يكونوا قادرين على أن يعرفوا أهمية الحرب النفسية بشتى صورها .

ان فهم الحرب النفسية أمر ضرورى لا لضمان التعاون من جانب العاملين فى حقل الخدمة ولكن لاتقاء شر الشعور بالعبث الذى يسيطر عليهم ، وهم بذلك يشعرون بالفرق بين الحرب عن طريق العبارات والحرب باستخدام المدافع ، كما يشعرون بالفرق بين نوع العمل الذى يؤدونه ونوع العمل الذى يؤديه المبتكرون .

٢ - يجب أن يكون موظفو الخدمة من النضوج بحيث يقدرون العمل وينسجمون مع الناس ذوى الطباع التى تختلف عن طبائعهم .

ان احتمال استخدام رجال كانت خبرتهم قد هيات لهم الاتصال بأفراد من اجناس مختلفة يفيد فى عمليات الحرب النفسية ، اذ يكون لديهم خبرة وتجربة فى نطاق الاعمال .

كما يجب أن يكون الرجل الذى يحتمل أن يعمل فى منطقة القتال - بغض النظر عن وظيفته - فى حالة بدنية طيبة . وقد كان هذا المؤهل أمرا بديهيا فى رأى ذوى الخبرة لأن رجال الخدمة فى الحرب الماضية كانوا يؤخذون من الجيش وهذا يعنى أن الرجال قد اختبروا وفق مستويات بدنية معترف بها . وخلاصة القول ان عامل الحرب النفسية يجب أن يحب مهنته ، ويعيش فيها ، ويعطى نفسه كلها لمهنته .

\* \* \*

وعندما يأتى موضوع الاختيار الفعلى للموظفين فان المستويات السابقة بيائها لا ينبغى مراعاتها مراعاة حرفية . فالانتاج فى الحرب النفسية يمثل المجهودات المجتمعة لعدد كبير من الناس . انه نتيجة عمل فريق . وهذه الحقيقة تفسح مجالا للمرونة فى اختيار الموظفين اللازمين اعظم عمليات الحرب النفسية .

ان المعايير السابق ذكرها ليست الا دليلا نستعين به في اختيار مجموعة الافراد القادرين على تادية عملية الحرب النفسية بعملهم معا . والمهم - من ناحية التجنيد - أن نختار الأفراد الذين ينسجم كل منهم بيسر ضمن الوحدة التي يعمل فيها ، والذين يؤدي كل منهم دورا تحتاج اليه الوحدة مهما كان هذا الدور صغيرا في عملية المهارات المطلوبة . ان هذا أفضل من أن نحاول التوفيق بين الأفراد الذين تتوافر فيهم مجتمعين المؤهلات الوظيفية المطلوبة .

# المخططات التخطيطية والعمليات

الفصل الأول

مشاكل التخطيط

الفصل الثاني

أهداف العمليات

الفصل الثالث

الحرب النفسية الدفاعية





## شاكل التخطيط

فى الحياة العادية يقوم الفرد غريزيا بعمل خطة سريعة لاي مشكلة ولو يسيرة تواجهه فى حياته اليومية . ان مجرد تفكيره فى عناصر هذه المشكلة ومحاولته التمعن فى الطرق المفتوحة امامه يوصلانه فى النهاية الى اتخاذ سبيل معين يحقق له التغلب على هذه المشكلة ، وهذا هو التخطيط فى أبسط صوره .

وفى الجيش حينما يقوم ضباط التشكيلات بوضع الخطط العسكرية لوحدهم ، لا يستطيعون القيام بذلك قبل دراسة كمية من المعلومات المتعلقة بالمسألة دراسة دقيقة مستفيضة . فاذا انتقلنا الى صورة أكبر نجد أن ضباط الأركان المسؤولين عن التسليح فى الجيش لا يمكنهم أن يضعوا خطط التسليح قبل قيامهم بدراسة واسعة تفصيلية لعدد من المسائل التى تتحكم فى خطة التسليح ، فمثلا لا يستطيع من يضع الخطة أن يحدد نوع السلاح المناسب لجندى المشاة قبل أن يسأل نفسه مرارا عن نوع الغذاء الذى يتناوله هذا الجندى وما الكميات التى تصرف له وما السعر الحارارى الذى يجب أن تعطيه الوجبات اليومية بحيث تمكنه من المحافظة على لياقته البدنية ، كما يجب أن يعرف قدرة هذا الجندى فى تحمل قطع المسافات المختلفة حاملا السلاح المناسب .

ولكن الامر ليس بهذه البساطة حينما توضع الخطط الاستراتيجية أو حينما يبدأ المختصون فى اعداد التخطيط القومى الكامل للدولة . ان الأمثلة

السابقة لتبرز لنا كمية المعلومات الدقيقة المطلوبة وتوضح لنا عدد الأسئلة الهائلة التي تطرح عادة للمناقشة عند التخطيط لمش هذا العمل الضخم .

فاذا ما ألقينا نظرة على تسلسل اجراءات التخطيط للعمليات الحربية نجد أنه يهبط متدرجا من أعلى قمة الهرم الى قاعدته ، اذ بعد أن تعين القمة - السلطة العليا - الهدف الاستراتيجي يبدأ التخطيط للعمليات الحربية في المستويات المختلفة حتى تصل الى القاعدة في أدنى مستوياتها . وفي هذه الصورة نجد أن من يقوم بالتخطيط في جميع هذه المستويات يستطيع أن يحدد احتياجاته مقدما ، وأن يعين بالتفصيل مسئولية كل فرد في العملية بل يستطيع أن يضع برنامجا زمنيا لتحقيق المراحل المختلفة من الخطة .

ولكن الأمر يختلف اختلافا بينا في التخطيط للحرب النفسية، فعلى الرغم من أنه قد يكون من المستطاع أن تحدد الاهداف وعلى الرغم من أن الاحتياجات العامة قد تكون واضحة لمن يقومون بالتخطيط للحرب النفسية ، فمن جهة أخرى لا يستطيع الخطة أن تضع الحدود الزمنية التي يمكن تحقيق هذه الاهداف في مداها ، ولا يمكنها - كما في الخطط الحربية - أن تبرز العلاقة بين الاهداف المختلفة في شكل واضح دقيق مقدما . وقد يكون من الميسور أن تحدد المسئوليات والواجبات لمن يقومون باعداد الحرب النفسية وتنفيذها ، ولكن نظرا لاختلاف طبائع الافراد الذين يشتركون في تنفيذ الخطة ، والتناقض الوظائفى بينهم كما ظهر سابقا ، فان العامل البشرى يتحكم في التخطيط الى مدى بعيد . اذ تشترك في هذه الحرب عناصر بشرية متباعدة التفكير والسلوك وادارات مختلفة غالبا ما تسيطر عليها عقدة الكرامة الوظيفية .

وعلاوة على ذلك فان الحرب النفسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بسير العمليات الحربية ، ويتوقف نجاحها أو فشلها الذى لا يمكن ادراكه أو الاحساس به على المواقف السياسية والعسكرية المختلفة . ان نجاح الحرب النفسية أو فشلها لا يظهر الا بعد مدى طويل ، وبصرف النظر عما تدعيه دعاية العدو وتزعم لنفسها أنها هي التي أدت الى نتيجة الحرب النفسية ، غير أنه فى الحقيقة لا يمكن ادراك

ذلك الا بنتائج العمليات الحربية التي تحقق النصر أو الهزيمة • ولنضرب مثلا بما حدث في الحرب العالمية الثانية من ادعاء كثير من النقاد بأن الانفجار الذرى الذى حدث في هيروشيما هو الذى أنهى الحرب ، ولكننا فى الحقيقة اذا تعمقنا الدراسة نجد أن اليابان قد بدأت فى محاولات الصلح قبل القاء هذه القنبلة بوقت طويل • ونعتقد أن الحرب النفسية هى التى كان لها الدور الفعال فى استسلام اليابان • أن اذاعات زخارياس (١) السرية التى حولت فكر اليابانيين من الاستسلام الى فكرة التسليم والوسائل النفسية التى استخدمها الأمريكيون للتمهيد بضرب هيروشيما يعتبران العاملين اللذين لعبا دورا فعلا فى تحقيق النصر العسكرى •

ففى الخطة الاستراتيجية الامريكية التى وضعت فى سنة ١٩٤٥ لتنفيذ احتلال اليابان تقرر هدف واضح هو شن حرب نفسية مشددة الغرض منها تحقير القيادة العليا اليابانية فى نظر الشعب اليابانى ، والخط من شأن أفرادها ، وبذلك يقل نفوذها بسبب ترددها وما يقوم بين أفرادها من النزاع الداخلى •

وكان القرار الذى اتخذته الولايات المتحدة للقيام بهذه الحملة النفسية يعنى أن يقوم بهذه المسؤولية متحدث رسمى فى منصب كبير للتعجيل بتسليم اليابان دون قيد أو شرط وبلا حاجة الى النزول فى الاراضى اليابانية ومواجهة المقاومة العنيفة ، وأسميت هذه المهمة للقبطان زخارياس •

وقد ذكر لنا زخارياس فى كتابه « مهمة سرية » Secret Mission مشروعا لاسلوب التطبيق العمل الذى شملته هذه الخطة لتحقيق الغرض المنشود. ونحن نضعه أمام القارئ كما جاء بالنص :

---

(١) القبطان ايليس زخارياس من البحرية عمل بالخبرات الامريكية ما يزيد على ربع قرن واختير عام ١٩٤٥ ليكون المتحدث الرسمى للحكومة الامريكية للتعجيل بتسليم اليابان دون قيد أو شرط • وقد قدم مشروعا للسلطات المختصة ببدء الحرب النفسية ضد اليابانيين ، وكان لاذاعته الناجحة اثر كبير فى استسلام ألمانيا ، وفى كتابه مهمة سرية اصدار شركة « ج ب » بوتمان وأولاده بنيويورك نص لاربعة عشرة نشرة اذاعية •

تلقى على المتحدث الرسمي مسؤولية :

١ - وضع أسس التطبيق الذى يتبعه بأن يخاطب شخصا زعماء البحرية والعسكرية والدوائر السياسية والاقتصادية فى أحاديث ودية مباشرة وواقعية ، وأن يستغل تجاربه الماضية فى معرفة ما يؤثر على عقولهم ويستلقت أنظارهم • ثم عليه أن يناقش - بعناية - مكاسبهم وخسائرهم لكي يشد أزر الراغبين فى السلام والخط من شأن أولئك الذين يتولون زمام الامور ويجذبون فكرة استمرار الحرب •

٢ - استغلال الهيئات وجماعات الصفوة داخل القيادة العليا والذين يشعرون بأن الحرب خاسرة لا محالة أو من يعارضون الاستراتيجية الحالية •

٣ - يوضح فى تفصيلات واقية وعلى أسس سليمة موقف اليابان وما يعتريه من عوامل اليأس ، وان الاستمرار فى المقاومة لا جدوى منه •

٤ - استغلال اعتراف اليابانيين بضعفهم واختلال صفوفهم واستحالة وجود شيء لعلاج هذا الوضع •

٥ - استغلال خسائر القوات البحرية وعلاقتها بأرض الوطن ويضيف الى ذلك اندحارهم برا وبحرا •

٦ - يؤكد فى قوائم مفصلة الخسائر فى السفن والارواح - تلك الخسائر المتعاقبة - التى تؤدى الى انهيار القوة ومعدات القتال بوجه عام •

٧ - يؤكد تلك القوة الهائلة التى تضاف الى القوات الضخمة الموجهة الى الاراضى اليابانية اثر انهيار ألمانيا •

٨ - استغلال تنحى حليفهم ايطاليا وعودة فرنسا كعامل قوى فى الحرب وهدفها واهتمامها بالمناطق التى تشرف عليها اليابان •

٩ - استغلال عدم توفيق اليابانيين في تقدير موقف الروس في الحرب وخاصة تلك الاحداث المذهلة والتي سبقت دخول اليابان في الحرب مباشرة .

١٠ - استغلال الاحتكاك الموجود فعلا بين اليابان وألمانيا في جميع النواحي .

١١ - استغلال خوف اليابانيين من الفوز ، ويتضح ذلك من تهويلهم ومبالفتهم حول التدابير التي تتخذ للدفاع عن أرض الوطن « ويعيد ذكرى بيانات قادة الجيش والبحرية الألمانية قبل النزول في نورماندى » .

١٢ - يوضح أن التسليم غير المشروط لا يعنى أكثر من وقف الاعمال العدوانية نهائيا ، والتخلي عن الاسلحة طبقا لبيان الرئيس روزفلت الذى قدمه للكونجرس (١) ثم عليه أن يضرب أمثلة بألمانيا وغيرها من المناطق المحتلة بما فيها المناطق اليابانية التى سبق الاستيلاء

---

(١) استغل زخارياس اجزاء من بيان الرئيس الامريكى فى الكونجرس بخصوص اليابان فى حملته الاذاعية وكان يكررها فى اذاعته للتأثير على تفكير الشعب اليابانى للتعجيل بالتسليم . وكان نص البيان كما كان يذيعه وينسبه للرئيس الامريكى هو « لقد اندحرت ألمانيا النازية .. وشعر الشعب اليابانى بوطاة هجماتنا من البر والبحر والجو . وطالما قرر قادة قواتهم المسلحة مواصلة الحرب ، فان قواتنا الصاربة وضربتنا القوية المتلاحقة سوف تسبب تدميرا شاملا للانتاج الصناعى فى اليابان ولوسائل الشحن ولكل شئ من شأنه تدعيم النشاط العسكرى . وكلما طالبت فترة الحرب كلما ازداد شقاء الشعب اليابانى دون جدوى - ولن تتوقف ضرباتنا حتى تلقى القوات العسكرية البحرية اليابانية اسلحتها وتذعن للتسليم غير المشروط .

ماذا يعنى التسليم غير المشروط بالنسبة للشعب اليابانى ؟

معناه نهاية الحرب .. معناه نهاية نفوذ القادة العسكريين الذين جلبوا اليابان الى حافة الكارثة .. معناه عودة الجنود والبحارة الى عائلاتهم ومزارعهم واعمالهم .. معناه وضع حد لهذه الآلام والشقاء الذى تعانىه اليابان بأمل يانس فى احراز النصر .  
التسليم دون قيد أو شرط لا يعنى ابادة أو استعباد الشعب اليابانى .

عليها لكي يثبت عدم استخدام العنف ضد أى فرد فى تلك المناطق  
الا اذا أدانته قانونا لجنة جرائم الحرب • ويؤكد بصورة قاطعة  
الامور التى سوف نتجنبها ولكن لا يذكر أى التزامات من ناحيتنا  
لكى تكافح تنبؤات اليابانيين الحالية التى توحى بالاعمال الوحشية .

١٣ - استغلال ما قد يلحق باليابانيين من الاحداث ويربط بها حالة  
اليأس الذى لحق بزعماء النازى فى ألمانيا •

والحق أن المشروع السابق ذكره يقدم لنا صورة واضحة عن الاصول التى  
يجب أن تراعى عند كتابة مخطوطات الاذاعات ، وكيف يجب أن تعضد السياسة  
والتوجيهات القائمة ، كما يجب ألا تكشف عن شىء يعرض اجراءات الامن للخطر .

كما أنه يوضح لنا أهمية التأثير الزمنى والسيكولوجى للدعاية ، وضرورة  
تجنب اغصاب جانب من العدو ، واستغلال الخلافات الداخلية والخارجية للتفرقة  
والانقسام •

كما أن خطة الحرب النفسىة التى وضعها الامر يكون ضد اليابان أتت ثمارها  
ولعبت دورا كبيرا فى استسلام اليابان •

وعلى الرغم من أن أثر القاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكي استولى  
على خيال العالم أجمع وجعله يعتقد أن اليابانيين لم يلجأوا الى التسليم الا نتيجة  
هذه القنبلة ، فإن الحقيقة غير هذا . ان القنبلة الذرية كان لها أثر خيف وصدمة  
رهيبية فى أذهان البشر ، كما كان لها أثر فى وضع حد للحرب بصورة مروعة ،  
الا ان الحرب النفسىة التى شنت ضد اليابان قبل قذفها بالقنابل كان لها أثر  
فعال فى تهيئة اليابانيين ودفعهم الى اصدار قرار الاستسلام •

على أنه يجب ألا ننسى أن الحرب النفسىة تختلف اختلافا جوهريا عن الحرب  
الفعلية من ناحية الشكل والاهداف ، فهى ليست الا مجرد سلاح مساعد لتحقيق  
اهداف العمليات الحربية وقت الحرب ، وتحقيق أهداف سياسية وقت السلم ،

علاوة على أن الذين يقومون بإعدادها وتنفيذها منتشرون بين أجهزة وإدارات عديدة غير مرتبطة ببعضها البعض لا في التنظيم ولا في المسؤوليات التي تقوم بها . ولذا يكون أمام من يقومون بوضع خطة الحرب النفسية مشكلات رئيسية تواجههم عند وضع الخطة العامة ، منها :

١ - الاستراتيجية الكبرى للدولة وإلى أى مدى تتمشى خطة الحرب النفسية لتحقيق أهداف الخطة الكبرى .

٢ - قيود الأسلحة المختلفة التي ستعاون في تنفيذ الخطة ، ونعنى بها في هذا المجال المواد والاحتياجات المطلوبة .

٣ - العامل البشرى .

٤ - الدعاية المضادة .

٥ - التوجيهات المكتوبة .

## الاستراتيجية الكبرى :

نلاحظ في أثناء الحروب أنه بالرغم من أن العلاقات الدبلوماسية تعتبر مقطوعة بين الدول المتحاربة ، فإننا نجد أن للسياسة نفوذا كبيرا على محتوى الحرب النفسية . ففي الحقيقة تنشأ علاقات بين هذه الدول يكون لها صفة خاصة من ناحية التوتر والحساسية والعنف ، ويزداد تخطيط نشاط كل جانب في محاولة التعرف على نقاط ضعف الآخر . فمثلا استطاعت القوات المسلحة الأمريكية وكذلك حكومة الولايات المتحدة أن تعرف عن اليابان في الحرب العالمية الثانية أكثر مما كان يمكن معرفته بالدراسة لمدة عشرين عاما وقت السلم .

ومن جهة أخرى نجد أن كل دولة في زمن الحرب تحاول أن تصل إلى نوايا العدو ومعرفة ما يهتم به فعلا ، وهي في هذا الميدان تحاول أن تستغل نوايا العدو لصالحها ، وهنا يلعب رجل الدعاية دورا كبيرا في جعل العدو في حالة شك دائم فيما يرسمه من سياسة .



على أن الاستراتيجية المدعاة تعتمد على الإطار العام للسياسة وعلى الظروف التي تحقق النجاح أو تعوقه . ان الفرض الأساسي للسياسة يمتد من إعادة بناء المجتمع الى موضوعات محلية عاجلة كما يتضمن الاعتماد الكامل على الاقتناع والقضاء التام على المدعاة .

فلو فرض مثلا أن هناك خطة شاملة للتغير الاجتماعي عن طريق الوسائل السلمية ، فان المشكلة الأساسية للتخطيط الاستراتيجي تكمن في التوازن بين تحقيق نجاح سريع والاستغناء عن بعض التفاصيل ، وعلى سبيل المثال فقد ارتدى الجزويت في الصين ملابس العلماء المحليين كوسيلة لتعديل غرابة طريقة الحياة المسيحية .

وفي التخطيط الاستراتيجي للمدعاة لابد من أن يراعى تهنيها مع السياسة القومية للدولة ، فمثلا نجد في ألمانيا الهتيرية أن استراتيجية الحزب الاشتراكي الوطني قبل الاستيلاء على السلطة في ألمانيا كانت تهدف الى منع تجمع الاشتراكيين والشيوعيين والمحافظين الذين كانوا بمثابة حجر عثرة أمام الحزب ، ولكن بمجرد أن استولت الاشتراكية الوطنية على الحكم ، انتقلت المشكلة الى نطاق السياسة الدولية وأصبح هدف الاستراتيجية منع الشرق أو الغرب من اتخاذ خطوات ايجابية ، بينما قامت ألمانيا باحتلال الراين واستيعاب النمسا وتقسيم تشيكوسلوفاكيا ثم أعلنت الحرب على بولندا . وبعد فسخ ألمانيا علاقتها مع الاتحاد السوفيتي أصبح الفرض الاستراتيجي الاساسي هو الفصل بين الشرق والغرب حتى يمكن تجنب القتال في جبهتين .

وهنا تظهر مشكلة كبيرة ، اذ يشعر رجل المدعاة أحيانا بالامتناع اذا ما فاته فرصة مواتية للمدعاة نتيجة القيود التي تفرضها عليه السياسة القومية لدولته ، فهو ينظر في تلك الحالة للموضوع نظرة حرة بحتة ، غير مقدور المسؤولية الكبرى لاهداف دولته القومية . وقد يؤدي اصراره على هدفه الداعي الاصغر الى عدم نجاح الخطة الاستراتيجية الكبرى .

ففى الحرب العالمية الثانية لاحظ الاذاعيون الألمان الذين كانوا يوجهون برامجهم الى أوروبا الشرقية محاولين إبراز الاشتراكية الوطنية الألمانية فى صورة مضادة للرأسمالية أن الاذاعة البريطانية كانت تسرع فى نقل أغلب البيانات المضادة للرأسمالية التى كان يذيعها الألمان لتعيد اذاعتها على دول غرب أوروبا حيث كان يزعم الألمان لتلك الشعوب أنهم يعادون الشيوعية ويدافعون عن مبدأ الملكية الخاصة .

وفى الواقع يكون من الصعب المحافظة على التوازن بين سياسات الجبهة الداخلية والحرب النفسية فى الميدان ، فأحيانا تكون العبارات التى توجه للعدو فى جبهة القتال بنجاح عامل مضايقة للشعب فى أرض الوطن ، وفى مثل تلك الحالة لابد للعدو من استغلالها باعادة ارسالها لتوجه الى شعب الجانب الآخر هادفة من ذلك التأثير على الاوضاع الداخلية لديه . وعلى العكس فقد تسبب الدعاية الداخلية أحيانا أضرارا بالغة فى مساح القتال اذا ما تسربت معلومات عن الجبهة الداخلية تؤثر على معنويات الجنود فى الميدان ، ومثال لذلك :

« لو فرضنا أن احدى الدول التى يعانى شعبها نقصا فى الغذاء والكساء قد وعدت جنود العدو فى اذاعتها بالغذاء الجيد والثياب الملائمة - اذا تركوا صفوفهم وهربوا - واستطاع الجانب الآخر أن يلتقط هذه الاذاعة ويعيد توجيهها الى المدنيين فى الدولة التى وجهت هذا النداء ، فان النتيجة الحتمية أن هؤلاء المدنيين سوف يتأثرون تأثرا بالغا من حكومتهم التى تحرمهم مطالب الحياة الضرورية لاعطائها للعدو المعتدى » .

ان الحرب النفسية الصحيحة السليمة يجب أن تضع فى الاعتبار حقيقة واضحة ، هى جعل هدفها النهائى انهاء الحرب بنجاح .

وهناك صلة هامة بين السياسة وبين الدعاية فى وصف طبيعة العدو . وفى عمليات القتال يسهل فى أغلب الاوقات معرفة من هو العدو ، فهو الرجل الذى يرتدى كسوة عسكرية تخالف الكسوة العسكرية التى يرتديها جنودنا ، وهو

الذى يعمل مع أى قوة معادية ، ولكن الامر ليس بهذه السهولة بالنسبة للحرب النفسية . فهى تحاول أن تجعل جنود العدو يعتقدون أنهم ليسوا أعداء بل العدو المقصود عناصر أخرى مثل الملك أو الحاكم أو حزب سياسى أو نظام أو مذهب معين ، ولكن من جهة أخرى لا يكون هناك جدوى لمثل تلك المحاولة بعد عملية تدمير عنيفة بالطائرات أو المدفعية .

ومن النماذج الناجحة فى دعاية الحرب العالمية الثانية تلك التى قدمها الاخصائيون السوفييت على هذا المنوال ، فقبل نهاية الحرب كان السوفييت قد استطاعوا أن يضموا الى جانبهم عددا كبيرا من الجنرالات الألمان المقتنعين بأن هتلر الذى لا يعرف أى شىء عن حرفة الحرب يدمر الجيش الالمانى العظيم فى عمليات عدوانية كحملات الهواة ، وأعطت كلمات ستالين : « فلتعش الدولة الالمانية وليعش الشعب الالمانى » ثغرات للدعاة السوفييت يخرجون منها بمزاعم بأن ألمانيا ليست هى العدو بل أن العدو هو النازيون والنازيون فقط . ويعتبر ذلك حربا نفسية ذات مستوى عال لان السوفييت أقاموا بدعايتهم فكرة أن العمال والفلاحين الألمان نظرا لولا أنهم طبققتهم انما يقفون آليا الى جانب الاتحاد السوفييتى موطن العمال ، وبذلك استطاع السوفييت أن يضموا الى جانبهم عددا كبيرا من شعب العدو .

واذا ما كانت حملة الحرب النفسية تدار لغرض سياسى محدد تصبح السياسة عاملا مساعدا أكثر من أن تكون قيادا معطلا ، ويستطيع القائم بأعمال الحرب النفسية أن يصف النظام السياسى لبلاده فى ضوء لامع ويستطيع أن يعلق ببعض أشياء للمجاملة عن زعماء العدو أو عن الاحزاب السياسية فى بلاد العدو مما قد يحقق النجاح باجتذابهم ، ولكن يجب ألا تصل هذه المجاملة الى ما يوصف « بقبلة الموت » على مثال ما تقوم به دعاية الدول الاستعمارية والرجعية فى الافاضة بامتداح الخونة وعملائها فى الدول المتحررة .

فاذا كانت السياسة سياسة دفاعية ليست واضحة الاتجاه وجب أن تتجنب الحرب النفسية الاخطاء اللفظية ، فهى الحرب العالمية الثانية لم يكن الامر يكتفى

يستطيعون أن يقولوا أنهم ضد الحكومات ذات الحزب الواحد لان حليفهم الكبرى كانت دولة ذات حزب واحد ، ولم يكونوا يستطيعون أن يهاجموا المشروعات المتحررة للحكومتين الالمانية أو اليا بانية لانه كان بين الحلفاء دول اشتراكية ، ولم يستطع الامريكيون اثاره مسألة التفرقة العنصرية لان تكوين الولايات المتحدة يجعلها معرضة لهجوم قاسى من هذه الناحية .

وعموما فان التخطيط يواجه مشكلة كبيرة تكمن فى طيات الاستراتيجية القومية للدولة ، حيث تشعب العناصر المتعددة فى جمع فروع أجهزتها ، وحيث تتشابه الأهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها. ولذا فان لم تتمشى خطة الحرب النفسية مع أهداف هذه الاستراتيجية ومراحلها نجم عن ذلك كثير من الصعاب التى قد تؤدى فى بعض الاحيان الى أزمة بين الدول لا سيما فى فترات ما قبل الاعمال العدائية ، بل قد تضع الدولة فى موقف دولى فاضح . ولنضرب لذلك مثلا ما قامت به الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ بارسال انذار للجمهورية العربية على لسان جورج اكن - مبعوث دالاس - حينما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى سبتمبر عام ١٩٥٥ كسره احتكار الغرب للسلاح . وقد كان رد الرئيس على هذا الضغط السياسى السيکولوجى من جانب الولايات المتحدة أن واجه هذا التحدى السافر باعطائها درسا قاسيا فى آداب السلوك الدولى .

ويمكن أن نتساءل كم كان تأثير هذا التصرف من الحكومة الامريكية الذى اتسم بالرعونة لا على الراى العام الدولى فحسب ، بل كذلك على الراى العام لشعب الولايات المتحدة . ان هذا مثل حى لعديد من الضغوط السياسية وأعمال التآمر التى كانت تمارسها وكالة المخابرات(١) المركزية الامريكية على الشعوب المتحررة التى تنشئ التقدم والتى تعمل على تحقيق رفاهية مجتمعاتها بعيدة عن أى نفوذ أجنبى .

---

(١) راجع كتاب الحكومة المستترة بقلم ديفيد وايز ورويس روس .

ان الأزمات الدولية قد تفرض على أى دولة أن تضع تخطيطا سابقا للعمليات العدائية ولكن من الضروري قبل الوصول الى هذه المرحلة أن يقدر الموظفون المسؤولون الذين يعملون في ميدان الحرب النفسية الى أى مدى يستطيعون تحقيق التعاون بين جميع الهيئات في حالة حدوث طارئ حقيقي .

## القيود المختلفة :

مما لا شك فيه أن الحرب النفسية كأي نوع من الحرب لها قيود تؤثر على التخطيط ، فهناك قيود اجراءات الأمن التي سنشرحها بالتفصيل في فصل قادم ، كما أن هناك القيود ووسائل الاعلام التي سنبحثها الآن .

الواقع أن هذه القيود يجب أن تكون محل اعتبار لدى كل من يعمل في ميدان الحرب النفسية ، فمثلا لا يجوز أن تستخدم الحرب النفسية الاذاعة في المناطق التي لا تعرف أجهزة الراديو ، ولا يجب أن تسقط الهيئة التي تتولى الحرب النفسية الكتيبات والنشرات على الناس الذين لا يعرفون القراءة والكتابة . ان هاتين القاعدتين تبدوان واضحتين ولكنهما مع هذا لا تراعيان في كثير من الاحوال . ولا ينبغي أن تفترض الحرب النفسية أن الانباء الشاملة أو الحملة التي توجه للتأثير على الروح المعنوية يمكن أن تحقق النتائج المرجوة ما لم تكن المعلومات الموثوق بها هي أساس الدعاية التي تلقى قبولا ممن توجه اليهم .

ومن السخف أن ترسل الاذاعات للجماهير عندما يكون معروفا أن الجماهير ليس لديها أجهزة استماع ، ولقد حدث هذا في الاذاعات التي وجهتها هيئة الاستعلامات الأمريكية الى اليابان في الجزء الاول من الحرب على الموجة القصيرة ورغم التقادير التي تقول ان أجهزة الاستقبال على الموجة القصيرة غير معروفة خارج الدوائر الحكومية اليابانية أو خارج دوائر الأثرياء أصحاب الأعمال . وكان المعروف أن الحكومة اليابانية نفسها كانت تسمع وأن محتويات الاذاعات الأمريكية كان يعاد ارسالها بواسطة محطات الاذاعة للجيش الياباني .

ولقد اقترح في صيف سنة ١٩٤٢ أن تذبح محطة اذاعة سان فرانسيسكو دعوة من « متحبي الفنون الامريكية » تطلب من اليابانيين أن ينقلوا من مدنهم

الكبيرة كتبهم وآثارهم الفنية التي لا يمكن أن تقدر بمال قبل أن تقوم الطائرات الأمريكية باغاراتها الفتاكة ، واذاعت محطة سان فرانسيسكو الرسالة ولكن لم يسمع اليابانيون شيئاً عن ذلك من مصادر يابانية • وبعد أربعة أيام أذاع راديو لوكسمبرج الخاضع للألمان رسالة لليابانيين تخبرهم أن وزارة الجو الأمريكية التي تجمع الوحوش الضارية اعترفت تدمير الآثار الثقافية ، وقد أضاف المعلق الألماني أن هذا ليدل على أعمال الأمريكيين غير المتحضرين • وقد انقطعت محطة نيويورك هذه الاذاعة الألمانية • واستمتع الكاتب الأمريكي بانتشار رسالته التي دارت حول العالم ، هذه المتعة الشخصية سببت من الناحية الواقعية ضرراً بالغاً لأنها أعطت النازيين موضوعاً آخر يستغلونه في الدعاية المضادة •

على أن فيود الاعلام يمكن التغلب عليها باستخدام الوسيلة الصحيحة في الوقت الصحيح المناسب ، فالاذاعة يمكن استخدامها حينها يتيسر للمستمعين اجهزة الاستقبال ، كما أن المواد المكتوبة (١) تلقى في المناطق التي يتوافر فيها بعض الناس الذين يعرفون القراءة على الأقل •

ومن الضروري عند بحث استخدام الاذاعة حصر العدو الذي يحتمل أن ينصت لها على أن يراعى مدى اهتمامه بالرقابة على الاستماع للاذاعة ، ومعرفة عادات الاهلين ، والتوتر الذي يكون قائماً بين جنود العدو أو بين المدنيين ، وكذلك بحث العوامل الأخرى التي يمكن أن تؤثر في الموقف •

وفي بعض الاحوال تجتاز الوسيلة المستخدمة كل العوائق المتوقعة ، فلقد أسقط الأمريكيون والانجليز النشرات على برلين ، وكانت تملأ أركان النشرات رموز وأرقام لتوضح السلسلة التي تتبعها كل نشرة ، وبذلك يمكن أن ترتب كل

---

(١) أعدت ادارة استعلامات الحرب في الصين بناء على طلب مركز رئاسة القول الامامى للحلفاء

نشرات تحتوى على صور ، لسكان الجبال الذين يعيشون بين الصين والتبت لتخبرهم بانقاذ الطيارين الامريكيين الذين تسقط طائراتهم ، فلم تكن من فائدة للتحدث في الاذاعة لهؤلاء الناس بل كانت الاذاعة بمثابة البصق في المحيط الواسع كما أنه لم يكن فيهم من يستطيع القراءة فكانت الصورة هي الوسيلة الوحيدة للإرشاد •

سلسلة لتكمل بعضها البعض . وعلى الرغم من أن الألمان منعوا المدنيين من التقاط هذه النشرات وبعثوا بالجنود من الشباب الهتلري لجمعها من الطرقات وحرقها ، فإن الصبيان والفتيات قاموا بدورهم بلذة وسرور في جمعها . لقد أحرق الألمان الكثير من هذه النشرات ، ولكن جاء اكتشاف النازيين لهذه النشرات متأخرا جدا . ان أطفال المدارس كان لديهم الشغف بجمع هذه النشرات مستخدمين الرموز والارقام لاعداد سلاسل كاملة منها . وكان بعضها اندر من البعض الآخر ، ولهذا كان الأطفال يبحثون جادين عنها ويتبادلونها كما يحدث بين هواة جمع الطوابع وذلك لاعداد البومات طريفة . ان مالم يجسر الآباء والامهات على جمعه من الطرقات كانوا يجدونه كاملا عند أطفالهم الصغار ، وبالطبع فان الذين وضعوا تخطيط هذه الحملة لم يفكروا بحال ما في مثل تلك النتيجة .

## العامل البشرى :

يلعب العامل البشرى دورا كبيرا في التخطيط للحرب النفسية ، فالحرب النفسية تتطلب أشخاصا في مستوى الاحتراف ، ففهم العامل «Operator» الذى يقوم بنقل مواد الدعاية سواء تم هذا بالمواصلات اللاسلكية أو آلات الطباعة وغيرها . هذا العامل غالبا لا يكون على مستوى عال من الامن ، وعلى الرغم من ذلك فهو يقوم بدور لا غنى عنه لاتمام أعلى استراتيجية فى الدولة .

وهناك الكاتب الذى يقوم باعداد المواد ، وعلى الرغم من أنه قد يكون مأجورا فمن الناحية النفسية لا تستطيع أن تحركه يمة ويسرة كما تحرك صنبور الغاز ، اذ أنه مهما كان هذا الكاتب على أدنى مستوى فى حرفته ، فهو غالبا لا يستسيغ ان يتدخل فى تفكيره وآرائه الا بالدرجة التى قد تخدم قضية ما . ان الكاتب فى مثل تلك الحالة لا يحتاج الى أكثر من ارشاد وتوجيه . أما اذا قام المسؤولون عن اعداد الحرب النفسية بالتدخل تفصيليا فى المواد التى يكتبها ، فان النتيجة التى لا مفر منها هو الخروج بمادة هزيلة ضعيفة لا حيوية فيها ، وبذا تفقد قيمتها التأثيرية على الذين ستوجه لهم .

وغالبا ما يحتاج الاعداد للحرب النفسية الى كثير من اللغزين والسامين  
الهرة الذين قد يكون بعضهم موضع شبهة في اتصالهم بالعدو ، أو قد يكونون  
من الاجانب المستوطنين الذين يملعون في مثل تلك الحالة للعمل « كعميل  
مزروع » Double Agent وهنا يجب ألا نفعل قيمة المعلومات السرية التي قد  
تتداول بين أيديهم (١) .

وعلى العموم فان أي عملية من عمليات الحرب النفسية بواجهها عائق فعال  
يفرضه عدم توافر الرجال ذوي الكفاية الخاصة في هذا الميدان فالتقاء المسكرى  
الذى يفترض أنه يحصل على معاونة جوية لمجرد رؤيته لبعض طائرات في الجو  
لهو قائد متسرع ، والميكروفون وحده لا يستطيع ان يحقق الاذاعة الناجحة .

ان الافراد الذين يستخدمون صوتهم في عملهم يجب أن يجيدوا الحديث ،  
فان مجرد معرفة اللغة لا يكفي ، والذين يعملون بالكتابة يجب أن يكونوا في  
مستوى الكتاب المحترفين .

على أنه من جهة أخرى يجب ألا يدفع الافراد المتوفرون عند القيام بواجبهم  
الى التغال في الاحتراف ، فكثيرا ما فشلت المصاعية لأن الذين كانوا يقومون بالعمل  
حاولوا القيام به على درجة عالية من الاحتراف (٢) .

وطالما سمح الموقف السياسي المسكرى فان الاجراء المقبول المنطقي ان  
يفحص انتاج الدعاية مع أشخاص من أسرى العدو المسكرين أو المدنيين ، ومن  
الممكن للمستجوب المصيف النابه أن يدرك ما اذا كانت تعليقات هؤلاء الأخرى  
أمانة أو أنهم يقصدون الخديعة والتضليل .

---

(١) العميل المزروع اصطلاح يطلق في اعمال التجسس على العميل الذى يعمل لحساب منطقتين  
مختلفتين من منظمات المخابرات ، وغالبا ما يكون نشاطه معروفا لدى الطرفين .

(٢) عندما اراد المتحذرون اليابانيون أن يزعموا أنهم أمريكيون واستخدموا اللهجة العالمية  
الهجورة التي كانت مستخدمة سنة ١٩٢٠ اناروا من الاستخفاف والازدراء اكثر مما كان  
ممكنا ان يشروه لو أنهم استخدموا اللغة الانجليزية اليسرة المستخدمة في الكتب  
الدرسية .



وفي الحرب العالمية الثانية مكنت الاجراءات الجيدة للحرب النفسية في كثير من الحالات من تحويل الاحتمالات الى مدخرات للاستغلال ، فكثيرا ما اضطرت جماعات الدعاية - لعدم وجود « أوركسترا عازفة » لديها - الى تسجيل برامج الموسيقى من محطات العدو ثم اعادتها مع تعليقات جديدة مذاعة بواسطة مذييعين من رجالها .

وقد يكون من المبعث أن تحاول انشاء وفاق ومودة مع العدو ما لم تكن تتكلم لغته بانتقان ويسر ، والا فمن الأفضل أن نعترف بأنك أجنبي تحاول أن تحدثه بلغته . أن نفسية المستمع يروق لها صورة عدوه الاجنبي أكثر من هذا الشخص الذي تحاول أن تجعله يثق به ، وهو من وجهة نظره خائن لوطنه .

ان محاولة تكلم لغة العدو غالبا ما تكون أقل نجاحا من الاعتراض صراحة بالعائق الذي تواجهه ، وهذا يعني في الممارسة العملية حالتين :

أن يجيد المتحدث النطق بلغة العدو اجادة تامة ، أو لا يبذل أى جهد لاختفاء لهجته الأجنبية .

وعلى سبيل المثال وجد أن المستمعين الالمان يفضلون في الاذاعات البريطانية الموجهة لألمانيا أن تكون في أحاديث المذيعين نبرة انجليزية عند نطقهم الكلمات الألمانية ، وكان المستمعون النازيون نتيجة عدائهم للسامية لم يكونوا ينصتون للمتحدثين الذين تبدو في لغتهم الألمانية لكنة يهودية مهما كانت في اذاعتهم من طرافة أو في جدلهم ومناقشاتهم للموقف من أدلة واعية منطقية . ومن جهة أخرى كان المستمعون الالمان مستعدين للانصات الى انجليزى أصيل بل كانوا سيשמرون بخيبة أمل لو أن المتحدثين خاطبهم بلغة ألمانية محكمة .

ويذكرنا هذا بأن البروتستانت الصينيين الذين يتبعون الكنيسة الصينية كانوا يفضلون سماع الوعظ من رجال الدين الامريكيين الذين ينطقون الكلمات الصينية بلهجة أمريكية ، حتى صارت هذه اللهجة الامريكية في تقديرهم جزءا من

الدين • وكان من المدهش أن نجد الكنيسة مليئة بصينيين ينشدون الصلوات باللغة الصينية في لهجة أمريكية تجعل بعض الكلمات خطأ في معناها ، ولكنهم مع هذا يكررونها كما هي مثل ما يفعل الصينيون البوذيون عندما يتلون صلواتهم بلغة هندية لا يفهمون منها حرفا واحدا •

ومن جهة أخرى فإن المتحدث الذى يجيد لغة العدو اجادة تامة يشير دائما السؤال التقليدى : « ماذا يفعل هذا الرجل هناك ؟ » والمواطن الخائن لا يستميل مستمعيه كما يستميلهم الاجنبى العادى الذى يخاطبهم بلغتهم بقدر ما يعرفها ، والمواطن الخائن يحتاج ناحية عاطفية قوية حتى يستطيع متابعة محاولاته ، فلقد كان لورد هاو هاو من هذا الطراز ، ولكن كانت له لهجة مسرحية أصيلة جعلت مستمعيه يقولون أنه يقف فى الجانب الخاطئ ولكنه يفعل هذا عن عقيدة على الاقل •

والمتحدث الذى يجيد اللغة سواء كان عدوا مرتدا أو صديقا من الثقافات فى اللغة يواجه دورا صعبا فى بداية الحرب عندما تكون معنويات العدو لا تزال عالية وسكان بلاده لم يفكروا بعد فى أن يغيروا من موقفهم أو من الجانب الذى يعصونه • ولكن عندما تقترب الحرب من نهايتها ويهبط المستوى المعنوى فإن الفرصة تكون مواتية لاستغلال هذا الموقف •

ان رجل الحرب النفسى الذكى النابه يجب أن يحاول أن ينظر الى رجاله كما يراهم العدو ، ويجب أن يضع نصب عينيه دائما العوامل المعطلة التى يتعرضون لها ، فهم ان تحدثوا لغة جيدة أمكن النظر اليهم على أنهم خونة وهم اذا تحدثوا بصوت سيمى يهبطون محل سخيرة المستمع •

ومن ثم نجد أن اختيار الافراد الذين يعملون فى فروع الحرب النفسية من أكبر المشكلات التى تواجه التخطيط ، ولقد سبق أن شرحنا فى الباب السابق المؤهلات التى يجب أن تتوفر فى رجال الحرب النفسية •

وعموما فإن التخطيط الجيد يجب أن يبنى على أساس تقدير الافراد المتوافرين واعتبارهم عاملا فعلا فى تقدير الموقف • ولذا فإن العنصر البشرى

يجب أن ينظر اليه في خطة الحرب النفسية من أعلى القمة حتى القاعدة ، كما أن التنسيق بين الذين يشتركون في هذه الحرب يجب أن يبنى على أساس أن يتفهم الجميع أن الهدف البعيد هو تحقيق أهداف الخطة القومية للدولة .

## الدعاية المضادة :

تعتبر الدعاية أحد العوامل المعطلة في الحرب النفسية وتحد من آثارها ، لأن قوة العدو المجاربة لا تتقابل معها بدنيا كما يحدث في الحرب الفعلية .

ومع ذلك فإن هذه هي النقطة التي تختلف بها الحرب النفسية عن أى حرب أخرى ، ويجب عدم الاكتراث بدعاية العدو الا عندما تعتبر مدخرا للاستثمار أو عندما يطلق أكذوبة ضخمة أو يقص قصة مخادعة مضللة يمكن بالقليل من التنسيق استخدامها في الدعاية المضادة .

ولكن أغلب الموضوعات والابحاث الخاصة بالعدو تعتبر ضعيفة التأثير وخاصة تلك التي تمس الحرب الايديولوجية . وقد قام النازيون والاسوقييت بدعاية جيدة ضد بعضهم البعض عندما نزلوا الى مستوى مناقشة مطالب الحياة ولم يوفقوا في دعايتهم عندما كانوا يحاولون نسج خيوط نظريات تدور حول طريقة تفكير كل منهما .

ان التنفيذ أو الدحض عملية ممتعة حقا ، وقد يكون من الطريف اجادة المناقشة والجدل للرد على خصمك وتنفيذ مزاعمه ورد ما يقول ، ولكن أفضل دعاية هي التي تبني على أساس استخدام أخطاء العدو واستغلالها في الدعاية المضادة وذلك باقامة مخطط دعائي لا صلة بينه وبين ما يكون العدو قد حققه من دعايته .

ولكن هذا لا يعنى اغفال قيمة « تحليل الدعاية » ، فمن الضروري أن يكون ضمن تشكيل وحدة الحرب النفسية جماعة مختبرات خدمة العملية .

فاذا ما قال العدو مثلا أن الحلوى التى ألقاها طياروك على مدنه كانت مسمومة وأنه قد أثبت هذا باسقاط بعض هذه الحلوى – بعد أن يكون رجاله قد سمموها فعلا – فلا محل لأن ترميه بالكذب ذلك لأنك لن تعرف لبعض الوقت ما اذا كانت حلوى مسمومة قد أسقطت أم لا •

واذا كان قائد العدو قد عرض على جنوده بعض صور لأسرى قد أسرههم الجانب الذى تعمل فيه أنت، وان هؤلاء الأسرى قد ذبحوا بواسطة رجالك، فليس من المنطق أن تطلب من أفراد العدو الاستسلام قبل أن تلقى عليهم صورا لأسرى منهم يحصلون على رعاية كريمة •

ان الدعاية الجيدة لا تحس بقلق من الدعاية المضادة ، انها لا تفترض قط أن رجل الدعاية للعدو رجل شريف « جنلمان » انه بالوصف الصحيح كاذب ، وانك أنت ومستمعوك الشرفاء الوحيدون على الارض •

## التوجيهات المكتوبة : Written Directive :

ليس هناك مشكلة تواجه كبار واضعى السياسة فى ادارة الحرب النفسية أشد اثارة وصعوبة من مشكلة التنسيق الناجح بين المجهود الدعائى لهذه الادارة ومجهودات الهيئات الاخرى بما فى ذلك كل الاجهزة التى تعمل فى تنفيذ المخططات السياسية والاقتصادية والعسكرية فى الدولة •

ولما كان تنسيق الانتاج الدعائى وملاءمته للتغيرات فى السياسة ومع تطورات المواقف والظروف التى تجدد فى العلاقات الدولية أمرا لا غنى عنه ، كان على ضباط تخطيط الحرب النفسية أن يسعوا دائما فى منظماتهم الخاصة الى ايجاد الوسائل التى تمكنهم من تحقيق التنسيق الافضل للجهد الدعائى ، وهنا تكمن الأهمية الخاصة للتوجيهات المكتوبة لادارة أعمال الحرب النفسية •

وقد ينظر الى التوجيه الدعائى Propaganda Directive على أنه بيان خاص عن السياسة يهدف الى الارشاد عن مجموعة كبيرة من الخطوات الواجب

اتخاذها في حملات الحرب النفسية • وقد يبدو الهدف الرئيسي للتوجيه المكتوب كأنه وسيلة للالتزام بالخط الدعائي العام الذي يعبر عن السياسة الرسمية تدبيراً صادقاً وأميناً ، إلا أن ذلك لا يشكل أكثر من نصف المهمة ، إذ لابد أن يحاول التوجيه أن يشجع القائمين بالتنفيذ من استغلال المصادر والامكانيات المتاحة لهم استغلالاً كافياً ، بحيث تتفق مع توجيهات السياسة •

إن التنويع والتلوين في التعبير أمر مطلوب لتجنب وطأة الملل والتكرار في الانتاج الدعائي ، كما يجب أن يهدف التوجيه الدعائي إلى تشجيع مرونة التعبير مع الالتزام بالخط الدعائي •

ولقد دفع الاعتقاد القائل بأن الحرب النفسية تتطلب تسميقاً دقيقاً بالكثيرين إلى استنباط خاطئ ، وهو أن التسميق يستلزم تركيزاً تاماً في اعداد التوجيهات المكتوبة ، ولكن إذا رجعنا إلى الوراء نجد أنه في الحرب العالمية الثانية نتج كثير من المشكلات في حرب الدعاية للحلفاء نتيجة التنظيم المعقد المبني على المركزية ، وكذا للفهم غير الواضح للسلطة من جانب الذين كانوا يتولون اعداد التوجيهات المكتوبة ، مما حدا بالكثيرين إلى توجيه النقد عن ضعف مستوى دعاية الحلفاء إذا ما قورنت بالدعاية الألمانية •

إلا أنه من هذا الضعف ، ظهرت قوة خاصة تناسبت مع كثير من الدول الديوقراطية التي خاضت الحرب ، فدعاية الحلفاء لم تهبط مطلقاً إلى مستوى الملل أو التكرار الذي كان يميز جزءاً كبيراً من انتاج ألمانيا الدعائي ، والذي كان يفقد حيويته وقوته نتيجة التكرار الملل وعدم التنويع •

وعلى النقيض فإن التلوين الذي ظهر في الانتاج الدعائي للحلفاء ، وزيادة التنويع المتباين الذي اتسمت به المصادر الخاصة ، أدى إلى اهتمام الجماهير والمستمعين • وبعبارة مبسطة فإن التنويع كان أكثر فاعلية وتأثيراً من التماثل والتطابق ولا سيما للجماهير التي تعرضت طويلاً للدعاية الدكتاتورية •

على أنه إذا كان التوجيه الدعائي ذا سمة عامة ، فإنه قد يفقد قيمته ، وإذا كان مليئاً بالتفاصيل فقد يتحطم على صخرة الأحداث قبل أن يتم توزيعه •

وقصارى القول ، فان اداة حرب نفسية على مستوى دول - ولا سيما خلال فترات التغييرات السريعة - تستلزم شيئا أكثر من التوجيهات المكتوبة .

وهنا قد يكون من المناسب أن نشير الى ملاحظة هامة ، أبداها ريتشارد هـ سـ كروسمان ، وهو من كبار مستشارى الدعاية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية ، اذ يرى أن خطب روزفلت وتشرشل كانت أفضل توجيهات تلقاها المنفذون خلال الحرب العالمية الثانية .

لم تكن هذه الخطب بالبيانات الرسمية التى تتحدث تفصيليا عن الخطوة التالية فى الحرب النفسية ، بل كانت فى جوهرها تعمل على تعبئة رجال الدعاية ، وبذل الجهود الملائمة للسياسات الأساسية للحلفاء .

يقول كروسمان : « ان خطب روزفلت وتشرشل على أهميتها ، كان من الممكن أن تسمى لو لم تتكرر موضوعاتها الأساسية وعباراتها الرئيسية فى كل وسيلة من وسائل الدعاية . ان الارشاد والتوجيه الذى أتاحه روزفلت وتشرشل لكبار رجال الدعاية من خلال الخطب الرسمية والاتصال الشخصى كان يتكرر بطبيعة الحال فى صور مختلفة من جانب الزعماء الأقل مرتبة الى الجيش الكبير من العاملين فى جهاز الحرب النفسية للحلفاء » .

كما أن الاتصال الشخصى والمؤتمرات والاتصالات المتبادلة الحرة بين المخطط والمنفذ كل ذلك ساعد على ضمان التزام الهيئات المختلفة للخط الدعاى وتنشيه مع توجيهات السياسة ، وفى نفس الوقت احتفظ بالقوة الحيوية اللازمة التى جعلته ذا تأثير كبير وفعالية قوية .

ولقد ظهر خلال الحرب العالمية الثانية تقييم جديد لهذه المشكلة نتيجة لأن للتوجيهات المكتوبة تحديدات معينة ، كما أنها تتطلب السرعة فى إصدارها وتفسيرها تبعاً للمواقف المختلفة .

ظهر هذا التقييم بشكل واضح بين من كانوا يقومون بأعمال التنفيذ . اذ يرون أن الوظيفة الاساسية التى يحققها التوجيه المكتوب ، هى اناحة الفرصة أمام المنفذين لحمايتهم من التدخل الذى لا داعى له من واضعى السياسة .

ولقد ذكر كروسمان رأى هذه المجموعة على النحو التالي :

« كلما ارتفع مستوى المسئول كان أكثر رغبة في الحصول على التوجيه ،  
وأقل نظرة في تفحص الانماج أو المضمون الدعاىى الحقيقى » .

وتكن يظهر بين الفينة والأخرى ما ينساقض ذلك ، فالمسئول الكبير غالبا  
ما يطلب رؤية النص الكامل للمنشور أو الحديث الاداعى المعادى بلغته الاصلية .

وحينئذ يصبح التوجيه لا قيمة له بالنسبة للمنفذ ، فاذا كان التوجيه قد  
صيف صياغة بارعة ، فانه يوجد مبررا وسندا لمن يمارس العمل بأن يمنع تدخل  
واضعى السياسة - الذى يعتبر حرصهم وحذرهم المتناهى فى بعض الاحيان ،  
وتظاهرههم الشديد بالقوة فى احيان أخرى - خطرا لا يمكن تجنبه على سلسلة  
العمل الجدى المستمر .

ثم ان التوجيه على ضوء هذه النظرة لا يحصى المنفذين فحسب حين تظهر  
احدى المشكلات ، بل ان هذا التوجيه يعمل أيضا كوسيلة نافعة أو أداة مفيدة  
لتهدئة الضغوط الخارجية غير ذات الموضوع التى يتعرض لها كل من منفذ الحرب  
الانفسية وواضع سياسة الدعاية أو المخطط الدعاىى .

وتحت وطأة الضغط الخارجى ، فمن المحتمل أن يتذبذب الفرد بين نقيضين :  
أولهما الحذر والحرص ، وثانيهما الأفكار والآراء المتطرفة التى تتحدى كل خيال  
واسع وخصب ، وكلا النقيضين يعرقل دائما العمليات المؤثرة الفعالة .

ان التوجيهات المعدة اعدادا كافيا تعمل على التقليل من شدة هذه  
الاضطرابات أو ألوان الاختلال .

وعلى الرغم من هذه الملاحظات والمواقف تجاه « التوجيهات » فهى تظل  
دائما وبصورة واضحة الوسائل الاساسية فى ادارة حملات الحرب النفسية  
وتوجيه دفتها . الا أن التقدير الواقعى لفائدة هذه التوجيهات يحول بيننا وبين  
التعويل التام عليها لاداء المهام التى لا يعتمدل أن تنهض بها أو تنجزها .

## أهداف العمليات

قد يكون من السهل فى المعارك الحربية قتل جنود العدو وتدمير ممتلكاته وهذا الأسلوب من العمل العسكرى تتضح مظاهره وآثاره أمام الأعين ، ولكن الهزيمة الحقيقية تكمن فى عملية غزو العقل •

وقد يفكر بعض العسكريين فى الحرب على أساس العمل العسكرى فعلا ، جنود يتقدمون أو يتقهقرون ، اغارات بالتقابل على أرض العدو ، معارك بحرية وجوية • الخ ، الا أن نجاح أغلب العمليات العسكرية يتوقف تماما على عوامل سيكولوجية ، ويتحقق النصر النهائى باستسلام جنود العدو ، ويخضع المواطنون فى النهاية لرغبات العدو الذى يقوم بالغزو •

لقد صد الجنود السوفييت فى الحرب العالمية الثانية فى معركة ستالينجراد هجمات الألمان العنيفة وقاوموا الحصار لمدة ثلاثة شهور متوالية ولم يستسلموا قط ، مع أن الجيش الألمانى تطلب بمجهود أقل على مدى قوة دفاعات ستالينجراد ، ولكن فى ستالينجراد فشلت كل نيران المدفعية والقاذفات المنقضة لأنها لم تستطع أن تحطم روح الاقتتال لدى المدافعين •

والواقع أن كلا من الجندى والمدنى هدف للحرب النفسية ، كما أن العمل السيكولوجى هو الذى مكن فى النهاية من حرمان العدو من ارادته فى المقاومة ، وهو الذى يفسد الجندى كفرد ويجعله آلة قتال غير صالحة لأنه ينتزع منه الشئ



الوحيد الذى يجعل الجندى يقاتل بروح وهو الأمل فى النجاح ، فالجندى المقاتل يكون أشبه بالدبابة التى لا يعلوها مدفع إذا فقد الأمل .

وإذا نظرنا الى الأمر نظرة فاحصة نجد أن كل الحروب عسكرية كانت أو اقتصادية أو سياسية إنما هى حرب نفسية ، لأنها تهدف الى تغيير العقل وتقبل رغبات العدو .

ولكى نستطيع أن نتفهم العمليات السيكولوجية فى الحرب النفسية ، لابد لنا أن نتعرف على أهدافها التى تحاول أن تحققها .

ويمكن تصنيف الأهداف التنفيذية التى تستخدم من أجلها الحرب النفسية بطرق عديدة ، وسنحاول فى هذا الفصل أن نعالج هذا الموضوع تحت رؤوس موضوعات ثلاثة :

١ - الأهداف التى يمكن اعتبارها أهدافا سياسية بحتة .

٢ - الأهداف التى يتعذر وضع خط واضح لتحديد ما إذا كانت سياسية أو عسكرية .

٣ - الأهداف العسكرية البحتة .

## الأهداف السياسية :

مما لا شك فيه أن الحرب النفسية ترتبط ارتباطا وثيقا بالأهداف السياسية للدولة ، ونستطيع أن نؤكد أن أغلب العمليات النفسية التى تقوم بها دولة ضد دولة أخرى تهدف الى تحقيق أهداف سياسية .

ولما كانت الأهداف السياسية تختلف فى طبيعتها من ناحية عامل الزمن ، فهناك سياسة بعيدة المدى وأخرى قصيرة الأجل أو متوسطة وهذا له اعتبار كبير وارتباط بالعمليات النفسية التى تشن لتحقيق هذه الأهداف .

ولكى نستطيع أن نفهم ذلك ، يجب أن نعالج هذا الموضوع بدراستين تبين أولاهما الاستخدام الفعال للحرب النفسية لتعزيز الأهداف السياسية قصيرة الأجل وتصور أخراهما استخدام أساليب الحرب النفسية من أجل هدف محدد بعيد المدى .

### هدف سياسي محدود قصير الأجل :

لعبت جهود الدعاية الأمريكية في الانتخابات الإيطالية عام ١٩٤٨ دورا كبيرا في ابعاد الشيوعيين عن الحكم . ففي ذلك الوقت كان الحزب الشيوعي الإيطالي من أقوى الأحزاب العاملة في الدول الغربية . وبد أن الشيوعيين يسعون لكسب السيطرة على الحكومة بالحصول على أغلبية الأصوات في الانتخابات .

وكان كثير من المراقبين الغربيين يخشون أن يتمكن الشيوعيين من الحصول على أغلبية أو ما يقرب من الأغلبية من مجموع الأصوات ، أى نسبة لم يسمع عنها في الدول التي تأخذ بنظام تعدد الأحزاب . لأن هذا يكفل لهم تمثيلا في الوزارة ، ثم يمهّد الطريق أمامهم للسيطرة على زمام الحكم .

وأصبحت إيطاليا ميدان المعركة الأساسي في الحرب الباردة ومسرحا لصراع أيديولوجي كبير ، فقامت الولايات المتحدة من جانبها بتنظيم حملة دعائية شاملة لتعزيز أهدافها السياسية في إيطاليا .

وكان أول ما قامت به الولايات المتحدة لمواجهة التهديد الشيوعي أن طبقت مشروع مارشال للمعونة الذي كان قد بدأ لتوه في الوصول الى إيطاليا بكميات كبيرة . وكان هدف الولايات المتحدة من وراء ذلك مساندة مرشحي الحزب الديمقراطي المسيحي في الانتخابات ، بزعامة دي جاسبري De Gasperi .

كما بذل « جيمس س . دن James C. Dunn » السفير الأمريكي كل قدراته في الانفع للتأثير في الناخبين الإيطاليين لنبد الشعارات والمؤثرات

الشيوعية ، اذ ألقى ما يقرب من أربعين خطابا بعد وصوله الى ايطاليا • وأهم هذه الخطب ما ألقاه لدى وصول سفن الفوئ ، ولقد وصلت السفينة الستمائة قبل الانتخابات مباشرة •

وتضمنت هذه الخطب الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لمساعدة ايطاليا ، والتضحية التي يتحملها الشعب الامريكى • كما أن بعض الخطب كانت تتضمن تحذيرات غير مباشرة ، بأن المعونة الامريكية ستتوقف اذا انحازت ايطاليا للشيوعية •

أما الخطب التي ألقاها السفير الأمريكى « دن Dunn » بعد ذلك ، فكان من بينها خطاب ألقاه حين كان يقدم هدية أمريكية من أدوية « المستر بتومايسين » الى أحد مستشفيات الأطفال في ايطاليا • ووعد بتقديم المزيد في المستقبل • وقبل الانتخابات بيومين أعلن في خطاب عام أنه بصدد ارسال تقرير طيب عن الموقف السياسى في ايطاليا الى حكومة الولايات المتحدة • كما أن الامريكيين المعروفين في ايطاليا كانوا يوجهون نداءات مباشرة الى الشعب الايطالى من الولايات المتحدة •

لقد كان السناتور « ليهمان Lehman » ، عن مدينة نيويورك وكذلك وزير الخارجية السابق « ستيمسون Stimson » والقاضى روبرتس Roberts من المحكمة العليا ، وممزر فرانكلين د • روزفلت ، جميعا يرسلون بركات يعبرون فيها عن تأييدهم لرئيس الوزراء دى جاسميرى • كما أن فنانة أميلترى Vincent Impelliteri رئيس مجلس مدينة نيويورك ، كان يوجه اذاعة الى ايطاليا على موجة قصيرة ، وكذلك كان يفعل وليام دواير William O. Dwyer الذى كان يشغل منصب العمدة ، وآرثر بليس لين Arthur Bliss Lane السفير السابق فى بولندا ، وتوم كلارك Tom Clark النائب العام ووليام جرين William Green رئيس اتحاد العمل الأمريكى •

كما أن المجلس الايطالى الأمريكى للعمل بعث بمعونة مالية الى أحد الزعماء السياسيين المناهضين للشيوعية • وكانت الصلوات فى كنيسة نيويورك تداع

على موجة قصيرة إلى إيطاليا ، وفي هذه الصلوات ، كانت تقدم الابتهالات والدعوات من أجل تحقيق نصر للفرب فى الانتخابات الإيطالية •

أما فى إيطاليا نفسها ، فقد كان المسئولون الأمريكيون يقومون بتوزيع نشرات على نطاق واسع تحدد الخطوط العريضة لمشروع مارشال • وكانت تعد معروضات خاصة تتألف من صور فوتوغرافية معروضة عرضا جذابا وبيانات احصائية ، وما شابه ذلك لعرضها على الفئات ذات الدخل المنخفض • كما أن أفراد مكتب الاستعلامات الأمريكى فى روما وغيرها من المدن الكبرى كانوا ينظمون ويعرضون معروضات تسمى « العامل فى أمريكا » ، وكان الهدف من هذه المعروضات أن توضح كيف تعيش عائلات الطبقة العاملة فى الولايات المتحدة •

واستخدمت الأفلام السينمائية فى إيطاليا بأسلوب كان له أثر كبير على جهود الدعاية الأمريكية • ولقد أعرب أحد المراقبين عن رأيه فى أن الأفلام الأمريكية كانت من أشد الوسائل تأثيرا وفاعلية بين الوسائل المستخدمة فى الحملة الدعائية التى سبقت الانتخابات فى إيطاليا • ومن بين الأفلام التى وزعت فى إيطاليا خلال هذه الفترة ، كان فيلم « نينوتشكا Ninotchka » الذى أنتجته شركة مترو جولدوين ماير عام ١٩٣٩ وانفرد بتأثير خاص من بين كل الأفلام •

أن هذا الفيلم الذى كان يستخر من الحياة فى روسيا بأسلوب تهكمى ، نزع الى أن يترك المشاهدين باحساس مؤداه أنه اذا كانت هذه هى روسيا ، فهو يرجو الخلاص من مثل هذا المجتمع •

وبالإضافة لذلك فإن « صوت أمريكا » كان يذيع عددا من البرامج من نيويورك يستهدف اقناع الناخبين الإيطاليين بأن الشعب الأمريكى يهتم اهتماما كبيرا بنتيجة الانتخابات ، وأنه يتعاطف مع مشكلاتهم وآمالهم •

ولقد كان المجهود الدعائى الأمريكى مقترنا باجراءات معينة فى ميدان التسياسة النووية ، ولقد أدت هذه الاجراءات الى كسب عديد من الأصوات فى

الجانب المناهض للشيوعية • ومن بين هذه الاجراءات نذكر الخطوة الثالثة لاعادة اقليم تريستا لاطاليا ، والمناقشة التي دارت في الامم المتحدة بطلب ايطاليا الانضمام لعضويتها • ولقد ساعد هذان الاجراءان علي وضع الاتحاد السوفييتي في موقف حرج • ومن الاجراءات الهامة بنفس القدر ، الاعلان الذي اذيع في الثاني من أبريل عام ١٩٤٨ بأن الولايات المتحدة دفعت ٣٠٠٠٠٠ دولار لأسرى الحرب الايطاليين الذين عملوا في أثناء الأسر في الولايات المتحدة •

ومن أطرف أساليب الدعاية التي استخدمت للتأثير في الانتخابات الايطالية ، حملة كتابة الخطابات التي نظمت بين الأمريكيين من أصل ايطالي المقيمين في الولايات المتحدة • كانت الحملة ترمي الي تشجيع تدفق الخطابات الشخصية من الأمريكيين ذوي الاصل الايطالي في الولايات المتحدة تحت أصدقاتهم وأقاربهم في ايطاليا علي رفض الشيوعية في الانتخابات •

ولقد كان جنيروسو بوب Generoso Pope رئيس تحرير احدى الصحف الايطالية القوية في نيويورك ، أول من حث الأمريكيين الايطاليين علي الكتابة الي أصدقاتهم وأقاربهم في ايطاليا • ولقد شرح مبسّط بوب هذه الحملة علي النحو التالي : « لقد بدأت الحملة ، وأنا أدرك أن شعب ايطاليا سوف يصدق الحقيقة عندما يقولها له أخ أو صديق أو قريب تربطه به وشائج الدم » •

وانضم آخرون الي جنيروسو بوب ، في طبع خطابات نموذجية لارسائها للخارج من الايطاليين في الولايات المتحدة الي مواطنيهم السابقين • وقد وصف فيكتور أنفوسو Victor Anfuso ، أحد مؤلفي هذه الخطابات السبب الرئيسي في حملة كتابة الخطابات بقوله :

« لقد أحسست أن كثيرا من الذين ينتمون الي أصل ايطالي يرغبون في الكتابة ، ولكن لم يتح لأي منهم الوقت أو الحقائق الكافية لصياغة الخطاب • ولكن بعد اعداد الخطابات ، لم يكن أمام المرسل سوى التوقيع ووضع الخطاب في مظروف وتوجيهه الي صديق أو قريب في ايطاليا » •

ولقد تولت الكنائس الكاثوليكية في نيويورك ونيوجرسي توزيع الخطابات على الأفراد المقيمين في دوائرها ، كما أسهمت في الحملة عدة منظمات ايطالية أمريكية .

أما بالنسبة لضمون هذه الخطابات ، ففيما يلي مقتطفات من أكثر هذه الخطابات انتشارا في التوزيع :

« انه عيد القيامة ، والأجراس تدق في بهجة وفرح في هذا البلد الذي يعيش فيه أناس من كل جنس وكل دين جنبا الى جنب ٠٠٠ نود الاحتفال بهذا العيد المقدس نردد الأناشيد من أجل سلام الشعب ورخائه . اننا نفكر في بلدنا الجميل الحبيب ايطاليا التي نريد له بعد طول المعاناة ، أن يبني نفسه من جديد وأن يتحرر من الطغيان والظلم ، ولهذا السبب نتطلع اليكم في أمل ولهفة . ففي الثامن عشر من أبريل ، اذ تذهبون الى صناديق الانتخابات ، يمكن أن تقرروا ليس مصير بلادكم فحسب بل ربما مصير العالم أجمع أيضا .

ومن ثم فلا تساوركم الدهشة اذا طلبنا منكم بل اذا التمسنا منكم ألا تلقوا بايطاليا بلدنا الجميل بين ذراعي الشيوعية المستبدة .

فليس لدى أمريكا اعتراض على الشيوعية داخل الاتحاد السوفيتي ، ولكن ما سبب فرضها على شعب آخر وأراض أخرى ؟ انهم بذلك يطفئون شعلة الحرية .

ولتشقوا في صداقة أمريكا الاكيدة ولا ترفضوا المعونة التي ترغب هذه الأمة في مواصلة تقديمها ، ولا تحطموا في يوم واحد ، الحلم الضخم الذي أنجزتموه في توجيه ايطاليا نحو اعادة البناء والتعمير .

ذلك هو النداء الحار الذي يوجهه اليكم الامريكيون من ذوى الأصل الايطالي في يوم عيد القيامة ، على أمل أن يستمر الاحتفال بقيامة الرب في تلك الارض التي هي قلب الكاثوليكية » .

وعلى الرغم مما في هذا الخطاب من معان تعبر عن تدخل سافر في شئون داخلية لدولة أخرى فإنه من وجهة نظر العناية كان له أثر كبير على توجيه الانتخابات الإيطالية لصالح الغرب .

أما البطاقات المصورة التي وزعت بنفس الطريقة ، فكانت تظهر - عن طريق الرسوم الساحرة والعبارات - التناقض بين الحياة في ظل الرأسمالية ؛ والحياة في ظل الشيوعية .

ويكشف تحليل مضمون الخطابات والبطاقات التي أرسلت الى إيطاليا خلال الحملة عن أن الموضوعات الأساسية التي كانت موضع تركيز هي :

١ - مجموعة من الموضوعات تؤكد العواقب الوخيمة المنتظرة اذا لم يهزم الشيوعيون ، اذ أن إيطاليا سوف تتعرض حينئذ لخطر السيطرة السوفيتية وضياع الدين والكنيسة ، وضياع الحياة العائلية ، وضياع الوطن والارض ، ووجود سياسة شيوعية مخربة في إيطاليا ، ثم فقدان المعونة الامريكية في المستقبل .

٢ - كما كانت هناك مجموعة ثانية من الموضوعات تؤكد الآثار المفيدة التي تعقب هزيمة الشيوعيين واندحارهم ، وتلك هي معونة من الولايات المتحدة وتحقيق الرخاء والاستقلال لإيطاليا ، بعد تعميرها .

٣ - أما المجموعة الثالثة فكانت تبرز الصلات الوثيقة بين الولايات المتحدة وإيطاليا . وكان يطلب من الناخبين أن يتذكروا المعونة الامريكية السابقة ، ثم الصلات العائلية بين المقيمين في الولايات المتحدة ، والمقيمين في إيطاليا .

٤ - وأخيرا كانت هناك مجموعة رابعة من الموضوعات التي تلعب بالمشاعر الوطنية للناخبين . فقد كانوا يذكرون بحروب ايطالية السابقة من أجل

الوحدة والاستقلال ، وبالدور الذى يمكن أن تلعبه إيطاليا فى أحداث العالم اذا حافظت على ديمقراطيتها • وكانت كل هذه الموضوعات تطرح فى لغة عاطفية مشوبة بالانفعال • وكان الوعد والوعيد يصوران بألوان صارخة ، كما كان الثواب والعقاب يصوران فى صور محددة واضحة ، أما النعمة الشخصية فى الخطابات فكانت تخاطب المرسل اليه كما يخاطب الصديق صديقه القريب الى نفسه • وكان القارئ فى النداءات كلها ، يذكر بالصلات الوثيقة بينه وبين الكاتب ، ويتشابه آمالهما لصالح إيطاليا •

وعلى الرغم من صعوبة تقدير أثر هذه الحملة الدعائية ، فثمة عدد من « المراقبين على الطبيعة » يؤكد أن حملة كتابة الخطابات كان لها أثر واضح فى الفوز على الشيوعيين فى نهاية المطاف •

وعلى سبيل المثال ، وصف أرنالدو كورتيسى Arnaldo Cortesi مراسل صحيفة نيويورك تايمز هذه الحملة بأنها أسلوب قوى وقال :

« لقد فهم كثيرون منها - أى من هذه الخطابات - لأول مرة أن الولايات المتحدة تعنى ما تقول حين تعلن أن المعونة الأمريكية سوف تتوقف اذا صوتت إيطاليا لصالح الشيوعيين » •

كما تأكد الأثر العميق الذى خلفته الخطابات الأمريكية بما قاله دون لويجي ستروزو Don Luigi Struso ، أحد الشخصيات القوية وراء الستار فى الحزب الديمقراطى المسيحى ، اذ كتب فى صحيفة الشعب Popolo الصباحية « ان الذين يتلقون هدايا من أعمامهم وأبناء أعمامهم فى الولايات المتحدة قد أخذوا بأنهم لن يحصلوا على دولار واحد بعد ذلك اذا تحولت إيطاليا الى الشيوعية ، ولقد كان لمثل هذه الخطابات تأثير قوى فى جنوب إيطاليا وفى قرى صقلية كقوة البرق » •

وعلى أية حال ، فلا بأس من ذكر ملاحظتين بالنسبة لحملة كتابة الخطابات وأثرها المحتمل على نتيجة الانتخابات الإيطالية • فالأمريكيون من أصل إيطالى



أيدوا هذه الحملة تأييدا غير مشروط ، كما أن أعضاء الحزب الشيوعي في إيطاليا اعترضوا عليها اعتراضا قويا . فقد هاجموا حملة كتابة الخطابات ، باعتبارها تدخلا سافرا من الأجانب في شئون إيطاليا . الا أنه لما كان الشيوعيون الايطاليون أنفسهم يتلقون صراحة وعلنا مساعدة أجنبية ، فمن المرجح أن هجومهم المضاد لم يكن مؤثرا التأثير التام .

وعموما فإن تأثير حملة كتابة الخطابات باعتبارها وسيلة دعائية ، يكمن في طابعها الشخصي ، إذ جمعت بين امكانية الوصول الى جمهور عام وبين امكانية الاقتراب من النداء أو المخاطبة الشخصية .

كما أن الجهد الدعائي الذي قامت به الولايات المتحدة كان له أثر كبير على الانتخابات الإيطالية ، وبذلك حققت هدفا محدودا قصير الأجل .

## هدف سياسي محدود طويل الأجل :

ابتداء من ٢٩ من أبريل حتى أوائل الخريف من عام ١٩٥٤ ، أسقطت على الأراضي التشيكية ما يزيد على مائة ألف من البالونات المصنوعة من مطاط النيوبرين المملوء بالهيدروجين Hydrogen Filled Neoprene Rubber and Polyethylene ، ويستطيع كل منهما حمل ثقل وزنه ثلاثة أرتال ، وبذلك أسقط بين الشعوب التشيكية والسلافية حوالي خمسين مليوناً من النشرات والاعلانات وأوراق الانتخاب والصحف المضادة لنظام الحكم .

وعندما انهمرت النشرات والمطبوعات الأخرى من البالونات ، اذاعت أجهزة ارسال راديو أوروبا الحرة القائمة في ميونخ ، بيانات تفسيرية لشعب تشيكوسلوفاكيا ، ولقد دلت ألوان النشاط هذه على بداية « عملية الفيتو » Operation Veto ، أى أول جهد مستمر يصل الى سكان إحدى بلاد الستار الحديدي بالكلمة المطبوعة والمذاعة على أساس الاجراء المنسق تنسيقا دقيقا .

وقد اختلف هذا الجهد عن الجهود السابقة المماثلة ، من حيث ان هذا الجهد كان المقصود به حملة بعيدة المدى ، كان هدفها - وليس الوسائل مبتكرة - هو الذى يحتل المقام الأول •

## التنظيم :

قامت لجنة أوروبا الحرة (١) لتشن عمليات الاسقاط ، بانشاء مناطق للاسكان والمعيشة على مواقع حدود ألمانيا الغربية • كما قامت بتجهيز اتصالات ميدانية ، ومرافق للتنبؤات الجوية ، وتدريب الفنيين ، وابتكار الوسائل الدقيقة لتتبع أساطيل البالونات الى أهدافها •

وابتدأت فى اسقاط صحيفتها « أوروبا الحرة » على الاراضى التشيكية منذ أوائل شهر يونيو •

كانت هذه الصحيفة تطبع فى ثماني صفحات ويصدر عنها مليونان فى الطبعة الواحدة ، وكان من الممكن طيها فى حجم كتاب الجيب واطلاقها فى الهواء •

وليس هناك فى الواقع جديد فى استخدام البالونات لنشر مادة الدعاية • فمنذ قرن مضى ، كتب أحد المنفيين الروس ويدعى ، فلاديمير انجلسن Vlademir Engelson الى وزير الحرب الفرنسى فى الثالث والعشرين من عام ١٨٥٤ يقترح استخدام البالونات لنشر الرسائل التى تحت الشعب الروسى ضد الاشتراك فى حرب القرم • الا أن البالونات كانت بطيئة فى اثبات وجودها كسلاح فعال للدعاية •

ولكن الجديد فى استخدام البالونات ، انها كانت للمرة الاولى برنامجا طويل الاجل مؤداه أن الكلمة المداعة يمكن أن تحقق نتائج أكثر فعالية بالاشتراك مع الكلمة المطبوعة •

---

(١) المعروف أن لجنة أوروبا الحرة هى التنظيم الأكبر الذى يتدرج تحته راديو أوروبا الحرة ، وهى التى تنفرد بممارسة الحرب النفسية المنسقة بواسطة البالونات والاذاعات •

## تحليل الهدف :

كان أول ما فعلته لجنة أوروبا الحرة هو استقصاء المصادر الأساسية للمقاومة التشيكية بتحليل الصحافة والاذاعة في النظام الشيوعي والحديث إلى آلاف الهاربين ، ثم ادماج هذه الشكاوى في نداء من عشر نقاط للمعارضة الشعبية يحدد المطالب الملموسة التي يسمى لبلوغها ، مثل زيادة الاسكان ، ورفع الاجور ، وحرية تغيير العمل ، وحق المزارعين في ترك المزارع الجماعية .

وكانت أول رسالة تبعث إلى انحاء البلاد بواسطة البالدون ، تتكون من مجموعة من الاعلانات ذات حجم صغير بحيث يمكن اخفاؤها في راحة اليد ، وهي تتناول موضوع «المطالب العشرة» . وقبل انتخابات اللجان القومية في ١٥ من مايو بضعة أيام بدأت « بطاقات انتخاب المعارضة الشعبية » المطبوعة في عشرين مليون نسخة ، تصل إلى البلاد . وكانت هذه البطاقة التي تسرد المطالب العشرة باعتبارها مطالب الشعب ، تؤكد أن البطاقة ترمي إلى اقرار البرنامج الايجابي للمعارضة الشعبية ، فقد جاء بها :

« ان البطاقة الانتخابية للمعارضة الشعبية في تشيكوسلوفاكيا لا تخص صناديق الانتخابات الحكومية ، بل تخص أيدي المواطنين الذين سيستخدمونها ، كل بحسب امكانياته ، كدليل على تضامن الشعب ، وكجزء أول من البرنامج التدريجي ضد النظام . وان تحقيق هذه المطالب العشرة سوف يشكل مرحلة تاريخية على الطريق نحو تشيكوسلوفاكيا الحرة في أوروبا الحرة المتحدة » .

المطالب العشرة للمعارضة الشعبية :

١ - نقابات العمال للنقائين :

النقائون ليسوا مسؤولين الا أمام الذين انتخبوهم ، اذ يجب ألا يفرضوا فرضا أو يفصلوا بواسطة المجلس المركزي لنقابات العمال . كما يجب أن يقوم النقائون بالمساومة الجماعية لصالح العمال، والمطالبة بتحسين الأجور ، وظروف

العمل ، وتطبيق تدابير السلامة ، وكذلك ضرورة وقف الاستقطاعات من الاجر .  
واذا كانت الاضرابات عن العمل هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق المطالب العادلة  
فان الدولة باعتبارها ربا للعمل ، يجب ألا تضطهد العمال .

#### ٣ - الزيادة في الاجور :

فالقوة الشرائية لدخول العمال أقل بكثير عن مستوى ما قبل الحرب ، ومن  
ثم فعلى المصانع والمكاتب المركزية ، قبل نهاية أكتوبر من العام الحالى ، ان  
تزيد من الأجور والمرتبات ، وذلك بنسبة ١٥ ٪ للعمال الذين يتقاضون أقل من  
١٠٦٠ كورونا تشيكية وبنسبة ١٣ ٪ للعمال الذين يتقاضون أكثر من  
١٠٦٠ كورونا ، وأقل من ١٥٠٠ كورونا .

#### ٣ - عدم تقييم العمال بأعمال معينة :

اذ لابد أن تتاح للعمال حرية ترك العمل دون اذن الادارة . ولا ينبغي  
ارغام العمال على قبول أعمال تفرضها الدولة ويجب أن تتاح الحرية للشباب  
لاختيار المهن التى يريدونها .

#### ٤ - عدم استغلال الدولة لوقت الفراغ :

يجب ألا تطيل ادارة المصنع ساعات العمل ، كما يجب أن يكون العمل  
يوم الأحد ، وأيام العطلات اختياريا وبمقابل صرف أجر اضافى . ويجب دفع  
أجر اضافى عن العمل زيادة على أربعين ساعة فى الاسبوع . ولا ينبغي تقليل  
أو اقطناع الفراغ والأجازات لأى عذر من الأعذار .

#### ٥ - انتهاء السخرة :

يجب أن تتاح للفلاح حرية مغادرة المزارع الجماعية دون اضطهاد ، وكذلك  
استعادة الملكية التى طبقت عليها الأنظمة الجماعية والتى هى ملك حق له . ويجب

أن تكفل اللجان القومية معاملة متكافئة بين المزارعين الافراد وبين المزارع الجماعية في الائتمانات وأسعار الشراء وفي المساحات البستانية الكبيرة ، وانشاء تنظيم للمزارعين .

#### ٦ - عدم تحديد الحصص :

ان « حصص التسليم » شر موقوت بوقت محدد ، وطالما وجدت فان اللجان القومية المحلية عليها أن تبذل نفوذها وتأثيرها على اللجان القومية بالمراكز لتضمن توزيعا عادلا لهذه الحصص . وان عدم الوفاء بتقديم هذه الحصص يعكس التقديرات الخاطئة التي تضعها الدولة . ولا بد للجنة القومية المحلية أن تراعى أن الفلاح لا يعاقب على اخطاء التخطيط .

#### ٧ - الاستقلال الذاتي للجان القومية المحلية :

لا بد أن تمثل المجالس ويمثل الموظفون في اللجان القومية المحلية مصالح السكان المحليين الذين يدينون لهم بالولاء في المقام الأول . ولا بد أن تستعاد السلطة في المجتمع وأن تحول دون تحول المدارس الى مراكز للتجنيد من أجل تشغيل الأطفال .

وفي اقليم سلوفاكيا لا بد أن تدعم اللجان القومية الاستقلال الذاتي للسلاف ، لا أن تدعم المركزية الشيوعية .

#### ٨ - السلع للشعب :

يجب ارغام نظام الحكم على أن يفي بوعوده لانتاج المزيد من السلع الاستهلاكية، ولا سيما الادوات المنزلية والمنسوجات . وسوف يتعاون الملاحظون والعمال في وقف عجلة الانتاج الذي لا يخدم احتياجاتهم ، ومن ناحية أخرى يجب دفع عجلة الانتاج بالقدر الذي يفي بالسلع الاستهلاكية .

## ٩ - العودة الى خدمة المستهلك :

يقتضى الاجتياز أو الانطلاق عبر الفوضى البيروقراطية في التخطيط المركزي، كما يقتضى أسلوب البيع بالجملة الذى انعدمت فيه الكفاءة ، من مديرى مخازن التجزئة أن يتقدموا مباشرة الى المصانع بطلب المنتجات اللازمة •

ولابد أن تعمل اللجان القومية المحلية بأسلوب تدريجى غير رسمى على تحويل المشروعات الجماعية الى تعاونيات خاصة للملاك الأفراد • وينطبق هذا بصفة خاصة على المطاعم والمخابز ، والمشروعات الحرفية الصغيرة والخدمات الشخصية وأعمال الإصلاح •

## ١٠ - الاسكان للعائلات ، لا للدولة :

يجب أن تسعى اللجان القومية لزيادة ميزانيات الاسكان وأن تتبين أن اختبار مواقع الاسكان يتم على أساس حاجة السكان ، لا تخطيط الدولة ، كما يجب أن يتم الاسكان على أسس عادلة ، لا على أسس سياسية •

ولقد كانت قائمة ما يريده الشعب داخل تشيكوسلوفاكيا مستقاة من المعلومات من داخل البلد ، ومستمدة من تقارير اللاجئين وأبنائهم وتحليل صحافة الشيوعيين واذاعتهم ، ومن ثم كان أساس المعارضة مرتكزا على أسباب محدودة من السخط ، ويرمى الى تحقيق غايات يمكن بلوغها •

## رد فعل الهدف :

طبقا لما يرويه اللاجئون الذين هربوا خلال الشهور من مايو الى يوليو ، ان كل فرد تقريبا قد قرأ أو سمع « المطائب العشرة » ، وناقشها علنا •

وكان الشيوعيون المعروفون يتلقون نشرات المعارضة فى البريد ، وانتشرت مئات مئات منها فى أحد اجتماعات انتخابات الحكومة التى تحدث فيها فاتسلاف كوبكى Vaclav Kopecky وزير الثقافة •

ولقد احتجت حكومة براغ على السفارة الامريكية فقالت « ان مؤلفي هذه النشرات ، يدعون الاهتمام بالحقوق والانجازات الاجتماعية للشعب التشيكي العامل »

ولقد استنكرت صحيفة براغدا الحملة ، فى هجوم مذهبي شديد ، ولكنها حرصت على منع نشر المضمون الدقيق للمطالب العشرة ، وباقتراب موعد انتخابات اللجان القومية نظم « زابوتوكى » Zapotocky رئيس الجمهورية دوريات بوليس خاصة ، ومتحدثين جددا ليوافه الموقف \*

### النشرات تكمل الهجوم الاذاعى وتعززه :

ويبدو أن الطريقة غير المتوقعة التى تلقف بها الشعب التشيكي المطالب العشرة وتبناها ، دفعت لجنة أوروبا الحرة الى أن تواصل عمليات البالون الى ما لا نهاية من خلال صحيفة نصف شهرية ، تهدف فى الواقع الى خلق صحافة تكمل الاذاعة المعارضة وتمزجها \*

وطبقا لما ترويه اللجنة ، فان النشرات وحدها أو الاذاعات وحدها لم تكن لتتمكن من نشر « المطالب العشرة » \*

ويقول جان سترانسكى Jan Stransky رئيس القسم التشيكي فى صحافة أوروبا الحرة « ان الرابطة أو الصلة المادية قوة روحية \* فانت تعرف أن القرب حاول احضار هذه الورقة اليك ، وبخلاف الرسالة التى تحملها فانها تصبح لونا من التعاويذ أو التمايم \* وبالنسبة للكلمة المطبوعة فان لها أثرا هاما باقيا ، فهى بعكس الكلمة المذاعة ، يمكنك الاحتفاظ بها والرجوع اليها أو أن تعيرها الى غيرك » \*

ولقد جعلت النشرات الراديو أكثر اتصالا بالشعب ، كما أن الراديو بمستعميه على نطاق واسع ومنظم ، ضمن تأثيرا موحدا بالنسبة لعملية البالون \*

## تقدير النتائج :

الحقيقة أنه ليس ثمة شخص، يمكن أن يجزم بشيء ، ولا يستطيع الفرد في هذا المجال سوى أن يجمع عدد المزارعين الذين يغادرون المزارع فعلا ، وأن يراقب معابر العمل وجداول الاجور ليرى ما اذا كانت ترتفع أو تنخفض ، ويحلل السياسية الاستثمارية للأنظمة ليرى ما اذا كانت ميزانيات الإسكان والسلاح الاستهلاكية تزداد أو تنقص ، ثم تقيم نتائج انتخابات جان الماجر في هذا الخريف .

والواقع أن هذه العملية نوع من العمليات النفسية التي تسود العالم اليوم في هذا الصراع الابدبيولوجي الكبير بين مذهبين متناقضين تماما .

ونعود فنقول ان هذا العمل أشد خطورة من الحرب الساخنة ، فهو صراع عقلي مستمر يحاول أن يضبط على التسعوب لجعلها تنحاز الى عقيدة معينة ، في جو من البلبلة والتشتت الذهني دون أن تعرف حقيقة مصحتها النابعة من وجيها وفكرها .

ان الهدف من هذه العملية لم يكن قصير الاجل ، اذ أن هذه العملية كانت ترمى الى هدف بعيد هو اعداد الشعب التشيكي ليوم تتجهج فيه القنفوط. الخارجية والداخلية لتحقيق تغيرات أساسية حقيقية لمصلحة الغرب .

ونحن نقول ان مثل هذه الاعمال وان تحققت في المدى البعيد ، فهي عمليات ترفضها المثل الانسانية ، وتبأها اقيم الاخلاقية .

اننا لا نؤمن الا بالمقيدة التي تنبع من ضمير المجتمع ووجيهه وثقائيه وقيمه الاخلاقية دون أى ضغوط خارجية أو مساومات سياسية .



## الأهداف السياسية العسكرية :

تظهر بالضرورة في أى محاولة للتمييز بين الاهداف السياسية والعسكرية في الحرب النفسية مجموعة من الأمثلة ، لا يتضح أنها عسكرية في أغلبها أو سياسية في أغلبها ، ومن ثم يمكننا أن نطلق عليها الاهداف السياسية العسكرية .

ويمكننا تحديد الأهداف السياسية العسكرية على النحو الآتى :

- ١ - ردع أى أمة معادية يحتمل أن تندمج مع دولة معادية أخرى أو مع حلف معاد .
- ٢ - ردع أى معتد محتمل أو فعل عن ارتكاب أعمال عدوانية جديدة .
- ٣ - إضعاف أو تحطيم الوحدة بين الدول الاعضاء فى أى تحالف سياسى عسكرى .
- ٤ - تشجيع الانهيار والتفكك فى دولة العدو .
- ٥ - المساعدة فى إعادة التوجيه السياسى للمناطق التى حررت حديثا .
- ٦ - دعم روح المقاومة بين الشعوب المقهورة .
- ٧ - إضعاف نظام الرقابة والسيطرة الاجتماعية والسياسية فى دولة العدو .
- ٨ - دعم مركز النخبة المناهضة فى الدولة الهدف .

ولما كان شرح هذه الاهداف لا يحتاج الى تفاصيل أكثر ، بخاصة ان القارئ يجد كل يوم فى الصحف اليومية أمثلة وصورا كثيرة لهذه الاهداف ، فى هذا الصراع القائم اليوم فى العالم بين الشرق والغرب ، فقد آثرنا أن نذكر هذه الاهداف لتكون مرشدا لدراسة من يريد الزيادة والتوسع .

## الأهداف العسكرية :

توجه الحروب النفسية ضد الجنود لتحقيق نوعين منفصلين من رد الفعل النفسى فى عقل جندى العدو ، أولهما هدم معنوياته أو كفايته العسكرية بصفة عامة . وفى هذه الحالة يصل الجندى الى أن يكون سلبيا غير متحمس لقضية الحرب ويمكن أن نطلق على هذا اللون من رد الفعل النفسى « العمليات المعنوية » Moral Operations؛ أما النوع الآخر من العمليات فيهدف الى تأثير أعنف بأن يؤدى بجندى العدو الى القيام بعمل واضح يؤثر تأثيرا مباشرا على المعركة كأن يستسلم أو يترك موقعه أو يقوم بثورة ، وهذا النوع من العمل ليس من السهل تحقيقه الا اذا بنى على خطة حكيمة مدروسة أحسن تنفيذها .

ان العمليات ضد الجنود تحتاج الى مجهود ضخم تتشابك فيه عوامل مختلفة من عسكرية وسياسية واقتصادية وسيكولوجية ، ولكن العامل المؤثر غالبا فى مثل تلك العمليات هو الموقف العسكرى الذى يجب أن يكون واضحا لدى من يدبرون الحرب النفسية . ان تفهم أحوال الجنود من معنوية ومادية لهو الركنة التى يجب أن يبنى عليها رجل الدعاية خطته . وهناك نقطة نفسية هامة يجب ألا تتعرض اليها العمليات النفسية ، وهى ولاء الجندى لوطنه اذ قد يؤدى ذلك الى ازدياد المقاومة . بل يجب الاستفادة من هذه النقطة واستغلالها بأن يفهم جنود العدو أنهم يقاتلون فى سبيل قضية خاسرة لا ناقة لهم فيها ولا جمل . فمثلا يمكن أن تعطى الدعاية الجيدة الفرصة لجنود العدو بأن يخلصوا أنفسهم من الالتزام بالولاء بتسمية غريزة حب البقاء فى نفوسهم وتفهمهم أن الولاء الصحيح يتطلب البقاء ، ومن ثم يجب عليهم الاستسلام بدلا من القتل .

ونجد فى جيوش معظم الدول الحديثة أن الوحدات المقاتلة يصحبها دائما وحدات للدعاية . هذه الوحدات تستخدم فى أسلوبها طريقة الأحاديث العامة التى ترسل اذاعاتها من مراكز رئاسة الجيوش أو من الوحدات المتنقلة الخفيفة الحركة ، وبذلك يمكن التحدث مباشرة الى جنود العدو . تما أن هذه الوحدات يمكنها أن تذيب من وراء خطوط العدو أو تسمط النشرات وراء الجبهة .

وعلى سبيل المثال فان وحدة الدعاية الالمانية هى التى أذاعت على الفرنسيين عام ١٩٤٠ الانباء التى أخبرتهم بأن لجنة هدنة فرنسية فى طريقها لتوقيع الهدنة مع السلطات الالمانية •

لقد كان لهذه الاذاعة تأثير هدام واسع النطاق على الروح المعنوية للجنود الفرنسيين ، وناقش الجنود الفرنسيون الأمر على أساس « لماذا ندافع عن الخط اليوم فنتعرض للموت اذا كانت الحرب ستنتهى غدا ؟ » ولذا تحطمت المقاومة •

وتشكل آخر من عمل هذه الوحدات يظهر فى غزو بولندا فى الحرب العالمية الثانية ، اذ قامت وحدات الدعاية الالمانية بتشجيع النازي بين الجنود •

وثمة صورة ثالثة من أعمال هذه الوحدات يظهر فى اسقاط النشرات والصحف وراء خطوط القتال • ومع أن الجيوش تحرم على الجنود الاطلاع على النشرات التى يسقطها العدو وراء خطوط القتال ، فان العدو يحاول أن يتحايل دائما على وصولها •

ففى الحرب العالمية الاولى استخدمت القوات الامريكية وسيلة لجعل الجنود الالمان ينقصون الاوامر ويحتفظون بالنشرات التى يسقطونها ، فقاموا بوضع « كوبون » داخل النشرات ، وكان هذا الكوبون بمثابة جواز مرور عبر خطوط القتال للجندي الذى يعتزم الاستسلام • وبالإضافة الى ذلك نشر فى هذا الكوبون بيان عن وجبات الغذاء التى تصرف للجنود الامريكيين ، ووعد أسرى الحرب بنفس مقادير الغذاء •

ولما كان الكثير من الجنود الالمان فى ذلك الوقت مجاهدين ويقاسون الجوع لقلة الأغذية ، فانهم احتفظوا بهذه الكوبونات واستخدموها •

وفى الحرب العالمية الثانية أصدر السوفييت نشرة أطلقوا عليها اسم « الحقيقة » وفى أبريل سنة ١٩٤٢ كان قد صدر من هذه النشرة ٢٥٠ عددا جملة

ما طبع منها خمسة عشر مليون نسخة وزعت جميعها ، وبذلك بدا كأنهم وجهوا  
لثلاثين خمسة عشر مليون طلقة قاتلة دون اراقة أى دماء •

وقد وجد السوفييت عند استجواب أسرى الحرب أن الكثير من الجنود الالمان  
قرأوا هذه النشرات ، وبذلك كانوا على دراية بوجهات نظر السوفييت عن الحرب •

وأسقط اليابانيون مثل هذه النشرات فوق « شونج كنج » وأجزاء أخرى  
من الصين ، وكانت هذه الدعاية تحت الصينيين على أن ينضموا الى اليابانيين  
للخلاص من عبودية بريطانيا وأمريكا •

وأسقطوا كذلك عددا من هذه النشرات على القوات الامريكية فى باتان(١) •  
وأسقطت قاذفات القنابل البريطانية الالاف من الصحف المطبوعة على ورق رقيق  
على ألمانيا وعلى المناطق التى يحتلها الالمان ، وكانت كل من هذه الصحف تتكون  
من أربع صفحات بحجم ٨ بوصات مربعة ، ويمكن أن تلف لتكون أشبه بلفافة  
تبغ ، وكانت تنشر فيها بعض الصور كما تتضمن أحدث الأنباء التى لا يمكن أن  
تميزها الرقابة الالمانية •

وفى الحرب العالمية الثانية نجد أمثلة كثيرة لمثل تلك العمليات اتخذت  
شكلا مختلفين من الدعاية البيضاء والسوداء ، كان الهدف منها تحطيم معنويات  
العدو ، ونستطيع أن نحصر على سبيل المثال أمثلة من ذلك ، فقد أُلقيت على الجنود  
اليابانيين الذين كانوا يتضورون جوعا فى شمال بورما صورا ملونة عن الاغذية  
اليابانية اللذيذة الطعم ، وفى ميدان جنوب غرب الباسفيك ألقى الامريكيون رسوما  
كاريكاتورية توضح الجندى اليابانى المحروم يقاتل فى سبيل قضية خاسرة على  
حين أن ضباطه ينالون كل ألوان الخمر والطعام ويستمتعون بالنساء • كما أُلقيت  
نشرات على الجنود اليابانيين فى شمال الباسفيك تخبرهم بأنهم سيتساقطون  
بقتالهم كما تتساقط أوراق الخريف •

---

(١) باتان Bataan شبه جزيرة غرب خليج مانيلا فى الفلبين واشتهرت بوقوف الجنود  
الامريكان سنة ١٩٤٢ ضد قوات كبيرة من اليابانيين •

ولقد تبارت كل الاطراف المعنية فى الحرب العالمية الثانية فى استخدام العمليات السوداء ضد العدو ، ومن أمثلة ذلك ما قام به الانسان ضد الجنود الفرنسيين وتضمنت الكثير من هذا النوع ، فمثلا كان يرسل للجنود الفرنسيين الذين يحاربون خارج أرض الوطن خطابات من بلادهم تخبرهم بأن زوجاتهم يرتكبن الزنا وأنهن مصابات بأمراض تناسلية معينة • ومثل آخر وهو لا يزال يستخدم بواسطة بعض الدول فى وقتنا هذا فى أثناء العمليات الحربية لتلك الحروب المحدودة التى تقوم بين ربوع العالم ، وهو استخدام الاذاعة فى النداء على أسماء الجنود وذكر وحداتهم ثم تختلق القصص الكاذبة عما يدور بين عائلاتهم فى أرض الوطن من مخاز وخيانات زوجيه مما يجعل جنود العدو فى حالة يأس وقلق مستمر على ذويهم قد يؤدى بهم الى انهيار عصبي •

ونظرا لأهمية هذا النوع من العمليات وخاصة بالنسبة لأفراد القوات المسلحة ، فقد رأينا أن نعطي عدة أمثلة من خبرات الحرب العالمية الثانية وما بعدها حتى يتضح لنا الأثر الكبير الذى تسببه هذه العمليات فى تقويض الروح المعنوية والوحدة القومية ، وكذا لابرز عمليات الخداع الاستراتيجي والتكتيكي الذى يحدث من كل جانب خلال الحرب •

#### عملية مينسميت : Operation Mincemeat

هذه العملية توضح كيف استطاع البريطانيون فى الحرب العالمية الثانية أن يخدعوا بأسلوب عجيب شاذ الالمان فيما يتعلق بالمكان الذى ينوى الخلفاء مهاجمته فى أوروبا عام ١٩٤٣ •

لقد كان تاريخ ماجور وليام مارتن وعمله فى البحرية الملكية البريطانية ، مشيرا ولو أنه قصير • وبالرغم من أنه لم يكن معروفا عندما دخل الخدمة ، وأنه لم يكن فى البحريه من قبل فقد اسندت اليه وظيفة ضابط بحرى فورا • وخلال أسابيع قليلة فى ربيع عام ١٩٤٣ ، كان مارتن الشخصية الاساسية فى خطة

أقنعت الألمان بأن الهجوم على صقلية كان من المقرر أن يكون عملية تمويه فقط ،  
وأدى هذا الى تقليل الألمان لدفاعاتهم في صقلية ، مما أنقذ عددا كبيرا من أرواح  
الحلفاء .

والجزء المجهيب حقا في الخطة هو أن وليام مارتن فعل كل هذا من غير أن  
يرفع اصبعاً واحدة ، فقد كان ماجور مارتن في الحقيقة ميتا عندما كلف بالمهمة .

لم يكن اسم « مارتن » الاسم الحقيقي للجثة التي تعتبر الشخصية الرئيسية  
في قصة « الرجل الذي لم يكن له وجود » .

ان القصة من أغرب القصص التي تخضت عنها الحرب العالمية الثانية ، وفي  
الأحوال العادية تثير في النفس الدهشة أكثر من التصديق ، ولكنها قصة نستطيع  
على أى حال الاستمتاع بها على أنها من أغرب القصص عن الخداع في التاريخ  
العسكري الأخير .

لقد كتب القصة أوين مونتاجيو ، وكان حينئذ ضابط مخبرات في  
البحرية البريطانية فقال :

« لقد خطر ببالي فكرة بدت لي لامعة . فلماذا لا نسقط جثة انسان مرتد  
ملابس ضابط بريطاني بعيدا عن شاطئ أسبانيا حيث تجرفه المياه الى الشاطئ ؟  
وهو يحمل أوراقا تدل على أن الهجوم على صقلية لن يكون الشئ الحقيقي ، وان  
الضربات الحقيقية سوف توجه ضد سردينيا واليونان . وافترض في هذه الخطة  
أن الاسبان سيطلعون الألمان على الاوراق التي عثر عليها في جيوب الضابط  
القتيل .

ولم يكن من السهل الحصول على الموافقة فقد كان لورد إيسماي Ismay  
متشككا، ولكن ونستون تشرشل وافق على الفكرة . وعندما اعترض شخص ما بأن  
فكرة ذر الرماد قد لا يصاحبها التوفيق من أولها وانها لن تعمل الا على اجتذاب

الانتباه الى غزو صقلية المعلق ، رد تشرشل بقوله : « اننى لا أرى فى ذلك ما يهم  
فلن يعرف أن الهدف هو صقلية الا المغفل فقط » .

ولكن بعد ذلك جاءت المتاعب العملية فالوصول على جثة لم يكن بالامر  
السهل . فلا بد أن تكون الجثة لشخص مات أخيرا ، جثة لشخص لا تعترض عائلته  
على هذا العمل ، شخص يبدو فى شكله كضابط ، وبعد أن قرر مونتاجيو اختطاف  
هذه الجثة من المقابر ، وجد الجثة ، وكانت جثة لشاب قد توفى بالالتهاب الرئوى ،  
وقد وافقت عائلته على الخطة بشرط ألا يذكر اسمه الحقيقى .

وكان ضابط المخابرات مونتاجيو يعمل حسابا لرجال المخابرات الألمان ،  
ولكى يخدعهم كان لابد أن تكون عملية التهويش والتزييف معدة اعدادا تاما .  
وجهزت الاوراق التى فرض أن يحملها ماجور وليام مارتن ، وهى بطاقة شخصية،  
وصورة فوتوغرافية للفتاة « بام » Pam خطيبته ، وخطابات الحب الاخيرة، واعتقاب  
تذاكر المسرح وخطاب من البنك ، وخطاب من « والده » ، والاشياء العادية التى  
تملأ الجيوب . وكانت صورة البطاقة الشخصية صورة رجل يشبهه تماما .  
وكانت الخطابات التى كان من المفروض أن يحملها الى شمال أفريقيا فى طائرة  
سقطت موقعة فعلا من ضباط كبار ، وكان خطاب من بين هذه الخطابات مهورا  
بتوقيع « لورد لويس مونتباتن » ، وللمحافظة على الجثة من التعفن والتحلل فى  
أثناء الرحلة الى اسبانيا ، وضعت فى صندوق كبير من الثلج الجاف .

وفى الساعة الرابعة والنصف من صباح ٣٠ من أبريل ، طفت الفواصة  
Seraph وعلى ظهرها قائدها Lieut N. A. Jewell لمسافة ميل بعيدا عن  
فوهة نهر Huelva . وأخرج ماجور مارتن من الصندوق . وأخنى البحارة  
رؤوسهم عندما ألقى جويل Jewell الكلمات التى تقال للصلاة على روح الميت ،  
ثم دفعت جثة مارتن الى الماء حيث التقطتها مياه المد .

وكان مونتاجيو قد أطلق على هذه الخطة اسم كودى هو Mincemeat  
أى « اللحم المفرومة » وفى يوم ما - ولم يمر وقت طويل على طفو جسم مارتن

نحو الشاطئ عند Huelva - تلقى تشرشل رسالة - وكان في واشنطنون حينذاك - من هيئة أركان الحرب الانجليزية وكانت الرسالة تقول « لقد ابتلعت اللحمة المفرومة ابتلاعا تاما » ومعنى الرسالة أن الاعداء جازت عليهم الخيلة تماما ولكن لم تعرف الطريقة التي عرف بها الألمان الجثة ، وموقف الألمان منها الا بعد الحرب من مستندات وقعت في يد بريطانيا •

وكما توقع موناجيو تماما عشر الاسبان على الجثة وعلى الاوراق ، وسلموها الى عميل الماني وجاء في تقارير المخابرات الالمانية « أن المستندات التي ضبطت مع الجثة مستندات صحيحة تماما » • بل لقد ظل هتلر نفسه مؤمنا بصحة هذه المستندات لمدة اسبوعين بعد بدء غزو صقلية ، وأرسل المارشال روميل فعلا الى اليونان حيث كان يتوقع وقوع الهجوم الحقيقي • وسافرت من صقلية الى اليونان أعداد كبيرة من قوارب الطوربيد لدرجة أن الدوريات الالمانية كانت قليلة الفاعلية. وعبرت فرقة البانزر الاولى أوروبا كلها لمواجهة الغزو المتوقع لليونان • وفي صقلية نفسها نقلت قوات المحور من الجنوب - حيث وقع الهجوم فعلا - الى الشمال •

لقد أدى ماجور مارتن واجبه وأداه جيدا • ولا تزال جثته في مقبرة Huelva حيث أشرف على ترتيبات الدفن نائب القنصل البريطاني وعلى حجر مقبرته نقش اسم « وليام مارتن » - ولكن ليست هناك اشارة الى رتبته •

الدعاية من أجل الخداع والتمويه الاستراتيجي :

وثمة نوع آخر من العمليات التي تستخدم للخداع أو التمهويه الاستراتيجي تبرز في محاولات جوبلز لتحويل الانتباه والاهتمام عن الهجوم القادم في الجنوب •

ففي مايو عام ١٩٤٢ قام جوبلز بحملة من حملات الحرب النفسية كانت تهدف الى خداع السوفييت فيما يتعلق بالمكان الذي ينوي الألمان شن الهجوم عليه • وليس هناك دليل على أن جوبلز كان صاحب الفكرة نفسه أو أن قيادة



« الوهرماخت » هي التي طلبت منه شن حملة الحرب النفسية • ومن الممكن - من مذكرات جوبلز - أن نعيد بناء قصة مترابطة لتخطيط جوبلز وتنفيذه لتلك المحاولة المشهورة ، محاولة الخداع عن طريق الدعاية •

ولم يظهر دليل أكثر من ذلك على أن مشروع أو خطة الخداع التي يحكى عنها جوبلز قد حققت أى نجاح ، ومع أنه من الممكن أن نفترض بأن حملة جوبلز كان من الممكن أن تحقق نجاحا لو أنها أدت الى أن تجعل السوفييت أكثر حذرا من الجبهة الوسطى ، فان من المهم أن نذكر أن جوبلز نفسه لم يكن واثقا ثقة كبيرة في نجاح خطته • وتشير كثير من الملاحظات في مذكراته الى هذه النقطة وتعبّر عن الشك في كفاية الخطة • ومع ذلك فقد كان سلوكه هو « أن المرء يجب أن يحاول كل شيء » •

ويقول جوبلز في مذكراته بتاريخ ١٥ من مايو ١٩٤٢ (١) :

« لأسباب معينة نشرنا مقالا ( غير مرخص به من السلطات ) في فرانكفورت زيتنج - مقالا يناقش الامكانيات الاقتصادية وامكانيات العمليات لهجوم يشن على موسكو • وبهذه المقالة نحاول تحويل اهتمام العدو الى قطاع مختلف تماما عن القطاع الذى ننوى فعلا مهاجمته • ومن المشكوك فيه جدا أن ننجح في خداع البولشفيك » •

وكان جوبلز يقصد بكلمة « مقال غير مرخص به من السلطات » أنه عند ظهور المقال سوف يهاجم الكاتب علانية - وان امتدح سرا - لافشائه أسرار خطط الحرب الالمانية والتي تعتبر مسألة من المسائل الممنوع تداولها •

وفي ذلك الوقت كانت النسخة المرسلة للبلاد الاجنبية قد أرسلت فعلا ، وهذا هو بيت القصيد ، اذ أراد جوبلز أن يقرأ هذا المقال في الخارج •

---

(١) Louis P. Lochner ( ed and transl ) The Goebbels Diaries, Doubleday and Co. Inc, New York, 1948.

واختيرت جريدة « فرانكفورتر زيتنج » لكي تكون الوسيلة لهذه الخدعة لان الجريدة كانت مشهورة باستقلالها ، ولها جمهور أجنبي كبير قبل تولي النازيين السلطة . ولما أدرك النازيون أهميتها كوسيلة ممكنة للدعاية ، واصلوا اظهارها بمظهرها الاستقلالي مع أنها في الحقيقة كانت غير ذلك شأنها شأن كل جريدة أخرى في ألمانيا . وفي حملة الخداع التي قام بها جوبلز ، كان يحاول استغلال سمعة الجريدة السابقة .

ففي ٢٠ من مايو عام ١٩٤٢ ظهرت هذه الاضافة الى مذكراته « وفي أثناء هذا ظهرت المقالة في فرانكفورتر زيتنج وهي ، المقالة التي كانت بايحاء منا ، والتي تهدف الى تحويل اهتمام جمهور العدو عن الجبهة الجنوبية » .

وصودر المقال رسميا وهو حرم في المؤتمرات الصحفية وتطورت الامور الى النقطة التي أستطيع فيها أن أوفد الدكتور كريج Kriegh الصحفي برحلة الى الجبهة الشرقية والى لشبونة لاقتراف أخطاء عديدة تدل على عدم الحذر والحرص بتوجيهات منا ، كأن يسكر ، وينشر الخبر - استنادا على انطباعاته - بأن الهجوم الألماني مدبر للوسط لا للجنوب . وانني آمل أن نستطيع بهذه الطريقة أن ننشر هذا التقرير الزائف كشائعة في أجهزة الدعاية في العالم . وسوف نرى في الأسابيع القادمة الى أي حد نتمكن من تضليل العدو . وانني لا أنتظر نجاحا كبيرا ولكن على المرء أن يحاول كل ما يستطيع فعله » .

وفي اضافة أخرى في المذكرات في اليوم التالي ٢١ من مايو سنة ١٩٤٢ ، نرى الخطوة التالية للحملة :

« استقبلت الصحفي كريج رئيس تحرير جريدة Scherl Verlag وهو الذي قام برحلة الى الجبهة الوسطى الشرقية بناء على أوامري ، ولقد قررت أن يسافر بالطائرة الى البرتغال بناء على طلبى وهناك يقترب أخطاء عديدة تدل على عدم الحذر . . أخطاء تهدف الى الايحاء بأن الهجوم الألماني القادم لن يكون على الجنوب ولكن على الوسط . ومن المقرر أن يقول أن لديه معلومات دقيقة عن

هذا الموضوع ، وانه استطاع اقناع نفسه بدقة هذه المعلومات عن طريق زيارة شخصية قام بها . ومن المفروض أن يبدى تلك الملاحظات في بار حيث يظهر بمظهر السكير . واننى آمل أن تصل تلك الملاحظات الى آذان الصحفيين المحايدين ، بل الى آذان الصحفيين المعادين . ولم يتضح بعد عما اذا كنا سوف ننجح بهذه الطريقة في تحويل الاهتمام عن الجنوب » .

وظهرت ملاحظة جوبلز الأخيرة في تاريخ ٢٣ من مايو سنة ١٩٤٢ :

« قدمت تقريرا للفوهرر عن محاولاتي لتحويل الاهتمام من الجبهة الجنوبية الى الجبهة الوسطى ، ولقد وافق الفوهرر موافقة تامة » .

عملية الدولار الأمريكى :

أما عملية الدولار الأمريكى فهى نوع آخر من استخدامات الحرب النفسية المستحدثة ولنخصها كما يلى :

فى ١٦ من أبريل سنة ١٩٥٣ وقبل توقف القتال فى كوريا بخمسة عشر اسبوعا استخدم السلاح الجوى الأمريكى سلاحا جديدا أثبت فاعليته . وكنتيجة مباشرة لاستخدام هذا السلاح ظلت جميع طائرات الميج التابعة للجانب الآخر على الأرض لا تحلق لمدة ثمانية أيام . وحتى بعد أن بدأت الطائرات فى التحليق من جديد كانت الطائرات الميج التى تحلق فى الجو أقل بكثير عن ذى قبل .

ولم يكن السلاح الجديد سلاحا الكترونيا جديدا ولم يكن مادة متفجرة ذات قوة فائقة ، ولم يكن جهازا فنيا من أى نوع . ولكنه كان «فكرة فى العمل» وهجوما نفسيا على الطرف الآخر .

ولقد أطلق على السلاح الجديد اسم « عملية مولاه » Operation Moolah لأنها تضمنت عرض مكافأة قدرها ٥٠.٠٠٠ دولار لاي طيار يسلم طائرة ميج الى قوات الامم المتحدة علاوة على مكافأة اضافية قدرها ٥٠.٠٠٠ دولار لاول طيار يقوم بهذا العمل .

وقد يبدو هذا أمرا سهلا ، ولكنه لم يكن كذلك . كان السلاح الجوى الأمريكى قد طالت به الرغبة لتوجيه هجوم مركز على عقول الطيارين الشيوعيين لتشجيعهم على الهرب ، ولكن السلاح الجوى لم يكن يعرف كيف يؤثر على نفسية هؤلاء الطيارين ، ولذلك انتظر نتائج الأبحاث التى كانت تجربها جامعة هارفارد . ولم يكن السلاح الجوى يعرف ماهية الكلمات التى من شأنها أن تؤثر فى نفوس الطيارين الشيوعيين . وأكثر من كل ذلك ، لم يعرف رجال السلاح الجوى مدى ما يمكن أن يحققه الهجوم النفسى من نتائج فى ميدان القتال . وكشفت الأبحاث الأساسية التى أجرتها جامعة هارفارد على العقلية الشيوعية عن جوانب كثيرة فى عقلية الشيوعية ، جوانب يسهل التأثير عليها عند شن هجوم نفسى . وكانت معظم هذه الجوانب مغلقة غير معروفة ، وكل ما يمكن أن يقال هو أن « عملية مولاه » قامت على الضغط على عقلية الطيارين ، وبث روح التمرد فيهم على النظام الذين يتبعونه .

والواقع أن مثل هذه العملية تعتمد على الرشوة المادية بالإضافة الى العمليات النفسية . وفى رأينا أن هذه العمليات التى استخدمت مثيلاتها فى الماضى بصورة متعددة قد تاتى برد فعل عكسى فتعمل على ازدياد للمقاومة ، فالمواطن الذى يذهب للحرب للدفاع عن قضية يؤمن بها لا يمكن أن يرتشى ولو بال قارون +

صحيح أن هناك نفوسا ضعيفة فى كل مجتمع ، ولكنها قلة بحيث لا تستطيع أن تؤثر على قضية يؤمن بها المجموع .

#### عملية « ايتاليا كومبات » Italia Combatte

وتبرز هذه العملية كيف استخدمت الحرب النفسية لتأييد عمليات حركة المقاومة ، ونعتبر من حيث القيمة من أكثر العمليات التى تمت فى منطقة البحر المتوسط فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

لقد جمعت هذه العملية بين النشرات وبين الاذاعة التي كانت تهدف الى اسداء النصيحة ورفع الروح المعنوية في وحدات المقاومة الايطالية الموالية للحلفاء والتي كانت تقوم بعمليات وراء خطوط الاعداء .

لقد استمرت هذه الوحدات منذ وقت نزول الحلفاء لاول مرة على الارض الايطالية حتى نهاية القتال في ايطاليا ، تتلقف بصورة منتظمة جريدة أو نشرة تعليمات . وكان يلقي بهذه الجرائد والنشرات الطيارون الامريكيون والبريطانيون وكذا الطيارون الايطاليون الذين كانوا يعملون مع الحلفاء . ولما لم يكن من الممكن تغطية المنطقة كلها بالنشرات ، فقد استكملت تلك التغطية باستخدام الاذاعة على موجات متوسطة وقصيرة .

وفي مارس سنة ١٩٤٤ ، وضعت عملية « Italia Combatta » تحت اشراف البرت سبالدينج عازف الكمان الامريكي المشهور واستمر في الاشراف على هذا النوع الهام من العمل حتى نوفمبر سنة ١٩٤٤ عندما اضطره المرض الى العودة الى الولايات المتحدة ، وكان سبالدينج مؤهلا لهذا العمل بدرجة كبيرة .

وخلال الحرب أحيطت عمليات « ايتاليا كومبات » بسرية مطلقة ، فكانت تجمع المعلومات من مصادر متعددة سواء من مصادر الحلفاء ، أو مصادر ايطالية ، ومن مصادر صديقة أو معادية . وبغض النظر عن المصدر الذي جمعت منه المعلومات السرية ، كانت تفحص تلك المعلومات بعناية قبل استخدامها . وفي بعض الاوقات كانت المعلومات هامة بدرجة أنها كانت تؤخذ مباشرة الى القائد الأعلى للحلفاء في منطقة البحر الابيض ، من أجل استشارته ونصيحته .

وكانت « ايتاليا كومبات » موجهة أحيانا الى روما - قبل تحريرها - وكذلك الى جماعات المقاومة الذين كانوا يعملون في شمال ايطاليا ، وكانت أسماء الجواسيس الذين يتعاونون مع العدو - تذكر في النشرات أو في الاذاعة مما أدى الى أن يقوم أفراد المقاومة بتنفيذ حكم الاعدام في عداد كبير من هؤلاء الجواسيس ، وكانت تعطى تعليمات خاصة بارتكاب كل أنواع التخريب .

ولقد ذكر التقرير الرسمي للحرب النفسية للحلفاء في منطقة البحر المتوسط الذي أعد عام ١٩٤٥ خصيصا لوزارة الحرب الامريكية : « انه ليس هناك أى شك في أن ( ايتاليا كومبات ) كان لها أثر هائل على النظام والسلوك العام الذى أظهرته جماعات المقاومة - قبل وبعد اختراق الحلفاء لوادى البو » \*

عملية « برادوك » :

وأخيرا نعطى مثلا يوضح استخدام الحرب النفسية بنجاح بفرض الضغط على أجهزة الأمن في الدولة الهدف \*

ففي أثناء الحرب العالمية الثانية قامت هيئة أفراد الحرب النفسية للحلفاء ، بعملية « برادوك » ، وكان الهدف هو أن تزيد من خطر ملايين العمال الاجانب في المانيا على هيئة الأمن الداخلى الالمانى \*

لقد كانت الوسيلة التي استخدمت هي اسقاط من أربعة الى خمسة ملايين لفافة من « المتفجرات الحارقة الزمنية القوية ذات الحجم الصغير على مناطق في ألمانيا والنمسا حيث كان العمال الاجانب يتجمعون . وكانت كل ربطة من المواد المتفجرة تتضمن « كارت تعليمات » يصف طريقة الاستعمال ومكتوبا بتسع لغات ، علاوة على « دليل » يشير الى الأهداف المحتملة \*

وبالإضافة لذلك استغلت الوسائل المألوفة في الحرب النفسية ، فالدعوة الى حمل السلاح كانت توجه في اذاعات خلال الليل من محطة اذاعة للحلفاء أطلق عليها Soldatensender Calais ، ولم تكن هذه الاذاعة تعرف نفسها على أنها اذاعة حليفة ، كما استخدمت النشرات الرسمية التي كانت مزيلة بتوقيع جنرال ايزنهاور \*

كان هدف « برادوك » ، مزدوجا :

١ - الاستفادة بأكبر قدر ممكن من أعمال التخريب الفعلية التي يقوم بها العمال الأجانب \*

٢ - تحطيم أعصاب قوى أمن الأعداء الى أقصى درجة ممكنة • وخلال الاسابيع الاولى من عام ١٩٤٥ ، عندما كان واضحا من الموقف العسكرى أن وضع حد سريع للحرب كان أمرا غير محتمل الوقوع ، رفض هدف التخريب •

وبالرغم من ذلك ، فإن التقارير التى وردت الى الحلفاء من العواصم المحايدة مثل ستوكهولم وبرن والتى استخلصت من الاذاعة الالمانية قدمت الدليل على أن النداء الاذاعى أقلق المسؤولين النازيين وحيرهم كثيرا • واستمر العمل فى تحقيق الهدف الثانى وهو :

« شغل ادارة الأمن الالمانية بجعلها فى حالة مستمرة من الخوف والترقب حتى أبريل سنة ١٩٤٥ ، عندما اتضح أن نهاية الحرب قريبة » •

ودلت الاستجابات التى أجريت مع العمال الاجانب بعد انتهاء الحرب على وجود عقد نفسية فى اتجاهاتهم • فليس مجرد الخوف من البوليس هو الذى خلق فى هذه الجماعات روح التردد والاحجام عن القيام بأعمال التخريب ، ولكن أول عقدة نفسية كانت لدى هؤلاء العمال هى حينما فكروا تفكيرا منطقيا بأن مجهوداتهم لتخريب المصانع الالمانية هى جهود لم يكن لها داع نظرا الى التدمير الهائل الذى أحدثته قوات الحلفاء الجوية •

أما العقدة النفسية الثانية فهى قولهم بصراحة أن احجامهم عن الاشتراك فى أعمال التخريب يقوم على اعتبار أنهم لم يرغبوا فى القضاء على سير العمل فى مصنعهم • فالقضاء على سير العمل من شأنه أن يشكل عقبات شخصية لخسارتهم الاجور أو بطاقات التموين خلال الفترة المطلوب فيها اجراء اصلاحات أو الانتقال لمصنع آخر • ولذلك كان رجال الدعاية فى قوات الحلفاء غير واقعيين عندما طلبوا من العمال الاجانب أكثر مما يستطيع هؤلاء العمال أن يقدموه •

## الحرب النفسية الدفاعية

في الحروب توجه الحرب النفسية جهودها وعملياتها ضد الجنود لتحطيم معنويات العدو مستهدفة من ذلك الحصول على « استجابات » بدرجة أكثر من عملها للحصول على عمل مباشر .

والواقع أن في قدرة الحرب النفسية الحصول على عدة أهداف جملة وفردى ، وأكثر هذه العمليات شيوعا هي التي تستهدف اعداد عقل جندى العدو للاستسلام فعلا ، وكذلك عدم القيام بأى عمل لصالح الجانب الذى يقاتل له ، وعندما لا يتطلب الاستسلام شيئا أكثر من السلبية فإن النشرات تعتبر كافية ونافعة ، وفي هذه الاحوال يكون كل ما يطلب من العدو هو أن يقاتل قتالا سيئا وأن يرفع يديه مستسلما عندما يطلب منه ذلك . وتتضمن عمليات تحطيم المعنويات أغراضا أخرى مثل تهيج جماعات العدو ضد بعضها بعضا ، والتشيط العام لمعنوياته ، وإخماد همة وعزم جنوده وقادته .

ولكى تكون عمليات تحطيم معنويات العدو ذات فاعلية فانها يجب أن تتجه نحو المعنويات الفعلية التى يعنى بها الجنود ويهتمون لها ، فالجنود الذين يتناولون غذاء جيدا لا يمكن تخويفهم باحتمال أنهم سيواجهون الجوع فى تاريخ قادم بعيد ، والجنود الذين يتوافر لهم ضباط أكفاء لا يمكن حثهم على القيام بشورة ، والجنود الذين تصل اليهم الرسائل تباعا لا يمكن أن يشعروا بنقص



معلوماتهم عن تركوهم وراءهم في أرض الوطن ، ومع هذا فان بعض النقاط الضعيفة في تنظيم العدو يمكن أن تقدم الاهداف لعمليات تحطيم المعنويات ، فموقف الهزيمة مثلا يفرض اجهادا كبيرا على الجنود وعلى الضباط الذين يقومون بأعمال ذات مسئولية ، وفي مثل هذا الوقت يبرز التفكك داخل الوحدات ، ويكون المجال مهيأ لانتشار الشائعات على نطاق واسع كما يكون تأثير عمليات الدعاية ضد المعنويات ذا أثر بالغ .

وفي عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ وجه الحلفاء حربهم النفسية ضد ألمانيا الى القادة وجموع الجنود الالمان ، وقد بنيت عمليات الحرب النفسية التي وجهت الى القادة الالمان على أساس منطق التأثير في أولئك الذين تتوافر لهم السلطة في تحقيق الاستسلام على نطاق واسع ، ولكن الواقع تطور تطورا غريبا .

فان المعنويات الالمانية كانت أسوأ حالا في الدرجات الاعلى عنها في الدرجات الادنى ، وفي السنة الاخيرة من الحرب لم تنحط معنويات الجنود الالمان في الجبهة الغربية الا بدرجة صغيرة على الرغم من أن الاغارات الجوية العنيفة التي كانت توجه الى وطنهم من خلفهم ، وذلك بالمقارنة الى ما كان يجب أن تنحط اليه معنوياتهم لو كانت لها صلة مباشرة بالموقف الاستراتيجي الذي كانت عليه ألمانيا ككل . ومن جهة أخرى كانت المعنويات بين الضباط القادة ورجال هيئة أركان الحرب في حالة تعسة ، وكانت المؤامرة الفاشلة Putsh التي قام بها الجنرالات الالمان في الصيف السابق مقدمة شعور سابق لانهايار معنويات القيادة الالمانية العليا .

ولقد نشأ هذا الموقف غير العادي لان جهاز الدعاية للاشتراكية الوطنية « النازية » كان لا يزال يؤثر في حشود الجنود ، وكان الضباط السياسيون لا يفتأون يلقون الخطب ، وكان الجنود يتلقون محادثات تشجيعية مع معلومات عن الحرب . وهي معلومات مشوهة لا بارقة أمل فيها ولكنها على أية حال معلومات . كما كانت تساق لهم الوعود عن امتيازات وعن راحة سيتمنحونها . وفي نفس الوقت زيد من ضبط وربط الجيش الالمانى تبعا للتقليد البروسى ، فضلا عن أنه بقي للجنود العاديين حتى في شهور الهزيمة كل ما تلقوه في

السنوات السابقة للحرب من امتيازات علاوة على ما علمته لهم دعاية هتلر الداخلية المستمرة غير المنطقية طوال سنى الحرب .

وعلى نقيض الجنود العاديين كان الضباط فى حالة سيئة وهم الذين يملكون القدرة على تفهم الأفضلية التى كانت لدى جيوش الحلفاء ، اذ كانوا يعرفون ما يكفى عن الاستراتيجية العالمية والاستراتيجية « القارية » فى أوروبا ، وعن الاستراتيجية المباشرة فى الجبهة الغربية ، وعن العوامل الاقتصادية وغير ذلك مما يمكنهم من أن يدركوا ادراكا أصيلا أن الموقف سيئ . وبالإضافة الى هذا فان كثيرا من طبقة الضباط كانوا يمتنون النازية شخصا على حين رحبوا بالنازية كوسيلة لتعبئة عامة الشعب فى الخط وراء القوات المسلحة ، حتى أولئك الضباط الذين كانوا مسئولين عن الدعاية فانهم بالطبيعة أحسوا بالخرج من كل الدعايات بما فيها دعاية حكومتهم ، وقد نقلوا نقدهم لها الى زملائهم الضباط .

وقد جاء دفاع الألمان ضد حرب الحلفاء النفسية بشماره ، فقد تابع الجنود القتال حتى عندما لم يكن للقتال نفع ، وعندما فكر قادتهم فى أن الوقت قد حان للإقلاع عن القتال ، لم يبقوا فى قياداتهم الا بسبب أن رجال الجستابو وعدوا بالموت الفورى لاي ضابط كبير حتى لو همس بكلمة « الهزيمة » .

لقد نجح الدفاع الألمانى ضد الحرب النفسية لانه قام على أساس عاملين اثنين :

١ - جودة الاغذية ، والتموين والمواصلات والأسلحة بالنسبة للجنود الألمان .

٢ - تنسيق الخدمات المعنوية لمقاومة الحرب النفسية .

ولقد توافر للجنود الألمان بالإضافة الى الاحوال الطيبة نسبيا التى كانوا فيها والتى أخفت عنهم الموقف الاستراتيجى المنهار للرايخ الثالث فيما وراء خطوطهم ، خدمات مجموعة من ضباط التوجيه المعنوى الذين كانوا يتولون

فعلا الحرب النفسية الدفاعية • فقد كان لدى أغلب القوات « سرايا الدعاية Porpaganda Kombanie » ولهذه السرايا طرافتها من الناحية التنظيمية ، فقد جمعت بين واجبات الدعاية من طباعة ونشر واذاعة الى استجواب الاسرى وغير هذا وبين واجب بناء الروح المعنوية ، ولم تقتصر خدماتها على العمل ضد العدو بل عملت على معاونة الجنود الالمان أنفسهم • ولما كان هؤلاء يخطرون باتجاهات دعاية الحلفاء فانهم كانوا قادرين أيضا على توزيع دعاية مضادة بسرعة وغالبا ما كانت تسبق دعاية الحلفاء •

ولقد اعتمدت الحرب النفسية الدفاعية على تلقين الوحدات عمليات الاستخفاف بالعدو والاستهزاء به ، وعدم تصديق الانباء التي يذيعها ، كما بشت الوحدات الخوف من أهداف العدو السياسية وأثارت كراهية عقلية العدو في حملته • وكان ضباط الدعاية وضباط العمل ضد النشاط الهدام Countersubversion ورجال الشئون العامة يعملون أما من مكتب واحد واما أنهم كانوا يقومون بكل هذه الواجبات مقترنة معا مما مكن من استخدام دعاية مضادة مرنة •

ولم تكن أغلب هذه الدعاية المضادة للالمان دعاية مضادة حقا بالمعنى الفني الصحيح ، فهي لم توجه ضد دعاية الحلفاء بل كانت معدة للمعنويات الالمانية ، ولم يترك بناء المعنويات الى الاجراءات الترويجية العارضة ولا للصحف والنشرات الدورية التي تصدر خاصة للجنود ولا لمنظمة الترفيه وما شابهها فحسب • بل صحب العمل بعمليات اخبارية موحدة مع تكرار عرض القضية الالمانية ، ومن ثم فانه لا يمكن القول أن الحرب النفسية التكتيكية الدفاعية التي مارسها الالمان ليست بعملية ناجحة تماما ولا بفاشلة تماما ، فهي على أية حال ساعدت القوات المسلحة الالمانية على الثبات وعاونت جهد النازية في الحرب وخاصة في المرحلة الأخيرة •

على أن الحرب النفسية الدفاعية في المستويات العليا هي في الواقع عملية تعارض ذاتي، فالحرب النفسية الجيدة لا توجه أبدا ضد حرب نفسية أخرى بل على



منظمة التشيكا - البوليس السرى السوفيتى فى شكله الاول - ذات مرة بأن  
الرأسماليين المخربين ومثرى المتاعب لا يستطيعون العمل فى الاتحاد السوفيتى  
لأن البوليس المخصص للعمل ضد التخريب المعنوى يصل عدد أفرادهِ الى  
مائة مليون » •

والذى تقصده « التشيكا » أنها قد دربت معظم السكان على التبليغ عن أى  
فرد يخرج على الجماعة أو ينحرف عن الاتجاه العام للمجموعة • ويمكن تحقيق  
تعاون شعبى مع الأجهزة المسؤولة عن مقاومه التخريب والأمن عندما تتوافر لهذه  
الأجهزة كفاية فى عملها وعندما تكون موضِع احترام الجماهير وتقديرهم نتيجة الثقة  
المتبادلة بينها وبين الشعب •

وتستطيع الحرب النفسية الدفاع عن أرض الوطن ضد عمليات العدو إذا  
تمكنت من أن تخلق وعياً بالحذر من الدعاية وتجعل الناس قادرين على نقد  
الاتجاهات والآراء المضادة للسياسة القومية • على أن التكتيكات الرسمية  
المعدومة المهارة والاكتفاء بالتشهير العام بالاشفاق والخروج على رأى الجماعة  
مما يجعل المواطن يعتقد ما اعتقده مستر بامبل فى رواية « أوليفر تويست »  
عندما قال أن « القانون حمار وغبى » •

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن الحرب النفسية الدفاعية إذا ما قامت على  
اسلوب فنى صحيح لابد أن تنجح ضد عمليات العدو السوداء والمثيرة للعواطف  
والتي تهدف الى محاولة التفرقة السياسية أو تزييف الانباء بغية الحصول على  
انهيار معنوى بين الشعب •

ومع أن الحرب النفسية الدفاعية لا تستطيع أن تغير الانهيار المعنوى الناتج  
من الانهيار العمل داخل الوحدة السياسية أو القومية، ففي مقدورها أن تقلل من  
سرعة الانهيار ، ولذلك فنحن لا يمكن أن نستعاض بها عن القيادة السيئة •

والواقع أنه ليس هناك شئ يعوض القيادة السيئة ، وهذا يبرز لنا أهمية  
القيادة السياسية الجيدة التى تستطيع أن توجه الشعب نحو رفايته وأمنه  
وتعمل على تحقيق آماله وأمانيه •

## أهمية التوجيه المعنوى :

على أن التوجيه المعنوى فى القوات المسلحة يلعب دورا أساسيا فى الحرب النفسية الدفاعية • وفى كل الجيوش الحديثة توجد بالإضافة الى العلاقات العامة وحدات للتوعية والترفيه تقع عليها مسئولية امداد الجنود بوسائل الترفيه ومعدات التعليم الثقافى ووسائل التوعية السياسية والاجتماعية •

وحدات التوجيه المعنوى تعتبر عناصرالدفاع الاساسية ضد الحرب النفسية التى يمارسها العدو ويظهر نجاحها فى الاحتفاظ بالروح المعنوية العالية للجنود ومنعهم من التأثر بما يقوم به العدو من اجراءات الحرب النفسية على مدى نجاح برامجها فى الاحتفاظ بانتباه الجنود نحو ما يقوم به العدو من وسائل مفررة وتفهمهم هدف العدو من هذه العمليات • ولذا فان التوعية المستمرة للجنود فى زمنى السلم والحرب تعتبر سلاحا دفاعيا فعالا ضد العدو عندما يحاول أن يشن حربيه النفسية • وغالبا ما يكون لهذه الوحدات اذاعات خاصة توجه للقوات المسلحة ، وفى الحرب العالمية الثانية أنشأت اذاعة القوات المسلحة الأمريكية خدمة اذاعية تغطى العالم كله مستهدفة بذلك ارشاد جميع الأمريكين خارج بلادهم الى حقيقة الموقف • وعلى الرغم من الجهود التى قامت بها وحدات التوعية والتوجيه بالقوات الامريكية فى الحرب العالمية الماضية فقد أغفلت الكثير من مفهوم الحرب النفسية التى كان يجب عليها أن تفرسها فى أذهان الجنود الامريكين ، ولكن من ناحية أخرى حققت الكثير فى ميدان الدعاية • وقد يرجع ذلك الى أن مفهوم الحرب النفسية بمعناه الحديث لم يتبين بوضوح للقوات الامريكية الا بعد ابتداء العمليات الحربية فى كوريا عام ١٩٥٠ •

وفى الجيش الألمانى والسوفييتى كانت وحدات التوجيه المعنوى أقساما من جهاز الدعاية المنسق الذى أخذ مسئولية الحرب النفسية والعلاقات العامة والأنباء والثقافة الشعبية • وفى القوات اليابانية اهتمت وحدات التوجيه المعنوى بالترويج البدنى والعاطفى مستخدمة الصور والرسوم التى تجلب الحظ السعيد

وما الى ذلك من وسائل الترفيه عن الأفراد ، ولم تكن لها صلة مباشرة بأجهزة الأنباء والدعاية المنظمة الرسمية الا بنسبة لا تذكر .

ويمكننا أن نتساءل الآن : ما واجب كل فرد من أفراد قواتنا المسلحة في ميدان الدفاع النفسى ؟

ان الحرب النفسية بالنسبة للعدو وسيلة طيبة في يده . انه ينفق الكثير ويبدل مجهودا ضخما في حربه النفسية ضدك لانك الدرع الذى يحمى استقلال بلدك وكرامة وطنك وأهلك .

على أننا يمكن أن نجعل واجبات أفراد القوات المسلحة ومسئولياتهم في هذا الميدان تحت بندين رئيسيين :

أ - واجبات القائد :

ان ضابط القوات المسلحة العربية الذى يحارب في الخطوط الامامية من الجبهة مع وحدته وقت الحرب يعتبر هدفا له أهميته في الهجوم النفسى الذى يشنه العدو سواء أكان ذلك في السلم أم في الحرب .

وكلما ازدادت نظرة العدو الى قواتنا المسلحة كعامل من العوامل الفعالة في الدفاع عن نظامنا الاشتراكي وعن كرامتنا الوطنية ازدادت هجماته النفسية علينا .

ولذا فان على كل ضابط في القوات المسلحة مسؤولية كبيرة في تلك المرحلة الحرب النفسية ، وهو بهذه المسؤولية يسهم بدرجة كبيرة فى تلك المرحلة التاريخية الكبرى التى يمر بها وطننا فى مواجهة الاستعمار والرجعية وأعداء الوطن .

وعلى العموم فان على كل ضابط مسؤولية في هذا الميدان يمكن أن نلخصها فى النقاط الآتية :

١ - يجب أن يكون لدى كل ضابط الوعى السياسى الكامل نحو مفهوم اشتراكيته وأهدافها ، وكذا يعرف ما تتخذه الحكومة أو القيادة العسكرية من اجراءات فيما يتعلق بمجال الدفاع النفسى .

٢ - كما يجب عليه فى نطاق عمله أن يتفاعل مع القوى الشاملة التى تعمل للدفاع ضد الهجمات النفسية التى يشنها العدو ، وعليه أن يتذكر دائماً أنه مسئول عن تسليح جنوده نفسياً وفكرياً ، وهذا يتطلب منه شخصية قوية وقدرة على الاقتناع . ان الوعى بالمسئولية والتسليح النفسى والايمان بالقيادة الوطنية هى الاسلحة التى يستطيع بها الضابط أن يخوض حرب العدو النفسية التى تدور معاركها يومياً ، كما يجب عليه أن يتسلح بالنشاط والتحكم والخيال الخصب والشهور بالمسئولية .

٣ - وأخيراً يجب على الضابط أن يكون ملماً بالمعلومات الأساسية الكافية التى تمكنه كفرد فى المجتمع من أن يخوض المعركة النفسية بنجاح .

#### ب - واجبات الجندى :

ان الجندى كالضابط تماماً هدف من أهداف الحرب النفسية للعدو ، كما أنه ليس من الصعب عليه كفرد فى القوات المسلحة أن يدافع عن ذاته ضد أعمال الحرب النفسية . وهناك ثلاثة أمور يجب على كل جندى مراعاتها للتسلح بها :

١ - الوعى بما يحاول أن يدبره العدو ضد وطنه من تأمر وتخريب مادى ومعنوى ، والملم عام بمفهوم نظامنا السياسى .

٢ - يجب أن يكون ملماً بطرق وأشكال وامكانيات الحرب النفسية ، وكذا اتجاهاتها ونشاطها .



٣ - الجلد والنظام اللذان يجب أن يواجه بهما أية تأثير للحرب النفسية .

وفي النهاية فإن الدفاع ضد الحرب النفسية يتطلب منك كمواطن شريف اليقظة ، على أن تعرف :

- ♦ ماذا يدبر العدو ضد الوطن ؟
- ♦ ما هدف دعايته ؟
- ♦ ماذا يريد العدو منك أن تفعله ؟
- ♦ ما أسلوب الحرب النفسية وطبيعة دعاية العدو ؟

فاذا ما تهيأت لك المعرفة بهذا كله ، لم يعد من السهل أن يخدعك العدو أو يضللك \*

عليك أن تنظر الى العدو نظرة شك دائما فهو يتربص بوطنك في كل وقت ، فاذا سمعت اذاعة أو سقطت في يدك نشرة أو وصلت الى مسامعك شائعة ، فابحث عن المصدر واجعل الشك رائدك دائما في مثل تلك الحالات ما دمت لا تستطيع أن تعرف كيف نشأت الفكرة \*

تذكر أن اذاعات الراديو السوداء والنشرات لا تجيء من المصادر التي تزعم أنها قادمة منها ، كما أن الشائعات لا تتحدث عن مصادرها الا في شكل مبهم غامض \*

انتقد كل ما يصل الى سمعك أو يدك ، وحتى اذا سمعت شيئا تعرف أنه حقيقي فلا تثق بالتفسير الذى يصحبه \* فكر جيدا وميز بين الحقائق التي تستطيع التثبت من مصادرها وبين تلك التي لا تستطيع التثبت منها \* كما يجب عليك أن تميز بين الحقائق وبين التفسيرات المغرضة التي تدور حولها . استخدم عقلك دائما وفكر جيدا \*

وكحديث عام لا تثق بالعدو أبدا ، فحينما يبدى مودته لك فهو يسعى للاضرار بك \*

واذا وقعت أسيرا فى أيدى العدو فلا تذكر له الا اسمك ورتبتك ورقمك  
العسكرى ولا تحاول أن تجعل لسانك ينزلق فيما تعتقد أنه ليس هاما ، فان  
التفاصيل القليلة عن الحياة فى وحدتك أو فى أرض الوطن قد تكون هى كل  
ما يحتاج اليه العدو منك ، ومهما أظهر لك العدو من مودة فلا تحدثه عن أسرتك  
فى أرض الوطن . انه يريد الحصول على معلومات ، ولولا ذلك لما أضاع وقته فى  
التحدث اليك .

ثق دائما فى الله وفى وطنك وفى زعمائك وقادتك ، فانهم يعملون دائما  
لمصالحك ، وتذكر أنهم الهدف الأكبر لاعداء وطنك ، لأنهم يدافعون عن مصالحك  
ويحرصون على مكاسبك .

## طوارئ المستقبل :

الواقع أن هذا السياق انما يشير الى تجارب معروفة ، ولا يمكن معها التحول  
الى مجرد تخيلات وأوهام مستقبلية . ان هناك الكثير من المواقف التى لم  
تحدث من قبل ولكن من الممكن تخيلها ، ومن ثم فانها تستحق البحث والمناقشة  
فى ضوء التطور الذى يمكن أن يحققه تقدم استخدام الحرب النفسية مع تقدم  
الأساليب والوسائل المستخدمة فى تلك الحرب ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

١ - ماذا يستطيع أن يعمل قائد وحدة صغيرة اذا ما ظن جنوده أنهم  
قد تلوثوا بميكروب مرضى بوساطة طائرات العدو التى تعمل فى الحرب  
البكتريولوجية ؟

٢ - كيف يتصرف قائد وحدة لو قالت اذاعة العدو لجنوده أنهم سيتعرضون  
للاشعاع وأن هذا الاشعاع سبب لهبهم الاصابة بفقر الدم والسرطان والموت مالم  
يستسلموا مباشرة ؟

٣ - ماذا يفعل قائد وحدة وجد نفسه قد عزل تماما عن وسائل تموينه ،  
ثم وجد نفسه يعمل وحده فى منطقة خطرة ملوثة وجنوده أصبحوا ضحايا دعاية  
سوداء للعدو ؟

٤ - ماذا يفعل اذا ما خطر جنوده أنهم لن يستبدل غيرهم بهم تلقائيا ،  
او بسبب أعمال العدو في أن حكومتهم قد أغفلتهم وان مواطنيهم قد هجروهم  
وتركوهم للعدو ؟

٥ - وماذا يفعل القائد لو أن وفدا يمثل مختلف أقسام وحدته قد جاءه  
في ميدان المعركة وطلب الوفد منه أن ينصت لشكواهم ؟

ولنفترض أن القائد يعرف أن جنوده يشكون عن حق من نقص الغذاء  
او من الخطر الذي يواجهونه ولكنه يعرف في نفس الوقت أن العدو قد اجتذب  
بعض جنوده بالتضليل وان العدو قد جعلهم ينشرون مظاهر التدمير أو أنهم  
قد جاءوا يطالبون باعداد ملاحى عميقة تقيهم ، بعد أن كانت نشرات دعاية العدو  
قد وجهت أنظار الجنود الى المطالبة بهذه الملاحى . . فهل يعامل الجنود على أساس  
أنهم خونة أو على أساس أنهم حمقى قد ضللتهم دعاية العدو ؟

٦ - ماذا يفعل القائد لو واجه مشكلة خيانة سياسية أو مؤامرة تخريب  
بين صفوف وحدته ؟

ان كل هذه صور جديدة لم يعرفها القادة من قبل ، والجنود في كل حرب  
سابقة كانوا يذهبون الى القتال وهم واثقون بقدرتهم على كسب الحرب ، ولكن  
مع حرب المستقبل لا يمكن ضمان هذه الثقة ومن غير المعروف ماذا يمكن أن يفعل  
الجنود لو عرفوا أن دورهم في أرض الوطن قد دمرت وأن أسرهم قد مسحت  
باغارات ذرية قام بها العدو ؟

ان هذه كلها أسئلة من طراز جديد لها صلاتها الوثيقة بالحرب النفسية  
والقول بأن مثل هذه المشكلات لم تواجه أى قائد من قبل ليس يعنى أنها لن  
تحدث ، ومن ثم فان رجولة واستقامة وفطنة قادة الوحدات الصغيرة قد تتعرض  
لواجب غير متوقع . واجب جعل واحداتهم تتماسك في صلابة وقوة في مواجهة  
هجوم نفسى مدمر .

# الباب الرابع

## مجالات التوصل

♦ الفصل الأول  
مجالات التوصل



## مجالات التوصيل

قد يكون من المناسب الآن أن نبين وسائل التوصيل التي يمكن الاستفادة منها في مجهودات الحرب النفسية .

وعلى الرغم من أن هناك وسائل عديدة مقررّة ثبت نجاحها فنحن لا نستطيع أن نتطرق إليها جميعا . ولذا فسنقتصر بحثنا على الوسائل الرئيسية التي استخدمتها الدول المختلفة في توجيه مجهوداتها النفسية نحو الأهداف المحددة

ان معركة الاذاعة بنوعيهما - العلني والسري - ونشرات الاستسلام والنشرات الصحفية واسقاط الكتيبات ومكبرات الصوت ، استخدمت كلها في الماضي كأسلحة فعالة من أسلحة الحرب النفسية .

وليسست هذه كل الوسائل ، فقد لعب الابتكار والمبادأة دورا كبيرا في ايجاد وسائل أخرى منها الدبابة والطائرة ، حيث اتخذنا من وسائل الدعاية على ما سنرى بعد في هذا الفصل .

لكن من الضروري أن نلفت النظر هنا الى سلاح فتاك من أسلحة الحرب النفسية ونعني به الشائعات ، ونظرا لخطورة هذا السلاح بخاصة أننا قاسينا منه الكثير فقد أفردنا له الباب التالي حتى يستطيع القارئ أن يتبين مدى خطورته ويتفهم الأساليب التي يستخدمها العدو الوطن لتقويض بذائنا أو تعويق تقدمنا .

ان اختيار أنسب الوسائل لمسألة تعتمد على تداخل عناصر عدة وتفاعلها منها توافر التسهيلات اللازمة ، وقدرة الجمهور المستمع على استقبال المادة المرسله وفهمها • وفي اختيار الوسائل يجب أن نقدر :

♦ الأذواق والعادات والتقاليد لدى الجماعات التي نخاطبها •

♦ الوقت المتوفر لدينا لاتمام مهمة خاصة •

ونحن لن نناقش كل وسيلة ممكنة في هذا الفصل خشية الاتساع ، فقد أردنا في الحقيقة أن نبرز أو نقدم الأمثلة التي تغني عن الأخرى في كشف الوسائل العادية وغير العادية التي استخدمت في الحرب النفسية ، ونوضح في الوقت نفسه الاستخدام الاستراتيجي والتكتيكي للحرب النفسية في أثناء السلم والحرب •

## معرفة الإذاعة :

لعبت الإذاعة في الحرب العالمية الثانية دورا كبيرا داخل كل من المعسكرين المتنازعين ، وفتت في عضد العدو ومزقت قواه المعنوية ، وقد اشتد أثرها خطورة بعد الحرب نتيجة التطور الكبير في أجهزة الراديو وظهرت الترانزستورات الزهيدة الثمن التي يتمكن بها الملايين ممن لا يعرفون القراءة والكتابة من الاستماع الى الدعايات المختلفة التي ترسلها الدول •

واليوم نجد أن كلا من المعسكرين الشرقي والغربي يقوم يوميا بالدعاية في مئات من ساعات الارسل ويتنافس تنافسا لا هوادة فيه للتأثير على عقول المستمعين •

## الاذاعة على الموجة القصيرة :

تتحصل الاذاعة على :الموجة القصيرة عبر اطرِبْ النفسية عبر المسافات البعيدة ، ويظهر خطرها في أنها تربط الكائن والادارات التي تعد للحرب النفسية بمحطات فرعية تبادلية تعمل على الموجات العادية عن أن تكون وسيلة للارسال المباشر ، اذ غالبا لا تتوافر أجهزة الاستقبال على الموجة القصيرة بدرجة كبيرة لدى الافراد . ومن جهة أخرى فان المستمع العادى على هذه الموجات قد ينصت اليها حينما يحاول أن يستقبل أنباء هامة معروضة عرضا جيدا ، ولكنه لا يمكن أن يفضل الموسيقى على هذه الصيحات الصالية التي تطير على أجنحة الاثير . وفصلا عن هذا فان استخدام جهاز استقبال على الموجة القصيرة في وقت الحرب يتضمن رغبة متعددة مقصودة من جانب المستمع في القيام بعمل شيء يعلم أنه يتعارض مع ولائه أو يعرضه لخطورة على أساس أن الاذاعة على الموجة القصيرة هي اذاعة من الخارج يقوم بها العدو .

ويمكن الموجة القصيرة من أن ترسل محطات الدعاية المتقدمة التي تعمل على الموجات العادية مواد تعد اعدادا طيبا في أرض الوطن، حيث يستطيع عدد كبير من الاخصائيين العمل . فالأنباء يمكن أن تعد بعناية كما أن كل المواد الاخرى من تمهيلات وغيرها تعد بواسطة اخصائيين محترفين ويقوم بأدائها ممثلون أكفاء ، ويسجل هذا كله على أشركة أو اسطوانات ثم ترسل الى المحطات الامامية التي تذيبها على الموجات العادية حسب الظروف .

وبهذه الطريقة كانت المحطة الامريكية في جزيرة سيبان في الباسفيك تذيع الى اليابان مباشرة اذاعات لم يكن من الممكن أن تذاع على الهواء لو كانت الهيئة التي تعدها تعمل فعلا من الجزيرة . ولقد كان الناس الذين يعملون من سيبان مجرد فنيين اخصائيين في المواصلات الاسلكية ، وكانوا يتقنون المواد عن الاذاعات الامريكية من جزيرة هواي أو من اذاعة سان فرانسيسكو على الموجات القصيرة ثم يعيدون اذاعتها لليابان على الموجة العادية ، وقد سمع الملايين من



اليابانيين هذه الاذاعة على الموجات العادية مقابل عشرات أو حتى مئات يمكن أن يكونوا قد سمعوها من قبل على الموجة القصيرة مباشرة •

وفي الامكان استغلال الامكانيات المتوافرة في أرض الوطن من اعداد مجموعة كبيرة من المواد معدة للاذاعة ، فينتهي بذلك في المواقف الحساسة أو في المواقف الغامضة المريبة أربعة أو خمسة برامج تبادلية تغطي الوقت المحدد للبرنامج الكامل ، ويمكن بتسجيل المواد على أشرطة أو اسطوانات أن تمرر وهي في صورة صالحة وأن تعرض وتفحص وتراقب ويصدق عليها ، حيث لا يتسنى أن يتم هذا في محطة أمامية تعمل في منطقة العمليات •

وللاذاعة على الموجة القصيرة نفعها بالإضافة الى استخدامها كوسيلة لارسال مواد الاذاعة الى محطات التوزيع الامامية Relay Stations اذ تستطيع أجهزة الاستماع والتصنت للعدو وأجهزة مخابراته أن تلتقط هذه الاذاعات ، كما يستطيع أن يسمعها الأشخاص ذوو المكانة السياسية والاقتصادية في بلاد العدو ، ومن ثم تكون الاذاعة على الموجة القصيرة بمثابة حديث موجه الى حكومة العدو والى الأشخاص الذين يتولون الزعامة في بلادهم سواء كانوا داخل الحكومة أو خارجها •

لقد كانت الجو هو كيوكو Joho Kyoku ( مجلس المعلومات الامبراطوري ) والجيמושو Gaimusho ( وزارة الخارجية ) في طوكيو تتصنتان الى الاذاعة الأمريكية التي ترسل من سان فرانسيسكو ، فكان كل ما يذاع من سان فرانسيسكو يصل الى أعلى السلطات في اليابان • وتحدث القبطان ايليس زخارياس - الى الزعماء اليابانيين الذين كان يعرفهم من قبل أيام عمله في اليابان - من اذاعة سان فرانسيسكو واعترف اليابانيون أنفسهم بأن اذاعته لعبت دورا هاما في استسلام اليابان •

## نشرات الأخبار على الموجة القصيرة :

ونشرات الأخبار شأنها شأن الاذاعات الدولية على موجة قصيرة احدى أدوات الحرب النفسية .

ان الحرب النفسية تعنى ببساطة التلاعب بالكلمات ، وبعقول الناس وانفعالاتهم بطريقة من شأنها أن تخلق ردود أفعال عندهم تكون مواتية للقضية المتبناة . ولذلك فالحرب النفسية الناجحة أو الدعاية السليمة تعتمد على ما يأتي حتى تصبح فعالة :

١ - تعريف واضح للأهداف أى اتفاق محدد لردود الأفعال التي يسعى الفرد الى خلقها أو ايجادها .

٢ - فهم مطلع ومتعاطف للجمهور المستمع من ناحية ظروفه الاجتماعية ، وحالته العقلية ، وآماله ومخاوفه ، وما يحبه وما يكرهه .

٣ - استخدام ماهر للغة والأفكار التي يمكن عن طريقها اجتذاب اهتمام المستمع وكسب ثقته .

### أهداف نشرة الأخبار :

والواقع أن نشرة الأخبار الإذاعية على الموجة القصيرة تهدف الى :

١ - تغطية الأخبار التي لا يستطيع المستمع معرفتها بدون الاذاعات .

٢ - اقناع المستمعين بدقة الأنباء التي تذاغ عليهم .

٣ - تفسير الأنباء في حدود الحقيقة أو الصدق ، وبطرق تعمل على تعزيز موضوعات الدعاية الرئيسية المستخدمة .

٤ - التقليل من شأن العدو من حيث هو مصدر للأنباء .

فهم المستمع :

والواقع أيضا أن عملية اختيار مقتطفات من الأخبار لمعالجتها وتأكيد أهميتها أو تنفيذها لا تكون مجدية إلا إذا وضع المرء نفسه في موقف المستمع .

ان اختيار الأنباء يحدده بدرجة كبيرة التقدير السليم لظروف المستمع وحالته العقلية ، فإذا ما فكر المرء في نشرات الأخبار على هذا الضوء ازدادت درجة الوضوح في التفرقة بين نشرات الأخبار المحلية ونشرات الأخبار من أجل الدعاية .

ونتيجة للخبرات الماضية وجد أن الحقائق التالية يجب أن توضع في الاعتبار عند تقدير ظروف المستمعين وحالتهم العقلية :

١ - ان الاستماع لاذاعات على الموجة القصيرة في بلاد ديكتاتورية أو في بلاد تحتلها القوات العسكرية لبلاد ديكتاتورية هو أمر خطر ، ولذلك فمن المحتمل جدا أن يكون هذا الاستماع بصورة غير منتظمة بدرجة كبيرة . وكنتيجة لذلك فضل أن تكون الاذاعات قصيرة ، وأن تؤكد أهمية الاخبار الاساسية فقط ، وأن تكرر الاخبار الهامة أحيانا . ومن المهم ألا يشتت انتباه المستمع بمسائل تافهة أو بمسائل ليس لها أثر في حياته .

ولقد استندت فكرة تكرار الأنباء الهامة الى افتراض أن الاستماع لا يكون منتظما ، وأن تلخيص الاحداث الهامة في الاخبار يحقق الغرض المنشود وهو الابقاء على الاهتمام بالأنباء .

٢ - ان الاستقبال على الموجة القصيرة تحت أحسن الظروف استقبال ردىء غالبا ، كما أن الرسائل المنقولة أو المذاعة تكون دائما معرضة للفرقة من جانب مجموعات غير صديقة . ولكي نتغلب على العقبات الطبيعية أو العقبات التي يصنعها الانسان يجب أن تكون الكلمات

المستعملة والالفاظ واضحة ، وأن تكون سرعة المتحدث دون السرعة التي تستخدم في نقل الأنباء المحلية . وفي المناطق التي يجب أن يشجع فيها التكرار يستحسن أن تزداد نشره أخبار مرة في اليوم على الأقل وبسرعة الاملاء .

٣ - ويجب أيضا أن يكون نظام عرض الأخبار متفقا مع النظام الذي يسود حياة المستمع . فالمستمع في بلد يحتله العدو يهتم بالأخبار التي لها صلة ببيئته المألوفة لديه ، وبشرواته الخاصة ، وبأنباء العدو بخاصة إذا كانت سيئة ، وبسائر الأنباء التي لها تأثير على الموقف وعلى كيان المستمع .

ومن الضروري أيضا ألا تزدحم الإذاعات أو نشرات الأخبار بأسماء أماكن غير مألوفة . ومن الأفضل أن تكون نشرات الأخبار - ما أمكن - بديلات لرموز ملموسة مثل عدد الاميال التي تقدمتها القوات ، وعدد الاسرى الذين اعتقلوا ، وعدد القتلى من العدو ، وعلى المرء أن يقتصد في استخدام أسماء الأماكن حتى يتيح الفرصة للأثر الترابطي القوي لاسماء قليلة يمكن تذكرها بسهولة .

كما أن مقتطفات الأنباء عن صراع عالمي يجب أن تجمع بطريقة من شأنها أن توضح أو تؤكد أهمية الجوانب العالمية في الصراع . ويجب أن تغطي الأنباء بطريقة توضح أهداف العدو وأعماله وتقارن بالأعمال الطيبة من الجانب الآخر . فمثلا يمكن وضع الأنباء الخاصة « باستقلال العدو للأراضي التي يحتلها » بجانب الأنباء عن « أعمال انسانية يقوم بها الجانب الآخر » بحيث تلقى ضوءا قويا على المقارنة بين النوعين المختلفين من السلوك .

وهناك نقطة هامة أخرى وهي أن الشعارات التي لها معنى في ثقافة أو عقيدة المجتمع الذي يعد نشرات الاخبار الخارجية يجب أن تغلف بمغزى أو معنى عملي . ولذلك يجب إعادة صياغة كلماتها حتى تصبح قادرة على أن تخلق في أذهان المستمعين صورا لأفكار مجردة .

ولكن من ناحية أخرى فإن استخدام الشعارات التي تشكل تلاعباً  
بالألفاظ قد تحد من قيمة الأنباء ، وتقلل الثقة في المستمع .

والحقيقة أن استخدام الشعارات أمر يستحق التفكير المستمر بالنسبة  
للأخبار والتعليقات . كما أن صياغة الألفاظ والشعارات ، وعدد المرات التي  
تستخدم فيها تتطلب معرفة دقيقة بمنطقة الهدف الخاصة التي سوف ترداد فيها  
تلك الشعارات .

كما أن نغمة الصوت وسرعته وصياغة نشرة الأخبار ، تشكل جزءاً هاماً  
من الحرب النفسية . فكل مجتمع يحتاج الى قدر معين من الاستهواء القائم على  
طريقة ألفاء الكلام ، أو وضوح التعبير ، أو الأسلوب المستخدم .

ولذا فإن الأسلوب المستخدم في إذاعة الأنباء المحلية لا يتواءم مع الإذاعات  
التي توجه الى المجموعات هدف الحرب النفسية . والمذيع الناجح هو الذي  
يستطيع أن يتبين هذه كلها ويعمل على تحقيقها .

### الإذاعة على الموجة العادية :

ونشير بعد ذلك الى أن أكثر أنواع الاستخدام للإذاعة ما يقع في نطاق  
الاستقبال المستطاع على أجهزة الاستقبال العادية التي يملكها سكان بلاد العدو ،  
ويعنى هذا انشاء وسائل ارسال قريبة من أراضي العدو يمكن أن ترسل عليها  
وبواسطتها مواد البرامج .

وقد كان تحقيق هذا النوع من الاتصال بين الولايات المتحدة واليابان  
مستحيلاً في الفترة من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٤ .

وتكون « الإذاعة الاستراتيجية » شديدة الفاعلية اذا ما وجهت الإذاعة من  
مسافة قصيرة وعلى موجة عادية وكان من المعروف على التحقيق أن لدى المدنيين

في بلاد العدو آلاف أجهزة الاستقبال ، اذ بذلك تنتهي الفرصة لاجتذاب مجموعة ثابتة مستمرة ودائمة من المستمعين للتأثير في معنوياتهم وأفكارهم واستخدامهم لنشر الشائعات التي تصل في الغالبية الى كل فرد من سكان بلاد العدو . على انه من الضروري أن يعمل المذيع على ألا يفقد المستمعون اهتمامهم بإذاعته ولا أن يملوها ، ولهذا يجب أن يستهويهم دائما بمسائله متغيرة من البرامج .

## الراديو الأسود والحرب الباردة :

تمخضت الحرب العالمية الثانية عن صراع ايدولوجي كبير بين الممسكرين الشرقي والغربي ، وأخذ هذا الصراع يشتد يوما بعد يوم الى أن ظهر في الافق ما يطلق عليه الحرب الباردة . وكان من نتيجة هذه الحرب أن خاض الطرفان غمار حرب نفسية كادت تؤدي بالعالم الى حافة الهاوية في مناسبات كثيرة .

لقد سبق أن بسطنا الدور الكبير الذي تلعبه الاذاعة في الحرب النفسية ، والآن نشير الى خطوة ما يطلق عليه « الراديو الأسود » أو بمعنى أوضح الاذاعات السرية التي تنتشر بين أرجاء العالم . فهذه استخدمها الطرفان المتصارعان في الحرب الباردة بينهما كأداة للتراقب بالكلمات والطمع في الآخر ، ووجه كثير منها الى الدول النامية التي تحاول التحرر أو تنتهج سبيل التقدم والرفق . والادهى من ذلك أن كثيرا من هذه الاذاعات استخدمت لتحريض الشعوب على الثورة على حكامها ، على ما حدث في مؤامرة جواتيمالا التي دبرت ضد الرئيس أربنز عام ١٩٥٤ و في محاولة غزو كوبا عام ١٩٦١ .

والحقيقة أن الاذاعات السرية « الراديو الأسود » ليست بشيء جديد ، فقد سبق أن أطلقت هذه العبارة على محطات الاذاعات السرية التي كان يستخدمها الألمان في الحرب العالمية الثانية بعد قيام قواتهم باحتلالها البلاد التي توجد هذه المحطات بها ، ولقد كان الألمان يستخدمون هذه المحطات لايهام العدو بأنها ما زالت في جانبه وبذلك يقع في الكمين الذي نصبه الألمان له . أما في الوقت

الحاضر فاننا نستطيع أن نطلق هذا الاصطلاح على أى محطة اذاعة سرية ، أو بمعنى آخر على أى ارسال غير شرعى وغير معترف به لأنه يعمل فى الخفاء بهدف التخريب والتدمير .

وليس الهدف من هذا البحث هو رصد محطات الاذاعات السرية التى تنتشر بين أرجاء المعمورة اذ لا تتسع صفحات هذا الكتاب لذلك ، كما أن الغرض ليس الدخول فى تفاصيل عملها الفنى ، ولكن ما يهمنا هو أن نبرز الدور الخطير الذى تلعبه فى الحرب النفسية فى هذا العصر الذى ازدادت فيه حدة الحرب الباردة بدرجة كبيرة وشكل مخيف .

ولهذا سنقصر بحثنا على ابراز خطورة هذا السلاح الفتاك وأثره فى معنويات الشعوب موضحين الدور الذى يلعبه الراديو الاسود فى الحرب الباردة باعطاء صور ونماذج حدثت فى أثناء الصراع الذى لا يزال العالم يعيش فيه حتى اليوم .

على أننا قبل أن نشرع فى ذلك نود أن نشير الى أن عمليات « الراديو الاسود » تنقسم الى قسمين : الارسال والاستقبال ، فبالاضافة الى قيام هذه المحطات السرية بعملية الارسال فان أجهزة الدول المختصة التى تخضع لها هذه المحطات تقوم بتسجيل اذاعات المحطات المضادة لتبين ما يقوله الجانب المضاد .

وتقوم أجهزة المخابرات فى أغلب الدول بالاستماع الى ما تقوله الاذاعات الصديقة والمعادية ، ثم تسجل هذه الاذاعات على أشرطة ، وتحرر يوميا ثم تحلل لمعرفة كثير من نوايا الدول الاخرى وخططها ، وهذه العملية علنية ولا تتصف بالسرية ومعترف بها شرعا ، وان كنا نستطيع أن ندخلها فى نطاق التجسس المكشوف .

وهناك اذاعات تعتبر خليطا بين العلنية والسرية ، وهذه الاذاعات تأخذ اعانات من الشركات أو المؤسسات الكبرى أو أجهزة المخابرات كما فى الدول

الرأسمالية ، أو تمويلها الدول كما فى النظام الشيوعى • وتنتظر هذه الاذاعات بأنها اذاعات خاصة بالرغم من أنها تتلقى توجيهات يومية من الاجهزة المسؤولة فى الدول التى تخضع لها •

والآن نستطيع أن نتناول بشئ من التفصيل دور هذه الاذاعات فى مضمار الحرب النفسية • فمن الأمثلة البارزة التى لعبت فيها الاذاعة السرية دورا كبيرا محطة سوان Swan (١) التى استخدمتها الولايات المتحدة فى عملية خليج الخنازير •

وهذه الجزيرة احدى جزر البحر الكاريبى التى تقع جنوب الحافة القريبة لجزيرة كوبا • والواقع أن موقع هذه الجزيرة من المواقع الممتازة لانشاء محطات الاذاعة السرية عليها ، فالسائح العادى يجد من الصعوبة أن يصل اليها لأنه ليس ثمة خط طيران مدنى يربط الجزيرة بالعالم الخارجى ، كما أن الباخرة الوحيدة التى تذهب اليها تستغرق حوالى خمسة أيام من أقرب ميناء على الشاطئ الأمريكى اليها ولا يمكن لأى فرد أن يتوجه الى الجزيرة دون الحصول على تصريح سرى •

وقد لعبت اذاعة سوان دورا كبيرا فى تلك المؤامرة التى دبرتها المخابرات المركزية الامريكية ضد حكم كاسترو فى كوبا ، اذ قام راديو سوان باذاعة رسائل بالشفرة وناشد الشعب والقوات المسلحة الكويتية الثورة على كاسترو كما قدم تعليمات خاصة عن فن التخريب •

ففى الساعة ٣ر٤٤ صباحا يوم ١٨ من أبريل عام ١٩٦١ أرسلت اذاعة راديو سوان نداء الى ميليشيا جيش كاسترو تدعوها الى الثورة :

---

(١) يقال أن سوان هو اسم قرصان عاش فى القرن السابع عشر واتخذ هذه الجزيرة مركزا لنشاطه ، وقد ادعت الولايات المتحدة ملكية هذه الجزيرة عام ١٨٦٣ ونازعتها فى ملكيتها هندوراس •



« لقد حانت الساعة التى يجب فيها عليكم أن تحتلوا مواقعكم الاستراتيجية المشرفة على الطرق والسكك الحديدية • اسجنوا من يرفضون اطاعة أوامركم أو اطلقوا عليهم النار • يا رفاق البحرية هذه فرصتكم لتقديم الدليل على اخلاصكم ، تقدموا واحتلوا مراكزكم فى بحرية كوبا • الحرية يا رفاق القوات الجوية • استمعوا جيدا ، يجب أن تظل كل الطائرات جاثمة على الارض • اعملوا على ألا تقلع طائرة واحدة من طائرات كاسترو • حطموا أجهزتها اللاسلكية ، حطموا ذيلها ، حطموا آلاتها ، انقبوا خزانات الوقود بها • ارفضوا العمل • بلغوا أصدقاءكم أن الحرية والشرف فى انتظار هؤلاء الذين ينضمون إلينا ، كما أن الموت فى انتظار هؤلاء الخونة الذين لا ينضمون إلينا » •

وبعد ثلاث ساعات أذيع البيان التالى :

« يا أهالى هافانا ، انتبهوا الى ما نقول • عاونوا جنود جيش التحرير الشجعان • يجب أن تتوقف محطات توليد الكهرباء عن مد المصانع بالكهرباء • فالיום فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين حينما تصدر الاشارة من هذه المحطة أضيئوا كل الانوار الموجودة بمنازلكم وأديروا كل الاجهزة الكهربائية التى لديكم ولا تقلقوا • ان قوات جيش التحرير سوف تستأنف العمل بهذه المصانع سريعا » •

ومن الواضح أن هذه المحطة التى تدعى أنها تتحدث باسم جيش التحرير الكوبى ما هى الا اذاعة سرية تديرها المخابرات الامريكية لتساعد فى تلك العملية ، ولذلك فانها حاولت أن تخفى هذا النشاط بايجاد حجة لانشائها فأذيع أن شركة ملاحه جبل طارق بنيويورك قد استأجرت الاراضى فى جزيرة سوان لانشاء محطة اذاعة ، ومما يضحك أن موظفى هذه الشركة صرحوا بأنها لا تمتلك أى سفينة فى السنوات العشر السابقة من تاريخ اذاعة هذا البيان •

ولقد أعلن هورتون هيث الذى وصف نفسه بأنه المدير التجارى للمحطة أن راديو سوان سوف يقوم باذاعة الموسيقى والادبرا والاخبار ، وأن ذلك عمل

تجاري محض ، كما ادعى أن شركة جبل طارق للملاحة كانت تستأجر الأرض من  
سهر سميت الذي كان يعمل رئيسا لمجلس ادارة مصانع نهميج اينجتون القائم  
فى ١٩ شارع الكونجرس ببوسطن .

وحيثما قام مراسل احدى الصحف الامريكية بسؤال سميت عن راديو  
سوان فى بوسطن عام ١٩٦٠ تجنب الاجابة بقوله « اسأل الحكومة » .

ولكن الحكومة أعلنت أنها تجهل كل شىء عن هذه المحطة الاذاعية ، وقال  
المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية « ان المحطة الوحيدة التى أعرف شيئا  
عنها فى جزيرة سوان هى محطة الارصاد الجوية التابعة للولايات المتحدة » وبهذا  
الرد الدبلوماسى تجنب المتحدث الحديث عن محطة سوان لان الولايات المتحدة  
كانت قد أنشأت فعلا محطة الارصاد الجوية عام ١٩١٤ .

ومن الغريب أن لجنة المواصلات الفيدرالية المسئولة عن اعطاء التصاريح  
لكل محطة اذاعة تعمل فى نطاق الولايات المتحدة لم تعط تصريحاً لراديو سوان  
أو لشركة جبل طارق للبواخر ، وقال المتحدث باسم لجنة المواصلات الفيدرالية  
« نحن لا نعرف من الذى يملك هذه الجزيرة » .

وحيثما بدأت المحطة عملها أخذت اذاعة كاسترو تبادى استيائها من هذه  
المحطة المعادية للثورة التى تدعمها الدولارات الامريكية ، ولقد استمر راديو  
هافانا فى مقاومه اذاعة راديو سوان والشمويش عليها ، وفى ٢٤ من أكتوبر عام  
١٩٦٠ هاجمها راديو كاسترو بقوله « أولئك الكلاب البائسون الذين يتحدثون  
من راديو سوان » ، ثم قال فى يناير ١٩٦١ « ليس راديو سوان محطة اذاعية  
ولكنه قفص من الببغاوات المصابات بالهستيريا » . وفى سبتمبر عام ١٩٦٠ أعلن  
رومان س. بوسنسكى الديمقراطى من شيكاغو وصاحب منظمة تدعى « راديو  
كوبا الحرة » أنه سيتعاون مع راديو سوان ، وقد وصف بوسنسكى راديو كوبا  
الحرة بأنه مؤسسة خاصة لها ست محطات فى فلوريدا ولوزيانا .

وكان راديو سوان يذيع في أثناء الغزو الكوبي طوال النهار والليل ،  
ويرسل بعض الرسائل بالشفرة ، مثل ذلك أنه أذاع في الساعة ١٠.٥٧ مساء  
١٨ من أبريل ما يلي :

« انتبهوا •• ستانسلاوس •• القمر أحمر في ١٩ من أبريل » •

وحتى بعد فشل الغزو استمر راديو سوان في اذاعة أوامر غامضة لفرق  
لا وجود لها . ففي ٢٢ من أبريل أى بعد انتهاء الغزو بأيام ثلاثة أرسل راديو  
سوان أوامره بعدم الاستسلام لعدة فرق وأخبرها أن المعونة في الطريق ، كما  
أرسلت الأوامر عن طريق هذه الاذاعة الى « الفرقة الثالثة » كي تتقدم ، وأمرت  
الفرقتين ٤ ، ٧ أن تتقدما حتى نقطة حدد مكانها •

وكان القناع الذى يختفى وراءه راديو سوان قد بدأ يشف عما يستره ،  
اذ كيف تكون هذه المحطة مؤسسة خاصة وفي نفس الوقت ترسل تلك الرسائل  
بالشفرات ، وترسل أيضا تعليمات وأوامر الى قوات تعمل في عملية سرية •

ولذلك حدث تغير جوهري في راديو سوان ، اذ تغير اسمه وأصبح يطلق  
عليه « راديو الأمريكتين » • ولكنه على الرغم من ذلك استمر في اذاعته للكوبيين  
يحثهم على القيام بحرق حقول القصب والقيام بأعمال التخريب •

ومحطة Wwul من المحطات ذات الموجة القصيرة التى ليس لها تاريخ مثيل  
فى الولايات المتحدة ، فقد لعبت هذه المحطة فى السنين الأخيرة دورا علنيا فى  
عمليات الحرب الباردة، وقد انضمت مع راديو سوان فى اذاعة برنامج «هافانا روز»  
الموجه ضد كاسترو •

وقد سبق أن قامت هذه المحطة عام ١٩٥٤ بمعاونة الثوار ضد الرئيس  
أربنز فى جواتيمالا ، وتلقت المحطة خطاب شكر من حكومة كاستيلو أرماس  
لما قامت به من مساعدة فى الثورة ضد أربنز ، ووقع الخطاب جوزى تورون الذى  
كان يقوم بإدارة محطة « جواتيمالا الحرة » السرية ، قبل أن يتم القضاء على  
حكومة أربنز •

ويعتبر « راديو أوروبا الحرة » أكبر المحطات السرية وأشدها إثارة للجدل .  
وتدعى هذه المحطة أنها محطة خاصة غير تجارية وليست حكومية توجه إذاعاتها  
عبر الستار الحديدي الى ثمانين مليون أسير في بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر  
ورومانيا وبلغاريا .

ولقد بدأ راديو أوروبا الحرة إرساله عام ١٩٤٩ مع انشاء اللجنة القومية  
لأوروبا الحرة . وفي عام ١٩٥٠ قامت هذه اللجنة بدعوة عامة لجمع التبرعات ،  
ورأس هذه الدعوة الجنرال أيزنهاور والجنرال لوسيسوس كلاي بطل عملية النقل  
الجوى الى برلين عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، وكان الغرض من هذه التبرعات جمع النفود  
لتمويل راديو أوروبا الحرة .

ولقد قال أيزنهاور في أثناء قيامه بالدعوة لهذه الحملة « نحن في حاجة الى  
محطات اذاعة قوية في الخارج تقوم بالارسال دون أى خطر أو رقابة حكومية » .

وتحدث كلاي في نفس الموضوع فمدح صوت أمريكا ، ولكنه قال  
« يبدو لي أننا في حاجة الى صوت آخر ، صوت يتسم بالوقار الحكومي ولكن ينطلق  
قويا في إذاعته » .

ولراديو أوروبا الحرة ثمان وعشرون محطة ارسال في ثلاثة مواقع اثنان  
منها في ألمانيا الغربية وهما ببليس بجوار فرانكفورت ، وهولز كرتن بجوار  
ميونخ ، والثالث في جلوريا بجوار لشبونة ، ويوجد المركز الرئيسى لراديو  
أوروبا الحرة بجوار ميونيخ .

ولقد قال المتحدث باسم المحطة « نحن نعتمد فى تمويل محطاتنا على تبرعات  
الشعب الأمريكى ، ونعتمد بخاصة على اعتمادات هيئة أوروبا الحرة . ان هذه  
المحطة خاصة تعمل طبقا للسياسة العامة للولايات المتحدة الامريكية .

وكانت « محطة أوروبا الحرة » مثار نقاد شديد لما تقوم به من عمليات اثاره  
ضد الشعوب . وبالإضافة الى ما كانت تقوم بإذاعته اشتركت فى عمليات البالون  
التي كانت ترسل عبر الستار الحديدي محملة بأوراق الدعاية . كما سبق أن  
وضح فى فصل « أهداف العمليات » .

وفي فبراير عام ١٩٥٦ ادعت حكومة تشيكوسلوفاكيا أن أحد البالونات التي قامت محطة أوروبا الحرة بإرسالها في الهواء تسببت في إسقاط طائرة ركاب تشيكية في ١٨ من يناير من العام نفسه في جبال تاترا بسلوفاكيا . كما قامت موسكو بالاحتجاج على عمليات البالون هذه ، وادعت المجر أن البالونات الأمريكية تسببت في وقوع ثلاث حوادث للطيران .

وقد ردت محطة أوروبا الحرة على ذلك قائلة ان هذه البالونات ليست خطيرة ، وان الدول الاسيرة للشيوعية حاولت اسقاطها بالطائرات والمدفعية ، كما أن المخابرات التشيكوسلوفاكية حاولت مرتين أن تفجر مناطق اطلاق البالونات في ألمانيا الغربية . واستمر توجيه النقد الى هذه المحطة حتى وصل الى ذروته في ثورة المجر ، وأخذ العالم يتساءل - بل تسأل الذين يدفعون التبرعات لها - عما تقوم به هذه المحطة من إثارة للشعوب . وقد استمرت المحطة تعطي الوعود الزائفة للتوار بقرب وصول معونة الغرب وعدم الاستسلام وهي تعلم أن هذه المعونة لن تتحقق مما جعل كثيرا من المحايدين يدينونها في مذبحه بودابست .

ويجدر بنا أن نتساءل هنا : ماذا كان هدف الولايات المتحدة في سماحها لراديو أوروبا الحرة بتشجيع الشعب المجرى على الثورة برغم أنها لم تكن مستعدة لتقديم أى معونة حربية لها ؟

لقد ثار جدل عالمي حول مسؤولية هذه المحطة وبالتالي حول أولئك الذين يشرفون عليها في واشنطن، وحاولت كل الأطراف أن تتصل من هذه المسؤولية. فقامت محطة أوروبا الحرة بالرد على تصريح أنا كاثي الزعيمة المجرية التي كانت قد هربت الى الغرب وهاجمت خطة راديو أوروبا الحرة بطريق غير مباشر، اذ قالت « لقد كانت النوايا طيبة وان لم تكن النتائج سعيدة » ، وكان رد الاذاعة أن تصريح الزعيمة ليس صحيحا . كما أعلن متحدث رسمي أن القول أن الغرب وعد بمساعدة المجر هو من اختلاق راديو شيوعي في ألمانيا الشرقية كان يذيع برامجه تحت اسم راديو أوروبا الحرة .

• «...» .  
 ...  
 ...  
 ...

• «...» .  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...

...  
 ...

• «...» .  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...

• ...  
 ...  
 ...  
 ...  
 ...

ولست هذه المحطات كل ما تديره الولايات المتحدة فهناك كثير من المحطات السرية توجه الى منطقة الشرق الأوسط بغية اثارة الشعوب المتحررة في هذه المنطقة على ما سنرى ذلك بالتفصيل فيما بعد .

ويعتبر صوت أمريكا الصوت الرسمي لحكومة الولايات المتحدة الامريكية ، وهو الاداة التي تستخدمها المخابرات الامريكية وتقوم عن طريقها باذاعة حول العالم في ثلاث وستين لغة .

وتبلغ مصروفات « صوت أمريكا » ٢٢ مليون دولار في السنة ، ويوجه ٤٠٪ من برامجه الى الدول الشيوعية ، ويوجد في برلين الغربية محطة تبلغ قوتها ٣٠٠.٠٠٠ وات يطلق عليها « رياس Rias » ، وهي توجه ارسالها طوال الليل والنهار الى برلين الشرقية وألمانيا الشرقية ، ويقال أنها تحت اشراف مجلس ادارة المخابرات الامريكية . USIA . وفي عام ١٩٦٣ تم العمل في انشاء محطة ارسال ضخمة في جرينفيل في نورث كارولينا وبذلك أصبحت هذه المحطة أكبر محطة طويلة الارسال في العالم .

واذا كان هذا يكفي لكي يكشف عن الدور الكبير الذي يلعبه « الراديو الأسود » في الحرب الباردة ، فقد يعن لنا أن نتساءل عن محطات الاذاعة السرية التي كانت تعمل ضدنا في السنوات العشر الماضية . ونسرع فنقول اننا سنعرض لها فيما بعد ونحن بصدد عرضنا للحرب النفسية التي شنت علينا منعا للتكرار والملل .

## نشرات الاستسلام كسلاح من أسلحة الاقناع :

تعتبر نشرات الاستسلام « مشاة » حرب دعاية ، فهي التي أنهت واجبا استمرت تقوم به الاذاعة لسنوات سابقة بقصد اضعاف معنويات الجبهة الداخلية . والاستخدام الفجائي لنشرات الاستسلام ضد عدو منتصر وغير مهياً للاستسلام

لا قيمة له ، فلم تأت مثلاً نشرات الاستسلام التي ألقاها اليابانيون على الجنود الأمريكيين في جنوب غربي الباسفيك دون أى تهيئة بأى ثمار لأنها أسقطت على الجنود فى وقت ثبت لهم فيه أن الموقف يتحسن .

ويتطلب اعداد نشرات الاستسلام الاستخدام التكتيكي لكل العوامل المسيرة للطباعة ، وهذا واجب وحدة الدعاية مع ما يتهدى لها من قدرة على الاتصال بالقوات البرية والجوية ومعرفة دقيقة جدا عن تحركات العدو وموقفه وتوزيع قواته. ويجب أن تلقى على جنود العدو النشرات التى تبين كيف أنهم ثبتوا فى مكانهم فلا يستطيعون حراكا ، كما يجب أن تهدف النشرات الى جعل الجنود يفقدون ثقتهم بفادتهم هذه، الثقة التى تجعلهم يواصلون القتال . وعندما يبدو احتمال الاستسلام يجب أن تعطى للعدو أبسط التعليمات تبعا لما تسمح به الظروف .

ولقد كان من الصعب فى ميدان القتال فى الباسفيك السماح لليابانيين بالتقدم نحو خطوط الأمريكيين للاستسلام ، اذ كان يشك أنهم يحملون معهم قنابل يدوية يقدفون بها الخطوط الأمريكية فجأة دون أن يعينهم ما تكون عليه نهايتهم، كما أن الكثيرين من اليابانيين تقدموا حتى خطوط الحلفاء ثم خانهم التوفيق فى ايضاح نواياهم الصحيحة بالاستسلام، وكانت النتيجة القيام باجراءات عنيفة ضد يابانيين آخرين لم يكن فى استطاعتهم الانتهاء الى قرار بالاستسلام أو عدمه ، وعلى هذا روعى أن النشرات الالامعة التى تحمل شرائط ملونة واضحة والتى يمكن رؤيتها من مدى بعيد هى أصلح اشارة للرغبة فى الاستسلام ، ودرب جنود الحلفاء على أن يتوقفوا عن اطلاق النيران عندما يرون جنودا يابانيا يحمل هذا النوع من النشرات .

وقد تعددت صور النشرات التى أُلقيت على الجنود ختمهم على الاستسلام ، وكان فى بعضها بيانات حررها جنود من أسرى الحرب يذكرون فيها ما لقوه من رعاية ومن غذاء جيد .



كما أشارت بعض النشرات الى تأمين الجندي الذي يستسلم والى الرغبة في تطبيق الاحكام التي نظمتها معاهدة جنيف لاسرى الحرب ، ووعدت بعض النشرات بأن يسمح للجندي الذي يستسلم بالاتصال بوطنه وأسرتة بواسطة البريد .

والواقع أن عملية الاستسلام صعبة لانها ليست مجرد نقل الولاء من جانب الى آخر . انها عملية لها خطرها ولا سيما بالنسبة لجندي المشاة ، وتتطلب أعصابا قوية لتتم طواعية واختيارا ، فإن الجندي الذي يقرر الاستسلام قد يتعرض للقتل بواسطة جندي أو ضابط من وحدته ، أو قد يقتله أى شخص تواق للقتل في الجانب المضاد ، وقد يتعرض للمحاكمة بمجلس عسكري بتهمة الخيانة اذا كسبت دولته الحرب وثبت أنه استسلم باختياره .

ويجب ملاحظة أن جندي العدو الذي يحمل معه نشرة من نشرات الاستسلام ليستخدمها عند الحاجة اليها تحول في الواقع تحولا جزئيا الى جانب العدو .

وقد تلقى النشرات لأغراض أخرى غير الاستسلام مثل الهرب من المناطق المعرضة للخطر ، فعندما يكون معروفا أن بعض الوحدات وضعت بأمر قادتها في منطقة خطيرة ستعرض لعملية تدمير واسعة النطاق من الجو ومن الارض ، فيمكن أن تلقى على الجنود نشرات تنصحهم بالجلء عن تلك المناطق في مواعيد محددة ، والهدف الرئيسي وراء هذا هو احداث فوضى في تنظيمات العدو ، كما أنها تسبب ضغطا على خطوط المواصلات ولا سيما على بعض الطرق الرئيسية عندما تلقى هذه النشرات على المدنيين أو عندما توجه النصيحة بواسطة الاذاعة للجلء عن المناطق التي ستعرض للخطر ، وقد استخدم الانجليز هذا اللون من الحرب النفسية من اذاعتهم العربية في قبرص أيام العدوان الثلاثي .

وقد بينت تجارب الحرب العالمية الثانية أن القوات التي تفقد روحها المعنوية تتأثر بهذه النشرات الى حد كبير بصرف النظر عما اذا كانت تتحدث عن الهرب من الجيش أو الاستسلام .

على أن هناك حقيقة واضحة هي أن القرار الفعلي للاستسلام قرار يصعب على الجندي اتخاذه ، فهناك عوامل كثيرة تتوق هذا القرار منها الولاء الشخصي والولاء للوطن والضغط الجماعي الى جانب اخوف من المجهول .

وليس من الصواب - الا اذا كانت هناك دلائل أكيدة - أن نفترض أن جنود العدو التي نواجهها سناخطة وتفكر في الهرب . وكذا فان استخدام أفكار لا تستهوى الا الافراد الساخطين من الاعداء قد تأتي برد فعل عكسي .

على أنه من جهة أخرى قد يستسلم الجندي الشديد الولاء اذا اعتقد أن الموقف التكتيكي أصبح ميؤوسا منه ، وأن مقاومته لا قيمة لها أو أنه لا جدوى عسكرية من الاستمرار في الحرب أو أنه سيلقى معاملة طيبة عند الاستسلام .

ولا تحتاج النشرات التي تصدر في أثناء المعارك في معظم الاحوال الى استخدام أساليب الدعاية السياسية المعقدة ، اذ أن الجندي في الميدان يكون محدود الأفق . فحينما يسمع صوت انفجار القنابل الشديدة من حوله أو صوت الدبابات وهي تتحرك نحوه فان الاعتبارات الايديولوجية تحتل المكان الثاني في عقله .

كما يجب ألا تغطي الدعاية السياسية على الدعاية المحلية في أرض المعركة ، وخير مثل لذلك الأخطاء التي وقعت فيها القوات الامريكية حينما اتخذت الدعاية الامريكية الموجهة للجندي الالماني في أرض المعركة نفس الدعاية التي كانت توجهها الى الشعب الامريكي .

لقد كانت الحرب في أوروبا تصور للشعب الامريكي أنها حرب ضد هتلر ، وقد وجهت نفس الصورة الى الجندي الالماني بهدف تقليل مقاومته في القتال . لقد كانت تهدف هذه الدعاية الى تحطيم الاعتقاد في هتلر وفي الاسطورة التي خلقها . ولكن من جهة أخرى فان هذه الاهداف لا بد أن تخضع أولا للفرض العاجل وهو كسب الحرب في اقصر وقت وبأقل تكاليف ممكنة . ولقد عوقت

هذه الدعاية تقدم القوات الامريكية ، لأنه نتج عنها تقوية عزيمة المقاتلين الالمان الذين كانوا يؤمنون بزعيمهم ووطنهم ولم يرتضوا للعدو أن ينال منه أو يتهجم عليه .

الواقع أن النشرات التي تصدر في أثناء المعارك انما هي فن يحتاج الى قدرة على التكيف مع الموقف الى جانب قدرة قوية فائقة وذكاء كبير من نوع خاص . ومن جهة أخرى فان محاولات التعقيد والظهور بمظهر الذكاء المفرط كثيرا ما أضرت بالدعاية في مناسبات كثيرة في أثناء الحرب العالمية الثانية .

فمثلا ظهرت أخطاء كثيرة نتيجة ذلك في احدى نشرات الالمان التي وجهت للفرقة الخامسة والاربعين مشاة الامريكية بعد معركة بلجيكا ، هذه الأخطاء توضح بعض النقاط الهامة الخاصة بكتابة هذه النشرات . ونحن نوردها فيما يلي على سبيل المثال :

الى جنود الفرقة الخامسة والاربعين مشاة :

نشكركم على نشرتكم اللطيفة التي تقولون فيها اننا نحتاج الى بعض الراحة والى عطلات من آن لآخر . ولكن ما رأيكم في القروح الموجودة في أقدامكم ؟ اننا لا يهمنا الا نحصل على عطلة في الوقت الحاضر .

انكم أيضا لا تحصلون على عطلات . ان كل ما يهمنا هو انكم لن تصلوا الى برلين !

لقد قيل لكم ان الحرب سوف تنتهى في الخريف . ان فرقكم التي نعرفها جيدا منذ أيام صقلية لم تحقق شيئا مرموقا حتى الآن .

ان عددا كبيرا من زملائكم قد مات وسيكون الامر صعبا  
بالنسبة لمن سيحلون محلهم أليس كذلك ؟ لقد قال لنا  
زملاؤكم أنهم كانوا « يستمتعون » بالقتال ، ولا عجب في  
ذلك !

فهم ليست لديهم فكرة عما يحاربون من أجله .

وقد قال أحدهم أنه يحارب من أجل الحرية ، ولكن  
يبدو أنه لم يكن من الجنود الأذكياء .

لقد تركتم الحرية وراءكم .

مع أهلكم في وطنكم . . مع زوجاتكم وأبنائكم . . مع  
صديقاتكم اللاتي يحملون صورهن .

انكم وأنتم تطلقون النار من الأوحال تتعرضون للمقتل  
أو للإصابة بعاقة ، وذلك من أجل تجار الحروب والتجار  
الجشعين الذين يستقرون في بيوتهم .

ان زملاءكم سعداء لابتعادهم عن الوحل . انهم واثقون  
من العودة الى الوطن أصحاء معافين ، فقد اختاروا  
الطريق المختصر ، أما أنتم فلا يزال أمامكم طريق طويل .  
فحاولوا أن تحافظوا على حياتكم ان استطعتم وتذكروا أنكم  
لا تزالون مطلوبين للحرب في اليابان .

ان الخطأ الواضح في هذه النشرة هو أنه ليس من المفيد من الناحية  
السيكولوجية أن يتبع أسلوب الرد في الدعاية في أثناء المعارك ، فالأفراد الذين  
تصل اليهم مثل هذه النشرة لا يعرفون الا القليل جدا عن الدعاية التي توجه  
لاعدائهم .

كما يجب أن نعرف أن السب والسخرية قد يثيران العداء أكثر مما يؤديان إلى إيجاد الرغبة في الاستسلام ، وحينما تحدثت هذه النشرة لأفراد الفرقة ٤٥ بقولها « أنها لم تحقق شيئاً مرموقاً حتى الآن » جعلت كثيراً من الجنود يستمتعون في القتال . وبالإضافة لذلك فإن السخرية مما قائه الأسرى تجعل الوقوع في الأسر شيئاً غير مفر . ولكن أهم نقطة هي تأثير الدعوة المأكرة في فسكرة الأسر ، فإن النشرة بقولها ان الأمريكين الذين وقعوا في الأسر سلكوا « الطريق المختصر » تدعو للقيام بعمل من أعمال الخيانة وهو الاستسلام .

ولذا فإن هذه الطريقة لا تتسم بالحكمة وليست ضرورية حتى في حالة أرجال الساخطين .

ان الحرب النفسية واستخدام أنواع التكتيك المختلفة فيها يمكن أن يوضحنا الطريق الذي يبشر بالنجاح .

فالمقابلات الشخصية الطويلة مع أسرى الحرب المتعاونين ، والوثائق التي يمكن الحصول عليها من العدو والتي تتعلق بدعاية الجانب الآخر واختبارات الذاكرة التي تجرى على عينات من الأسرى وتحليل الدعاية المضادة ، كلها أشياء من أنواع التكتيك المختلفة التي لا بد منها لاختبار مدى فاعلية أى طريقة جديدة في الدعاية في أثناء المعارك .

### الانشرات الصحفية كأسلحة للحرب :

ظهرت أهمية نشرات الاخبار التي تصدر في أثناء المعارك في الحرب العالمية الثانية كوسيلة فعالة من وسائل الحرب النفسية . وسنحاول هنا أن نحدد الدور الكبير الذي لعبته ثلاث نشرات كانت تصدرها القوات الأمريكية في أوروبا وهي الـ Frontpost, Mirreilungen, Feldpost . ولقد أتاحت سميناسة النازى التي كانت تقوم على منح الاخبار أو تشويهاها بالنسبة للشعب والجنود الفرصة لدعاية الحلفاء لسد هذا الفراغ واشباع رغبة الجندى الالمانى في الحصول على الاخبار .

ولم يكن امداد القوات الالمانية بالمطبوعات الجيدة الطبع والجيدة التحرير المشوقة مجرد خدمة بلا مقابل ، فقد أعد كل سطر بحيث يسهم في الهدف الأساسي لدعاية الحلفاء ، وهو اضعاف قدرة العدو على المقاومة وتأكيد ضياع الامل في موقفه وتشكيكه في زعمائه وفي قضيته والوصول به الى الحالة العقلية التي تؤدي به الى التسليم . ومن ناحية أخرى كان ينظر الى هذه العوامل على أنها ستقنق حياة جنود الحلفاء وتسرع في انتهاء الحرب .

لقد كانت فرقة الحرب النفسية الملحقة بالجيش الثاني عشر - وقد وضعت هذه الأهداف أمام عينيها - تعمل متخذة من الاخبار ذخيرة ومن الصحف المكتوبة بالالمانية سلاحا . لقد حررت الطبعة الاولى من ال Frontpost في خيمة العمليات في حقل بالقرب من سانت سوفور St. Sauveur في نورمانديا . وكانت الاخبار والمادة الخام التي تشكل منها الصورة النهائية تأتي في ذلك الوقت عن طريق وحدة استكشاف تعمل من سيارات خاصة .

ونظرا لعدم وجود امكانيات للطبع في المنطقة المجاورة للمعسكر كان لابد من طبع الطبعة الاولى من النشرة في رينيه Rennes في بريطانيا . وقد صممت الصحيفة ومحتوياتها في سانت سوفور ثم أرسل رجلان بها الى رينيه حيث سلما المادة الى المطبعة وراجعا البروفات وراقبا الصحيفة حتى خرجت من المطبعة وقد أضيفت لها أخبار اللحظات الاخيرة من جريدة يملكها الفرنسيون ، وكانت تطبع في نفس المطبعة . ثم نقلت النسخ المطبوعة على عربات الجيب وأعيدت الى المعسكر لتعبئتها في قذائف المنشورات .

وكانت الطبعة الأولى من هذه الصحيفة مكونة من ورقة واحدة مقاسها ٣٥ × ٢٥ سم ومطبوعة على الوجهين وكانت تتبع الأسلوب الصحفي وتحتوي على موضوعات تشابه ما يخرج في الصحف اليومية ، فكانت تحتوى على الاخبار وخريطة للجهة الغربية وبعض أخبار الرياضة في ألمانيا وأحد الألفاز .

ولم يكن بها مقالات مدبجة للدعاية ولا مقال افتتاحي ولا دعاية مفتوحة واضحة . وقد تضمنت الطبعة الاولى كذلك رسما كاريكاتوريا ، وظل الرسم

الكاريكاتوري أحد بنود الصحافة في جميع الاعداد التالية ، ثم نقل فيما بعد بنجاح كبير الى الراديو في عمود سمي « اليانكي يتكلم » وكان المقصود من هذا أن يكون صوت جندي أمريكي عادى يتحدث الى جندي ألماني عادى عبر خطوط القتال . وكان الصوت همسا ولكن بطريقة غير ودية . وكان هذا العمود فرصة طيبة لظهور الحديث من شخص الى شخص بطريقة غير رسمية وبشيء من الصراحة لم يكن يتوافر في كثير من الوسائل الاخرى المخصصة للدعاية . وعندما انتقل هذا المظهر الى الاذاعة فيما بعد كانت فقرة « اليانكي » تنتهي دائما « بنكتة » ولكن لم تكن الفكرة هنا لمجرد الترفيه عن الجندي الالمانى بل كان يقصد بها الدعاية في صورة مقبولة ومناسبة ، وكانت « النكتة » مضحكة دائما الى أبعد حد ممكن ولكنها كانت تتضمن ناحية سياسية أو تشكيكا في زعامة النازي أو تعليقا تهكميا على الموقف العصيب الذي كان الجندي الالمانى يواجهه .

ان العمود الخاص « باليانكي » يوضح الطريقة المستعملة في نشر ال Frontpost ثم ال Feldpost فيما بعد .

وقد استخدمت جميع الوسائل التي أمكن تعلمها من التجارب الصحفية في قارتين لتحقيق هذا الهدف . وكانت الوسائل تشمل طريقة تقديم الأخبار في قصص اخبارية على طريقة صحيفة النيويورك تايمز وطريقة الأخبار اللافتة للنظر أو الاخبار المتعلقة باهتمامات الانسان وهي الطريقة التي تتبعها صحافة هيرست وصحف البوليفارد في أوروبا . وكان هناك شعور بأن كل هذه الوسائل طالما كانت لا تجيد عن قاعدة الصدق الاساسية ، تقل مقبولة على أنها رسائل تستطيع الدعاية عن طريقها أن تحقق أهدافها بسهولة .

وقد يكون من المهم سرد بعض الوسائل الصحفية المستعملة .

كانت هناك أولا الطريقة الصحفية العادية القائمة على العناوين التي تجذب الأنظار وتثير الانتباه والاهتمام بقدر الامكان . والى جانب هذا استعملت الطريقة الروتينية التي تعتمد على الكتابة المثيرة والعناوين اللافتة الى جانب

القصص القصيرة الواضحة الحالية من التفاصيل التي لا لزوم لها أو التعليقات المطولة . وعلاوة على ذلك كانت الـ Frontpost تكتب أخبارا هامة من داخل ألمانيا ، وذلك لكي تعطى الجندي فكرة عما كان يحدث خلف ظهره .

لقد كانت تنشر الوثائق السرية التي يحصل عليها قسم مخابرات الحرب النفسية الملحق بالجيش الثاني عشر وكان الهدف من نشرها أن تبين :

١ - عدم الكفاءة وعدم الدقة وعدم التنظيم في دوائر الفيرماخت Wehrmacht أي القيادة العليا للقوات المسلحة .

٢ - الفساد وعدم الاكتراث وسوء الادارة في زعامة النازي .

وكانت هذه الوثائق السرية تطبع أحيانا تحت عنوان ثابت وهو Geheim أي « سري » وذلك لكي تعطى الجندي الألماني شعورا بأنه كان يطلع على أمور خافية عليه . وكانت تطبع بتواريخ دقيقة وأسماء وأماكن وأرقام مضبوطة وذلك للقضاء على أي شعور بأن هذه الوثائق مؤلفة فقد كان للكثير منها طابع حساس بحيث تثير مثل هذا الشك .

ولما كانت هذه المطبوعات توزع على الجنود الألمان التي تواجه وحدات الجيش الثاني عشر مباشرة فقد بذلت كل الجهود للتركيز على المساعدة التكتيكية . وكانت مخابرات الحرب النفسية تفحص يوميا ليستخرج منها كل البنود التكتيكية الممكنة للاستعمال . وكانت هذه البنود تطبع عادة في مواعيد منتظمة تحمل عناوين مثل « أخبار المجتمع » أو « أضواء على الفيرماخت » . وكان قسم التحرير يعتبر هذه البنود من أهم البنود فائدة وفاعلية ، وكانت أهميتها تقوم على أساس أنها ترضي الرغبة في معرفة أسرار الناس وفصائحهم نظرا لأنها كانت تتحدث عن شخصيات ومواقف من النوع الذي يثير اهتمام المحاربين والتي يجرى تكرارها ومناقشتها . وقد عرف من الاستفسارات أن هذه الاخبار كانت تثير الدهشة بل خيبة الامل عندما كان الجنود يعرفون ما كان يجرى داخل الجيش



الالمانى • وكانت بعض الاخبار تهدف الى التسلية المجردة • ولكن كان أغلبها يدل على عدم الكفاءة وعدم النظام وعدم الدقة وعدم كفاية الامدادات والقيادة ، وكانت هذه الاشياء تزيد من تدمير الجنود ومن الاحتكاكات بين الضباط والجنود •

وأخذت هذه النشرة تتطور حتى أصبحت تطبع في باريس وخرج أول عدد لها بشمكلها الجديد في أواخر أغسطس عام ١٩٤٤ بتجمل أصغر من الأعداد السابقة .

وتقرر في نوفمبر تغيير مواعيد اصدارها بحيث تطبع مرة واحدة أسبوعيا ولكن في أربع صفحات • وكان العدد الأول المكون من أربع صفحات هو العدد رقم ٣٣ بتاريخ ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٤ وكان العنوان الرئيسى فيها « إعادة انتخاب روزفلت » وقد فتحت الصفحات الأربع المجال أمام هيئة التحرير للتوسع في تصوير الشخصيات بالكاريكاتير والصور • أما صفحات الأخبار فانها لم تتغير، بل استمرت في الظهور على صورة آخر الأخبار الواردة بالاسلكى. ولقد استعملت في الصحيفة عدة طرق لزيادة اهتمام القارئ ، فأضيف اليها بعض الصور المتحركة « الكارتون » كما كانت تظهر بعض مقتطفات من خطابات لم يتسلمها أصحابها الى جانب قائمة طويلة بالعناوين التى كانت على هذه الخطابات • وكانت الصفحة الثالثة تحتوى دائما على تقرير خاص أو شخصية مع الصور الفوتوغرافية اللازمة ، كما كانت تطبع صور زوجات الجنود الالمان وأطفالهم التى توجد في الخطابات وكان ذلك يهدف الى إثارة الحنين الى الوطن كما كانت تكتب بعض القصص التى تتخذ مادتها من هذه الخطابات التى كتبها الجنود الالمان من حصن ميتز Metz قبل سقوطه ، مثل قصة فشل مهمة جنود المظلات في هيت Heydt أو التقاء أحد أسرى الحرب بزوجته وأولاده عن طريق سلطات الجيش الأمريكى ، وتقرير بالصور عن كيفية معالجة الجرحى والمرضى من أسرى الحرب في المستشفيات الأمريكية وهكذا •

وكانت هيئة التحرير تدرس دائما تقارير استجواب الجنود لتتأكد من اتجاهات الجندى الألمانى • ما الذى كان يمنحه القدرة على الاستمرار في

القتال وما الذى لا يجعله يستسلم ؟ وما الذى يقال له بحيث يضعف من روحه المعنوية ويجعله أكثر تقبلا لفكرة الاستسلام ؟ وكانت الـ Frontpost في أخبارها وشخصياتها تعرض مادة تقوم على الاجابة عن هذه الأسئلة . وفي نفس الوقت فانها وغيرها من مطبوعات الجيش الثانى عشر كانت تعمل على التقليل من قيمة خطوط الدعاية الالمانية دون أن يبدو أنها ترد على الدعاية النازية . ومن الافكار المستمرة الاخرى فكرة التفوق الساحق للحلفاء بالقياس الى ضعف امدادات الألمان . وكانت هذه احدى الوسائل الهامة لاثارة شهور ما لدى الجندى الالمانى الذى يجعله يقول « ما الفائدة ؟ » ومن الكلمات الاخرى المشبته لثلمهم درس النطق فى اللغة الانجليزية الذى كان يوجه للجندى الالمانى مع استهزار تأكيد كلمة « استسلام » . وقد عمل كليمسيه لهذه الكلمة ، فكانت تطبع فى عشرة أماكن مختلفة من العدد الواحد .

وحتى ديسمبر سنة ١٩٤٤ استطاعت الـ Frontpost أن تحقق الشعار المطبوع على الركن الأيمن العلوى من الصفحة الاولى من كل عدد والذى جاء فيه « ان القوى لا يخشى الصديق » ، ومنذ بدأت الصحيفة فى الظهور كانت الاخبار طيبة من وجهة نظر الحلفاء ، وفى مثل هذه الظروف لم يكن من الصعب قول الصديق . وعندما بدأ الهجوم الالمانى المضاد واجهت الـ Frontpost أول اختبار لها فى معالجة الاخبار التى ليست فى صالح الحلفاء والتى تشجع الألمان . وقد واجهت هذه المشكلة بطبع الحقائق فقط . وقد جاء فى العدد الذى صدر فى ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٤ بالخط الكبير الذى يهر بالاعمدات الاربعية « الهجوم الالمانى المضاد » وقد جاء فى القصة الرئيسية « لقد تحولت الفيرماخت الى الهجوم على جبهه طولها مائة كيلو متر فى الثرب . وهناك وحدات قوية من القوات المدرعة والمشاة تتقدم فى المنطقة التى تمتد من جنوب مونشو Monschau الى حدود لكسمبورج الالمانية . وتؤيد القوات الجوية الالمانية Luftwaffe الهجوم ، وقد احتلت القوات الالمانية فى كثير من الاماكن مساحات كبيرة من الأرض » .

ويمكن وصف هذا العنوان أو هذا الخبر بأنه صريح وحقيقي عن واقعة لم يكن هناك ما يجبر الصحيفة على نشره . وقد استمرت الطبقات التالية تسير في نفس الاتجاه ، فكان عنوان العدد التالي « رأس رمح من القوات المدرعة في بلجيكا » . ثم ظلت تقارير المعركة تطبع بنفس الطريقة حتى تمت تصفية هذا الهجوم .

وعلى كل فإن المشرفين على الصحيفة لم ينسوا أنهم يروجون للدعاية قبل أن يكونوا صحفيين ، أى أنهم لم يروا أن وظيفتهم مجرد تزويد الجنود الالمان بالآخبار ولكنهم كانوا يرون أن واجبهم الاول هو أن يحققوا الدعاية عن طريق نشره الآخبار .

وقد ثبت في أوائل نوفمبر أن اسقاط الـ Frontpost بواسطة الطائرات لم يكن يفي بالحاجة الى نقل الآخبار الى القوات الالمانية في الميدان لان عمليات الاسقاط قد لاتصل الى الاماكن التى يراد التأثير فيها . ولعلاج هذا الموقف تقرر اصدار صحيفة صغيرة الحجم يمكن اطلاقها من قذائف المدفعية . وظهر العدد الاول من هذه الصحيفة الصغيرة الحجم والتي سميت Feldpost أى Field Post بالانجليزية بتاريخ ٥ من نوفمبر سنة ١٩٤٤ وكانت تصدر في اول الامر مرة كل أسبوع ثم مرتين كل أسبوع .

ولقد كان لفيلد بوست نفس أهداف « فرونت بوست » أختها الاولى ، كما كانت تتبع نفس أسلوبها . وكانت تشمل نفس الشخصيات ولكن في صورة مصغرة . وحتى في هذه الصورة المصغرة للصحيفة المحدودة المساحة كان من الممكن ضغط جميع عناصر الصحيفة وهى الآخبار الصحفية الهامة والخرائط والصور الفوتوغرافية والكارتون ودروس اللغة الانجليزية . وكان من الممكن تغيير اشكل العام للصحيفة من عدد لآخر بحيث لم يكن هناك عددان متشابهان . وكانت الفيلد بوست تجد قبولا كبيرا من الجنود . وقد شعر المحررون بسرور كبير عندما علموا أنه عند الهجوم على الراين نقلت آلاف النسخ من الفيلد بوست في أحد قوارب الهجوم لكى تقذف على الشاطئ الشرقى .

ومنذ البداية كانت هناك نسخة أخرى من الفيلدبوست باللغة الانجليزية وكانت توزع على جنود المدفعية وغيرهم من رجال الجيش الذين كانوا يشتركون في توزيعها . فقد كان هناك شعور بأنه لابد لهؤلاء الاشخاص من أن يعرفوا ما كانوا يقدفونه على الأعداء وأنهم سيؤدون عملهم بحماس أكثر وبفهم أكبر اذا تمكنوا هم أنفسهم من قراءة الصحيفة التي كانوا يساعدون في توزيعها على الأعداء .

وعلى الرغم من الشعور بالحاجة الى نسخة أخرى من الفرونت بوست عندما صدرت فإن تحقيق ذلك كان صعبا لكثرة العمل وقلة عدد العاملين .

وقد أمكن أخيرا إصدار عدد باللغة الانجليزية من الفرونت بوست من أربع صفحات لتوزيعه على الطيارين والسلاح الجوى الذى كان يقوم بالقاء الصحيفة على الألمان .

لقد كانت جميع المطبوعات التي تصدرها جماعة الحرب النفسية الملحقه بالجيش الثانى عشر حتى نهاية نوفمبر سنة ١٩٤٤ مقصودة على الدعاية بين المحاربين، وتهدف الى التأثير على القوات الألمانية التي تواجه جنود الجيش الثانى عشر لاضعاف روحهم المعنوية ومقاومتهم والايحاء اليهم بالاستسلام . ونظرا لازدياد مساحة الأراضى التي أصبحت خاضعة لسيطرة الجيش الثانى عشر ظهر هناك عمل جديد فى مجال النشر ، فقد تقرر أن الوقت حان لنشر صحيفة للمدنيين خلف خطوط القتال .

وهكذا بينما كان قسم التحرير يوالى نشاطه الخاص بالدعاية بين المحاربين اتسع نشاطه الى مجال المدنيين . وعلى الرغم من ذلك فقد كان على المطبوعات الجديدة أن تؤدي وظيفة حربية هامة وهى المساهمة فى اخلال النظام والحياة الطبيعية فى المناطق الواقعة خلف الجبهة .

وقد ظهر العدد الاول من الصحيفة المدنية بتاريخ ٢٧ من نوفمبر عام ١٩٤٤ وكان العنوان الرئيسى الذى تحمله هو « لقد حررت ستراسبورج » وأطلق على العدد الاول « الاخبار الجديدة » ولكن العدد التالى والاعداد التالية كانت تحمل اسم « الأنباء » .

وكانت صحيفة الأنباء فى حجم الصحف العادية وتتكون من ورقة واحدة مطبوعة على الوجهين . وبدت الصحيفة فى مظهرها ومحتوياتها كإى جريدة عادية وليست صحيفة للدعاية وكانت الاخبار تكتب بطريقة عادية واضحة دون تعليق . ولكن الصحيفة كغيرها من الصحف التى كانت تصدر للعسكريين لم تكن مجرد خدمة مجانية للألمان ولكن كان الهدف منها أن تؤدى وظيفتها العسكرية ووظيفة خاصة بالاحتلال .

وكان من أهم وظائف « الأنباء » أن تنشر البيانات والقرارات والأوامر الخاصة بالقائد العام للقوات المتحالفة الى جانب الأوامر والتنظيمات الخاصة بالحكومة العسكرية . وكانت الصحيفة تشمل جميع المجالات فى ألمانيا المحتلة من السياسية العليا الى الموضوعات الأخرى مثل تحذير الناس فى كولون بضرورة غلى الماء قبل شربه .

وكانت الصفحة الأولى من « الأنباء » تخصص للأحداث التى كانت تقع فى جبهات القتال المختلفة شرقا وغربا ثم الاخبار القصيرة عما كان يحدث فى جميع أنحاء العالم ثم بيان للجنرال أيزنهاور . أما الصفحة الثانية فكانت مخصصة لبعض الشخصيات مع بعض الصور الخاصة لشتى مظاهر التعمير فى ألمانيا المحتلة الى جانب أخبار من المنطقة المحتلة مع القاء الضوء على العودة الى الحياة الطبيعية وكيفية مواجهته للمشكلات وحلها الى جانب أحكام المحاكم العسكرية . كما كانت تظهر فى هذه الصفحة أخبار عن ألمانيا التى يحكمها النازى ومقتطفات من الخطابات التى كانت تلقى فى الامم المتحدة وبرامج الاذاعة الى جانب بند كان يسمى « ظل سرا حتى الآن » ، وكان هذا البند قائما على

فكرة أنه خلال السنوات الاخيرة كانت الاخبار ذات الاهمية الدولية تخفى عن الشعب الالمانى أو تقدم له بصورة مشوهة . وقد بدأ هذا الباب فى اعطاء الالمان فكرة دقيقة عما كان يحدث فى العالم وفى بلادهم فى الوقت الذى كانت فيه الدعاية الالمانية تخفى عنهم عمدا الاخبار الهامة أو تشوهها .

ولقد ظهرت الحاجة الى بعض المطبوعات الأخرى مثل *Mirreilungen* فى أثناء الهجوم الألمانى المضاد ، وأحس الشعب الألمانى فى المناطق المحتلة بالقلق الشديد لهذا الهجوم . وقد أحس الأشخاص الذين كانوا يعملون مع الحلفاء بالرعب والخوف على حياتهم من عودة الالمان وكان البعض الآخر لا يعرف ما الذى سيحدث بعد ذلك ، وأصبح المجال مفتوحا أمام مروجى الشائعات . وفى هذا الجو كانت هذه الصحيفة بتقاريرها الصريحة الواضحة عن الموقف وبخرائطها الدقيقة تقرأ بشغف كبير ، وكان لظهور الصحيفة فى ميعادها وبتنسيقها المعتاد أثر واضح . وقد قالت جماعة الحرب النفسية عن اصدار هذه الصحيفة فى هذه الفترة أنه « عمل شجاع للقضاء على الشائعات وعلى انتشار القلق خلف خطوطنا » .

## الكتيبات :

وعندما تتوافر وسائل الاسقاط الجيدة من الجو فان النشرات يمكن أن تدعم باسقاط الكتيبات . وتعطى الكتيبات لرجل الدعاية حيز التحرير والصور وهذا يمكنه من مناقشة حجج العدو تفصيليا وبعمق ، كما أنه من الممكن أن تقدم الكتيبات نقاشا معاونا معضدا ، وبذلك يمكن مواجهة دعاية العدو للمدنيين على مستوى واحد . والكتيبات نافعة فى الرد على مجادلات العدو ولا سيما اذا كانت هذه تعتمد على بيانات رسمية أو على احصائيات أسىء عرضها عن قصد ، ومن ثم فهي تتطلب تفنيذا ودحضا نقطة اثر نقطة .

وعلى خلاف النشرة فان الكتيب قد يصعب اخفاؤه أحيانا . وفى المناطق التى تشهد فيها رقابة بوليس العدو يجب أن يعطى الكتيب تمويتها واقيا حتى يسهل تبادله بين الناس .

ولقد أعد الامريكيان دينيس ماك ايڤوى ودون براون من ادارة استعلامات الحرب كتيباً ليلقى من الجو على اليابان وقد خط على غلافه بأحرف كبيرة « عدو .. تحذير .. هذا الكتيب من مطبوعات العدو أصدرته حكومة الولايات المتحدة ومن يجده يجب أن يذهب به من فوره الى أقرب مركز للبوليس » .

كان الكتيب يعرض بالموقف العسكرى الذى تواجهه اليابان ، ووجه الى رجال وموظفى البوليس .

وكان ما خط على غلاف الكتيب دافعا الى ألا يستبقيه رجال البوليس وأسرعوا فى ارسال ما وجد من النسخ الى رؤسائهم على اختلاف درجاتهم كنماذج من دعاية العدو .

وقد طبعت الحكومة اليابانية كتابا بالانجليزية بشكل الكتب الامريكية التى تباع بخمسة وعشرين سنتا مع وضع شعار ناشر أمريكى معروف وكل سمات الكتب الأمريكية وما يختص بحق النشر والترجمة ونحو هذا ، وكان الكتاب يعارض حرب روزفلت التى أثارها ضد اليابان ، ثم وزع الكتاب على اليابانيين كمطبوعات للعدو مستولى عليها وذلك لاقناع اليابانيين والشعوب الآسيوية التى تناصر اليابان على أنه توجد معارضة للحرب العالمية الثانية داخل أرض الولايات المتحدة نفسها .

كما أصدرت أغلب الدول المحاربة فى أثناء الحرب العالمية الثانية كتيبات تحض على ادعاء المرض للتخلص من أداء واجب الاسهام فى جهود الحرب .

وقد كشفت هذه الكتب عن أن نظام الرقابة الطبية غير كاف وان كل فرد يجب أن يعمل لنفسه وأن المرض الكاذب هو فى الغالبية البديل الوحيد للمرض الحقيقى ، وقد موهت الكتيبات بحيث تبدو مثل الكتيبات الصغيرة التى توضع فى علب الادوية أو حتى الكتب الرسمية التى تصدرها حكومات الاعداء ، وأعطت النشرات تعليمات لكيفية ادعاء مرض السل أو أمراض القلب وغيرها .

## عمليات التخريب :

من الممكن - بمعاونة الوطنيين الغيورين على وطنهم - اكساب الدعاية التي توجه الى مدنيين أصدقاء في بلد يكون العدو قد اجتاحتها واحتلها قوة وفاعلية اللهم الا اذا كانت بعض الاعتبارات السياسية الهامة تمنع هذا التعاون وتحد منه. ويتطلب هذا النوع من العمليات تعاوننا وثيقا بين القائمين بالدعاية المكشوفة العلنية وبين القائمين بالعمليات السرية وبعملات التقويض والتخريب .

ولقد شهدت الحرب العالمية الثانية هذا الطابع المشترك في كل الجبهات واستخدمه اليابانيون استخداما جزئيا أيام غزو الملايو واحتلال بورما . وفي أثناء العمليات على خط سكة حديد الصين سنة ١٩٤٤ كان الوطنيون الذين يقفون الى جانب العدو يعتبرون من جانب الامريكيين على أنهم « كوز لينجيون » على حين شرفهم اليابانيون واعتبروهم وطنيين غيورين على مصالح وطنهم .

وتسبب عمليات الدعاية السوداء التي تجرى بجرأة ارباكا للعدو . فاسقاط عدة أطنان من العملة المزيفة تزييفا جيدا لابد أن يحدث اضطرابا لادق النظم المالية ، وتتم عمليات تزوير أوراق النقد في وقت السلم بهواد رخيصة سيئة وفي مصانع بدائية ثم انها تتم سرا تحت ظروف اجهاد وتوتر عصبي ، أما عمليات التزوير التي تحدث في وقت الحرب فانها تجرى بواسطة وكالات حكومية ، ومن ثم فانها تكون جيدة التزوير بدرجة كبيرة .

ويمكن القيام بعملية هجومية أخرى من هذا الطراز باسقاط مجموعات من مختلف أنواع بطاقات التموين على السكان المدنيين في بلاد العدو مع تعليمات بسيطة لاتمام عملية التزوير حتى تكون البطاقات صالحة للتداول وللاستبدال بملابس أو بهواد تموينية ، وقد أسقطت هذه البطاقات على المدنيين في ألمانيا ، وقد أمكن ارباك نظام التموين على أساس أن الكميات التي صرفت بهذه البطاقات كانت كبيرة جدا مما كاد يجن معه أولئك الذين يحملون مسئولية تنظيم الامداد بالمواد الغذائية .



ومن الممكن فى البلاد التى يقاسى الناس فيها الأمرين من الاجراءات العتيقة أن تلقى آلاف البطاقات الشخصية والعائلية الجيدة التى تحمل أختاما جيدة التزوير ويستطيع الأهليون لأغراض خاصة أن يستخدموا هذه البطاقات المزورة ، ومن ثم يربكون كل اجراءات الأمن ، وتفشل كل اجراءات السيطرة على تحركات المدنيين .

والفكرة وراء كل هذه الأنواع من الدعاية السوداء اثارة القلاقل فى بلاد العدو بالإضافة الى كسب ود جماعات من بين المواطنين مما يسهل نشر الشائعات وسط الجماهير فى بلاد العدو حيث تهمس بأن جماعات ثورية جيدة التنظيم معدة اعدادا تاما وانها تنتظر الوقت المناسب للقيام بدورها لانهاء الحرب .

فاذا قلنا أن « الدعاية البيضاء » يمكن أن تقارن بالقاء القنابل الحارقة لبلبله قوات العدو المسلحة عن طريق احداث اضطراب فى الجبهة الداخلية من خلفها ، كان من الممكن أن تقارن « الدعاية السوداء » برقائق القصدير التى تستخدم لتضليل الرادار .

ان ضربات « الدعاية السوداء » توجه مباشرة نحو أمن العدو ، وتحمله أعباء وأعمالا جسيمة ، وبذلك تزيد من الفرص أمام « العملاء » الذين يسقطون فى أرض العدو لينجحوا فى أعمالهم الخطيرة التى يكلفون بها .

## دبابة الدعاية :

ولقد استخدم مكبر الصوت فى الحرب العالمية الثانية وتطور استخدامه ببطء ، فقد أعدت وحدات متطورة فى حملة شمال أفريقية وفى الساحل الايطالى وفى « انزويو » وعمليات نورماندى ، ولكن كان مكبر الصوت لا يزيد مداه على ٢٠٠ ياردة مما حدد استخدامه بدرجة كبيرة كما استخدم الاسطول الامريكى هذه الطريقة بأن جعل الطائرات تطير على ارتفاع قليل فوق جزر الباسفيك وتخطب الجنود اليابانيين الموجودين على الارض بواسطة مكبرات الصوت .

وقد تحقق النجاح عندما أمكن إيجاد نوع من مكبرات الصوت وضع على شاسيها الدبابات فساعد على زيادة مداه الى مسافة ميلين ، وعلى سبيل المثال كانت هناك دبابة مع أحد فيالق الحلفاء تلقى عشرين حديثا كل يوم من أيام أبريل سنة ١٩٤٥ ، وكانت الأحاديث القصيرة تلقى قبيل الاشتباك ، ثم يتوقف القتال الوقت الكافي الذي يمكن الأسرى من أن يفدوا في جماعات كبيرة .

ان كل جندي يعمل في القوات المدرعة يعلم أن أهم مميزات العمليات التي تقوم بها الدبابة هي احداث صدمة . ان هذه الصدمة تصيب عقلية العدو وتزيد من قلقه وتشل قدرته على القتال . ان الحرب النفسية هي ذلك الفرع من القوات المسلحة الذي يهتم أولا باضعاف قدرة العدو على الحرب ، وذلك عن طريق التسلط على عقله . وقد يظن الانسان أنه بسبب هذا التشابه فان الحرب النفسية والاسلحة المدرعة تعمل دائما جنبا الى جنب . ولكن بسبب الاستخدام المحدود للدعاية في المعارك في اثناء الحرب العالمية الثانية فان هذين السلاحين لم يستغلا معا خلال هذه الفترة القلقة من السلام .

ان دعاية المعارك التي يحسن استخدامها تستغل السرعة والعنف والمفاجأة ، وهذه هي العناصر الكافية في كل هجوم مدرع حسن التنظيم لزيادة تأثير الصدمة بدرجة كبيرة . ان تأثير هذه الصدمة يصيب العدو بحالة من القلق تجعله غير قادر على أن يحارب بشجاعة بل قد تجعله يستسلم . ونظرا لقلّة ما هو معروف عن عمليات تركيب مكبرات الصوت على الدبابات فان القاء نظرة على عمليات الحرب العالمية الثانية لها قيمتها .

لقد استخدم مكبر الصوت المثبت على دبابة مع طابور متقدم من الفرقة المدرعة الثانية الامريكية ، وعندما وصل الى احدى المدن المحصنة انتشر الطابور وبدأت المدينة في اطلاق النار على المدرعات . وهنا صدر الحديث من مكبر الصوت وقال لحامية المدينة ان هناك قوة مدرعة ضخمة تقف على مشارف المدينة . كما قالت هذه الاذاعة أيضا للشعب أن القائد لا يريد تدمير المدينة . ثم قيل للحامية بعد ذلك ان المدفعية الامريكية موجهة اليهم .

وبواسطة أجهزة اللاسلكي الموجودة في الدبابة جرى اتصال بالدفعية الامركية التي أطلقت ست قنابل تحتوي على نشرات صغيرة بها تعليمات خاصة بالاستسلام • ثم قيل لأهل المدينة أن فاذفات القنابل المقاتلة تحلق فوق رؤوسهم • ثم طلب قائد الهجوم أجرى الى احدى طائرات القتال أن تهبط قليلا فهبطت وألقيت قبلة تحتوي على مجموعة من النشرات في منتصف المدينة • ثم تقدمت الدبابات بعد ذلك دون أن تطلق النار في حين استمر مكبر الصوت يطلب الى المدينة أن تستسلم • وبينما كانت الدبابات تتقدم في مواجهة ستار من النيران الخفيفة توقفت هذه النيران ورفعت الريات البيضاء واستسلمت اكلامية الكونة من ٨٠٠ جندي مسلح بالدافع المضادة للدبابات •

ومما لا شك فيه أن هذه العملية كانت مثالية ، فقلما تكون النتائج بهذا النجاح ، وقلم يكون التنسيق بهذا الكمال • وعلى أى حال فهناك عدة مظاهر هامة للدعاية الخاصة بالمارك يمكن الوصول اليها عن طريق هذه العملية • واهم هذه المظاهر أنه ليس هناك من يستسلم للدعاية ، ولكن الذين استسلموا انما استسلموا للقوة العسكرية ولهجوم الدبابات • وهناك فكرة خاطئة تنتشر لسوء الحظ بين كثير من الاوساط وهي أن الحرب النفسية انما هي سلاح سحري يعمل بفرده لتحقيق نتائج مذهشة • انه في الحقيقة ليس الا سلاحا مساعدا ، وان تكن قوته لا ينظر اليها النظرة التي تستحقها • انه كأي سلاح مساعد لا يمكن له أن يحقق نتائجه الكاملة الا بالتعاون مع الاسلحة الاخرى • ففي هذا الوقت السابق لم ترد الدبابات ولا أسلحة المشاة المساعدة على النيران التي أطلقت عليها • وهذه احدى وسائل الدعاية في أثناء المعارك ، وهي تستغل عملية الضدمة التي تسببها الدبابات الى أبعد حد • فعندما تبدأ عملية تبادل اطلاق النار ، فان العدو يجد شيئا من الراحة وزول بعض قلقه بانسغاكه بالعمليات وبمسيح من الضعب تحقيق اقصى ما يمكن تحقيقه من النتائج النفسية • وهذا يبين ضرورة التدريب على هذا النوع من العمليات في زمن السلام • ان الامساك عن اطلاق النار عملية لا يقدر عليها الا وحدة جيدة التنظيم والتدريب •

وعلاوة على ذلك فلا بد من تدريب جندي المشاة الذي يعمل مع الوحدات المدرعة والجندى الذي يعمل في الدبابة على أن يفكروا بطريقة الحرب النفسية •

ففى الوقت الذى يبدأ فيه العدو فى التسليم يستطيع أى جندي أن يغير موقفه نتيجة المعركة باطلاق النار على الجنود المستسلمين ، فهذا يجعل العدو يشعر بأنه قد غدر به ويعاود القتال بعنف من جديد •

وهناك مجموعة من الاسئلة يجب طرحها فى أثناء التدريب لمعرفة جوابها مثل : ما أحسن مكان تتخذه الدبابة التى بها مكبر الصوت فى الهجوم ؟ كيف يعلق جهاز الراديو الملحق بها ؟ من الذى يجب أن يتولى القيادة فيها ؟ عن طريق أى سلسلة من القيادات ؟ ثم هناك أسئلة فنية عن أحسن طريقة لتزويد الاجهزة بالكهرباء وأحسن موضع لمكبر الصوت فوق الدبابة وأنسب مسافة يمكن منها سماع المكبر فى الاراضى المختلفة والاجواء المختلفة •

والى جانب هذا لابد من تقييم المزايا الاضافية المختلفة التى تنتج عن وجود الدبابة ذات المكبر • ومن أبرز هذه المزايا استخدام المكبر فى تنظيم المشاة فى أثناء الهجوم ، فان صوت المكبر يمكنه أن يصل الى اذن كل جندي من المشاة فى الحال دون حاجة الى أن ينتقل عبر شبكة الالاسلكى • فبعد أن تنتهى الدبابات من قذف أحد المواقع الحصينة بالمدافع مثلا يمكن اخطار المشاة بهذا عن طريق مكبر الصوت ، وبهذه الطريقة يستطيع أن يقوم بالهجوم فى الحال دون ذلك التأخير الذى يتيح الفرصة للعدو لاعادة تنظيم نفسه •

ولابد كذلك من التعرض لمسألة عماد الدبابات التى تحمل مكبرات للصوت ومسألة القيادة التى تتبعها • ان لاسلحة القتال أهمية كبيرة فى هذا الصدد ، ورغم ذلك فان قليلين من خبراء المدرعات أعطوا هذه المسألة الاهتمام اللازم •

واذا نظرنا الى المستقبل فان مكبرات الصوت ستلعب دورا بالغ الأهمية فى الوحدات المدرعة التى تنقل بالطائرات . ففى العمليات الجوية - وهى العمليات

التي تسبب صدمة في أعنف صورها - سوف يدوى صوت المكبرات المتحركة في جميع أرجاء المنطقة • انها تستغل كل فوضى أو اضطراب يحدث في أى منطقة ، وتدعو العدو للتسليم ، وتزيد من مخاوفه بإحداث أصوات المعارك وتزيد من الفوضى عن طريق الاوامر التي تعطى للجنود •

ولزيادة فاعلية الاسلحة المدرعة تحتاج الى مكبرات الصوت التي توضع في الدبابات ، كما تحتاج الى تكتيك الدعاية في أثناء المعركة • ولكي تكون الدعاية التي تنشر في أثناء المعارك ذات فاعلية لابد لها أن تعمل مع المدرعات والقوات المحاربة المتحركة الاخرى ، ولابد أن يتم هذا التنظيم سريعا •

## الطائرة كاحدى وسائل الاستخدام :

قد يتبادر الى ذهننا أن الطائرة لا يمكن استخدامها في الحرب النفسية بأكثر من سلاح فعال يساعد العمليات الحربية في تقويض الروح المعنوية للعدو ، أو لالقاء النشرات • ولكن الطائرات استخدمت في الماضي القريب كوسيلة ناجحة من وسائل الدعاية كما يظهر من المثال الثاني :

استطاعت تركيا في الحرب الماضية أن تظل محايدة طوال الحرب ، وكان كل من الحلفاء ودول المحور يخطب ودها • ولكن ألمانيا النازية كانت تعلن عن نيبتها على ارغام تركيا على الدخول في الحرب الى جانب المحور ، ولتحقيق ذلك عين النازي واحدا من أقدر ساستهم فون بابن Von Papen سفيراً لألمانيا في أنقرة •

وكانت كل من ألمانيا والولايات المتحدة تتنافس في صرف المبالغ الطائلة لاغراء تركيا لكي تقوم بعمل يتفق وموقف كل منهما ، أى تنضم كشريك في تحالف عسكري يهدف الى هزيمة العدو •

ولعبت الدعاية دورا كبيرا فى التقريب بين تركيا وألمانيا النازية ، فقد استغلت قوة ألمانيا العسكرية ووجود قواتها على مسافة قصيرة من تركيا عبر الممرات فى بلغاريا ورومانيا للتأثير عليها للانضمام الى ألمانيا •

وهكذا كان من الميسور لكثير من الأتراك أن يروا ويسمعوا نتيجة للشائعات المبالغ فيها قصصا عن مدى تقدم التكنولوجيا الألمانية بالقياس الى دول الحلفاء • ومن الطبيعى أنه لم يكن ينتظر من تركيا الا أن تعمل على ألا تنضم الى الجانب الخاسر محافظة منها على مصلحتها الوطنية •

وفى عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ شعر رجال المخابرات الامريكية فى تركيا بتشائم كبير نحو المستقبل . اذ كانوا يلاحظون كيف كان الأتراك يتأثرون تأثرا كبيرا بامكانيات الحرب المتزايدة لدى الألمان • لقد كان الأتراك يراقبون الطائرات الألمانية وغيرها من معدات الحرب على مدى قريب وكانوا يعلمون – كما كان يقال لهم دائما – أن هذه المعدات قد أدخلت عليها تحسينات كثيرة بالنسبة لما كان قبل الحرب • ومن ناحية أخرى لم يكن المواطن التركى العادى يعلم الا القليل عن الطائرات الامريكية أو عن انتاج الدبابات وغيرها من الاسلحة العسكرية •

ولكن الموقف تغير فجأة ، فقد تحقق عن طريق حادث عرضى اقناع الأتراك بأن الأمريكين ليسوا متخلفين عن الألمان فى سباق التسلح الجوى ، وهكذا أمكن التأثير بطريق غير مباشر نتيجة الدعاية غير المباشرة التى سببها هذا الحادث على الحكومة التركية لكى تحتفظ بحيادها •

هذا الحادث العرضى يتلخص فى أن احدى قاذفات القنابل الامريكية فقدت بملاحبها بعد أن قذفت حقول البترول فى رومانيا بالقنابل ، فقد أجبرت على أن تهبط اضطراريا فى أحد المطارات التركية حيث تم التحفظ عليها • وسرعان ما شاع الخبر فى تركيا أن احدى قاذفات القنابل الامريكية هبطت فى الاراضى التركية وانها لا تقل فى تسليحها وقوتها عن الطائرات الألمانية ، على عكس ما كان يقال قبل ذلك •

ان فقد هذه القاذفة والتحفظ على ملاحيتها قد تحول الى ميزة نفسية كبيرة  
فى جانب الولايات المتحدة . فبالرغم من أن الحادث لم يكن من أعمال الحرب  
النفسية المدبرة فقد كانت له نتائج هامة من ناحية الدعاية . ان تأثير الطائرة  
على الشعب التركى كان أقوى بكثير من التأثير الذى كان من الممكن أن يحدث  
عن طريق الألفاظ والكلمات التى تستخدمها وسائل الاعلام التقليدية . وقد قيل :  
أنه لم يكن هناك أى شك فى أن تركيا ستقاوم الضغط النازى ، وستستمر فى  
سياستها المحايدة بعد هذا الحادث .

# الجزء الثاني

## الناشئات في المجتمع

- ♦ الفصل الأول  
الناشئات .. والمجتمع
- ♦ الفصل الثاني  
تصنيف الناشئات
- ♦ الفصل الثالث  
سيكولوجية الدافع
- ♦ الفصل الرابع  
تحليل النافذة
- ♦ الفصل الخامس  
مقاربة الناشئات





## الشائعات والمجتمع

ماذا تعنى كلمة شائعة ولماذا وجدت فى المجتمعات المختلفة ؟ هل هناك ضرورة الى وجودها ؟ وهل سلّمت انبشرية منها على مدى التاريخ ؟

هل نستطيع أن نضع قانونا محددا أو بمعنى آخر معادلة جبرية لخلق أى شائعة ؟ وما العلاقة بين الشائعة وأى أسطورة تركها لنا أجدادنا وصدقها الكثيرون ؟ هل فى استطاعة أى باحث أن يحدد بدقة ووضوح معالم كل شائعة فى جدول أو يضع لها رسما بيانيا ؟

هذه الأسئلة قد رادوتنى فعلا حينما فكرت فى أن أكتب عن الشائعات كسلاح رهيب من أسلحة الحرب النفسية التى تفتك بمعنويات الشعوب وتهدف غالبا الى شل فكر الانسان وجعله ينقاد كما ينقاد قطيع الغنم الذى يهيمه راعيه نحو المستقبل المجهول، أو ينطق نطق الببغاء الذى يردد مالا يعقله، ويحكى مالا يفهمه .

والواقع أن من المنطق أن نجيب عن تلك الاسئلة قبل أن نسبر غور الدوافع الطبيعية فى الانسان ونرى كل ما يساعد على ترويج الشائعات . غير أننا سنحاول تفسير الدوافع السيكولوجية التى تخلق أى شائعة وترويجها ، على أن يلى ذلك تحليل الشائعات ، ثم ننتهى بدراسة للطرق الممكنة لمقاومة هذه الظاهرة الرذيلة . هذا هو المنهج الذى سنلتزم به فى معالجتنا هذا الموضوع . وستعرض له كل فصول هذا الباب .

## تعريف الشائعة :

ليس من السهل أن نضع تعريفا دقيقا محددًا لكلمة الشائعة ، فهي تحمل كثيرا من المعاني التي سنحاول أن نبرزها هنا ، ويعرف الشائعة كل من جولدن البورت وليوبوستمان (١) في كتابهما سيكولوجية الشائعة بأنها « اصطلاح يطلق على رأى موضوعى معين مطروح كى يؤمن به من يسمعه ، وهي تنتقل عادة من شخص الى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل » •

على أنه كثيرا ما تنتقل الشائعة عن طريق : الصحافة ، أو الاذاعة ، أو أجهزة الاعلام الاخرى •

وهي تتسم بصفة التناقض ، فقد تبدأ على شكل حملات هامية أو تهب كريح عاصفة عاتية ، وقد تكون مسألة لا تحمل أكثر من تمنيات طيبة للمستقبل ، أو مدمرة تحمل بين طياتها كل معاني الحقد والكراهية والتخريب • وهي من جهة أخرى أشبه بموج البحر الذى يعلو فجأة على سطحه ثم يغطس ثانية الى قاعه ليعاود الظهور اذا ما تهيأت الظروف المناسبة ، وعلى كل حال فهي وباء اجتماعى يصيب الانسان ولا يستطيع أن يبتعد عنه أو يتخلص منه بسهولة •

ولما كانت تتضمن عادة موضوعا معينًا ، فإن الاهتمام بها يكون مؤقتًا • فهي تروج فى الظروف الملائمة للموضوع ، ثم تنتهى بموتها ودفنها ، على أنه من ناحية أخرى قد تعاود الظهور مرة أخرى اذا ما وجدت الارض الخصبة المناسبة •

هذا والشائعة تمس أحداثا مثل الحرب ، والفيضانات ، والكوارث ، وارتفاع الاسعار ، والعلاقات السياسية والموضوعات الاقتصادية • الخ ، كما تمس أشخاصا مثل : رئيس الدولة ، أو رجال الحكومة ، أو الصحفي ع • أو السيدة س •

---

(١) The Psychology of Rumour, Allport and Postman New York, 1948, PP. IX, X, XI.

هذه بعض النماذج لأهداف الشائعات ، مع أن هناك أشكالا أخرى ملموسة تظهر فيها مثل : الترترة ، والنكات ، والنقولات ، والفكذف ، والكتبؤ – بخير أو شر – بالأحداث المقبلة .

وليست كل الشائعات من نسيج الخيال ، فقد يكون بعضها لا أساس له مطلقا ، وقد تعتمد على جزء من الحقيقة فيها لخلق كيانها وترويجها . ويجب أن نفرق هنا بين الخبر والشائعة ، فالخبر يعتمد على البرهان والدليل القاطع أما الشائعة فان برهانها يكون باهتا غير واضح . فمثلا اذا نشرت صحيفة ما قانون تأجير المساكن فان ذلك يعتبر خبرا صحيحا ، ولكن حينما يبدأ نقل هذا الخبر بين الافراد مبتعدين عن حقيقة ما جاء به فهنا تبدأ الشائعة ، ويستمر ترديدها دون برهان ولا دليل ، حتى يكاد يصدقها الكثير من الناس وتأخذ في النهاية أسلوا باعينا في الترويج ، مثل ذلك « أنهم يقولون . . . » أو « سمعت من مصدر مسئول أن . . . » أو « لدى أخبار مؤكدة بأن . . . » الخ .

وهناك شرط أساسي لاكتمالها ، وهو أهمية الحدث أو الشخص مع ضرورة توافر الغموض الذي يكتنف الشائعة علاوة على الدوافع النفسية التي تبحث على خلقها وترويجها كما سيجيء ذلك فيما بعد .

ان الشائعات تروج عندما تكون للأحداث أهمية في حياة الأفراد ، أو عندما لا ترد عنها أخبار قاطعة ، أو عندما تكون الأخبار غامضة .

وقد ينشأ هذا الغموض عندما يصل الخبر محرفا ، أو عندما يصل الى الفرد أخبار متضاربة ، أو اذا عجز عن فهم هذه الأخبار .

على أن الشائعة ليست دائما كاذبة وليست دائما قصة خيثة . وقد تقوم بدور في تسرب المعلومات ولا سيما في أنساء الحرب حينما تكون الرقابة على المعلومات العسكرية ضرورية بالنسبة للأمن القومي للبلاد .

فلو فرضنا أن إحدى الطائرات أسقطت في معركة جوية على أرض الوطن وأسرع الإهالي الموجودون بالمنطقة نحوها لانقاذ ملاحيتها فان أولئك الناس لا يمكن أن يروا مثل هذا المنظر دون أن يتحدثوا عنه لاصدقائهم .

ومن جهة أخرى فان أجهزة الاعلام لن تتحدث عن مثل تلك الأمور لدواعي الأمن حتى لا تقدم للعدو معلومات سرية ، ولكن تداول الحديث بين من رأوا الحادث وانتقاله الى أصدقائهم وهلم جرا سوف يعمل على نشر المعلومات بواسطة الشائعات .

وقد تجيء المعرفة الشخصية بأى حادث عن طريق أقل مباشرة من المثال السابق ، ومع ذلك يؤدى الأمر الى انتشار الحقيقة كشائعة .

فقد يعاد أحد الجنود الجرحى من الميدان الى أرض الوطن للعلاج ، وبوصوله الى المستشفى يحضر أهله وأقاربه لزيارته ، وفى مثل تلك الحالات غالبا ما يتعارف أقارب الجنود الجرحى ويسمعون من بعضهم البعض أخبارا تعتبر من الأسرار العسكرية ، وهكذا يتجمع جزء من هنا وجزء من هناك وتنتشر شائعة عما يدور فى أرض المعركة ، وسرعان ما تتطور الشائعة وتنمو ليكون لها طابع قصصى أفضل .

وقد تخلق الشائعة من مجرد بعض تخمينات تقوم على بعض حقائق معروفة ، فالجنود الذين يجتمعون فى أحد المعسكرات ينتظارا لنقلهم الى أرض المعركة انما يعنون بلا شك بمعرفة قصدهم والمكان الذين سينقلون اليه .

ومن الطبيعى وهم فى هذا الموقف أن يقوموا بعدة تخمينات ، فيدور فى أنحاء المعسكر كثير من الشائعات ، فاذا لم يكن الجنود جيدي الضبط والربط ، وعلى مستوى عال من التدريب والوعى وعدم التثرثرة، فان أى اشارة أو حتى مجرد حدس أو تخمين على أساس طبيعة المعدات المزودين بها لابد أن توجد الجو الذى ينشر الحقائق فى شكل شائعة .

ولما كان الرجال يحبون القصص التي يصطنعونها ويرفضون الشك فيها ،  
فإن اجاباتهم لما يشكون فيه ويروونه تكون دائما ايجابية وأكثر تفصيلا ، مما يزيد  
من معقولية الشائعة ، وفي هذه المرحلة تنسب الشائعة الى « مصدر موثوق » ،  
بل قد تنتشر على أساس أنها بيان من « ضابط ذى مركز كبير » أو « شخص من  
القيادة العامة » .

ولكن بالرغم من أن الشائعات تتضمن أحيانا حقيقة ، أو قد تقوم على أساس  
من الحقيقة ؛ فنحن لا يمكن أن نعتمد عليها ، فهي في الغالبية مجرد تلفيق يستغلها  
مروجو الشائعات عن عمد لمعاونة العدو كجزء من الحرب التي تدور بالكلمات .

## الشائعة والتاريخ :

لا يستطيع الانسان أن يتخيل مجتمعا منذ بدء الخليقة يخلو من الشائعات ،  
فهذه كغيرها من أحداث الانسان ظاهرة اجتماعية لازمة . والواقع أن في تاريخ  
البشرية أمثلة واضحة تبين أن الشائعة وجدت على الارض مع الانسان ، بل أنها  
عاشت وتبلورت وترعرعت في أحضان كل حضارة وثقافة ، وكثيرا ما يحدث أن  
يظل موضوع شائعة معينة كأنما هو غير قابل للاستنفاد ، وإن كان يأخذ أشكالا  
متنوعة في أوقات مختلفة ، بل قد يحدث أن يتبلور أحد هذه الاشكال ليصبح  
اسطورة لا تموت .

إن الشائعات المختلفة سواء كانت قصيرة العمر أو طويلة ، معادية أو مدمرة  
تعتبر من أخطر الاسلحة الفتاكة للمجتمعات البشرية . ويمكن أن نسيبها بسم  
الخنجر السام الذي يطعن الأبرياء من الخلف مستغلا أحط صفات الانسان من جبن  
ونذالة ، وغالبا ما يعصف هذا السلاح بكيان مجتمع أو أصول حضارة .

لقد أقلقت الشائعات الحكام منذ فجر التاريخ جعلت بعضهم يتجسس  
على رعاياه موظفين متخصصين ينقلون اليهم ما يهمس به الناس من الشائعات ،  
وكانت قصص كل يوم تعتبر « بارومترا » للشعور العام . وعند الضرورة كان  
هؤلاء الموظفون يقومون بترويج الشائعات المضادة ، ومعنى هذا أن الحرب النفسية  
ليست شيئا جديدا .

ولقد أشار القرآن الكريم الى كثير من الشائعات التي روجها ضعاف النفوس والمفرضون من اليهود والكفار والمنافقون حول النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وحول باقي الأنبياء والمرسلين بغية هدم الدعوة المقدسة والتشكيك فيها . ويلاحظ أن الشائعات التي لاكتها الألسنة حول الرسول وصحابته في صدر الاسلام لم تجد في مكة الجو الملائم لها قبل الهجرة ، ولكنها وجدت في المدينة الجو الخصب المناسب لانتشارها : حيث يكثر اليهود ، وحيث ظهرت طوائف جديدة لم يعرفها الاسلام في المدينة الأولى للدعوة وهي مكة . ومن هذه الطوائف المنافقون الذين مروا على النفاق وخبروه جيدا ، وبخاصة عندما كثر عدد المسلمين وقويت شوكتهم .

وكثيرا ما يجد الحاسدون والمراءون والمنافقون في مثل هذه الأجواء الطاغية باحاديثها المثيرة بمشروعاتها لاصلاح العمران مجالا لترويج شائعات هدفها التقليل من اهمية ما يجرى من أحداث واصلاحات ، أو تشويه أشكالها أو التشكيك في نواياها . ومن بين تلك الشائعات ما أثير من جانب المنافقين حول عائشة (١) أحب زوجات النبي واتهامها في عرضها في أثناء إحدى غزواته .

---

(١) حديث الافك ، وخلصته أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في إحدى غزواته ومعه السيدة عائشة على عادته في أن يأخذ معه إحدى زوجاته بالدور في الغزوات . وحدث أن انتهت المعركة وعادت القوات العربية بدون السيدة عائشة التي كانت تقضى بعض حاجاتها ولم تتمكن من اللحاق بالمحاربين . ولما لم تجد أحدا جلست مكانها لعل الجيش يفتقدها فاذا لم يجدها يعود أحد حملها ، ولما رآها بعض الصحابة المتخلفين جالسة وحدها حملها على جملة الى المدينة ، ولما رآها بعض الصحابة من ضعاف الايمان على جمل هذا الصحابي تكلم عنها واشاع ما يمس شرفها . وأخيرا جاءت براءتها من السماء في ١٤ آية من سورة النور ، أولها « ان الذين جاءوا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم » الى قوله تعالى « أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » ولعل الحادث كان فيه تاديب وتهذيب للمسلمين الذين خاضوا في الحديث دون علم ، وعلمهم الله كيف يعالجون مثل هذه الامور في المستقبل بحكمة حتى لا تضر غيرهم . ومن نماذج التاديب الالهى في هذا « ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » وبهذا كانت تفخر السيدة عائشة بأن براءتها جاءت من السماء .

ولما كان هذا القول يمس شرف الرسول الكريم فقد تغير من ناحيتها حتى مرضت وذهبت الى بيت أبيها أبي بكر الصديق ولزمته فترة من الزمن تعاني مع الصحابي الجليل أشد الضنك من جراء هذا الحادث وما راج حوله من شائعات •

وفي تحليلنا السيكولوجي لهذه الحادثة اذا افترضنا أن الحقائق كما رواها المشاهدون صحيحة ، وأنها تمثل ديناميكية الشائعة فان أثر الكارثة كان على الرسول والمسلمين فظيما ، بل كاد يعصف بالعقيدة التي ينادى بها محمد ، ومن ناحية أخرى فانها تسعد الكفار والمتردين وضعيفي الايمان لانها سلاح بتار يقوض من عزيمية المؤمنين . وهذا يعطى الجزء الاول من المعادلة الاساسية لاي شائعة ، وهو أهمية الحدث ، أما الجزء الآخر من المعادلة فيتمثل في أن أصل الحادث منقول وغير مؤكد وهو ما يطلق عليه تعبير الغموض •

كانت كراهية الكفار والمتردين لمحمد الذي جاء يهدم عقيدتهم هي التي أوحى بهذه المعادلة ، ومن ثم كان لابد لهم أن يحولوا انتقامهم وحقدهم الى كبش فداء يتمثل في عائشة رضي الله عنها •

وفي قصة مريم حينما أنجبت عيسى من غير أب نشر اليهود حولها شائعات تمس الشرف وتشكك في المسيح •

لقد كان الابن رمزا للمعجزة الالهية . تكلم في المهد ، وأبرأ الاكمة والأبرص : وأحيا الموتى بإذن الله ، وكان نبيا ورسولا الى بنى اسرائيل يعلمهم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل •

كما نجد في قصة امرأة العزيز ومنازلتها لفتاها يوسف حينما راودته عن نفسه صورة أخرى من أثر الشائعات على الابرياء ، ولقد أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يعصم نبي المستقبل في مصر من أقاويل السوء والشائعات التي حاول المغرضون الصاقها به ، فهيأ له دخول السجن بضع سنين حتى يقضى على الشائعات التي حوله وهو منها برئ •



ولقد أرسلت الشائعة سقراط الى موته بتهمة أنه كان يفسد أخلاق الشبان  
في أثينا ويدفعهم الى التمرد والعصيان .

وقامت الحروب في القرون الوسطى نتيجة للمفالة في رواية قصص  
المعجزات والجرائم والاسلاب . وبعد ذلك بقليل بدأ المكتشفون ينتشرون في  
الأرض بحثا عن كنوز الأساطير وعن أكسير الشباب ، أو لاقاء نظرة على وحوش  
البحار التي نسمع عنها في الشائعات ، ومهدت أحوال الكنيسة البابوية وحياة  
رجال الدين الخاصة الطريق لظهور قصص لا تنتهي ساعد بعضها على التمهيد  
حركة الإصلاح الديني .

ولقد كانت الشائعة أيضا هي التي علوت على قيام الثورة الهندية عام  
١٨٥٧ ، ففي ذلك الوقت كان الجنود يستخدمون بنادق تعمر من أعلى الماسورة ،  
وكان عليهم أن ينزعوا بأسنانهم قطعة من الورق المشحم من طرف كل «خرطوشة»  
حتى يمكن أن يسقط في ماسورة البندقية بعض البارود قبل أن «تبيت»  
«الخرطوشة» في مكانها تماما . وبدأت الثورة بسبب الشحم الموضوع على الورق .  
لقد قيل للمسلمين أن هذا الشحم شحم خنزير وأنهم بهذا يجعلون عن قصد كل  
جندى مسلم يضع شحم الخنزير المحرم في فمه ، وقيل للهنود أن هذا شحم البقر  
ومن ثم فإنهم يجعلون كل جندى هندي يضع عن عمد شحم حيوان مقدس في  
فمه . وانتشرت الشائعة انتشار النار في الهشيم ، وحاول الانجليز عبثا أن  
يصححوا الأمر ، وأن يجعلوا الجنود يقومون بأنفسهم بتشحيم ورق الخرطوش  
بالبزبد النباتي ولكن كل هذا جاء متأخرا ، فقد كانت الثورة قد بدأت عملها .

هذه بعض النماذج من الشائعات التي لم تتورع من محاولة النيل من أظهر  
البشر ، والتي أدت بكثير ممن يحملون مشعل الانسانية اما الى السجن واما الى  
الموت ، كما أن التاريخ يزخر بكثير من الشائعات التي لا تزال أصدائها قائمة  
حتى الآن بين ثنايا المجتمعات المختلفة وفي الأساطير المسجلة . ولكن هل لا تزال

الشائعة فى وقتنا هذا تلعب نفس الدور الذى كانت تلعبه فى الأزمنة الغابرة ، وهل كان للاختراعات الحديثة أثر على ديناميكية الشائعة أو على مدى درجة تأثيرها فى المجتمع ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه حينما نتحدث عن الشائعة كأساس للتصديق .

## الشائعة والأسطورة :

سبق أن حاولنا فى تعريفنا للشائعة أن نحدد بعض المعالم والسمات الرئيسية لها ، والان يمكننا أن نتفهم العلاقة بينها وبين الاسطورة . وقد لا نكون مغالين اذا اعتبرنا أن الاسطورة ما هى الا شائعة تجمدت على مر الزمن ، أو بمعنى أدق هى شائعة غير عادية تناولها التاريخ بالتحريف والتغيير ثم ثبتت دون تغيير بعد أن انتقلت من جيل الى جيل .

وفى تعريف الاسطورة<sup>(١)</sup> يقول كل من لابيير La Piere وفارنزورت Farnsworth « الاسطورة عبارة عن شائعة أصبحت جزءا من تراث الشعب الشفهى ، ومن الناحية اللغوية كثيرا ما تستخدم كلمة شائعة مكان اسطورة والعكس صحيح » .

وفى بحث نشرته دائرة المعارف البريطانية<sup>(٢)</sup> عن « الانثروبولوجيا الاجتماعية » عرضت للأحاديث المنقولة بأن قالت : « انها تعنى حكايات الناس وأساطيرهم التى تنتقل شفاهيا من جيل الى آخر وتحفظ من الضياع بقوة ذاكرة الذين يتوارثونها طبقة بعد طبقة وانها تخدم غرضين أساسيين ، فهى من ناحية تحدثنا بتاريخ الشعوب ، ومن زاوية أخرى فهى ثقافة تصويرية تحدد مكانة صاحبها فى المجتمع الذى يعيش فيه » .

---

Encyclopedia Britanica, 1961 Volume 20 - P. 369, Oral Tradition.

(١)

The Psychology of Rumer, Allport and Postman 1946 P. 163.

(٢)

ففي أسطورة صحبة الكلب للإنسان<sup>(١)</sup> وخدمته له على الرغم من أن القصص التي دارت حولها ضرب من ضروب الخرافات في تقدير المستويات العلمية والثقافية الحاضرة ، فإن هذه الأسطورة تحتل جانبا كبيرا من قصص الرواة عن الحامين الزنوج بصفة عامة ، وعند النيليين بصفة خاصة . فمن المعروف أن الحيوانات

---

(١) تقول إحدى قصص الاسطورة أن : الأسد ، والفهد ، والكلب ، والقط الرعشي

كانوا جميعا أخوة أشقاء، عدا الكلب إذ كان من أم أخرى كانت الزوجة الثانية . ومات الأب الذي لم تذكر القصة من هو تاركا وراءه من الماشية والخير والافئام والدواجن . وفي ذات يوم جمع الأسد أخوته وقال لهم : « يجب أن نقسم اليوم ما تركه أبونا » . وادرك الكلب أن الأسد يريد إبعاده لتقسيم التركة بينه وبين الاخوة الأشقاء ، فأصرح فاصطحب معه صديقه الثعلب وذهب الى مساكن الرجال عند طرف الغاية ، فأصرع الأسد بعد أن ابتعد الكلب وأخذ الماشية لنفسه وأعطى الخير الفصح وترك الأفئام للفهد ، وكانت الدواجن من نصيب القط الرعشي . وقص الكلب على الرجل قصته وطلب منه أن يعاونه للحصول على حقه فوعده الرجل خيرا وأمسك بحريته وحمل فاسا ثم سار يجده والكلب معه حتى أقبلوا على الرعي الذي يحفظ فيه الأسد ماشيته ووجهه عند طرف الطريق وقد تاهب للقتال فسال الرجل الأسد « اليس الكلب شقيقك من أميك ؟ فأجاب الأسد بالإيجاب . فسأله الرجل عما تقتصب منه حقه وحق أمه ؟ فما كان من الأسد الا أن حاول الانقضاض على الرجل الذي وجه حريته اليه ليقتله فوثب الأسد فوق السباح نحو النسابة تاركا وراءه الماشية التي أمر الرجل الكلب بإبقائها ، والحقاق به . وسارا الى مكان الفصح ودارت نفس التناقضة بين الرجل والفصح وانتهت بفراق الفصح تاركا الخير فافقدها الكلب مع الماشية وتكرر الحديث مع الفهد والقط الرعشي ، واستعاد الإنسان للكلب كل ما خلفه أبوه من بعده وحصل الجميع الى منزل الرجل وظن الرجل أن عمله قد انتهى . . ولكن الكلب قال للرجل « ليس بي من حاجة الى هذا كله ، ان كل ما احتاج اليه قليل من اللبن الخافض مع الدجاجات التي تموت . . وكل ما استعدته من اخوتي هو لك لأنك أنت الذي جئت به ممن اراد اغتصابه ، ولحق أنهم يتربصون بك ، فلو سقط الأسد على ماشيتك مرقها . . ولو جاء القط والفهد والفصح لقتلوا دواجنك وأتلفوا زراعتك . . فابقي الى جانبك احرسها لك . . فان عجزت عن الدفاع عنها تهب أنت لعنرتي بفأسك وحريتك » .

واتفق الإنسان والكلب على هذا . . وبقي الكلب منذ ذاك اليوم فيخدمة الإنسان .

كتاب الثقافات الأفريقية ١٩٦٥ - محمد عبد الفتاح ابراهيم . مكتبة الأنجلو المصرية

لا تتكلم ولا تتناقش ولا تفكر الا في نطاق محدود ، وتصرفاتها في أغلب الأحيان غريزية ذاتية . ولذا فان مثل هذه الاسطورة تقيم الكثير من طابع الحياة في المجتمع على أساس أن هذه القصص ما هي الا الظل التصويرى لحياة الشعوب وما يدور في مجتمعاتها ، كما أنها من زاوية أخرى تمكننا من سبر غور ما في المجتمع نفسه من حكمة وخبرة مما يساق على ألسنة الحيوان ، وغالبا ما نخرج من مثل هذه القصص بالموضوعات التي نتحدث عن أصول الأشياء أو عن أصل الانسان ، أو عما حققه في الحياة كإنسان آدمي .

على أن الاستاذ كلوكهون<sup>(١)</sup> يرى أن في الاسطورة قوة اجتماعية ، إذ أن الاستشهاد بالماضي ليس مجرد تفسير للحاضر وإيضاحه ، بل أنه يجعل هذا الحاضر صالحا وخاصة عن طريق الاقاصيص والاساطير التي فيها مسحة من القداسة ، والتي تستمد منها كل المجتمعات أسس تنظيمها الاجتماعي ودعامة معنوياتها .

وهكذا تعيش الاساطير لأنها تعالج حالات العقل التي لا تموت ولا تتغير .  
انها توفر الاجابة على ألقاز الحياة كما أنها تفسر الشعور الانساني العميق .  
وبمعاونة الاسطورة يأخذ العالم معنى التبلور والاستقرار على حد قول كمبال يونج Kimball Young<sup>(٢)</sup> ، كما يقول : أن الاطار الذي ترسمه الاسطورة يجعلنا نشعر بالامان في استثمار أيديولوجياتنا .

ان قصص بطولات العرب السالفة لا تزال تملأ نفوس سامعيها من العرب بروح الاستقرار والفخر بأسلافهم ، وكغيرها من الاساطير فانها تعتبر أدوات للتفسير والتوضيح في أثناء حياة الانسان القصيرة على ظهر هذه الارض .

---

Kluckhohn, Clyde, Mirror of Man, London, 1950.

(١)

Young K., Social Psychology, F. S. Grofts and Coy., New York, 1936, P. 437

(٢)

أما الأساطير التي تعالج القوى الأولية والكون والمعتقدات فيطلق عليها اسم الأساطير الدينية . ولما كانت هذه الأساطير تعالج جزءا كبيرا من فلسفة الحياة التي تشترك فيها الجماعة ذات الحضارة الواحدة فإنها تقاوم التغير ، وبإلزام من وجود قصص كثيرة عن الخلق وعن الحياة الأخرى وغيرها فإن كلا منها ثابت داخل دائرته الثقافية . أن ما يتناقله جيل بعد جيل محفوظ في أشكال ملموسة ، فإن الأساطير والشائعات لا تحتوى عادة على لغة مجردة حتى عندما تقوم بمعالجة موضوعات عالمية . أن الموضوعات التي تعالجها الأساطير الدينية هي من أهم الموضوعات التي صادفها الإنسان وأن كان الدليل الخاص بها دائما من النوع الغامض .

ولما كانت المسائل الدينية قديمة قدم الإنسان نفسه كانت الاسطورة لا الشائعة « هي التي تعالجها دائما » ، ولكن هناك فترات قصيرة ظهرت فيها شائعات لم تعش طويلا كان الفرض منها اشباع حب استطلاع الإنسان وارواء عطشه الديني بصفة مؤقتة . وحتى في وقتنا هذا نجد أنه من آن لآخر تنتشر شائعات عن علامات يوم القيامة ، عن عودة المسيح والمهسي المنتظر وعن علاج روحاني أو تسخير الجان أو ظهور أشباح في أماكن معينة .

أن التغيرات التي تحدث وتنشأ عنها الاساطير تظهر بوضوح في القصص التاريخية عن تراجم حياة الفزاة الفاتحين أو الأبطال الوطنيين . أن الاعمال التي تروى عن أمثال هانيبال وجنكيز خان عبارة عن امتزاج الخيال بالحقيقة ، وأن كانت للاسطورة فيها اليد العليا .

لقد اعتادت الأمهات في أيام جوفينال أن يرعبن أطفالهن بصرخة يطلقونها : « هانيبال على الابواب » ، وعلى الرغم من الاعمال الكبيرة التي قام بها هانيبال فإنه لا يزال يكتنفها الكثير من الغموض والالغاز، كما أن شخصيته لا يعرف عنها أكثر من مجرد الاسم وسجل أعماله . ولكن هل كان هانيبال ملكا أو قائدا حرييا فقط ؟ وما الأهداف التي ساقته الى أن يهبط فوق إيطاليا في سرعة

البرق وضجيج الرعد ؟ وما حقيقة لغز اختراقه لجبال الألب على رأس جيش من الفيلة مما استهوى الباحثين بضعة قرون ؟

والواقع أنه لا يمكن لأحد - الا اذا كان مؤرخا - أن يستخرج من مثل هذه القصة لب الحقيقة ، على أنه من جهة أخرى فان التخريب الذى يقوم به الغزاة أو المنتصرون غالبا ما يدمر - كنوع من الانتقام - آثار الاعمال التى قام بها أعداؤهم ، وقد حدث ذلك فعلا لهانيبال .

فقد تلاشت ذكرى عهد هانيبال على يد الرومان ، وتلاشت معه ثقافة قرطاجة وحياتها ، ولم يبق لرجال العصر الحديث من آثار عن هذه الثقافة سوى مدافن المدينة وأسس بعض المعابد بما يحيط بها من ساحات القبور ، ولم تذكر الابهتالات المنقوشة على أنصاب هذه القبور أى شيء عن هانيبال .

وقد نصعد بخيالنا الشعارى ونسأل : ما قيمة فصل الحقيقة عن الخيال ؟ أليس ما يمثلته أبطال التاريخ وأصحاب الرسائل الانسانية كل طموح الطبقات الغالبة من البشرية وأمانيتها ؟ أليست قيمة الاسطورة كرمز أنها تعبر عن هدف روحي لقضية معينة أكثر أثرا وفضلا للبشرية من محاولة مؤرخ القيام بفصل الحقيقة التاريخية الخالصة عن الخيال الذى جاء بتطور الأجيال ؟

وفى حياة كل أمة وحضارة شخصيات تاريخية قدر لها أن تصبح شخصيات أسطورية : أما لبطولة وطنية ، واما لعبقرية فى الفنون والآداب والعلم وغير ذلك مما يؤثر فى حياة المجموع . فلماذا اذا نكون حرفيين الى هذه الدرجة ولا نجعل من كل من أولئك الافراد رموزا روحية تستاهل احترامنا لأعمالهم وأخلاقيهم بل نورا وهداية للأجيال القادمة ؟ .

وقد يبدو لنا أن نسأل هل للشائعة والاسطورة صفة أخبارية ؟ ان ظاهرها يوحى بذلك ، ولكن اذا أمعنا النظر نجد أن للكلام الذى تتضمنه كل منهما معنى خفيا أو مجازيا ، فكلماتها تقول أكثر مما يعنى ظاهرها ، وقد يكون المعنى المستتر أكثر أهمية من المعنى الظاهر .

ومن هذا القبيل أننا نجد في الأمثال العامية التي تنشر في مجتمعا مصرى الكثير مما يحمل معانى أكثر عمقا مما يدل ظاهرها فالتقول : « ان جاء الحق فالحق قتله » يضرب مثلا لمن يطالب شخصا بحق وعليه له مثل ما يطالبه به ، أى لا معنى للمطالبة لأن هذا الحق يمحو ذلك فتصوير قتل الحق للحق تصوير مجازى وليس حرفيا ، وحينما نقول « زى القبط بسمع أرواح » لا تعنى أن للقبط سبعة أرواح لأن ذلك زعم باطل ، ولكن المراد بذلك أن تعطى معنى مجازيا لمن تكثر نجاته من الأخطار الشديدة وغيرها . وحينما نقول : « الحرامى على رأسه ريشة » فأننا نعنى بأنه لابد أن يوقع نفسه بشئ يبدو منه ، فان اللص لا يضع ريشة فوق رأسه لتمييزه عن باقى الناس .

ولذا فأننا عندما نتحدث عن التحريفات التي تطرأ على الشائعة وتغير من شكلها الاصل فأننا نستخدم فى مثل هذه الحالة معيارا حرفيا وليس تقييميا ، وهذا فى رأينا عمل خاطئ ، اذ أن الشائعة لو اتخذت على أساس اخبارى أو اعلامى فانها بلا شك تكون مزيفة وخداعة ، ولكن اذا أخذناها على أن لها غرضا تقييميا فانها تصف بدقة رأى من يقوم بترديد الشائعة . فمثلا لو ردد انسان ما شائعة بأن هناك خلافا بين رجال الحكومة فليس هدف هذا الشخص أن يسرد حقائق معينة ولكنه يريد أن يعبر عن عدم تجاوبه مع سياسة الحكم ، وهو فى هذه الحالة يقوم بعملية تقييم فردية من وجهة نظره ، وهذه العملية على حد قول موريس Morris عملية شاعرية تخيلية .

واذا ردد شخص آخر مثلا أسطورة دينية ، أو عن بطل وطنى ، أو عن عمل فنى فانه لا يردد كلاما اعلاميا واخباريا ولكنه يردد كلاما تقييميا حسب نوع الاسطورة .

وهكذا نرى أن الشائعات والأساطير ذات معنى معبر ، واننا يجب أن نحكم عليها كحقائق اخبارية كما قد يتبادر الى الذهن ، ولكن حكمنا عليها يكون على أنها نوع من التقييم . ولكل فرد يعيش فى مجتمع حر الحق فى أن يقول ما يشعر به ، واذا رأى أن يستخدم صيغة مشابهة لصيغة الشائعة فليس هناك ما يمنعه .

وتنشأ المشكلة الاجتماعية من الشائعة اذا كان المستمع يتلقاها لا على أنها نوع من التقييم من وجهة نظر قائلها ، ولكن على أنها حقيقة اخبارية .

وبالرغم من أن الراوى يكشف عن العقدة العاطفية التى عنده تجاه حادث أو شائعة فإن المستمع - اذا لم يكن حذرا - يأخذ الكلام على أنه حقيقة . وبهذه الطريقة يخلط بين المعنى المعبر وبين الاشارة الموضوعية . والامر يحتاج الى بصيرة نافذة والى خليط من التقدير والحذر عندما نستمع الى شائعة .

## قانون الشائعات :

مما لا شك فيه أن الشائعات ذات خطورة قومية للمجتمع ، وهى على نحو ما قلنا وباء اجتماعى وظاهرة من الظواهر التى يجب على كل الشعب أن يتكاتف فى مقاومتها والقضاء عليها .

وقبل أن نحاول أن نحلل أسباب ترديد الشائعات والدوافع السيكولوجية التى تدفع الناس الى خلق الشائعات وترويجها يجب أن نصل الى جذور المشكلة ، وذلك بمحاولة وضع قانون يحدد الظروف التى قد تخلق أى شائعة وتعمل على ترويجها حتى نستطيع - اذا تفهمنا ذلك - أن نواصل البحث فى دراسة الدوافع النفسية والتحليلات العلمية للشائعات ، وهذا يوصلنا فى النهاية الى معرفة الأسس الحقيقية التى يستطيع أى مجتمع بصفة عامة أن يبني عليها خطة الدفاع أو المقاومة .

ويرجع البعض أسباب ترديد الشائعات الى : انعدام المعلومات ، وندرة الاخبار بالنسبة للشعب ، ومن هنا ينادون بضرورة تزويد الشعب بجميع الاخبار التفصيلية والدقيقة الممكنة حتى يكون على بينة مما يدور حوله من أحداث وأعمال تؤثر على حياته ومستقبله .

هذا القول لا يمكن أن نحكم عليه بالصحة أو البطلان المطلق ، فحقيقة أن الشائعات تنتشر وتردد عند عدم وجود الاخبار أو لندرتها . ولكن من جهة أخرى



غالباً ما نجد أن الشائعات تكثر وتنتشر في الوقت الذي تكثر فيه الاخبار ولا سيما اذا ما تداول ذلك أحد أجهزة الصحافة والاعلام .

ولنتذكر مثلاً حادث الترويلى باس الذي ذهب ضحيته في العام الماضى عدد من المواطنين وغرقوا في النيل ، فقد نشرت عنه الصحافة بالتفصيل الدقيق ، ولكن بالرغم من ذلك ترددت شائعات كثيرة حول سبب الحادث ومدى الاصابات . فاحادث هنا كارثة لا بد أن ينفلج بها الجمهور أجمع ، والغموض هنا موجود . فعلى الرغم من أن المعلومات نشرت على الشعب فان أهمية الموضوع جعلت الناس تتناقله ، ومن هنا جاء التحريف الذي أدى الى ترديد هذه الشائعات .

فانعدام الاخبار وحدها أو ندرتها ليس بكاف لترويج الشائعة ، وإنما هناك عوامل أخرى لابد من وجودها لتتهىء الظروف خلق الشائعة وترويجها .

ومع ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد أن هناك شرطين أساسيين يتصلان بإذاعة الشائعة وإرسالها وهما : الأهمية ، والغموض ، ونعنى هنا أهمية الموضوع بالنسبة للأفراد المعنيين وغموض الأدلة الخاصة بموضوع الشائعة .

وغالباً ما نجد الشائعة تحتوى على جزء صغير من الاخبار أو الحقائق ، ولكن عند ترويجها تحاط بأجزاء خيالية بحيث يصعب فصل الحقيقة عن الخيال ، أو يصعب التعرف على الحقيقة من الخيال .

ففي قصص الشائعات كما في المثال السابق يكون من المستحيل علينا أن نقول على وجه الدقة : أين تكمن الحقيقة ؟ أو بمعنى آخر يصعب علينا معرفة ما اذا كانت هناك أى حقيقة في القصة .

لقد حاول كل من البورت وبوستمان أن يضعوا قانوناً أساسياً للشائعة في شكل معادلة جبرية ، ووصلا الى أنه من الممكن وضع معادلة عن شدة الشائعة على النحو التالى :

$$\text{شدة الشائعة} = \text{الأهمية} \times \text{الغموض}$$

ونلاحظ أن العلاقة بين الأهمية والغموض هنا ليست علاقة « جمع » ولكن العلاقة بينهما علاقة « ضرب » لأنه إذا كانت الأهمية والغموض « صفرا » لما كانت هناك شائعة ، فمثلا :

لا يحتمل أن يقوم مواطن مصرى بنشر شائعة خاصة عن ارتفاع أسعار لحم الخنزير فى أوروبا لأن الموضوع لايهمه وان توافر فيه الغموض ، كما أنه لا يفكر فى أن ينشر شائعة عن سلوك أهالى الاسكيمو لأنهم لا يهتمونه فى شىء ، فالغموض وحده لايكفى لخلق الشائعة أو ترويجها •

كذلك لا تكفى الأهمية وحدها لرواج الشائعات اذ يجب أن يصحب الأهمية الغموض الذى يكشف عن الموضوع • فمثلا اذا فقد جنادى فى الحرب احدى ذراعيه فان هذا الخبر ذو أهمية كبرى له ولكن هذا الشخص ليس على استعداد لأن يستمع لائى شائعة عن مدى اصابته لأنه يعرف الحقيقة •

والواقع أن القانون الذى سقناه يمكن التعويل عليه لدرجة كبيرة ، بالرغم من أنه قد يكون هناك من العوامل التى تحد قليلا من قدرته ، فمثلا اذا كانت الأمة خاضعة لرقابة بوليسية شديدة أو اذا كانت العقوبات المفروضة على مروجى الشائعات شديدة ؛ فان الناس تحاول أن تبتعد عنها •

كذلك نلاحظ أن الشائعة تنتشر بين الافراد الذين يتشابه تفكيرهم ، ولهذا فانه فى البلاد التى يكون سكانها مختلفى العقيدة أو اللغة والعادات كما فى الهند مثلا ، أو تكون المواصلات بين أجزائها صعبة كما فى غرب أفريقيا - نجد أن الشائعات لا تقدر على اجتياز الحواجز الاجتماعية ولذلك يكون انتشارها محدودا • على أن التطور الكبير فى وسائل الاتصال ومحاولة دول العالم اليوم التجمع لتحقيق أهدافها قد قللت من تأثير هذا العامل الى حد كبير •

وهناك سبب آخر يحد من تأثير القانون سالف الذكر ، فاذا عرف انسان السبب فى محاولته التصرف بطريقة معينة فانه يحاول أن يتصرف بطريقة

مختلفة • انه يحاول أن يتجنب التصرف كآلة أوتوماتيكية ، ومن ثم نجد الشخص الذى أولى حكمه تجاه مقاومة الشائعات ، والذي يفهم أنه قد يصدق أو يردد شائعة تحت ظروف معادلة الاهمية والغموض • نجد هذا الشخص عادة لايفعل ذلك •

على أنه لكي تكتمل الشائعة في صورتها المألوفة ولكي تنتشر بين الناس يجب أن تلازمها دوافع نفسية تعمل على خلقها واستمرار تغذيتها لتنمو •

وقبل أن ننتقل الى تحليل تلك الدوافع نرى من الحكمة أن نحاول تطبيق القانون سالف الذكر على احدى الشائعات التي ترددت في مجتمعنا •

ففي صيف عام ١٩٦٤ قامت الرجعية والانتهازية بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية بترويج شائعة عن محاولة قيام انقلاب عسكرى بمدينة الاسكندرية ضد نظام الحكم ، وتقول الشائعة أن المؤامرة اكتشفت قبل حدوثها بفترة وجيزة وقدضبطت مفرقات تحت منصة الرئيس وتم اعدام ٥٠ ضابطا من المتأمرين كما تم القبض على بعض كبار المسؤولين لاشتراكهم في تلك المؤامرة •

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن حدثا كهذا الذى تتضمنه الشائعة يعتبر موضوعا هاما وحيويا لكل مصرى ، فالمواطن الحر المؤمن ببلده يزعجه ويقلقه أن يسمح ما يهدد كيان بلده واستقراره ويضره أن تحدث أى هزة أو خلخلة تفقده هو والغالبية من الشعب الكثير من المكاسب التى حققتها الثورة ، ومن جهة أخرى هناك الشخص المعادى الموتور سواء أكان : رجعيًا ، أم عميلا ، أم انتهازيا يهمله أن تقع هذه الكارثة لأنها تصور احدى رغباته الكامنة فيه وتنفث عن قلبه وكراهيته • وليس من شك فى أن الشائعة ترضى هذه الفئة الصغيرة التى كانت تتحكم فى مصائر الغالبية من الشعب ، ثم جاءت الثورة وجردتها من أسلحتها التى كانت تسلط على رقاب الناس ، كما ترضى هؤلاء الذين أضربوا نتيجة تطبيق القوانين الاشتراكية وهؤلاء العملاء الذين لا يعرفون أن يعيشوا الا فى أحضان الاستعمار ، والانتهازيين الذين لايجدون سبيلا الا فى التقلبات والاحداث واقتناص الفرص •

وهناك فئة من الناس لا يهمها الا أن تردد ما تسمعه سواء كان حقيقيا او  
زائفا كنوع من الثرثرة والتظاهر بمعرفة بواطن الامور .

هذا من ناحية أهمية الشائعة ، فاذا ما أدركنا نظركنا نحو ما اكتنف هذه  
الشائعة من غموض نجد أن مصر في ذلك التاريخ كانت هدفا لحرب نفسية مسعورة  
من جانب : الاستعمار ، والصهيونية ، والرجعية نتيجة للنجاح الذى أحرزته  
الثورة فى مختلف الميادين السياسية والدولية ، وقد صاحب هذه الحملة النفسية  
ضغط اقتصادى مما جعل الناس فى تلك الفترة مهينين لتصديق أى شائعة  
تنتشر بينهم . ومن ناحية أخرى كانت الفترة التى راجت فيها تلك الشائعة  
فترة الاجازة الصيفية التى تتسم بنوع من الركود فى نشاط العمل اليومى ،  
وقد تصادف فى ذاك الوقت أن ألقى احتفال ٢٦ من يوليو الذى يقام كل عام فى  
مدينة الاسكندرية ويقوم الرئيس « عبدالناصر » بالقاء خطابه السنوى فيه .

كل هذه العوامل ساعدت - دون شك - على أن يكتنف الغموض تلك  
الشائعة ، فلم يحاول الذين كانوا يرددونها أن يتحروا ليتأكدوا مما اذا كانت  
المعلومات التى جاءت بالشائعة حقيقة أم من نسج الخيال . كما لم يكن لديهم الوعى  
بالتعرف على جذور المشكلة والظروف الصعبة التى تواجهها البلاد من تأمر  
الاستعمار والرجعية ضد وطنهم ، ثم لم يتصوروا أن الرئيس « عبدالناصر »  
بشرى كمثل باقى البشر له من الطاقة الجسمية ما لهم .

لقد شاعت الظروف أن كان محافظ الاسكندرية يحتفل بزواج ابنته أثناء  
تلك الفترة ، وقد حضر الاحتفال الرئيس « عبدالناصر » ونشرت صور الاحتفال  
فى الصحف ، وقد ظهر بها هؤلاء المسئولين ولكن بالرغم من ذلك فان الشائعة  
نم تدفن الا بعد فترة قصيرة من نشرها .

اذا فلماذا استمرت الشائعة فى الديوغ ؟ لقد كان لابد لتلك الشائعة أن  
تعيش من وجهة نظر من خلقها وعمل على ترويجها حتى تحقق هدفها ، فوجدت

الصحافة والإذاعة الاستعمارية والصهيونية أجهزتها للعمل على تغذيتها مستقلة  
أى غموض فى الظروف لتبنى عليه خيالات زائفة ، معتمدة على أذنانها فى البلاد  
من رجعيين وعملاء وانتهازيين فى ترويعها ، ونشرها •

ان الذين صدقوا هذه القصة ونشروها كانوا محبين للثرثرة أو محبين  
للعظمة بالتظاهر بعلمهم ببواطن الامور ، واما من كانوا ينتابهم القلق خوفا على  
مستقبل بلدهم فانهم أخذوا يرددونها دون أن يكون لديهم وعى بالضرر الكامن  
الذى قد يحدث لبلدهم نتيجة هذا العمل •

أما الذين عملوا على خلق تلك الشائعة وروجوها فهم الذين يكرهون  
عبدالنصر ونظامه • لقد كان الحقد الدفين هو الدافع وراء تلك الشائعة ، وبدلا  
من أن يقول مروج الشائعة : أننى أكره عبدالناصر ، أو أننى أكره الاشتراكية  
اتخذ من القصة اداة ليبرر أو يفسر توتره العاطفى الدفين •

## تصنيف الشائعات

قامت محاولات عدة من جانب كثير من الباحثين لتصنيف الشائعات واختلفوا حول الاسس التي يبنى عليها التقسيم ، فالعلاقات الاجتماعية بين الناس متشابهة ، والدوافع الذاتية متباينة من مجتمع لآخر . ومن هنا نرى أن من اصعب اقتراح تصنيف عام للشائعات بحيث يمكن تطبيقه على أى مجتمع ، أو ليكون قاعدة علمية يعول عليها حتى وإن أعطى للباحث أو الدارس الخيوط التي تساعده في تفهم الموضوع ، ذلك لاختلاف الزاوية التي يقف عندها الباحثون دائما . فقد يكون منار الاهتمام الموضوع الذي تعالجه قصة الشائعة ، أو الدافع الذي وراءها ، أو معيار الزمن ، أو الآثار الاجتماعية في الشعب سواء كانت : ضارة ، أو مفيدة ، أو سلبية .

لقد حاول « بيساو » Bysow<sup>(١)</sup> أن يستخدم معيار الوقت في تصنيفه للشائعات وقسمها الى ثلاثة أنواع :

### ١ - الشائعة الزاحفة :

وهي التي تروج ببطء ويتناقلها الناس همسا وبطريقة سرية تنتهي في آخر الأمر الى أن يعرفها الجميع .

(١) - Bysow, D, A., Geruchts ( Kolner Vierteljahrschrift Für Soziologie ) , 7, 301 - 308, 1928.

ان هذا النوع من الشائعات يتضمن تلك القصص العدائية التي توجه في مجتمعنا ضد رجال الحكومة والمسؤولين لمحاولة تلميح سمعتهم ، وكذلك تلك القصص الزائفة التي تروج لعرقلة أى تقدم : اقتصادى ، أو سياسى ، أو اجتماعى ، ويدخل فى ذلك ما يقوم به المروجون من نشر نبؤات بوقوع أحداث سيئة تفس هذه الموضوعات . ويقوم مروجو هذا النوع من الشائعات بنسخ سلسلة لا تنتهى من القصص ويستمررون فى العمل على تفذيتها واستمرار نشرها .

## ٢ - شائعات العنف :

وهى تصنف بالعنف ، وتنتشر انتشار النار فى الهشيم ، وهذا النوع من الشائعات يغطى جماعة كبيرة جدا فى وقت بالغ القصير . ومن نمط هذا النوع تلك التى تروج عن الحوادث والكوارث أو عن الانتصارات الباهرة أو الهزيمة فى زمن الحرب . ولأن هذه الشائعة تبدأ بشحنة كبيرة فانها تثير العمل الفورى لأنها تستند الى العواطف الجياشة من : الذعر ، والغضب ، والسرور المفاجيء .

## ٣ - الشائعات الغائصة :

وهى التى تروج فى أول الأمر ثم تفوص تحت السطح لتظهر مرة أخرى عندما تنهيا لها الظروف بالظهور ، ويكثر هذا النوع من الشائعات فى القصص المماثلة التى تعاود الظهور فى كل حرب كتلك التى تدور حول تسميم قوات العدو لمياه الآبار ، أو التى تصف وحشية العدو وقسوته مع الاطفال والنساء .

وفى كتاب سيكولوجية الشائعة تأليف البورت وبوستان نجد مثلا لهذا النوع فى قصة غريبة راجت فى فترة كل من الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وهى قصة « اللسان وطابع البريد » وتتلخص فيما يلى :

« كتب أسير حرب أمريكى . كان معتقلا فى معسكر ألماني فى الحرب العالمية الاولى ، وفى معسكر يابانى فى الحرب العالمية الثانية - خطابا أرسله الى أسرته .

ولم يكن الخطاب يحوى شيئاً غير عادى اللهم الا ملحوظة كتبها الاسير وطلب فيها من أسرته أن تحتفظ له بطابع البريد الملصق على المظروف • ولما كانت أسرته تعرف أنه لم يكن فى يوم من الايام من هواة جمع طوابع البريد فقد دهشوا لهذا الطلب وقرروا أن يتحروا الامر • فنزعوا الطابع ليجدوا مكتوبا تحته أن أسريه قطعوا لسانه • لقد انتشرت هذه الشائعة فى كلتا الحربين بالرغم من حقيقتين متناقضتين : الأولى ان خطابات أسرى الحرب لا تحمل طوابع بريد • والأخرى أن قطع لسان الشخص يسبب نزيفا يؤدى الى الموت ما لم يتم خبير باجراء العملية الجراحية •

على أن هذا النوع من الشائعات الغائصة غالبا ما تروج ضد رجال الحكم والشخصيات البارزة فى شكل حملات هامة للنيل من سمعتهم ، أو التشكيك فى نزاهتهم •

وغالبا ما تظل الشائعات من هذا النوع نائمة فى عقول بعض مروجيها ، ثم يقومون بنبشها بعد فترة من الزمن عندما يتشابه الموقف المناسب مع الموقف الذى كان موجودا حينما نشأت الشائعة الاولى ، أو ربما لا تكون الشائعة الثانية استهوارا للشائعة الاولى ، كما أن كثيرا من هذه الشائعات يأخذ شكل الفكاهة والنكات •

ان قصة الصياد والسمكة التى تظهر من آن لآخر فى شكل فكاهة كلما نقصت سلعة هامة من السوق ، أو ارتفع سعر بعض السلع ما هى الا نوع من هذه الشائعات •

ان عجز الناس عن الحصول على تلك الاشياء الضرورية تؤدى الى تعبير عن مخاوفهم اما بنشر شائعة ما ، واما بسرد قصة كنتلك القصة دون أن يدركوا أنهم يحيون شائعات قديمة •

وحاول البعض تصنيف الشائعات عن طريق موضوعها ، واعتبره الكثيرون مبدأ آخر من مبادئ تصنيفها . وتعتمد تلك الطريقة على أن يقوم الباحث باحصاء



عدد من الشائعات التي تدور حول موضوع معين • ففي الاحوال العادية يبحث مثلاً عن نسبة القصص التي تدور حول : السياسة ، المرض ، الجنس ، العلاقات الخارجية ، الأقليات • والحق أن مجال الموضوعات واسع والتزامه من غير شك يثير شتى صعوبات بخاصة إذا علمنا أن للاقليم المختلفة ، والجماعات المهنية المختلفة ، والمستويات التعليمية المختلفة - أثرها في هذا التصنيف •

وفي زمن الحرب قد يكون لهذه الطريقة فائدة أكبر لان جميع الشائعات تقريباً تكون موجهة نحو الحرب • ولقد وجد ج. أ. أرفنج J. A. Irving (١) العالم النفسى الكندى عام ١٩٤٣ أن شائعات الحرب في تلك البلاد كانت تتناول ستة موضوعات رئيسية :

- ♦ الرعب والاشمئزاز والموت •
- ♦ الاسراف والتبذير •
- ♦ الغزو والغارات وتهديد الأمن •
- ♦ الشعور بكرهية البريطانيين •
- ♦ نوايا الحكومة تجاه التموين ، تمويل الحرب ، التجنيد •
- ♦ سوء ادارة العمليات الحربية •

وعلى الرغم من أن هذا التقييم ذو فائدة كبيرة لعملية بناء الروح المعنوية ، والارتفاع بها ، ولللاقات الحكومية العامة - فان الطريقة تبين لنا ماذا يشغل الناس وما موضوع حديثهم ؟ ولكنها لا تصل الى دوافع مروجي الشائعات فضلاً عن أنها لا تساعد على الكشف على القوانين العامة للشائعات •

وثمة طريقة ثالثة لتقسيم الشائعات تعتمد على عامل بواعث الدوافع النفسية ، ففي التجارب التي أجريت على مجموعة مناسبة من قصص الشائعات

---

J. A. Irving, The Psychological Analysis of Wartime Rumor Patterns in Canada, (١)  
1943 ( Bulletin of The Candian Psychological Association 3, 40, 44 ) .

التي انتشرت في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢ ثبت أن معظم هذه المنشآت كانت تعبر : اما عن المداوة ، واما عن الرغبة ، واما عن الخوف ، وقليل منها كان يعبر عن التوتر عقلي ، أو رغبة في حب الاستطلاع .

ان تصنيف المنشآت حسب بواعث دوافعها أسهل في زمن الحرب منه في زمن السلم ، ولكن هذه العناصر الثلاثة « الكراهية والخوف والرغبة » تشتمل أكثر من اللازم في الحرب ، وقد يكون للشائنة الخوف « من وحشية العدو » عناصر جنسية ، أو عناصر مفامرة حتى تستطيع الشائنة أن تحتفظ ببيائها . أما تركيب الدوافع التي تجعل الشائنة مستساعة من شخص فهي موضوع شغى ، ومحاولة معرفة لماذا يستسيح شخص معين قصة معينة أمر يحتاج الى دراسة أكاديمية لهذا الشخص . ونظرا لتشعب البواعث والدوافع ، وامتزاج بعضها ببعض في الشائنة الواحدة ؛ فان أى تصنيف سيكون لوجي للمنشآت يكون على الدوام قاصرا .

ويقول البورت وبوستان في ذلك :

« انه لا ينبغي أن نتوقع شائنة متصلة بماطة واحدة أو ببيل ادراكي واحد . ان الشائنة لا تتركز على أساس الوحدة ، قصة سهلة في تركيبها قد تخدم عدة أغراض مثل التفسير أو التبرير أو التخفيف لمزيج من المشاعر » .

ويوضح هذه الفكرة هذا النوع من المنشآت الذي يطلق عليه اسم « المنشآت المدائية » . قد تذكر هذه اشائعات شريرا واحدا ولكنها غالبا ما توجه هجوما الى أكثر من شرير . ففي أثناء حملة الانتخابات الرئاسية بالولايات المتحدة عام ١٩٤٤ انتشرت الاغنية الآتية والمفروض أن المتحدث هو الرئيس روزفلت موجهها الكلام الى زوجته :

« عليك أن تقبلي الزنوج . . . وعلى أن أقبل اليهود » .

« وبذلك نبقى في البيت الأبيض جميعها نريده » .

وفي هذه الاغنية نجد ثلاثة أنواع من الكراهية - كراهية للزواج ، واليهود،  
والرئيس الامريكى .

على أننا فى محاولتنا وضع تقسيم للشائعات على أساس السوافع التى  
وراءها - من كراهية أو رغبة أو خوف - نراها تختلف تبعاً لما تعطيه هذه الدوافع  
لها من قوة . وبوجه عام يمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع نراها أكثرها انتشاراً  
بين أى مجتمع .

١ - الشائعات الخائفة أو بمعنى آخر المليئة بالخيالات التصويرية (١) وهى  
تعبر عن الأمانى والأحلام ، وفى مثل هذه الشائعات نجد أنها تعبر عن سرور  
مرددها وارتياحه الى تصديق ما يأمل أن يكون حقيقة واقعة، وفيما يلى مثال لذلك :

نشرت جريدة الجمهورية اللبنانية المعادية بعددها الصادر بتاريخ ٢٩ من  
يوليو من العام الماضى تقول : « ان القبائل اليمنية والجمهورية قد أعلنت الحرب  
على القوات المصرية ؛ لأن الشعب اليمنى يريد الوحدة الوطنية والسلام فى ربوعه» .

لقد استهدفت الجريدة من نشر هذه الشائعة أن تذيب بين الناس أن جميع  
طوائف اليمن أصبحت تعادى القوات المصرية ، حتى الجمهوريين الذين ذهبت  
القوات المصرية لتأييدهم ، وفى نفس الوقت أرادت الجريدة أن تسيء الى موقف  
قواتنا فى اليمن ، والى سياسة القاهرة فيها ، وتلك أحلام وآمال الرجعية  
والاستعمار .

على أن هذا النوع من الشائعات قد يعبر من ناحية أخرى عن أمانى تفاؤلية  
كقرب انتهاء الحرب مثلاً، أو تحقيق القوات المسلحة لانتصارات ساحقة فى الميدان.

٢ - الشائعات الوهمية التى تعبر عن « خوف » وليس عن رغبة ، ومن  
مثلة ذلك الشائعات المفروضة عن اعداد مبالغ فيها من القتل والجرحى فى حرب

---

(١) الاصطلاح الانجليزى اصطلاح دارج Pipe - Dream ويعنى به الأحلام التى يتصورها

فى غيبوبة مدخن الأفيون على ما يقال فى الاصطلاح العربى الدارج « تفانىن الجوزة »

اليمن ، فقد نشرت جريدة الجمهورية اللبنانية بعددها الصادر في ٢٣ من سبتمبر ١٩٦٤ تقول : « ان عدد القتلى المصريين في اليمن بلغ ٢٠ ألف قتيل وفي اليمنيين ٢٠٠ ألف قتيل » .

ومما لا شك فيه أن هناك قتلى من أى جانبين متحاربين ، ولكن هذه الجريدة قصدت من وراء تحديد هذه الأرقام الخيالية أن تنشر الذعر بين أهالي الضباط والجنود ، وتعطى صورة قاسية عن الحرب في اليمن وتسيء في نفس الوقت الى سمعة القوات المسلحة .

٣ - الشائعات التي تهدف لاحداث فرقة وانفصال ، أو بمعنى آخر دق الاسافين ، والمثالان التاليان يعطيان صورة لهذا النوع :

نشرت جريدة النهار اللبنانية المعادية في عددها الصادر بتاريخ ١٢ من ديسمبر ١٩٦٥ خبرا يقول : « تدل الدلائل على أن القوات المصرية في اليمن بدأت تخل الجبهات الشمالية التي يعيش فيها الزيود وتتركز في المناطق الجنوبية التي يعيش فيها الشوافع » .

وأذاعت محطة اذاعة كولومبيا الاستعمارية في ٥ من ابريل ١٩٦٥ خبرا يقول : « ان هدف ناصر من ارسال قوات مصرية للحرب في اليمن هو السيطرة على منابع البترول في السعودية وايران » .

ان هدف هاتين الشائعتين خبيث ومفرض ، فالشائعة الاولى ترمى الى احداث فرقة بين الشوافع والزيود من جهة ، وبين القاهرة والجمهوريين من جهة أخرى على أساس الايحاء بتقسيم اليمن ، وتخلي القاهرة عن الثورة اليمنية .

أما الشائعة الأخرى فغرضها اثارة السعودية وايران لمساعدة أعداء الثورة اليمنية ضد القوات المسلحة .

## الشائعات والحرب :

حينما تنشأ الحرب تنقلب حياة الناس انقلابا عميقا ، وتتغير أحوال معيشتهم ، وهنا تلعب الشائعات دورها الكبير في التأثير على الروح المعنوية القومية .

وقد تكون معنويات الشعب مرتفعة عند بدء نشوب الحرب نتيجة للتعبئة المعنوية أو الروحية أو الدينية ، ولكن كلما طالقت فترة الحرب وتعمقت أحداثها يصيب الناس نوع من القلق والخوف ، ويبدو لهم كأن المستقبل سيكون حالكا . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يكتنف الأحداث نوع من الغموض نتيجة لعوامل الأمن والقيود التي تفرضها الحرب على الناس .

ومن هنا نجد أن أهمية الحدث وغموضه ترسي القواعد اللازمة لخلق الشائعات في زمن الحرب، وليس من الغريب أن تسابق الشائعات بعضها البعض نتيجة لأن الناس لا تكون في الصورة الكاملة من الأحداث .

وليست الأهمية ولا الغموض كافيين وحدهما لخلق كل شائعات الحرب، فإن الحرب حدث كبير يؤثر على كل فرد في المجتمع ، ولذلك لا نستطيع أن نجرد الناس من عاطفة القلب وتفكير العقل ، ولا بد من أن ينفعل بالحرب كل فرد من الناس ، وتثير هذه العقول كل أنواع الخيالات ، ومن ثم يحاول أغلب الناس أن يفسروا ويتخيلوا نتائج بعيدة .

ويجدر بنا أن نوضح نقطة هامة : هي ما يمدد العدو من جهد في خلق الشائعات ونشرها لتقويض الروح المعنوية لجميع أبناء الشعب من : مدنيين ، وعسكريين ، مستغلا في ذلك المواقف الحرجة التي قد يواجهها أي شعب في ظروف الحرب ، ومعتمدا على تلك الفئة من الخونة التي توجد في كل مجتمع .

كما أن للأسلحة المستحدثة التي تظهر فجأة في الحرب تأثيرا كبيرا على معنويات العدو ، وتساعد على خلق كثير من الشائعات حولها ، ولنضرب لذلك مثلا ما حدث عام ١٩٤٥ حينما استخدمت القنبلة الذرية عام ١٩٤٥ في ضرب كل من هيروشيما ونجازاكي .

في الحقيقة لم يعرف في ذلك الوقت تأثير تلك القنبلة الا أهل هذين البلدين ، ولكن على الرغم من ذلك كانت القنبلة الذرية موضوع شائعات كثيرة ولا سيما بين غير المتعلمين . فأشيع أن الاشعاعات الفتاكة تظل تحلق مدة طويلة فوق مكان الانفجار مما يجعل الحياة مستحيلة ، كما كان الكثير يعتقد أن اكتشاف القنبلة الذرية قد يؤدي الى انفجار الارض .

وبالرغم من أن العلماء قد بذلوا جهودا كبيرة لتنفيذ هذه القصص ، فانهم لم يستطيعوا أن يوقفوا تلك الشائعات ، وقد راجت أيضا شائعات براءة لا تزال موجودة حتى في أيامنا هذه عن التحسينات الكبيرة في مستويات المعيشة نتيجة لاستخدام الطاقة الذرية . ويرجع ذلك كله الى أن الناس لم يكونوا على استعداد لتقييم الاخبار التي وصلت اليهم عن هيروشيما ونجازاكي .

وتأخذ الشائعات عن فداحة الخسائر في الأرواح والمعدات جزءا كبيرا من شائعات الحرب ، ويرجع ذلك الى التوتر العاطفي للشعب نتيجة الخوف والقلق النفسي اللذين تسببهما الحرب .

وينتمي الى هذا النوع قصة من شائعة انتشرت في أثناء عملياتنا باليمن عام ١٩٦٤ وهي أن جميع المستشفيات العسكرية والمدنية امتلأت بالضباط والجنود الذين أصيبوا في معارك اليمن ، وأن المرضى المدنيين لا يجدون أماكن في المستشفيات نتيجة لاحتلال العسكريين محلاتهم ، بالإضافة الى الاعداد القليلة التي دفنت في أرض المعركة .

هذه الشائعة الخبيثة تتضمن عديدا من العوامل النفسية المعادية ، فان الذين خلقوها وروجوها يهدفون أولا الى بلبلة أفكار الشعب بأن هناك خسائر فادحة في أرواح أبنائهم الذين يحاربون في اليمن ، وبذلك يدقون اسفيننا بين الشعب وبين المسؤولين كما أنها تهدف الى بث روح الحقد والكراهية بين المدنيين

ضد الممكرين الذين يحرمونهم فرصة العلاج نتيجة احتلالهم المستشفيات ،  
وتهدف بطريق غير مباشر الى توجيه عداء مستشري كان نحو الحكم الذي يحمله  
مسئولية تلك الخسائر .

كما ينتمى الى ذلك تلك الشائعة التي تقول : « ان مدمرة عربية كانت تحمل  
قوات عربية عائدة من اليمن ومتوجهة الى الجمهورية العربية المتحدة ف ضربت في  
البحر وغرقت كما أنه لم يتم انقاذ أحد من ركاب تلك المدمرة ، ونتيجة لذلك  
قامت القوات العربية بتدمير جميع الجبانى التي كانت موجودة على الشواطئ  
القريبة من مكان الكارثة » .

ان الدافع وراء ترديد الشائعتين السابقتين هو عامل الخوف والقلق .

ويستغل مروجو الشائعات هذا العامل النفسى فى الناس لبت سمومهم  
القاتلة ، ففي القصة الاولى نجد أن تضخيم الخسائر فى الأرواح بنى على أساس  
أنه لابد من أن تحدث خسائر ما نتيجة أى معركة فاستغل مروجو هذه الشائعة  
عامل القلق والخوف لدى الشعب ، ونسجوا من خيالهم الخافد باقى القصة التي  
لا أساس لها من الحقيقة .

أما القصة الأخرى فهي قصة من نسج الخيال ، وليس فيها أى أثر من الحقيقة،  
فان قواتنا لم تخسر فى حرب اليمن أى قطعه بحرية ، كما لم يحدث لأى قوات  
لنا فى البحر أى خسائر .

ان القموض وجهل الناس بالأخبار ، ودوافع الخوف والقلق كلها لعبت  
الدور الكبير فى ترديد مثل هذا النوع من الشائعات .

ويعطى لنا البورت وبوستمان فى كتابهما « سيكولوجية الشائعة » قصة  
طريفة تدخل فى هذا النوع من قصص الخوف وانتشرت انتشارا واسعا عام ١٩٤٤  
وعرفت بقصة « السلال » . اذ قيل : أن امرأة تلقت من وزارة الحرب الامريكية  
رسالة تطلب فيها أن تقابل زوجها الجندي العائد فى محطة سكة حديد المدينة .  
وتقول القصة : أن المرأة ذهبت الى المحطة حيث سلم لها زوجها موضوعا فى سلة  
وقد بترت ذراعاه وساقاه .

هذه الشائعة كانت من نسج الخيال ، ففي مدة الحرب جميعها لم تحدث سوى حالة واحدة بترت فيها ذراعا رجل وساقاه • وحقيقة هذه القصة تختلف كل الاختلاف عن قصة الشائعة الاولى التي تنسب القسوة والوحشية الى وزارة الحرب • أن الحقائق المتعلقة بهذه القصة نشرتها الاسوشيتد برس فى ١٢ من أغسطس عام ١٩٤٥ على النحو التالى :

أحد قدامى الحرب الذى فقد ذراعيه وساقيه يتسلم ٦٠ر٠٠٠ دولار نقدا :

تسلم الشاويش فردريك هنسل وهو الجندي الوحيد فى هذه الحرب الذى فقد أجزاء من ذراعيه وساقيه فى المعركة - وكانت معه زوجته - مبلغ ٦٠ر٠٠٠ دولار بصفة هدية نقدية لهما بمناسبة الاحتفال بعيد زواجهما الثالث وذلك فى المستشفى العسكرى « بيرسى جونز » •

وكان هنسل قد صادف اعجاب الجماهير لدى وصوله هنا من أوكيناوا منذ خمسة أسابيع ، وكان قد أعلن أنه ينوى أن يعد مزرعة للدواجن بالرغم من إصابته •

واعترافا بشجاعته بدأ الناس من جميع أنحاء البلاد يرسلون له التبرعات لمعاونته فى مشروعه • فأرسلت له صحيفة ديترويت أكثر من ٢٦٩٢٠ دولار وأرسلت له شيكاغو هيرالد اند أميركان ٢٥ر٠٠٠ دولار • وقد جمعت له آل جرينبرج ولويس فيل ما يقرب من ٤٠٠٠ دولار وبلغت التبرعات المباشرة الى الزوجين أكثر من ٤٠ر٠٠٠ دولار •

ولم يذكر هذا البيان شيئا عن المساعدة الطبية والجراحية والمالية التى منحتها الحكومة لتأهيل هذا الجندي الشجاع •

## الشائعات الهجومية :

هناك عمل مضاد فى الحرب الحديثة لمواجهة الشائعات فى جبهة الوطن ، وهو عبارة عن شائعات هجومية موجهة ضد العدو • وفى الحرب العالمية الثانية



مثلا كانت سيكولوجية الحرب التي شنها النازي تتسم باستراتيجية « فرق تسد » كما تتسم باستراتيجية الرعب . ويصف لنا آدموند تيلور Edmund Taylor في كتابه « استراتيجية الرعب » كيف قام الالمان بالتمهيد لغاراتهم الجوية باشاعة روح الهزيمة والرعب عن طريق نشر القصص في نفوس ضحاياهم . واستمرت الشائعة نلوا الشائعة تروجها محطات الاذاعة في بولندا وفرنسا والأراضي الواطئة ، وقد كانت هذه الحكايات تقص قصص الغزو المنتظر كما كانت تحكى عن محادثات السلام الوشيكة الوقوع . كان هدفهم هو اشاعة : الارتباك ، والخيرة ، واضعاف الروح المعنوية . كما كانت هذه القصص تنشر الشك في اخلاص الحلفاء وقدرتهم على تقديم يد العون للبلاد التي تحتاج اليه . وفي نفس الوقت كانت القصص الكاذبة تنشر عن انتصارات بولندية وفرنسية كبيرة مما بعثت أملا غير مستند على أساس ، ثم أدى هذا بعد ذلك الى خيبة أمل ثم الى الرعب . وفي الايام الاولى من انتصارات النازي كانت دعاية الاذاعة النازية غاية في التنظيم ، بمعنى انها كانت تنوع طبقا للبلاد الموجهة اليها وللحالة الاجتماعية للجماعة التي كانت تحاول التأثير عليها . وعلى الرغم من أن هذه الدعاية لم يكن القصد منها ترويج الشائعات الا أن معظمها كان له هذا الأثر ، لأن الشائعة في زمن الحرب ليست الا دعاية أو قصصا دعائية تداولها ثلاثة أشخاص أو أربعة ، وكانت القصص المذاعة مختصرة وقصيرة ، سهلة التردد ، تنتقل بسرعة في هذا الجو الذي يتسم بالمفوض والذي يسوده التهديد بالغزو . وأعقب ذلك على التوالي الحوف والارتباك والاغراض المتناقضة والانسحاب غير المنتظم .

واذا قارنا استراتيجية الرعب باستراتيجية « فرق تسد » نجد أن الثانية تقتضى مكرًا وحيلة أكثر كما تحتاج الى تكرار أكثر . وتوضع الشائعات بحيث تثير العداوة داخل البلاد حتى يكون سقوطها بعد ذلك سريعًا . وقد قال هتلر ذات مرة أنه يفتخر بأن دمار أمريكا ستكون عملية داخلية . ولكنه كان يجب أن يعلم أن الشائعات المفرقة لم تكن كافية .

## استخدام الشائعات في الحرب :

لقد كان الألمان سادة الموقف في الحرب العالمية الثانية في استخدام الشائعات في الحرب النفسية . لقد تبينوا أن حملات الشائعات من أقوى الحملات تأثيرا على العدو ، فهي تصل الى السامع دون أن يبدو أنها دعاية ، وتجيء وحدها وكأنها تندفع بقوة متدفقة من داخلها .

ان أية أخبار مثلا كانت تذايع على الموجة القصيرة في ألمانيا أو أية قصة ينشرها عميل ألماني في صحيفة ببلدة محايدة - سرعان ما تبدو وكأنها صادرة من العدو ، اذ يضيع أصلها الألماني تماما في عملية تداولها .

والحقيقة أن السامع لا يمكن أن يطالب بالدليل ، لأن الذي يعرض مثل هذه الاخبار لا يزعم أن لديه أى دليل ، بل يوضح منذ البداية أن ما يقوله ما هو الا مجرد كلام سمعه ، وعلى هذا الأساس يكرره ويعيد تكراره . ان التصديق في مثل تلك الحالات أسهل من الكذب ولا سيما اذا كان الامل أو الخوف يعضد الشائعة .

وبوجه عام يمكننا تلخيص الاساليب التي تستخدم فيها الشائعة في حرب الكلمات فيما يلي :

### ١ - الاستخدام بقصد التفتيت Disruption

وبهذه الوسيلة تلعب الشائعة دورها في تدمير القوى المعنوية وتفتيتها .

لقد استعان الألمان بالشائعات في تفتيت معنويات الفرنسيين ، وخلطوا الشائعات المشائمة بالشائعات المتفائلة .

ففي طوال الاضطراب الذي سببه الهجوم الألماني على فرنسا كان كثير من الفرنسيين يتارجحون بين « الابتهاج » وبين « اليأس » ، وسرعان ما وصلوا الى درجة من الحيرة والقلق ، وأصبحوا لا يستطيعون أن يميزوا بين ما هو صادق وما هو كاذب .

وفي هذا الاسلوب يبدأ عادة رجال الدعاية بنشر الشائعات لايجاد جو من عدم الثقة بين الحلفاء ، ولزيادة التفكك داخل البلاد ، ويصبح من السهل تحريض المتعاون اللازم ، وذلك نتيجة مباشرة لازدياد الشك ، فان الشائعة لا تثبت اى شيء بل تؤدي عملها فقط لو استطاعت ان تخلق جوا من عدم الثقة .

## ٢ — استخدام الشائعة كمنارة دخان :

هذا الاسلوب يعتمد على حقيقة ان الشائعات يمكن ان تخفي الحقيقة ، فيقوم أحد الجانبيين المتحاربين بالسماح بنسب بعض المعلومات ، وبذلك يصعب على الجانب الآخر اكتشاف الاسرار الحقيقية من الاخبار الكاذبة .

لقد كان الاثنان سادة في هذا الاسلوب ، فقد كانوا يطلقون الكثير من الانباء المتناقضة من داخل ألمانيا الى البلاد التي يريدون ان يحدثوا فيها اضطرابا بين الناس .

## ٣ — بقصد الخط من شأن مصادر الأنباء :

ولهذا أسلوبه الخاص ، ففي السنة الثانية للحرب العالمية الثانية ، حاول البريطانيون عدة مرات أن يدمروا محطة المسكة الحديدية الرئيسية في برلين ، ولكنهم لم ينجحوا في محاولاتهم هذه ، وقام الاثنان بنشر تقارير غير مؤكدة توحي بأن الانجليز قد نجحوا في محاولاتهم .

وعندما وصلت هذه الشائعات الى بريطانيا ، اعتبرها الانجليز تأكيداً وثباتاً لنجاح محاولاتهم وادعوا هذا الخبر . وحينئذ اخذت وزارة الدعاية الألمانية بعض الصحفيين الامركيين الى المحطة الرئيسية لاثبات كذب الاداعة البريطانية ، وبذلك استطاع الاثنان أن يحطموا من شأن هيئة الاداعة البريطانية على أساس أن أنباءها كاذبة .

## ٤ — استخدام الشائعة كطعم Bait بقصد تبين الحقيقة :

وخير مثل لذلك ما قام به اليابانيون في الحرب الثانية ، اذ روجوا شائعات مبالغا فيها عن خسارة الامريكيين في الاشتباكات البحرية . لقد كانوا

لا يعرفون حقيقة خسائر العدو • وكانوا يهدفون من وراء ذلك الى أن يشيروا  
الامريكيين فيقوموا بنشر حقيقة خسائرهم •

ولقد نجحت هذه الوسيلة ، اذ أن انتشار هذه الشائعات أثر تأثيرا بالغا  
فى معنويات الأهلين ، مما جعل الحكومة الامريكية تسرع فى اذاعة الحقائق عن  
الخسائر رغبة فى دعم الروح المعنوية ، وبذلك استطاع اليابانيون أن يعرفوا  
الحقائق التى تهمهم •

## الشائعات والشغب :

على الرغم من أن الحروب وأعمال الشغب والكوارث والأوبئة كلها مدمرة  
فى حد ذاتها ، فإن دمارها يشتد اذا أضيفت اليها الشائعات •

وان كنا لانستطيع أن ندعى أن الشائعة هى السبب الوحيد أو الاصل  
للشغب ، فانه يجب أن نسلم بأنها تلعب دورا مساندا هاما فيها •

والحقيقة أن الدليل على ذلك واضح ومقنع لدرجة أننا نستطيع أن نقول :  
أن هناك ثمة قانونا سيكولوجيا اجتماعيا يقول « لا يحدث شغب دون أن تكون  
هناك شائعات تشبه وتصاحبه وتزيد من عنفه » •

وعلى العموم فهناك أربع مراحل لهذه العملية هى :

١ - قبل أن يبدأ الشغب تمر فترة يحدث فيها تملل نتيجة عدم  
الاطمئنان • وقد يأخذ هذا التملل شكلا قصصيا عن : التمييز ،  
أو الاهانات ، أو الافعال الخاطئة التى يتهم بها كل فريق خصومه •

وفى هذه المرحلة لا تختلف الشائعات الجارية عن القصص  
العدائية الانتمائية ، وتبدو كأنها ثرثرة يومية • ولكن حينما يزيد  
رواجها ، أو يشتد شرها فنحن نتوقع حالة تسبق الشغب • وهذه  
القصص العدائية فى حد ذاتها لا تؤدى الى العنف ، ولكنها فقط  
عبارة عن « بارومتر » يبين زيادة التوتر الاجتماعى •

٢ - وحينما تأخذ الشائعات طابع التهديد تشير الى قرب حدوث خطر ، وتنتشر الشائعات فى صور مختلفة : « سوف يحدث شئ اليلة فى ٠٠ أو لا تنس أن تحضر الى ٠٠ لترى ما سوف يحدث » .

ان هذه هى المرحلة التى يمكن التنبؤ فيها بقرب حدوث انفجارات الشعب ، وهنا يجب على الشرطة أن تنظم صفوفها حتى تمنع التهديد من أن يأخذ شكلا عمليا . ان منع الشعب يجب أن يتم قبل أن يبدأ .

٣ - وفى أغلب الاحيان تكون الشرارة التى تشعل فتيل البارود هى نفسها شائعة مشيرة . فالشعب الخطير الذى حدث فى القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ وأدى الى الحرائق المدمرة جاء فى أعقاب روايات مختلفة ردها الذين دبروا هذا الشعب لاثارة الجماهير .

وقد سرت هذه الشائعات بين الناس بسرعة البرق ، فانضمت الى أعمال الشعب ، واشتعلت الحرائق فى كثير من المؤسسات ، ونهبت محلات تجارية لا حصر لها ، وأتلفت بضائع تقدر قيمتها بملايين الجنيهات ، وكان أغلب الذين اشتركوا فى هذا العمل ممن يقاسون الفقر فانفجروا فى أعمالهم المخربة يدفعهم العوز والحاجة .

ويبدو أن أعمال العنف هذه لم يكن لها هدف معين ، بل كانت تسير حسب الظروف ، وهذا يبين لنا كيف أن عنف الجماهير يسير دون خطة ما ودون هدف فور ابتدائه .

٤ - وعند حدوث الشعب تروج الشائعات أسرع من رواجها فى أى وقت آخر ، وهى تعكس التعصب الشديد ، وأحيانا تكون كلها وليدة اخیال ، فتروج الشائعات عمليات تعذيب وقتل وتلبس ثوبا جنونيا يتفق ويبرز العنف الذى يحدث ويسرع فى عملية الانتقام .

ويذكر « لى » Lee وهامفري Humphrey (١) في أحد أعمال الشعب التى قام بها السود فى ديترويت بالولايات المتحدة ما حدث حينما وصلت أعمال الشعب الى ذروتها ، اذ انهال سيل من المكالمات التليفونية على شرطة ديترويت للتبليغ عن حوادث مزعومة . ففقد ابلغت احدى السيدات أنها رأت « بعينى رأسها » جماهير السود وهم يقتلون رجلا أبيض . وعندما وصلت سيارة النجدة الى المكان الذى قالت السيدة أن الحادث وقع فيه وجدوا بعض البنات يلعبن دون أن يكون هناك أثر لأعمال عنف سابقة . ان زعم السيدة أنها شاهدت الحادثة بعينى رأسها يوحى بأن الشائعة - بوحى من شدة التوتر والاضطراب - هى ظاهرة مرضية .

وكتب ليتون Leighton (٢) معلقا على هذه النقطة :

« يعرف الأطباء النفسيون الذين يقومون بوضع المرضى تحت ملاحظتهم أن هؤلاء المرضى نتيجة حالة من الذعر قد يسميئون تفسير أشياء عادية ويصورونها على أنها أشياء بشعة تهددهم . فصفير قطار من بعيد قد يرن فى آذانهم على أنه صرخة شخص يموت ، ورؤية شخصين يتحدثان معا توحى اليهم بأن ثمة شخصين يدبران تآمرا . والاكثر من هذا لوحظ أن بعض المرضى عندما يقعون فى حالة ذعر قد يخيل اليهم أنهم يرون أشخاصا قادمين لهاجمتهم فى الوقت الذى لا يكون فيه هناك أشخاص مطلقا ، أو قد تصل الى أنوفهم رائحة غاز أو دخان فى الوقت الذى لا يكون فيه أى غاز أو دخان . وقد يحدث نفس هذا الشئ للأفراد العاديين اذا كانوا فى حالة خوف شديد » .

وقد علم ليتون بمثل هذه الشائعات الوهمية فى أثناء تجربته عند عملية الجلاء الأمريكى اليابانى من الشاطئ الغربى . وفى أثناء الاضراب الذى حدث فى بوستون - أريزونا لاحظ المتظاهرون المضطربون وجود مدافع سريعة الطلقات مع الطاقم الذى يستعملها بالرغم من عدم وجود مدافع أو أطلقها . كان يخيل اليهم

(١) Lee A., M., and N. D. Humphrey, Race Riot, New York, Dryden Press, 1943.

(٢) Leighton, A. H., The Governing of Men, Princeton University Press, 1945.

أنهم يرون رجالا يحملون جثث الموتى فى أثناء الليل • كانوا يعتقدون أن السكان يموتون مثل الذباب بسبب حرارة الجو وسوء الطعام ونقص الرعاية الطبية • وكانت الأقاويل تنشر بأن الاطفال كانوا يهلكون فى غرفهم شديدة الحرارة • ان مثل هذه القصص تمثل المرحلة الرابعة من مراحل الشائعة •

وعندما تصل الشائعات الى المرحلتين الثالثة والرابعة فليس هناك من شىء يمكن للشرطة أو القادة المسؤولين أن يفعلوه لوقفها • ان الشىء الوحيد الذى يمكنهم عمله هو الحيلولة دون أعمال العنف، أما القصص الراجحة فليست الا تعبيرا شفويا عنه •

أما فى المرحلتين الاولى والثانية فيمكن أن تكون الشائعة بمثابة تحذير يمكن التعويل عليه من جانب الهيئات المسؤولة عن اقرار القانون الذين يمكنهم فى هذه الحالة - ودون أى تأخير - اتخاذ الخطوات الحاسمة نحو السيطرة على الجماهير المضطربة التى تسير بسرعة نحو ذروة الهياج والعداء التى وصلت اليها وعند ذلك لا يمكن السيطرة عليها •

ويمكن تطبيق نفس هذه القاعدة على أشكال كثيرة من الاعمال الادارية الاجتماعية • ففي الشركات التجارية وفى المصانع وفى المدارس وفى السجون وعلى ظهر السفن - أى فى أى مكان يعيش فيه الناس فى مكان واحد - تكون الشائعات بمثابة « الترمومتر » الذى يعبر عن رأى هؤلاء الناس ويرصد حالتهم العقلية • ان القصص العدائية الموجهة الى جهة من جهات العمل تشير الى ضعف الروح المعنوية داخل الوحدة • واذا زادت هذه القصص ولا سيما اذا ظهر فيها عنصر التهديد أو اذا كانت تنبئ بقرى حدوث قلاقل فانه يجب على المسؤولين عن الادارة أن يقرأوا فى هذا تحذيرا عن وجود توتر خطير فى الوحدة التى يعملون بها • وهنا يجب عليهم اتخاذ اجراء عملى •

## الشائعة والفكاهة :

قلما يخلو مجتمع من روح الفكاهة التى تعبر عن انطباعاته الاجتماعية وتفسر كثيرا من اخلاقه وسلوكه ومعتقداته • فالنكات والفكشات والفوازير

ما هي الا صورة من تلك الصور العديدة التي تسود كل المجتمعات تقريبا لتصوير  
أمانى المجتمع ورغباته ، وتعبّر من جهة أخرى عن ثقافته ومعتقداته •

والواقع أن هناك علاقة بين الشائعة والفكاهة، وبالرغم من أن الشائعة عبارة  
عن قضية مطروحة للتصديق ، وتنتشر مبسطة حتى يستسيغها الناس ، فإن  
هناك كثيرا من القصص تنتشر على أنها شائعات وتكون من وحي الخيال الصرف ،  
ولا تستهدف أكثر من الضحك •

ولكن بالرغم من ذلك فقد تحوى هذه القصص كراهية للحكم ، أو نقدا  
سياسيا ، أو قد تخفف عاطفة مكبوتة •

ولذا فمن نجد أن الفكاهات والشائعات يتشابهان تشابها عجيبا في  
الطريقة التي ينتشران بها ، وكذا الأهداف الذي يحققانه •

فقصة الصياد والسمة التي تعبّر عن نقص مواد التموين قديمة كما نعرف،  
ولكنها تتكرر في أشكال مختلفة كلما شعر الناس بنقص فى احدى مواد التموين،  
فتظهر من آن لآخر وتحوير سهل •

وكلنا نذكر أن هذه القصة انتشرت بشكل واسع فى أثناء الحرب العالمية  
الثانية وبعدها فى أوقات بعيد بعضها عن بعض •

ان هذا المثل يبين العلاقة السيكولوجية بين الفكاهة والشائعة ، فقد  
تستخدم هذه أو تلك كأداة للتعبير عن شعور الفرد الخاص دون أن يفصح الراوى  
صراحة عن كنه شعوره • فالشخص الذى يسيطر عليه فكرة الجنس مثلا لا يعترف  
بهذه الحقيقة صراحة ، ولا حتى لنفسه ، ولكنه لأنفه الاثار يندفع فى رواية  
الفكاهات الجنسية ، أو يلجأ الى التحدث فى الفضائح الجنسية •

وفى القصة التالية التى ظهرت فى كل من الحربين العالميتين الاولى والثانية  
مثل واضح يبين العلاقة السيكولوجية بين الشائعة والفكاهة •



فقد ذاعت في بريطانيا في أعقاب الحرب العالمية الاولى قصة فحواها أن رجلا انجليزيا كان يستحم في بحر المانش ، وكان يرتدى لباس بحر اقترضه من صديق أمريكي . وكانت « فائلة الاستحمام » منقوشا عليها العبارة الآتية : « لقد سميت أمريكا أطرب » ونادى الصديق على صاحبه الانجليزى تحذرا اياه من سمك القرش . فرد عليه الانجليزى وهو يشير الى الكتابة المنقوشة على الفائلة قائلا : « لست أخشى شيئا . فليس هناك سمك يرضى أن يتلع مثل هذا الكلام » .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية راجت قصة تقول أن أمريكيا كان على وشك الاستحمام على شاطئ ميامي وكان يرتدى فائلة استعارها من صديق انجليزى . ولما حذروه من سمك القرش مضى قائلا : « لا تقلقوا فليس هناك سمك يرضى أن يتلع مثل هذا الكلام » وأشار الى كتابة على الفائلة تقول « سوف تكون هناك بريطانيا دائما » .

ان هذا المثل من الشائعات هو الذى أطلق عليه بيساو اسم « الشائعات الفائصة » حقيقة وليس مجازا . فقد غاصت القصة في أعماق المحيط الاطلسي لتظهر في الجانب الآخر منه في قارة أخرى بعد جيل من الزمان . وفي خلال غوصها قلبت اتجاه الفكاهة التي تحتويها ووضعت ضحية مكان ضحية أخرى .

وتعتمد كل الشائعات الفائصة على تكرار الاحوال السيكولوجية ، فالاحوال في شائعة تتشابه مع الاحوال في الاخرى . فكان من نتيجة تحالف البريطانيين مع الامريكيين أن أصبح محتما أن يهيموا معا في مناسبات عديدة . وحتى الافراد الذين لم يكونوا يستشعرون الحب نحو الفريق الآخر بسبب تحيز كل فريق لبلاده كانوا مجبرين على الاشتراك معا في أوجه نشاط واحدة . وترمز استعارة لباس الاستحمام الى هذه الفكرة - فكرة الاتصال الوثيق والصدقة - التي تنكرها الشائعة . ومن بين ما تتسم به هذه القصة أنها تعكس هذه الحالة المزدوجة من العلاقات بين البلدين المتحالفين : عداء وصدقة .

وتعتبر هذه القصة من النوع « العدائي » وان كان عنصر العداوة فيها ليس حادا . والعاطفة التي تعبر عنها ليست الكراهية نحو الفريق الآخر قدر السخرية

من غرور الفريق الآخر والمنافسة التي بينهما • وعلى عكس معظم الشائعات  
الأخرى فهذه الشائعة بها فكاها • ولولا أن فكاها هادفة لما عاشت لأن درجة  
أهميتها تافهة - نسبيا - للرواة •

على أن ما تشير إليه هو أن الظاهرة الفكاهية تبرز في هذه القصة لدرجة  
أننا نجد أنفسنا على حافة « الشائعة » • فالقارئ الفطن قد يقول : « ان هذا  
المثل لا ينطبق عليه تعريفنا السابق » ان الشائعة قضية للتصديق » ان المفروض  
فيمن يستمع الى هذه القصة أن يضحك « لا أن يصدق » • ان القارئ الذى يقول  
هذا على حق • فليس هناك خط فاصل بين الشائعات والفكاهة • ولو أن الثانية  
تميل الى الخيال بينما تميل الاولى الى الجدية • ولكن في هذه القصة - كما في كثير  
غيرها - نرى الخيال يعبر عن العداء الحقيقي تحت ستار الفكاهة • فراوى القصة  
يقول بطريقة تقييمية تخيلية : « يا لهم من بلهاء هؤلاء الأمريكيون أو البريطانيون  
المغرورون ! » • والحقيقة أن هذه القصة وان كانت لا تعتبر شائعة بكل ما في  
هذه الكلمة من معنى إلا أنها تسلك مسلك الشائعه •

ولقد قام الاستعمار والرجعية بترويج كثير من الشائعات العدائية ضد نظام  
الحكم في مصر فى شكل نكات بذيئة ، وتضافرت جهود أعداء الوطن على نشرها  
بين الناس ، وهذا النوع من القصص يطلق عليه اسم « الفكاهة ذات المآرب »  
فبدلا من أن يصرح الرجعى أو الانتهازى بأنه يكره النظام ، يلجأ الى رواية هذه  
النكات التي تعبر عن أمانيه الشريرة •

ومن الغريب الممخزى أن هناك سفارة أجنبية فى القاهرة كانت تستخدم  
النكات كوسيلة من وسائل الحرب النفسية علينا ، وكان بها قسم خاص وظيفته  
خلق الشائعات وترويجها فى شكل نكات يساعدها فى ذلك شرذمة من الخونة  
والمأجورين •

ان كل مصرى حر يجب أن يضع فى ذهنه أن مثل هذا النوع من النكات  
لا يهدف الى التسلية ولا الى الضحك ، انما يحول بين طيابه ورغبات العدو وأمانيه  
فى تفتيت عضد الجماعة ، وبث الفرقة بين أبنائها ، وهز الثقة فى قادتها والمسؤولين •

## أثر الشائعات على الروح المعنوية :

ويمكننا الآن أن نقف لحظة لتساءل : « ما آثار هذه الشائعات على الروح المعنوية القومية ؟

الواقع أن الشائعة في مضمونها تلعب دورا كبيرا في التأثير على معنويات الشعب وان اختلفت درجة تأثيرها تبعا لنوعها والدوافع التي تكمن خلفها •

فشائعات الخوف - مثل شائعات الاماني - لها تأثير كبير على الروح المعنوية في جبهة الوطن ولا سيما في أثناء الحرب • ان النوع الاول من شأنه أن يشيع عدم الثقة في جدوى المجهودات العسكرية ، وهذا يؤدي بدوره الى اشاعة الروح الانهزامية •

أما شائعات الاماني فهي تؤدي الى هدوء من نوع ضعيف ، لما فيها من تفاؤل • ولكن هذا الهدوء الشكلي قد يحمل بين طياته موطن الخطر ، فقد يصدم الانسان بالانباء السيئة اذا كان متوقفا أحداثا تفاؤلية ، ومن ناحية أخرى قد لا يكثرث بما يحمله له المستقبل • وعلى هذا الاساس فان الناس عندما يصدقون الشائعات التي تروج النجاح المرتقب ، أو قرب نهاية الحرب فانهم يميلون الى التكاسل بمجهودهم وتضحياتهم •

ومع أن شائعات الخوف يمكن أن يتقبلها الناس تقبلا سلبيا برغم أنها محتالة مخادعة ، فانها تستطيع أن تحطم ثقتهم ببطء • ومع هذا فان هناك شائعات أخرى تأخذ شكلا استفزازيا • هذه الشائعات هي التي تبعث الذعر وتعمل على نشره مثل الشائعات عن هزيمة عسكرية أو عن اقتراب قوات العدو •

والخطر هنا خطر حقيقي مباشر ، وهو كذلك واضح محسوس ذلك لان من يسمح مثل تلك الشائعة قد يقوم بعمل عنيف ومفاجيء كأن يسارع بالفساك والهجرة ، فيجمع القليل من أهم ما في حوزته من ممتلكات ويسارع الى ترك المدينة أو القرية مع أسرته • وهو بتصرفه هذا انما يخلق شائعة مادية قد تجعل باقي الناس يتصرفون مثله •

ويكون التركيب المكون من هؤلاء المهاجرين على الطريق أفضل الشائعات صلاحية ، اذ يشكل نموذجا واضحا مرئيا لا يحتاج الى أى كلمات تصفه .

وبالرغم من أهمية أثر شائعات الخوف وشائعات الاماني بالنسبة للروح المعنوية القومية فانها تعتبر طفيفة نسبيا اذا قورنت باثار النوع الثالث الذي يعتبر من أخطر انواع الشائعات ، ذلك لانها تهدف الى اثاره الفرقة والعداء بين الدول الصديقة ، أو بين الجماعات المختلفة في داخل الدولة .

وعلى سبيل المثال كان هناك داخل ارض الوطن سبل من الشائعات لا يقطع ضد أولئك الابطال الذين يقومون بالضححية في ارض اليمن في سبيل نصره المبادئ الانسانية ، ودفاعا عن العروبة من الرجعية والاستعمار . ان قصص هذه الشائعات تشكل أثرا ضارا للوحدة القومية ، وتسبب انقساما بين صفوف الشعب ، بل تدعو الى الروح الانهزامية التي يهدف اليها أعداء هذا الوطن .

وفيما يلي قلة من هذه الشائعات التي راجت في أثناء وجود قواتنا المسلحة بارض اليمن :

- ♦ ان ارتفاع الاسعار يرجع الى استيلاء القوات المسلحة على معظم موارد التمرين .

- ♦ ان الضباط والجند يحصلون على امتيازات لا يمكن لغيرهم أن يحصل عليها .

- ♦ ان الجيش يستهلك كميات كبيرة من اللحم مما أدى الى نقصها بالسوق .
- ♦ ان القوات الملكية باليمن تقوم بشراء الاسلحة من المصريين هناك .
- ♦ ان بعض الضباط والجند يقومون بعمليات تهريب من اليمن .

ومما لا شك فيه أن هذه الشائعات افتراءات خبيثة ومن نسج خيال أعداء الوطن الذين يحاولون أولا أن يردوا اسفينا بين الشعب وقواته المسلحة التي

هى بمثابة الدرع الذى يدفع عن حقوقه ومكاسبه ، كما أنها من ناحية أخرى تهدف الى الخط من شأن قواتنا المسلحة وأفرادها بالصاق تهم وفري كاذبة قد تسبب روحا انهزامية وهو ما يهدف اليه كل عدو أو خائن .

على أننا فى هذا المجال يجب ألا نفعل نوعا من الشائعات قد يبدو لنا أثره ضعيفا بالنسبة لمعنويات الشعب برغم أنه يسبب خسائر لقواتنا المسلحة .  
ونعنى بهذا النوع من الشائعات شائعات التثيرة وحب الاستطلاع .

فبعض الناس يحاولون أن يكتسبوا الثقة عن طريقة ايجائهم للناس بأنهم على علم بأسرار بالغة الأهمية . وهم بترديدهم هذه الاخبار يعملون على تجسيم الشائعة ونموها نتيجة التكرار ولا يحس من ينشرها بمسئولية ، فهو مطلق الحرية فى أن يجعل رغباته ومخاوفه وعداءه تعمل عملها .

وعلى سبيل المثال نذكر بعض أنواع تلك الشائعات :

♦ يقال انه قد تم تشكيل فرقة جديدة فى منطقة كذا استعدادا للعمليات .

♦ أبحرت البارجة كذا أمس الى اليمن وعلى ظهرها وحدة كذا .

♦ يقال أنه صدرت الاوامر أمس باعلان الطوارئ فى القوات المسلحة .

ان ترويج هذا النوع من الشائعات – بالرغم من أنه قد لا يحمل بين طياته آثار التخريب المباشر – خرق لشئون الأمن القومى الذى يحاول العدو دائما أن يخترق حاجزه ليعرف الكثير مما يهمه .

ومهما يكن من شئ فان الشائعات بأنواعها حية رضاء تستطيع أن تنفث سمومها فى كل قطاعات الدولة ، وهذه السموم التى اذا لم يتكاتف كل أفراد الشعب فى مقاومتها ودرئها بكل عنف وقوة تقضى على الروح المعنوية القومية لأى أمة ، يمكن لها أن توقف انطلاقها وتشمل تقدمها ورفاهيتها .

## كروية الارواح

### الإنشاعة كأساس للتصديق :

ظل الناس طوال عصور التاريخ يتساءلون : « ما الحقيقة وما الواقع ؟ » ولم يستطع الانسان في حياته اللجوء الى الارض الى اجابة محددة . لقد اختلفت الاجابات عن هذا التساؤل اختلافا بينا سواء جاءت هذه الاجابات على لسان رجال الدين أو الفلاسفة أو العلماء . ومن المسلم به أن يقع ذلك في كل المجتمعات ، غير أننا لن نحاول أن نتعبه فيها جميعا ، وإنما سنقتصر على توضيح نمط التفكير في المجتمع المصري ، على أن ننظر في هذا المجتمع الى الأشخاص والأشياء .

وإذا كان علماء النفس قد أكدوا أهمية عملية تلقين الطفل في سن مبكرة فإنه يكفي هنا أن نقول : أن معظم هذا التلقين ينبثق من الأسرة ، والأسرة عندما تتنازع بالترابط الوثيق ، ولحب المتبادل بين أفرادها، ومحاولة الأبناء تقليد الآباء . والطفل في سن مبكرة يحاول أن يحصل على اجابات متعددة عن أسئلته، التي تبدأ بكلمة « لماذا ؟ » ، وغالبا ما يحاول أحد الوالدين أن يثنيه عن ذلك ، بل قد يلام في بعض الاحيان على بعض تلك الاسئلة ، فكان عليه أن يتعلم « لا ينبغي » و « ليس من اللائق » حتى لا يخوض في الأمور أكثر مما يجب !

ثم يتعلم الطفل فيما بعد عن طريق ما يروى أمامه أو ما يسمعه من أفرادها  
أنماطاً مختلفة مثل :

« انهم يقولون \* \* \* \* \* »

« لقد سمعت اليوم أن \* \* \* \* \* »

« أظن أن \* \* \* \* \* »

« ان الاذاعة تقول والتلفزيون يقول \* \* »

« سمعت من الجار أن \* \* \* \* \* »

وفي سن السابعة تقريباً ، يكون قد ألف قبول ما يسمع من أفراد أسرته  
عن كل الامور تقريباً ، وهو يحفظ القصص منها لانها تعيش في عالم كله قصص  
وروايات ، وتلك عادة ليست خاصة بمجتمعنا وانما هي ظاهرة عامة مرتبطة بميل  
غريزي في الانسان لسماع الروايات المختلفة .

وفي كتاب « الفلسفة في سبيل جديد » تقول سوزان ك. لانجر عن  
احتياجات العقل البشرى : « ان المخ يؤدي عملاً يشبه عمل الكليتين والواعية  
الدموية ، ولا يستغرق المخ في سبات عميق حتى اذا لم يكن له هدف واع يخدمه ،  
فالمخ يمضي طوال الوقت في انتاج مختلف الافكار التي لا يستخدمها الفرد سواء  
كان نائماً أو مستيقظاً » .

والحقيقة أن الدلائل تدعم هذه النظرية ، فلو أن المخ البشرى كان مجرد  
أداة للنقل وليس أداة للتحويل لما أصبح للشعائر الدينية والموسيقى ، والفنون  
وكثير من أوجه النشاط الانساني الاخرى معنى بالنسبة للانسان ، بل كان من  
المحتمل ألا يمارسها .

ان جانباً ضئيلاً - وان يكن هاماً - من السلوك البشرى هو الذى يستهدف  
الاهداف الواعية ، وتقول لانجر : « عادة ما ينتهى التفكير عندما تبدأ عملية الرمز

من خلال الكلام ، وهذا الرمز في حد ذاته هو - أساسا - وسيلة من وسائل الرقابة الاجتماعية » •

ولا شك في أن الرموز التي تتسابق في العقل البشرى لابد لها من هدف • ومن الواضح أن الخوف هو القوة الدافعة في العقول البشرية ، ذلك الخوف الذي تتولد عنه رغبة ملحة في أن يؤكد المرء ذاته وسط هذا العالم المشحون بالاهوال والاطار • وهنا يقرر النمط الثقافي للإنسان وسيلة التعبير عن هذا السيل من الرموز ، فقد تلجأ جماعة الى استغلال الدين ، وأخرى السياسة ، والبعض الآخر قد يلجأ الى مختلف أنواع السلوك التي سجلها علماء الانسان « الانثروبولوجيا » •

والشائعة لون من ألوان خلق الرموز ، كما أنها نوع من أنواع الحياة الخيالية ، وهي بهذه الصفة شبيهة بالحلم •

ويقول روبرت هـ • ناب<sup>(١)</sup> « تتولد الشائعة من الرغبة في تفسير العالم تفسيراً ذا معنى ، وكذا من الرغبة في نفس الوقت في ارضاء النزعات الانسانية أو التعبير عنها » •

ووظيفة الشائعة هي التعبير العاطفي والتفسير الادراكي • ان الشائعات تعيش على الغموض وعلى النزعات الحادة •

ويقول أولبورت وبوستان في كتابهما سيكولوجية الشائعة « انه لا ينبغي في أى ظرف من الظروف ، اعتبار الشائعة مجرد شيء غريب مستهجن طالما كانت وسيلتها المميزة في تشويه الذاكرة ، وفي تعمد النسيان ، وفي التخيل والتبرير هي نفس وسيلة التشويه التي نجدها في معظم أشكال الاتصال بين البشر » •

والحقيقة أن جميع الناس في أى مجتمع ، وفي أى زمان مهئون لتلقى الشائعة وتصديقها ، لانه ليس لديهم من الوقت ما يسمح بمراجعة ما يسمعون وطرحه

---

(١) Knapp, R. H., A Psychological Rumor, Public Opinion Quarterly, 8, 23-37. 1944.



على معايير الصديق ، فضلا عن أنه يصعب عليهم اثبات تكذيب الشائعة . ومن جهة أخرى كانت صورة العالم فى الماضى غامضة فى ذهن مختلف الشعوب تبعاً للمساحات الشاسعة التى كانت تفصل بعضها عن بعض ، ونتيجة لضعف وسائل الاتصال ، بل لا نكون مباهقين اذا قلنا : انه حتى فى الشعب الواحد كانت هناك عزلة أو شيء كالعزلة . وفى مصر كانت القرية الى عهد قريب تعتمد فى أخبارها على منادى القرية الذى كان يحمل طبلته ليبلغ أهلها بطريقة الخاصة أخبار القرية وما جاورها من أحداث تهم حياتهم اليومية ، وكانت القرية المصرية فى مثل هذا الوقت منفصلة عن غيرها ولا تعرف عن أخبارها أو ما يدور فى العاصمة بأكثر مما يحمله اليها وافد عليها فى عمل رسمى ، أو أحد أبنائها الذين يقيمون فى المدينة .

كل هذه الظروف قد ساعدت الى حد كبير على تهيئة جو الغموض مما كان يشجع على تصديق أى شائعة تأتي من خارج الحدود المحلية والاقليمية .

ولكن فى عصرنا هذا نتيجة للتقدم العلمى الكبير، ونظراً للتطور التكنولوجى فى الاختراعات الحديثة أصبح حجم العالم أصغر بكثير مما مضى، واستطاع الانسان أن يعبر محيط الجهالة السابقة . ولعبت هذه الاختراعات دوراً كبيراً فى معركة الشائعات ، فقد قللت أجهزة الاعلام من : صحافة ، وإذاعة ، وتليفزيون ، وكذا وسائل الاتصال من : تليفون ، ولاسلكى ، وطيران الى حد كبير على اعتمادنا على الشائعة . وأصبح يبدو وكأن العالم لا بد أن يعتمد على الحقائق أكثر من الشائعات، اذ لا نستطيع أن ننكر قيمة هذه الوسائل فى إمالة النشام عن أى غموض، ولا يمكننا أن ننكر من جهة أن الحقائق الموضوعية الخاصة بالاحداث التى تهم كياننا من : سياسية ، واقتصادية ، وعلمية ، وغيرها أصبحت من اليسير معرفتها فى الوقت الحاضر بدقة وسرعة أكثر من ذى قبل .

ولكن هذه الاختراعات سلاح ذو حدين، فهى من جهة توضح الغموض ، ومن جهة أخرى أداة إثارة ، ومع اتساع أفقنا فى التفكير واهتمامنا بالاحداث العالمية تتسع مناطق الغموض .

فاذا أضفنا الى ذلك أن حاجتنا العاطفية لا تختلف عن حاجات أجدادنا، وأن غرائزنا ودوافعنا لا تختلف عما غرسه الله في آدم وحواء ، فإننا لا نستطيع الا أن نوكد أن للشائعة نفس الدور الذي كانت تلعبه في الماضي في المجتمع ان لم يكن أكثر بكثير .

## الشائعة كصورة من صور الرأي العام :

قام البورت وبوستمان بتحليل واسع لطبيعة الشائعة، ومما قاله « اننا نعلم أن الشائعات المتعلقة بموضوع ما سوف تنتشر داخل جماعة معينة بنسبة الاهمية ومدى غموض هذا الموضوع في حياة أفراد هذه الجماعة » .

وحقيقة أننا لا نهتم بإطلاق الشائعات عن أمور تافهة ، كما أنه ليس مما يستحق العناية أن نحاول إطلاقها في أمور لدينا عنها معلومات واضحة ، أما الحدث الهام الذي نفتقر فيه الى المعلومات عنه فهو موضوع نموذجي لإطلاق الشائعات عنه .

فمثلا في أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ انتشر كثير من الشائعات بين الناس ، اذ كانوا يجهلون أغلب تفاصيل العمليات الحربية استنادا لدواعي الأمن ، ولكن الحدث كان من الأهمية والخطورة بما يكفي لاثارة خيال الرأي العام .

ومن هنا يمكن أن نقول : ان الشائعة تنتشر لانها تؤدي وظيفتين متلازميتين: أولاها تفسير مظاهر التوتر العاطفي التي يحسها الأفراد ، والاخرى التخفيف عن هذه المظاهر .

وقد أشرف هذان الباحثان أيضا على عادة دراسات تجريبية عن كيفية انتقال الشائعة ، وعن التغيرات التي تحدث في أثناء انتقالها من فم الى فم .

فمن التغيرات التي تحدث في أثناء عملية النقل وجد أن الناس تميل الى اختزال ذكرياتهم أكثر من ميلهم الى زيادتها ، كما أن جزءا كبيرا من المادة يحذف

أما التفاصيل فكانت تسقط الى درجة ملحوظة ، ومن ثم فإن الشائعة فى انتقالها تستمر فى حجب بعض تفاصيلها الاصلية وتزداد اختصارا فى جوهرها .

كما أن هناك تغييرات أخرى تحدث فى أثناء الانتقال من حيث الانتقاء والحفظ والتذكر ، أى من حيث قدرة الادراك على حفظ عدد محدود من التفاصيل من نص أكبر ، ومن ثم فإننا نجد أنه بينما يتم اسقاط بعض التفاصيل ، فإن بعضها يظل ثابتا حتى النهاية . ويقول هويل Whipple (١) فى هذا الصدد :

« تنشأ الرواية الخبرية من عمليات ادراك المحسوسات ، وعلى ذلك فهي تتضمن الشعور ، والانتباه ، والترابط الحسى . وهى تدور حول الحفظ والتذكر وعلى ذلك فهي تتضمن سيكولوجية الذاكرة . كما أنها تعبر عن نفسها بالكلام ، وعلى ذلك فهي تتضمن سيكولوجية اللغة والتعبير . وهى مشروطة بعوامل ذاتية عديدة وميول مزاجية وعواطف وقابلية للاستجابة » .

على أن هناك تغييرات أخرى تحدث فى أثناء انتقال الشائعات . هذه التغييرات تحدث نتيجة تأثير عادات الجماعة وتقاليدها التى تنتشر بينها الشائعة ، فإن الشائعات من نتاج المجتمع ولا بد لها من أن تكون مشبعة بثقافته ، ولها دلالات عامة معبرة عنها ، ولذا فغالبا ما يكون لها لون معنوى أو أدبى نابع من ثقافة هذه الجماعة .

وعلى سبيل المثال طلب فى إحدى التجارب التى أجريت فى الولايات المتحدة الى أحد الافراد أن ينظر الى إحدى الصور ويذكر تفاصيلها الى شخص آخر كان عليه بدوره أن ينقلها الى شخص ثالث . كانت هذه الصورة تمثل شخصا أبيض يواجه أحد السود وقد شعر مدية فى وجهه . وفى خلال عملية انتقال تفاصيل الصورة من شخص الى آخر انتقلت المدية ببطء من الرجل الأبيض الى يد الأسود طبقا لآراء الأبيض السائدة فيما يتعلق بمسلك السود .

---

(١) Whipple, G. M., The Observer as Reporter, A Survey of The Psychology of Testimony, Psychological Bulletin, 6, 183 - 170, 1909.

وفي تطبيقنا هذه التجربة على الشائعة يمكننا أن نقول :

« عند قيام شخص بنشر شائعة فإن لب المعلومات الموضوعية التي سبق أن تلقاها أصبحت ثابتة وراسخة جدا في حياته العقلية النشطة لدرجة أن الناتج لابد أن يكون حصيلة هذه المعلومات » •

وبعد هذا العرض العادي يمكننا أن نسأل : كيف يمكن أن تكون الشائعة نوعا من أنواع الرأي العام ؟

ان الشائعة تنتشر عن طريق الشعب ، فهي تعيش عليه • انها تؤثر على الافكار وتضبط مجالات نشاطه • ولكن بينما ينمو الرأي العام ببطء فان كثيرا من الشائعات تخرج فجأة بصورة غير متوقعة ، وهي تنمو بصورة فجائية مثيرة • ومن هنا يمكن أن نطلق عليها « الرأي العام الطارئ » حيث نجد أن الوصول الى اجماع عام قد تم في غمضة عين دون حاجة الى القيام بعملية مجهزة من عمليات التقييم كما في حالة الرأي العام •

ولكن كلا النوعين يرتفع الى درجة هامة في حياة الشعب ، وكلاهما وسيلة للتنفيس عن الطاقة الكامنة ، وكلاهما من وسائل العرض وسبل له ، كما أنهما يؤثران على الجو المحيط بالبيئة والمجتمع •

على أننا لكي نوضح أن الشائعة يمكن استخدامها كدليل للرأي العام يجب علينا أن نحدد مظاهرها وهذه المظاهر تأخذ في العادة ثلاثة أشكال هي :

اعداد الذهن ، حدة الشائعة ، استيعابها •

فالشائعة عند انتشارها تحاول أن تعد أذهان الناس ، وهي في هذا المظهر تكون قصيرة واضحة سهلة الفهم والالقاء ، وتستخدم القليل من الكلمات والمعلومات كما تقل فيها التفصيلات •

أما ظاهرة « الحدة » فهي أن تصبح الشائعة حادة عن طريق اختيار بعض التفصيلات القليلة من موضوع الشائعة مع الاطاح عليها ، وغالبا ما تكون هذه التفصيلات ذات أهمية بالنسبة للشخص الذى ينقل الشائعة .

أما ظاهرة الاستيعاب فهي الظاهرة النهائية أى حينما يفهم الافراد عناصر الشائعة التى تدخل فى تفكيرهم وتضيق أساسا من مكونات هذا التفكير ، ومن ثم تصبح أكثر تماسكا واكتسابا لعقيدة الناس ، كما تعبر عن نفسها على شكل انعكاس لمواظف الشخص والامور التى يتخيز لها .

ومن هنا يتضح لنا أن الاعتقاد فى شائعة ما ونقل مضمونها هو أمر من الأمور التى تتعلق بدوافع الفرد ، ومستوى القيم التى يتمسك به ، وكذلك بحالته الذهنية والعاطفية .

ولما كان سلوك الفرد يتأثر إلى حد كبير بالسلوك الجماعى كما أنه يكون جزءا من رأى العام ، فلا بد أن يكون لانتشار الشائعة أهمية كبيرة فى استحداثها كدليل للرأى العام .

ونضرب لذلك مثلا بالشائعة التى انتشرت فى مدينة برلين بعد الحرب العالمية الثانية فكان لها ضجة كبيرة داخل المجتمع الألمانى وخارجة وأثرت على السلوك العام تأثيرا بالغا .

وقصة هذه الشائعة أن رجلا كيفما كان يسير فى طريقه وهو يتحسس الطريق . وحينما كان ينتظر ليعبر الطريق عرضت عليه سيادة أن تساعدك فشكر لها مساعدتها له وسألها اذا كان فى إمكانها أن توصل رسالة منه الى شخص فى مكان على مقربة من المكان الذى كان يسير ان فيه . ووافقت السيدة على ذلك وسارت فى طريقها ولكنها انفتحت خلفها فوجدت أن الرجل الذى كان يتحسس طريقه منذ لحظة راح يجرى بسرعة مذهلة ولم يكن يحمل الالافقة التى تبين أنه كفيف . وهنا ثار الشك فى نفس السيدة فذهبت الى قسم الشرطة

لتبلغ عما حدث . وقد وجد أن في المنزل الذى أعطاها الرجل عنوانه جثة آدمى أعدت للبيع على أنها لحم عادى ، وبفض الرسالة التى أعطاها الرجل للسيدة وجد رجال الشرطة بداخلها : « أن هذه هي آخر جثة اليوم » .

والواقع أن هذه القصة تمثل رد فعل عام ناتج عن التوترات النفسية وعن القلق الذى كان يسود مكانا معينا فى فترة معينة ، وهى تعكس التصدع الذى أصاب الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى برلين نتيجة لسلسلة من الكوارث التى لم يسبق لها مثيل من أعمال التعذيب الوحشية وضرب بالقنابل ، ومجاعة وهزيمة ، كما أن الشعب كان فى حالة توتر دائم من التفكير طوال الوقت فى الطعام . ومن ثم فإن رخص قيم الحياة والتمثيل بأجسام الناس تمثيلا وحشيا فى معسكرات الاعتقال وفى الضرب بالقنابل قد أصبحتا يكونان جزءا اضافيا فى عملية الادراك الحسى المباشر . كما أن صفة الوبال المتزايد التى تتصف بها هذه القصة يجعل لها قبولاً عاطفياً اذ لا يمكن انتشار مثل هذه القصة فى جو يسوده الاستقرار الاجتماعى وعدم القلق والخوف . ولذا نجد أن القصص الوييلة هي أهم أنواع الشائعات وأكثرها انتشارا اذ انتشرت الظروف المحزنة حيث يجد الناس عن طريق هذه القصص تخفيفا عن عواطفهم القائمة كما يجدون لها مبررا وتفسيرا .

وخلاصة القول أن الشائعة رأى يتقبله الشعب عن رغبة ، لأنه يخدم احتياجاته الخاصة فى أوقات معينة .

## لماذا تنتشر الشائعات ؟

والآن يمكننا أن نتساءل . هل يصدق كل الناس الشائعة وهل يعمل أى فرد على ترديدها ونشرها ؟ الواقع أن الشائعات غالبا ما يرددها ويصدقها أغلب الناس حتى أولئك الذين لا يصدقون ما يحكيه غيرهم ، فعادة ما تخرج الشائعة بطابع التشويق ، لأن الذين يعملون على خلتها وترويجهها يبذلون أقصى جهدهم فى صياغتها بشكل يحقق رواجها ونشرها مستغلين فى ذلك ما يخنلج نفوس الناس من خوف وشك وآمال وأحلام يقظة ونحو ذلك مما لا يستطيعون النطق به مباشرة أو التعبير عنه علانية .

فلو فرضنا أن جنديا لا يجب قائله المباشر لأنه يعتقد أنه يعامله بقسوة أو أنه غير عادل ، فإن هذا الجندي لن يقوم بعمل مباشر ضد قائده ، ولن يتقدم لمهاجمته ولن يحاول أن يقول له رأيه فيه بصراحة . ولكن لو حدث أن سمع هذا الجندي شائعة بأن القائد الذي يكرهه أو يخشاه قد وبخ أو زجر من رياسته وأن من المحتمل اعفائه من قيادته ، فإنه غالبا ما يقوم بترديد هذه الشائعة دون أن يشعر بالذنب ، فهو يعتبر نفسه غير مسؤول عن هذه القصة على أساس أنها مجرد كلام يردده الآخرون . على أنه من جهة أخرى فإن انصاته لهذه الكلمات وفي نقله لها يحقق الرضا النفسي ، فهو يأمل أن تكون الأخبار حقيقة واقعة لأنها تـس رغبة تكمن في داخله .

وشبيه بذلك يحدث في الحياة المدنية في أى مكان يلتقى فيه الناس لمجرد تبادل بعض الكلمات والأحاديث العابرة ، أو لمناقشة بعض الأمور التي تهمهم . فالعمال مثلا عندما يجتمعون في أثناء الطعام في فترة الظهيرة يتحدثون كثيرا عن مشكلاتهم أو عن الاسلوب غير العادل الذي تسيـر به الاعمال ، والطوائف المختلفة عندما تجتمع في أنديةهم تسرى بينهم كثير من الشائعات عن أمور تتعلق بمصالحهم ، أو عن أحداث جارية في المجتمع .

وقد سبق أن أشرنا أنه في بعض الاحوال تروج الشائعات وكأنها حقائق ، ولكن غالبا ما نجد البعض الذي ينشر الشائعة يرددها على أنها شائعة فيقول مثلا : « هذا ما سمعته ولست أدري أحقيقة هو أم كذب » أو يقول : « الواقع أنني لا أعتقد صحة هذه القصة ، ولكن هذا ما يتحدث عنه الناس في كل المدينة » .

ان مثل هذه الكلمات تعفى الرجل الذي ينقل الشائعة من الشعور بمسؤوليته في هذا العمل ، كما أن ذلك يعطيه فرصة لتطوير الشائعة بأن يزيد بعض التفاصيل التي تجعل قصته شيقة قابلة للتصديق .

ولنضرب لذلك مثلا من شائعات الحرب العالمية الثانية ، فقد انتشر في الولايات المتحدة في أثناء الحرب كثير من الشائعات مثل :

١ - وجد في جيب أحد الطيارين اليابانيين الذين اسقطوا يوم الاغارة على بيرل هاربور رغييف طازج من الخبز ، وقد لف في أوراق أحد مخابز جزيرة هونولولو « الجزيرة التي بها قاعدة بيرل هاربور الأمريكية » .

٢ - التقطت جثة ملاح الماني من غواصة أغرقها الاسطول الامريكى قرب « كاب كود » ، وكانت في قبعته تذكرة لأحد مساحح نيويورك تاريخها سابق لتاريخ اغراق الغواصة والتقاط جثة الملاح الفريق بيومين .

ومهما كان في هاتين الشائعتين من عناصر حقيقية فمما لا شك فيه ان كثيرا من الاضافات والتحويلات قد لعبنا دورا كبيرا في اخراجها بشكلها النهائي . فليس من المعقول أن يضع الطيار رغييفا من الخبز في جيب رداء الطيران حتى لو حصل عليه فعلا ، والامر الثاني أنه لو التقطت جثة غريق من غواصة أغرقت بلغم أو طوربيد فليس من المحتمل أن تظل القبة على رأس الجثة .

ولا أهمية هنا بكون أمثال هذه القصص غير منطقية أو غير معقولة ، انما المهم أنها تنوقلت المرة بعد الاخرى بواسطة أناس مختلفين وبشكل جارف .

وكلما كان الاتصال سهلا انتقلت الشائعة لمسافات كبيرة ، كما أنها تزداد قوة حينما يكون لدى الناس الرغبة في تصديقها ، أو عندما يحسون في الانصات اليها أو نقلها نوعا من الرضا . فالانسان عادة يسره أن يكرر القصة التي تحقق شكوكه أو التي تعبر عن مخاوفه ، كما أنه يرغب في أن يضحك أو يهزأ على حساب آخر لا يحبه .

ومن ثم يمكن القول : أن الرأي العام هو الذى يخلق الشائعات ويبدعها ، كما أن الشائعات القوية الجريئة هي تلك التي تتمشى مع المخاوف والشكوك التي يشترك فيها كل شخص مع غيره من الناس .

هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فإن الشائعات قد تخلق الرأي العام أيضا وتوجده .



إذا فالشائعات وسيلة بدائية جدا لنشر القصص عن طريق انتقالها من فم إلى فم ، وبقدر ما هي بدائية تبدو معدومة الكفاية وغير دقيقة ولا يمكن تحليلها .

ولدى الدول المتحضرة وسائل لنشر المعلومات أفضل من وسيلة الشائعات . لديها لإذاعة ، والتليفزيون ، والصحف وغيرها ، ولكن في وقت الشدة والاضطراب تبرز الشائعات وتنتشر ويكون لها دورها في زيادة الاضطراب . وفي مثل هذه الأوقات العصيبة نجد وسيلتين للأنباء تتنافسان : الأولى الصحافة والراديو ، والآخرى الشائعات .

على أن الشائعات تنتشر على نطاق أوسع في أثناء الحرب حينما تتطلب السرية في الكثير من الموضوعات الهامة عدم نشر أخبار عنها . ولما كانت الصحف وأجهزة الاعلام توضع تحت الرقابة وتقل المعلومات التي تنشر على الناس ، فإن هؤلاء يحاولون أن يلتقطوا ما يريدون معرفته من الأخبار بأي وسيلة ، وعندما تصل الامور الى هذا الحد فان الشائعات تبرز كبديل لذلك .

والواقع انه في مثل هذه الاوقات تبرز الشائعات وتنتج في كل مكان في صفوف القوات المسلحة وفي صفوف المدنيين ، وتعمل على تقويض الخطط التي تعد بعناية ، بل تؤدي الى فقد الروح المعنوية بين المدنيين والعسكريين على حد سواء ، والى اشاعة الفزع والهزيمة .

هذه بعض العوامل - وليست كلها - التي تهيج للشائعات أن تنتشر بين الناس ، وهذه العوامل لا يختص بها مجتمع معين ، وهي ليست بدعة في وقت الحرب ولكنها طبيعة عامة موجودة في كل أمة في كل ركن من أركان العالم ، وفي كل حرب جرت من قبل .

على أن الأهم من ذلك تلك الدوافع السيكولوجية التي تعمل على ترويج الشائعات . هذه الدوافع تلعب دورا كبيرا في ترويجها ، ومن ثم يحسن أن ننقل الآن لدراسة الدوافع السيكولوجية وراء الشائعات المختلفة .

## الدوافع السيكولوجية وراء الشائعات :

ينجم الغموض الذى يكتنف قصة أى شائعة عن عوامل عدة منها : انقطاع الأنباء أو تناقضها ، وعدم تصديق الشعب لأى خبر يذاع وفى هذه الحال يكون غمة مجال للتوترات العاطفية التى من شأنها أن تجعل الفرد عاجزا عن الوصول الى الحقائق أو زاهدا فيها !

على أن للقصة أهميتها لأنها تحمل فى طياتها دوافع الشائعة ، فلو لم يكن الموضوع هاما بالنسبة للشخص الذى يروج الشائعة لما حاول أن يرددها . وقبل أن نوضح الدوافع النفسية التى تدفع مروجى الشائعات الى استمرار تغذيتها ، سنتكلم باختصار وبصفة عامة عن مكنونات الانسان الداخلية ، والتي قد لا يدركها أو لا يشعر بها ، ولكنها لها تأثير كبير على دفع معظم شائعات الحقد والكراهية .

ان الانسان من حيث هو آدمى مخلوق معقد يحمل فى أعماقه كل النزعات النفسية المتناقضة من : حب وكره ، قلق واستقرار ، وإقدام واستسلام ، وحزن وسرور وغيرها مما يحسه أى كائن بشرى . وقد يقضى كل منا وقتا طويلا يستبد به القلق من شىء دون أن يدرك ما هو هذا الشىء . وعلى الرغم من أننا قد نكون كبار السن فنحن لا نفتأ نتصرف فى بعض الاحوال كالأطفال ، نخاف ونتألم ونقلق دون أن ندرك لم نخاف ونتألم ونقلق ؟

ولكن هناك سببا واضحا يجعلنا نحن الكبار لا نرى بوضوح مشاعرنا الداخلية . ان للمجتمع حقوقا علينا ، ونريد أن نرتفع فى نظر من حولنا من الناس ، ولكن هناك كثيرا من الأشياء الدفينة نخجل من الاعتراف بها حتى لأنفسنا .

هذا الموقف هو ما يطلق عليه اصطلاح « الكبت » وهو الذى يجعلنا نميل الى التخيل ، أو الى المغالاة فى وجود هذه المشاعر فى الآخرين . نحن نظن أن العيب موجود فى غيرنا وليس فىنا على حد قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فىنا      وما لزماننا عيب سوانا





غير أن إبراز دوافعنا العاطفية وجعلها معتدلة ليسا العملية الوحيدة لاختصاصها للمنطق . فنحن نحاول دواما أن نستخرج معنى من البيئة التي نعيش فيها . فهناك الى جانب الضغط العاطفي ضغط ذهني . ان محاولة إيجاد سبب معقول لموقف معقد هو في حد ذاته دافع . وهذا يعزل حيوية كثير من الشائعات . نحن نريد أن نعرف « لماذا ، كيف ، أين » بالنسبة للعالم الذي يحيط بنا . ان عقولنا تحتاج ضد الفوضى وتعرض عليها ، ومنذ طفولتنا ونحن لا نفتأ نوجه السؤال : « لماذا ، لماذا ، لماذا ؟ ان هذا المجهود الذي نبذله لنصل به الى المعنى هو أوسع بكثير من ميلنا الطبيعي لتطبيق قوانين المنطق وتبرير حالتنا العاطفية المباشرة .

ان النتيجة شائعات حب الاستطلاع . ان الغريب الذي يفد على مدينة صغيرة دون أن يعرف أحد عمله ثم يقيم فيها يثير قصصا كثيرة توضح للعقول المتسمة بحب الاستطلاع لماذا وفد على هذه المدينة ؟

أن استخدام الذرة في خدمة الأغراض السلمية واكتشافات الفضاء - التي لا يفهمونها الجمهور - تثير الرغبة في معرفة خصائصها .

ومجمل القول ان الشائعات من شأنها أن تلطف أو تخفف من حدة التوتر العاطفي بحكم كونها متنفسا يؤدي الى التفريغ . انها تحمي وتبرر وجود هذه العواطف التي اذا واجهها صاحبها قد لا تكون مقبولة لديه .

وأحيانا تساعد على اعطاء تفسير أوسع لمظاهر البيئة المحيرة المختلفة، وبهذه الطريقة تلعب دورا بارزا في جعل العالم المحيط بالشخص مفهوما .

ولكن هذا الدور نادرا ما يدركه مروج الشائعة . انه لا يعرف لماذا تروق له شائعة معينة ؟ ولماذا تستحق منه هذه الرغبة الملحة في تبريدها ؟ انه لا يدرك المدى الذي تعكس فيه نفسه في القصص التي يرويها ، لانه لا يفهم عملية الانعكاس .

## الانعكاس :

ويفسر البورت وبوستمان تلك الحالة تفسيراً منطقياً واضحاً فيقولان :  
« اذا انعكست حالة الشخص العاطفية – دون أن يدري – فى تفسيره لما حوله ،  
نسمى ذلك انعكاساً . انه يعجز عن استخدام أدلة موضوعية فى تفسيره للحقيقة  
التي تحيط به . »

ان هذه العملية تحدث لكل واحد منا فى الاحلام . ونحن لا ندرك أن رغباتنا  
الخاصة ومخاوفنا وحبنا للانتقام هى المسؤولة عن كل ما حدث فى الاحلام الا بعد  
أن نستيقظ .

ان الطفل النائم يحلم بأنه اكتشف جبالا من الخلود « الجعان يحلم بسوق  
العيش » وان الشاب الضعيف البنية يحلم وهو نائم بالانتصارات التي حققها  
فى ميادين الرياضة ، وتحلم الأم القلقة بموت طفلها .

وتعتبر أحلام اليقظة أيضا من قبيل الانعكاس ، فنحن نسترخى على مقعد  
أو سرير ونترك لعقولنا أن تتخيل الاحداث التي تتحقق فيها آمالنا ورغباتنا  
ومخاوفنا . نتخيل أنفسنا سعداء مسرورين منتصرين ، أو قلقين مهزومين . كل  
بحسب طبيعته أو بحسب نوع العاطفة التي توجه سلسلة أفكاره الارتباطية .

ان الشائعة هى من نوع حلم اليقظة . فاذا كانت القصة التي نسمعها تفسر  
لنا الحقيقة التي تتفق مع حياتنا الخفية فنحن نميل الى تصديقها .

وثمة قصة يمكن أن تفسر عملية الانعكاس ، ووقعت أحداث هذه القصة  
فى عهد الرايخ الثالث الألماني وهى تبين كيف كان عامل الرغبة والدوافع الذاتية  
سببا فى تلوين شائعة زائفة ضد انسان برى .

لقد كان الجنرال فيرنر فون فريتش قائدًا عاما للقوات الانمانية فى عهد  
الرايخ الثالث . وكان هذا القائد رجلا صارما مهذبا موهوبا وضابطا لامعا من  
رجال المدرسة الانمانية القديمة .



بالشذوذ الجنسي ، وكان هناك حقيقة شخص يدعى هانس شميدت وظيفته منذ  
حدثته التلصص على أصحاب الشذوذ الجنسي ثم ابتزاز المال منهم عن طريق  
تهديدهم بالتشهير .

واستغل الجستابو هذا الموقف ، ليلاصق هذه التهمة الشائنة برجل من  
أعظم القادة الألمان في عهد الرايخ الثالث وعمل على ترويعها بين الجيش .

وبالرغم من أن سمعة فريتشه كانت مضرب المثل الأعلى ، وعلى الرغم من  
أن كبار قادة الجيش أثبتوا بالتحقيق والأدلة أن الفريق فون فريتشه راح ضحية  
بريئة مؤامرة قام بها الجستابو مستغلا قصة ضابط الفرسان سائقة الذكر ، فإن  
الجستابو هدد شميدت بالموت إذا لم يصر في شهادته على أن الذي ضبطه في موقف  
شاذ هو الفريق فريتشه ، أما ضابط الفرسان فقد اعتقله الجستابو حتى لا يمكن  
من أداء الشهادة في التحقيق ويبرأ فريتشه .

وما يهمنا في هذه القصة هو عملية الانعكاس ، وقد لعبت دورا كبيرا في  
خلق شائعة زائفة ورواجها متخذة فريتشه ككبش فداء .

على أن عملية الانعكاس قد تأخذ شكلا أكثر تعقيدا ، ولتوضيح ذلك  
سنضرب مثلا بواحدة من تلك الشائعات التي يتضمن أغلبها اتهامات باطلة في  
حق جماعة من الناس ، أو هيئة رسمية ، أو القوات المسلحة ، أو الحكومة كلها ،  
وعلى الرغم مما قد يكون بها من منطقية أو حتى شبهة منطق فان عملية الانعكاس  
تلعب فيها دورا كبيرا .

ولنتذكر تلك الشائعة التي كانت تدور حول النقص في اللحوم وارتفاع  
أسعارها عام ١٩٦٤ ولنفرض أن إحدى ربات البيوت قد قالت لصديقة لها في  
مقابلة معها :

« لقد سمعت أن عربات الجيش تقوم يوميا بالاستيلاء على جميع اللحوم  
الطازجة من مراكز ذبحها لارسالها الى القوات العاملة باليمن » .



فما الذى حدا بهذه السيدة الى أن تقول ذلك ؟

قد نجد الاجابة عن السؤال اذا حاولنا أن نطبق قانون الشائعات الاساسى على تلك الشائعة ، فالدليل فى هذه القصة غامض ، فهى فى موقف لا تستطيع أن تصل فيه الى حقائق بشأن هذا الموضوع ، كما أن نقص اللحوم أمر يهمها ويهم بيتها • بل قد يسبب لها بعض المعاناة النفسية فى اعداد وجبة الغذاء • وهى فى هذا الموقف تحاول أن تعرف السبب ، ولذلك فهى فى بحثها عن السبب تحاول أن تجد المصادر المذنب أو الملوم • وربما كان فى مكانها أن تعود باللائمة على اليمنيين أو السعوديين ، ولكن هؤلاء كانوا بعيدين عنها لدرجة أنها قد لا تدرك علاقاتهم بمتاعبها المباشرة الملموسة ، وفضلا عن ذلك فإن وعى هذه السيدة أو درجة تفكيرها لابد أن يكون قاصرا عن معرفة جذور المشكلة الاقتصادية التى نجم عنها نقص اللحوم بحيث لا يكون للجيش دخل فيها ، ولكن ربما تكون هذه السيدة قد تأثرت نفسيا نتيجة مشاهدتها أو سماعها شيئا عن تصرف غير لائق من أحد العسكريين فى أمور التموين •

لهذا لابد من أن يتمثل للسيدة المجرم الشرير ، ولا بد من أن يكون هذا المجرم فى صورة الاحداث فتتهم الجيش بأنه السبب فى نقص اللحوم ، وهكذا يكون تفسير الامر وتحديد هدف اللوم • ان هذه العملية يطلق عليها اسم « الانعكاس التكميلي » لأنها لا تعكس عواطف الشخص على الآخرين • ولكنها تجد فى سلوك الآخرين تفسيراً معقولا لشعورها •

ولنفرض أن هذه السيدة استخدمت الغش قليلا بأن حجزت بعض كوبونات التموين فى أثناء شرائها لوازمها ، أو لنفرض أنها اشترت بعض المواد من السوق السوداء ، فلما كانت هذه المرأة مواطنة وطنية فانها لا تملك الا أن تقع فريسة لتأنيب ضميرها • ويحاول كثيرون تهدئة ضمائرهم بالالتجاء من آن لآخر الى عملية « الانعكاس المباشر » •

ويشير ألبورت وبوستمان لذلك بهذه العبارة التالية :

« ان انعكاس ذنوبنا انعكاسا مباشرا » لا تكمليا « هو سلاح أمدتنا به الطبيعة لتجنب آلام تأنيب الضمير » . ويشير الى ذلك نفسه اميرسون Emerson بقوله : « ان ما نعتبره خطيئة في الآخرين نعتبره تجربة بالنسبة لنا . ان الآخرين يخطئون ، أما نحن فلا نخطئ وحتى اذا أخطأنا فان خطيئتنا تافهة اذا قورنت بخطاياهم » .

ونعود الى تلك السيدة صاحبة الشائعة . فربما كان هدفها - دون أن تدري - تهدئة ضميرها فتقول لنفسها : « ولماذا أشعر بالذنب ؟ ان عدم مراعاتي لقواعد التموين وأصوله طفيفة ! ان الجيش يستهلك أطنان اللحم ويحرمانا منها ! ان أخطائي اذا قورنت بأخطاء الجيش لا تعد شيئا مذكورا » .

وهناك دليل على أهمية التهرب من الشعور بالذنب بواسطة تصديق الشائعة . لقد وجد ألبورت ولبيكين عام ١٩٤٥ ميلا من الناس الذين كانوا يصدقون الشائعات الخاصة بأسراف رجال الجيش وتمتعهم بالامتيازات الخاصة بأنهم بالرغم من أنهم كانوا يختلسون في عملية التموين - ويعترفون بذلك - فهم لم يشعروا مطلقا بالذنب أو بالتحجل من عملهم . وعلى العكس كان الناس الذين يعترفون بأنهم غشوا وعانوا الاحساس بالتحجل هم أقل الناس تصديقا للشائعات الخاصة بسوء تصرف الآخرين . بمعنى آخر اذا اعتقدنا بخطأ الآخرين فنحن نحاول أن نهرب من شعورنا بالذنب ومن تأنيب ضمائرنا ، أما اذا انجينا باللائمة على أنفسنا كان تصديقنا للشائعات أقل .

ان الذين يرفضون مواجهة أخطائهم يبحثون عن « كبش الفداء » أما الذين يعرفون نقط الضعف في أنفسهم فانهم لا يحاولون ذلك .

هذا التحليل يوضح لنا العلاقة الوثيقة بين الشائعة وبين حالتنا العاطفية الذاتية التي غالبا ما تكون وثيقة جدا بقصة الشائعة ، بدرجة أننا قد نصف الشائعة بأنها انعكاس حالتنا العاطفية الذاتية .

هذا التحليل يشبه التحليل الذى أجراه ماك جريجور عام ١٩٣٨ (١) عندما شرح أثر عامل الامنية الفكرى فى عملية التنبؤ . وفى تجربة له عام ١٩٣٦ وجه الى الناس سؤالاً « هل سيستولى هتلر على السلطة فى مدى عام من هذا التاريخ ؟ » أجاب ٩٥٪ منهم بأنه سوف يفعل ذلك . ثم سئلوا ما اذا كان موقفهم الشخصى من هتلر موقف المناصر ، وأجاب معظمهم بأنهم يكرهونه . النقطة المهمة هنا أن شعور الكراهية لم يؤثر على تنبؤهم لأن الغموض هنا كان محدوداً ، وكانت قبضة هتلر على ألمانيا فى ذاك الوقت قوية .

ومن هذا التحليل نخرج بأن معظم الناس يقومون بتنبؤاتهم طبقاً لرغباتهم الذاتية دون أن يوجههم الدليل الموضوعى .

يقول ماك جريجور « ان تأثير العوامل الذاتية على التنبؤ محدود بدرجة غموض الموقف المؤثر ودرجة أهمية الموضوع للمتنبئ » ، فإذا كانت درجة الأهمية أو درجة الغموض صفراً يكون أثر العوامل الذاتية على التنبؤ صفراً . فى الحالة السابقة لم تكن هناك رغبات ذاتية تؤثر على المتنبي ، ولم يتعد سلوكه تسجيل غموض الموقف المؤثر الموجود ، فإذا كانت درجة الغموض معدومة كان الموقف المؤثر مانعاً تماماً .

على أنه من جهة أخرى نرى أن أثر الانعكاس والامنية لا يكون مطلقاً بل محدداً . انهما يعملان فقط اذا سمحت الظروف فيقوم الناس بدعم رغباتهم بالامانى واستخدام المنطق والانعكاس ، وهم يروجون الشائعات بنسبة غموض الموضوع ومقدار أهميته لهم .

وهكذا يظهر أن الشائعة - وهى من أقل ألوان النشاط الاجتماعى خضوعاً لحكم المنطق - ظاهرة محدودة . وهى كالامانى أو التمنى فى تجربة ماك جريجور تروج عندما تشعر الذات أنها مرتبطة بالموضوع وعندما لا يضع الدليل الموضوعى أو المعرفة قيوداً منطقية أو ضغطاً منطقياً على الحكم .

---

M'Gegeor D., The Major Determinants of The Prediction of Social Events, (١)  
Journal of Abnormal and Social Psychology, 33, PP 159 - 166, 1946.

ويجدر بنا هنا أن نحاول تفسير الدوافع الذاتية التي تكون وراء ترويج نوع من الشائعات بحيث تعمل على النيل من سمعة أفراد من مواطنينا ، وهي ما يطلق عليها شائعات الجنس .

يرجع الدافع الذاتي الأساسي لاطلاق هذا النوع من الشائعات الى ما حبسناه من حياتنا الجنسية في الغرفة الخلفية من عقولنا واصطلح على تسميته « الكبت » فنحن حينما نهاجم فئة من الناس بترويج شائعات من هذا النوع ضدهم فان الدافع الذاتي يكون في أعماق نفوسنا ويعكس رغبتنا الكامنة . نحن نحب أن نظهر محترمين أمام الناس فنتظاهر بأننا نخالف تلك الفئة المنحلة التي تسيطر عليها فكرة الجنس ، ولذا فنحن نحاول أن نستمتع سرا بما تقوم به تلك الفئة بتصاديق ما يقال عنها وترديده .

وكلما كان المجتمع مقفلا كان الجنس عاملا هاما في حياة أفراد بحيث يشغل جزءا ضخما من تفكيرهم ، ويحاول أفراد المجتمع أن ينفثوا عن كبتهم الجنسي اما : بالنكات المكشوفة ، واما بترك خيالهم ينسج من القصص ما يروى ظمأهم العاطفي ويفسر رغباتهم الدفينة . ولقد تكون هناك عانس تقدمت بها السن وفاتها قطار الزواج ، وهي في هذه الظروف لا تكاد تجلس الى أحد حتى تردد شائعات عن كل سيدة أو فتاة تعرفها ، وتنسج من خيالها قصصا زائفة عن سوء أخلاقهن وارتمائهن في أحضان الرذيلة .

هذه العانس كأي بشر لها رغبات كامنة لم تستطع أن تحققها في حياتها ، كما أننا لا نستطيع أن ننكر عليها عاطفتها الجنسية . ولما كانت قد حرمت هذه المشاعر الطبيعية وتضخم المكبوت فيها فانها تحاول أن تستمتع بتلك الرغبات بالصاقها ببعض الضحايا الذين يعيشون حياتهم العادية سعداء راضين ، وهي في ترديدها لمثل تلك الشائعات تكشف عما لم تستطع دفنه بل تحاول تغذيته لاشباع أحلام يقظتها .

وقد يبدو لنا أن نتساءل : لماذا يشعر بعض الناس برغبتهم في الصاق  
تهم الجنس بالآخرين ، ولماذا ينغمسون في ترويع تلك الشائعات ؟

الواقع أن الإجابة عن هذا السؤال ليست عادية ، فهي معقدة ومتشابكة .  
فهناك كثيرون لا يشعرون في قرارة أنفسهم بالاطمئنان الى مركزهم الاجتماعي  
فقط ، وانما أيضا الى مركزهم الاقتصادي وعفتهم الجنسية . ان هذه كلها تحتل  
مركزا هاما في حياتهم بحيث لا يمكن الفصل بين الواحدة والاخرى ، وأى تهديد  
الى واحدة منها تهديد الى الأخرى ، ومن ثم كان لابد لهذه الفئة أن تحاول أن  
تبحث عن يكون « كبش الفداء » من بين من لا يحبونه ويرون فيه كل ماكانوا  
يتمنون فعله لو تركوا لانفسهم الحبل على غاربهم .

وربما يكون مروج شائعات الجنس يشعر بعدم الطمأنينة في عمله نتيجة  
احساسه بأنه مهضوم الحق ، أو نتيجة لسوء معاملة رئيسه له ، أو قد يكون  
محروما من مباحج الحياة ، ولهذا ينشأ في نفسه شعور عميق بالغضب . وفي  
هذه الحال لا يعرف تماما سبب غضبه كما لا يعرف من ينجى عليه باللوم ومن  
ثم يحاول أن يوجه عداؤه وغضبه نحو ضحية بريئة ، فيختار هذه الضحية  
من بين الناس الذين يكرههم أو يجد فيهم تهديدا لمركزه : الاجتماعي ،  
أو الاقتصادي ، أو العاطفي .

وبالاختصار فان السبب في هذا النوع من الشائعات مرجعه الى العقدة  
الاقتصادية أو العائلية أو الشخصية الموجودة في الحاقده نفسه .

وعلى الرغم من تعقيد هذا التحليل لشائعات الجنس ، فاننا لا نبدو مغالين  
حينما نفسر التعقيد العاطفي الذي يحاول بموجه أن يشخص مروج الشائعات  
عوامل الشر ثم يرجعها بعد ذلك الى أفراد قريبة منه ولكنها مختلفة عنه .

ولما كان اللوم الذي يوجهه مروج الشائعات الى هؤلاء الافراد أكثر مما  
يستحقون فاننا نطلق عليهم اسم « كبش الفداء » على نحو ما رأينا .

على أن هنالك عاملا آخر يعمل على تزايد شائعات الجنس ، فحين كثير لا نحاول أن نلقى باللوم على أنفسنا بسبب خطايانا الجنسية ، بل نجد أنفسنا دائما ونحن نتهرب من الشعور بالاثم . ولذا نجد أن من الأفضل التوجه باللوم الى الغير .

وفي هذا المجال نستطيع أن نجد تشابها قريبا بين شائعات الجنس وشائعات الخقد أو الكراهية من حيث أن كلا منهما يحاول التهرب من الشعور بالاثم . ففي كلتا الحالتين يحاول الانسان أن يهرب من ذلك عن طريق صب كل لوم على أناس لا يجنبهم أو يكرههم لسبب ما .

ان الذين يغمسون في الكلاذ الجسدية والمادية لا يحاولون أن ينحوا باللوم على أنفسهم لما يربكون من خطايا ، وهذه الفئة قلما تتحرك ضمائرهما لتحاسب أنفسهما على ما تفعل ، بل انهما تنطرف في القائها اللوم على الغير تبريرا لافعالها غير المشروعة .

ان أمثال هؤلاء الناس تبلدت أحاسيسهم الروحية ، واختلفت في نظرهم معايير القيم الاخلاقية ، ولذا فان هجومهم على الغير بالنيل من سمعتهم يخفف من عليهم عبء تبرير أفعالهم .

أما الذين يحاسبون ضمائرهم على خطاياهم فهم أقل الناس تصديقا وتريدا لشائعات الجنس .

ونعرض الآن للوابع نوع آخر من الشائعات ، وهي شائعات حب الاستطلاع . ان هذه الشائعات تكشف عن جوع ذهني أكثر مما تكشف عن حاجة عاطفية .

ان الانسان بطبيعته يحب أن يعرف ما هو غامض عليه ، ومن هنا تكون الاهمية ، ولأن بعض الناس لا يعرف ويعد الغموض في بعض الامور فانه يقع فريسة لاستهوا الشائعة .

ان القمصن الثرية التي يرونها الاطفال عن تفسيراتهم لاعمال الطبيعة والعمل والوقوة الالهية ، وتلك القمصن الباهتة التي يرونها البعض عن آناس يقومون بأعمال خارقة تصل الى درجة الخرافات ، كذلك تلك القمصن التي تنشر في مجتمعمنا لنفس شيئا غير معروف . ما هي الا شائعات دافعا الاساسي حب الاستطلاع . ان الاساطير القديمة - التي لا تتخلو من الميول العاطفية - ما هي الا العلام في صورة بدائية .

وبالاختصار فان المجهود الذي يبذل للوصول الى معرفة المعنى يخلق عامل الاهمية الذي يلعب دوره في ترويج الشائعة او الاسطورة . ان الحاجات الهامة لا تقتصر على النوع المادى فقط ، فقد تكون عقلية أيضا .

والآن قد يبدو لنا ان نسال : هل يوفى التحليل السابق تفسير كل الدوافع التي تكمن وراء أى شائعة ؟ وهل هناك أسباب أخرى تعمل على دواج الشائعة ؟

الواقع أن من الصعب على أى باحث أن يحدد تلك الدوافع في شكل شامل جامع الا اذا كان موضوعا منفصلا في حد ذاته ، وانما هدفنا من هذا التحليل هو اعطاء صورة عامة تساعد على تفهم الدوافع الدائرية الرئيسية التي تعمل على ترويج الشائعات .

على أنه لكي نستكمل الاجابة عن السؤال السابق ، نجد أن هناك أسبابا ثانوية تعمل على ترويج الشائعة ، وليس من المنطق أن نقول أن كل مروج للشائعة يكون الدافع له ما سبق شرحه .

فقد يحدث في بعض الاحيان أن يكون الدافع الى ذلك خاصا ولا علاقة له بموضوع القصة ، فمثلا يكون غرض مروج الشائعة مجرد لفت النظر اليه .

فهناك بعض الناس ممن يحبون الظهور والتظاهر بالملم بيوطن الامور يتهمون في سلوكهم هذا انهم يصبحون مهين أمام الناس ، فيقومون بسر

أخبار عن موضوعات لا يعرفها المستمع كأن يقول أحدهم مثلاً : « أنى سمعت من مصدر مسئول أن الحكومة قررت كذا وكذا ... » أو قالت لى شخضية هامة : أنه صدرت قرارات فى كذا أو كذا ... »

والواقع أن أمثال هؤلاء غالباً ما لا يكونون على بيئة باى صغيرة عن الموضوعات التى يتحدثون عنها ، ويبنون ما خيالهم ما يوههم المستمع أنهم يعرفون الكثير ، أو قد يكونون على بيئة من بعض الامور التى يعرفها الناس فيفسحون عليها قصة من خيالهم أو يفسرون رغبة كاملة فى نفوسهم .

ان معرفة شيء من الاشياء يرضى فى الانسان الرغبة فى أن يكون مهوما ، لأن الشخص وهو يقص قصة يكون فى أثناء ذلك مسيطرا على سامعيه . هذا الارضا- أو الاشباع لا يستطيع أن يقاومه كل من كانت حياتهم باهتة خالية من الاحداث . أما المستمع الذى يقوم بترديد الشائعة التى سمعها من مثل أولئك الناس فغالبا ما لا يكثر للشائعة نفسها بقدر ما يروجها ليجرد الترترة .

كذلك يحدث أحيانا أن يحس الشخص برغبة فى أن يسد فراغا فى حديث له مع صديق بأن يروى له ما سمعه أخيرا . ولذلك نجد كثيرا من الناس ممن لا يشتركون فى الناحية العاطفية التى تتضمنها الشائعة يعملون على انتقالها . ان هؤلاء الناس غير مسئولين عن خلق الشائعة أو تشكيكها ولكنهم يعاونون على انتقالها فقط .

وأمامنا مثلا تلك اللقطة من الناس التى تحاول دون وعى أن تستمع الى الاداعات المعادية وتعمل على نقل دعايتها المسومة الى أصدقائها ليجرد الزهو أمامهم بأنها أكثر علما منهم بما يجرى من أحداث .

وقد نشك لأول وهلة فى ولاء هؤلاء الأفراد نحو وطنهم ، ولكن غالبيا ما يكون سبب استماعهم الى هذه الاداعات نتيجة عقدة حب الظاهر بمعرفة



ما لا يعرفه الناس ، وهم في ترديدهم لتلك الدعايات المفرضة لا يقدرّون أنهم  
يشنون سموما فتاكة بين مواطنيهم •

وقبل أن ننتهي من هذا نود أن نشير الى الدوافع السيكلوجية التي تدفع  
الانسان الى التسرع في نشر شائعات عن أحداث مقبلة كاعلان الهدنة وقت  
الحرب ، أو انتظار أحداث سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لها تأثير على  
كيانهم • فان النهاية المتوقعة تكون على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لاناس  
كثيرين مما يجعلهم يعيشون في أحلام اليقظة •

ان في حياة الفرد العقلية حالة من التوقع الديناميكي القوى ، فعندما يتم  
كل شيء بعد انتظار طويل جدا ولا يبقى الا شيء صغير ، نكون على استعداد  
لتلقي الخبر • اننا في موقفنا هذا أشبه بالحيوانات التي تجرى ساعية الى صندوق  
طعامها ، فهي تزيد من سرعتها ساعة اقترابها للنهاية •

وليتصور كل منا نفسه حينما يكون في انتظار خبر هام له ، فانه اذا  
ما دق جرس التليفون أسرع اليه وهو يحس أن في المكالمة التليفونية اجابة  
لموضوعه • واذا دق جرس الباب أسرع ملبيا معتقدا أن من يدق بابه هو الشخص  
الذي ينتظره ، واذا ما وصل اليه خطاب أسرع الى فضه بأعصاب متوترة ، محاولا  
أن يعرف في أقل وقت ماذا في الخطاب •

وبوجه عام فان الدوافع الذاتية للانسان متشعبة متماسكة ، وهي تلعب  
دورا رئيسيا في خلق الشائعات وترويجها ، كما أن هذه الدوافع لها ارتباط  
مع أهمية موضوع الشائعة وغموضه • ولذا نستطيع أن نقول ان الشائعة تتبع  
قانونا سيكلوجيا أعم مما سبق ذكره ويمكن أن نلخصه فيما يأتي :

« ان الدوافع الذاتية لها ارتباط وثيق بمعادلة الشائعة الاساسية ، وهي  
تتأثر بنسبة تأثير امتزاج أهمية الموضوع وغموضه » •

## تحليل الشائعة

ازدهرت الشائعة وانتشرت في أيام الحروب وأيام السلم ، وفي أيام الكساد وأيام الرخاء . هذه حقيقة قديمة ترجع الى أيام نشأة المجتمع الانساني .

لماذا تنتشر الشائعات ؟ ما الدوافع التي تشبعها الشائعات ؟ ما القوانين التي تتحكم في مدى انتشار الشائعة ، وما التسمييات التي تلحق بالشائعات الفردية في أثناء تداولها ؟

لقد كانت هذه التساؤلات محل بحث الفصلين السابقين ، والواقع أن الاجابة عنها كانت بمثابة تمهيد لهذا الفصل ، فان أى محلل للشائعات لا يستطيع أن يقوم بالتحليل الصحيح الا بعد أن يكون قد ألم تماما بما جاء في الفصلين السابقين .

ونود أن نذكر القارئ هنا بتلخيص لبعض النقاط الرئيسية التي جاءت في الفصلين السابقين والتي لابد أن تكون في ذاكرة المحلل كأساس ضرورى لتحليل أى شائعة .

لقد سبق أن قلنا : ان الشائعة تبدأ عندما لا يكون هناك خبر ، ولذلك يجب أن يزود الشعب بأدق الاخبار ، بصفحة عاجلة وكاملة ، حتى يكون على بينة بما يدور حوله من أحداث تؤثر في حياته ومستقبله . فالتناس اذا ما تأكّدوا من أنهم يقفون على أسوأ الأخبار فليس من المحتمل أن يحاولوا اظلام الصورة أكثر من ذلك بابتكار صور لا وجود لها بقصد تبرير قلقهم .

وليس من العسير كما بينا أن نبرهن على أن الشائعات تكثر أيضا عندما تكثر الاخبار • لقد لاحظنا أن أغلب الشائعات التي انتشرت في بلادنا في السنتين الماضيتين جاءت نتيجة لما كانت تذيغه محطة اسرائيل وتنقله عنها بعض الصحف الأجنبية المأجورة للاستعمار والرجعية • ان الشائعات التي كانت تهدف للاثارة والبلبلة والتي نشرتها الصحف المعادية الاجنبية في صورة أخبار كاذبة لم تكن أكثر من أمان معادية شريرة تكمن في نفس كل عدو لهذا البلد •

على أنه اذا لم تكن الاحداث العامة تستحق الاخبار فليس من المحتمل أن تولد الشائعات • ولكن يحدث في ظروف معينة أنه كلما أفردت الصحافة مكانا بارزا للخبر - بخاصة الخبر الهام - ازداد تحريف الشائعة وتشويشها •

وقد يخطئ البعض فيقولون : ان الشائعة هي عملية فكرية خالصة ، أو انها شيء يستخدمه الشخص بدلا من المعلومات التي يمكن التعويل عليها ، اذ أن هذا الرأي يتجاهل الحقيقة التي تقول أنه عند وقوع احداث على جانب عظيم من الأهمية لايرضى الانسان أن يقف عند مجرد قبول الحادث • ان حياته تتأثر تأثرا عميقا بالحادث ، ولذلك تقوم المؤثرات العاطفية بتوليد كل أنواع الخيالات ، انه يسعى الى التفسير ثم يتخيل نتائج بعيدة الوقوع •

ومع ذلك فان هذا الرأي يكون جزءا من معادلة انتشار الشائعات والسيطرة عليها • فالشائعة تنتشر اذا ما كان للحادث أهمية في حياة الافراد وعندما تكون الاخبار ناقصة أو غامضة من الناحية الموضوعية • وقد ينشأ الغموض : اذا كان الخبر غير واضح ، أو اذا كان الفرد قد تلقى عدة صور متناقضة عن الخبر الواحد ، أو اذا وجد أنه عاجز عن فهم الخبر •

ولقد خرجنا من ذلك بوجود قانون أساسي لقوة الشائعة يرتبط بالاهمية والغموض واستطعنا أن نجده في شكل معادلة جبرية كالآتي :

$$\text{قوة الشائعة} = \text{الاهمية} \times \text{الغموض} \cdot$$

ثم ربطنا هذا القانون بدوافع ترويج الشائعات ، وأشرنا الى أن الشائعة لا تروج الا اذا كان لموضوعها أهمية بالنسبة للفرد الذى يستمع اليها وينشرها ، وقد وجدنا أن الرغبة أو الاهتمام بالامور الجنسية تملل كثيرا من الشرثرة كما تملل معظم الفضائح ، كما أن القلق هو الدافع الى نشر قصص الرعب والتهديد التى كثيرا ما نستمتع اليها ، ونجد الأمل والرغبة تعبر عن شائعات الاحلام ، أما الكراهية فتولد القصص الخاصة باتهام الناس والنيل من سمعتهم •

ومن المهم أن نلاحظ أن الشائعة ليست عملية سهلة وانما هى تخدم أغراضا مركبة ، فشائعة العدوان التى تدفعنا الى أن نصنع الشيء الذى نبغضه تخفف عنا دوافع عاطفية أولية • وهى فى نفس الوقت تبرر لنا شعورنا نحو موقف خاص ، وتشرح لأنفسنا وللآخرين لماذا نشعر بمثل هذا الشعور ؟ وهكذا نرى أن الشائعة وسيلة للتبرير والتخفيف •

ولكن تبريرنا لدوافعنا العاطفية وجعلها معقولة ليسا الشيء المنطقي الوحيد الذى نقوم به • فهناك بخلاف ضغط بعض العواطف المعينة سعى من جانبنا كي نستخلص معنى من البيئة التى تحيط بنا • فهناك الى جانب الضغط العاطفى ضغط فكرى ، ومحاولة إيجاد سبب معقول لموقف معقد هو فى حد ذاته دافع • وتساعد الرغبة فى الوصول الى نهاية طيبة فى تعليل كثير من الشائعات • فنحن نريد أن نعرف لماذا • وكيف • وأين • • بالنسبة للعالم الذى يحيط بنا • ان عقولنا تحتج على الفوضى ، ومنذ عهد الطفولة ونحن نواصل طرح الاسئلة • لماذا • • لماذا • • لماذا ؟ ان هذه المحاولة لاستخلاص المعنى أقوى من ميلنا الفريزى نحو تبرير حالتنا انعاطفية المباشرة •

واذا ما انعكست حالة الشخص العاطفية - دون أن يدرى - على تفسيره للبيئة التى تحيط به فنحن نتكلم هنا عن الاسقاط أو الابعاز • فهو لم يوفق فى أن يستخدم دليلا محايدا موضوعيا فى تفسيره للحقيقة التى تحيط به •

ويقوم كل واحد منا بعملية الاسقاط هذه فى أحلامنا • فبعد أن نستيقظ ندرك أن رغباتنا الخاصة ومخاوفنا وحبنا للانتقام هى المسؤولة عن كل

ما حدث في أحلامنا الخيالية • المراهق يحلم في أثناء نومه بعروس البحر ، ويحلم الشباب الحامل في الدراسة بنجاحه في الاختبار ، وتحلم الأم القلقة بموت طفلها •

وتعتبر أحلام اليقظة أيضا نوعا من الاسقاط ، فتصور عقولنا ونحن في حالة استرخاء أحداثا تصور آمالنا ورغباتنا ومخاوفنا فنجد أنفسنا نحقق نجاحا أو اشباعا لرغباتنا أو هزيمة أو دمارا حسب مزاجنا وحسب عواطفنا التي تقود تداعي أفكارنا في هذه اللحظة •

والشائعة هي أشبه ما يكون بحلم اليقظة • فإذا كانت القصة التي نستمع إليها تفسر الحقيقة تفسيراً يتفق مع حياتنا الحفية فإننا نميل إلى تصديقها وإلى نقلها •

وبالاختصار تتحرك الشائعة في الوسط الاجتماعي المتجانس وتستمر في حركتها طالما استهوت الرغبات الشخصية القوية للأفراد المشتركين في عملية النقل • ويستخدم النفوذ القوي لهذه الرغبات الشائعة كعامل مبرر يتطلب منها لا أن تعبر عن الرغبة العاطفية فحسب بل كذلك تشرح وتوفر معنى لهذه الرغبة وتبررها • ويحدث أحيانا أن تكون العلاقة بين الرغبة وبين الشائعة وثيقة الصلة لدرجة تحتم علينا أن نفترض أن الشائعة ما هي الا اسقاط لحالة عاطفية شخصية •

## الطريق الأساسي الذي يتم فيه تحريف القصة :

من الملاحظ أن نفس نمط التحريف يوجد في التغيرات التي يمر بها ادراك الفرد وذكرياته على مر الوقت ، وفي التحريفات التي تتم في القصة في أثناء انتقالها من شخص إلى شخص • وهناك ثلاثة مظاهر لهذا التحريف وهي : التسمية – والشخص – والاستيعاب •

فالقصة تميل وهي تنتقل من شخص إلى شخص إلى أن تصبح أكثر من ذي قبل وأسهل فهما وأيسر رواية • وفي أثناء عملية انتقالها المتوالي « تسوى »

كثير من التفاصيل الاصلية شيئا فشيئا • وقد لوحظ من التجارب التي أجريت على الشائعات ان كثيرا من التفاصيل التي كانت موجودة تسقط بشدة في أول سلسلة الانتقالات • وفي كل مرة تروى فيها الشائعة يستمر عدد التفاصيل في الهبوط - ولكن ببطء - ويحدث نفس الشيء في الشائعات الفردية • ولكن التسوية التي تتم في الشائعة الاجتماعية في مدى دقائق معدودات تستغرق أسابيع في حالة الشائعة الفردية •

وفي الوقت الذي تتم فيه تسوية التفاصيل تشحذ فيه التفاصيل المتبقية . وتدل عملية الشحذ على ادراك انتقائي وعلى استبقاء انتقائي وعلى رواية تفاصيل قليلة عن الموضوع الأصلي الكبير • وبالرغم من أن عملية الشحذ - كعملية التسموية - تتم في كل مرة تروى فيها الشائعة فإن العناصر التي يقع التركيز عليها ليست هي نفسها في كل مرة • ويعتمد هذا كثيرا على تركيب الجماعة التي تنتقل بينها الشائعة ، فتشحذ العناصر التي تلقى اهتماما خاصا من رواية الشائعة •

ما الذي يدفع الى اغفال بعض التفاصيل وابراز البعض الآخر ؟ وكيف نحل نقل بعض أجزاء مكان البعض الآخر مما يغير من الحقيقة ؟ •

ان الاجابة عن هذه الأسئلة توجد في عملية « الاستيعاب » التي هي نتيجة للقوة الجذابة للعادات والرغبات والمشاعر الموجودة في عقل المستمع • فعند رواية الشائعة ثم اعادة الرواية مثلا تحدث عملية لاستيعاب الموضوع الأساسي ، فتشحذ العناصر أو تسوى حتى تلائم الدافع المهم للقصة وتصبح العناصر متلائمة مع هذا الدافع بشكل يجعل القصة في نهاية الامر أكثر تماسكا وأكثر منطقا وأفضل شكلا • وغالبا ما يتفق الاستيعاب مع المتوقع ، فتدرك الأشياء وتذكر كما هي في العادة • وأهم من هذا كله تعبر عملية الاستيعاب عن نفسها بتغييرات وتحريفات تعكس عواطف الشخص العميقة الجذور كما تعكس موقفه وتحيزه •

وبالرغم من أن التسوية والشحن والاستيعاب يتميز الواحد منها عن الآخر بغرض التحليل • فإنها ليست عمليات مستقلة • أنها تعمل مجتمعة في نفس الوقت ، وهي تعكس العملية الفريدة ذات الصيغة الشخصية التي تؤدي الى التحريف الذي يميز الشائعة •

## مزج الموضوعات في الشائعة :

إذا أردنا أن نعرض للعواطف التي تعتمل وراء اطلاق الشائعة ودعورها نجد انها مهمة شاقة لأن الدوافع اليها معقدة وذات عمق بالغ • وقد بذلت محاولة في أثناء الحرب العالمية الثانية لتصنيف الشائعات على أساس الدافع الذي تعكسه الشائعة ، وقد دل التحليل الذي أجرى على ألف شائعة من شائعات الحرب التي كانت سائدة في عام ١٩٤٢ على أن معظم القصص تقريبا كانت تعبر عن العداء أو الخوف أو الرغبة • وكان تصنيف الشائعات طبقا لدوافعها أسهل في وقت الحرب منه في وقت السلم • ولكن حتى في وقت الحرب كان تصنيفها طبقا للشعور بالبغض أو الخوف أو الرغبة ميسرا أكثر مما يجب • فيمكن مثلا أن يكون مبعث شائعة الخوف « مثل وحشية العدو » عناصر من الرغبة في الجنس أو المغامرة أو الشعور بالتفوق الأدبي • ان الدوافع التي تدعو الى استيعاب شائعة هي دوافع معقدة مركبة ذات صيغة شخصية •

وإذا أردنا أن نعرف لماذا يروى فرد قصة معينة فلا بد من دراسة اكلينيكية لهذا الفرد • ونتيجة لتنوع الدوافع وامتزاجها في الشائعة نجد أن أي تصنيف سيكولوجي لها يصبح عاديا وبدائيا •

ولهذا يجب ألا نتوقع وجود شائعة واحدة ذات صلة بعاطفة واحدة أو بميل ادراكي واحد • ان عملية الاستيعاب لا تعمل على أساس الوحدة ، وقد تخدم القصة التي تبدو سهلة لأول وهلة كمفسر ومبرر ومخفف لمزيج من العواطف •

## أسس التحليل :

وحتى يستطيع الشخص أن يكتسب الدراية في تحليل الشائعة عليه أن يلم بالمبادئ التي سبق أن بسطناها ، ثم عليه بعد ذلك أن يتدرب على تطبيقها •  
فهما لا شك فيه أن الشخص يحتاج الى درجة معقولة من التشكيك فيما يصل الى أسماعه أو ما يقع تحت بصره ، كما يجب أن يكون من طبيعته مراجعة هذه الوسائل على تجاربه الماضية المتصلة بها ثم طرحها - على قدر الامكان - على أدلة موضوعية مقننه •

وفي هذا الفصل ندعو القارئ الى أن يقوم بفحص عينات مختارة من الشائعات • وإذا بدا بعض هذه الشائعات قديما فانه يتبين أنها سريعة الزوال • ان الشائعات قصيرة الاجل لأن دائرة اهتمام الناس تتغير دائما وبسرعة • ويمكننا أن نتعلم الشيء الكثير من دراسة أمثلة من شائعات مأخوذة من أجواء اجتماعية مختلفة حتى ولو كان بعضها مؤرخا •

ولا يمكن أن يكون التحليل كاملا من جميع الوجوه بسبب أن الاحوال السيكولوجية والاجتماعية الدقيقة التي راجت فيها القصة لا نعرف عنها الا جزءا صغيرا عن طريق الإشارة فقط • وفضلا عن ذلك ليس هناك قصة واحدة توضح كل مبادئ الشائعة وان كانت معادلة الشائعة الاساسية يمكن أن نراها في كل حالة •

فاذا تعذر تطبيق المعادلة على الحالة فمعنى ذلك أن العينة التي ندرسها ليست شائعة ، أو أن المعادلة خاطئة • والحقيقة أن سلامة كل المبادئ التي سبق أن ذكرت تبين نجاح المعادلة في شرح أمثلة الشائعات الملموسة • وإذا وجدنا أن بعض المبادئ لا تنطبق على الشائعة فانه يجب أن نطرحها جانبا أو نراجعها •

## بعض حالات لدراسة الشائعات :

ولندرس بتفصيل دقيق نموذجين من الشائعات ، وإذا كان هذان النموذجان قديمين فهما يوضحان أنهما قصيرا الأجل ، وذلك لأن مجال اهتمام الانسان



يتغير تغيراً سريعاً • ومع ذلك فإنه يمكننا أن نتعلم من دراسة الأمثلة الشائعة الكثيرة ،  
وهي مشتقة من أجواء اجتماعية مختلفة •

ولا يمكن مطلقاً أن يكون تحليل أية شائعة كاملاً لأن الاحوال السيكولوجية والاجتماعية الدقيقة التي تقال فيها الشائعة معروفة فقط معرفة جزئية ، وتكون هذه في الغالب عن طريق الاستدلال وحده ، هذا بالإضافة الى أننا لا نتوقع وجود قصة توضح كل مبادئ الشائعة ولكن يمكن الكشف عن قوانينها في كل حالة •

ولقد قام جوردون و • البورث<sup>(١)</sup> بتحليل لهاتين الشائعتين ، والتعليق عليهما وتعتبران من أفضل النماذج للدراسة والتجربة •

### النموذج الأول :

انتشرت عقب وقوع زلزال سان فرانسيسكو في ١٨ من أبريل عام ١٩٠٦ مباشرة أغرب الشائعات في المدينة • وقد أورد جوتسمبرلين في صحيفة « صنداي صن » في عددها الصادر في ٣١ من مارس ١٩٤٦ أربعاً منها :

♦ ابتلعت موجة من المد مدينة نيويورك في نفس الوقت الذي وقع فيه زلزال سان فرانسيسكو •

♦ انزلقت شيكاغو وغرقت في بحيرة ميشيغان •

♦ كان من نتيجة الزلزال أن خرجت حيوانات حديقة الحيوان من أماكنها وقامت بالتهام اللاجئين الى حديقة جولدن جيت •

♦ شوهد الرجال وفي جيوبهم أصابع سيدات لأنه لم يكن لديهم الوقت الكافي لنزع الخواتم من أصابع السيدات • ويرتبط بالقصة الأخيرة أن مرتكبي هذه الجرائم كانوا يشنقون دائماً على أقرب عمود للنور •

---

Personality and Social Encounter, by Gordon Allport, 1960, Beacon Press, Boston, (١)  
PP. 319 - 323.

## التعليق :

ان القارئ الذى يوصف بالشك ليعجب من أن هذه الشائعات التى يوردها صاحبها بعد وقوع الحادث وتداولها بأربعين سنة قد تناولها التحوير وأنواع التحريف الأخرى . ومثال ذلك كلمة « دائما » فى الشائعة الأخيرة ، اذ يصعب بكل تأكيد أن نقيم الدليل على أن كل قصة من هذه القصص كانت تنتهى بمحاكمة وصدور نفس الحكم .

ولقد سجلت هذه الشائعات التى تداولها الناس عقب الكارثة . ويمكننا أن نفترض - لفرض التحليل - انها لم تتغير كثيرا عن الشائعات التى راجت وقت الحادث .

١ - ان المبدأ الواضح الذى تبينه هذه السلسلة هو خصوبة الشائعة ومقدرتها على التكاثر . وكانت الأهمية البالغة والغموض الكبير مسئولين عن رواج القصة الغريبة وراء القصة الغريبة الأخرى ، وكثير منها هى صور متغيرة لقصص أخرى . ان سلسلة الترابط واضحة : لقد دمرت مدينة كبيرة ، فلماذا لا ينطبق هذا على المدن الكبرى الأخرى ؟ .

٢ - ويحاول الناس قياس أهمية الحادث كمرحلة أولى تستهدف الوصول الى معنى . وكان الناس يقولون مجازا « لا يمكن أن تسوء الأشياء أكثر مما ساءت » . فبعد أن فقدوا بيوتهم وخسروا احياءهم بالغوا فى وصف شعورهم بالقلق والحزن بأن أضافوا ما قام به الحيوانات المفترسة والجرمون من فساد ، وما لحق مدينة أو مدينتين كبيرتين من دمار . وعن طريق هذه الزخارف نقلوا شعورهم نقلا مجازيا بالكارثة الشاملة التى وقعت .

٣ - وعندما يحاول الناس الوصول الى معنى فانهم يقومون بعدة استدلالات كثيرة بعضها معقول وبعضها غير معقول . ومن بين

الاستدلالات المعقولة احتمال أن يفك الزلزال سراح الحيوانات النسي كانت فى الحقيقة • ولا نستطيع فى الوقت الحاضر أن نجزم ما اذا كان هناك ظل من الحقيقة فيما قيل أو لم يكن • ومن المحتمل أن تكون الاقفاص التى تهشم قد سمحت لبعض الحيوانات أن تهرب • ولكن كان من المحتمل عندما انتشرت الشائعة أن بعض العبارات كانت قد سويت لدرجة أن زبدت حدة اندفاع الحيوانات • كما يبدو أن تركيز القصة هو الذى جاء بهذه النهاية المفجعة للاجئين • ويلعب الخيال - فى الشائعة كما فى الاحلام - دور الموحد بين الاحداث المتباينة ، فهو يحيل الاشياء المعقدة الى أشياء عادية ، كما يخلع الترتيب والنظام على الفوضى والاضطراب • وفى هذه الحالة المعينة كانت الحيوانات موجودة فى حديقة جولدن جيت كما كان اللاجئون فى حديقة جولدن جيت أيضا ، فكانت النتيجة أن أصبح اللاجئون فى بطون الحيوانات •

٤ - أما شئق المجرمين فيمثل نهاية ذات مغزى وانتقاما خاليا • ولما لم يكن هناك سبب شخصى للكارثة فقد كان سالبو الموتى هم كبش الفداء فى طوفان هو من صنع الله •

٥ - وشائعات الفرع هى المرحلة الاخيرة من مراحل شائعات التمرد ، فليس هناك شئ غريب لا يمكن تصديقه بشرط أنه يفسر أو يخفف الاضطرابات السائدة • ولكن على خلاف شائعات التمرد فإن القصص التى يسببها الفرع ليس لها مراحل سابقة ما لم يتطور هذا الفرع بالتدريج ، وهذا موقف غير عادى •

٦ - وهنا لا نستطيع أن نقيم الدليل على وجود سلاسل من الشائعات • لقد كونت الكارثة وحدة كاملة من الاهتمام لدرجة أننا نستطيع أن نتخيل أن أحدا ممن نجوا منها قد قص هذه القصص على رجل غريب • ولا يمكن أن نتصور أن مواطنا من نيويورك أو شيكاغو

يصدق الخبر الذى يقول بتدمير مدينته • ان سكان هاتين المدينتين  
الكبيرتين لهن مستوى معين من الأدلة مما يجعل تصديقهم لهذه  
القصص حقيقيا • ومن المشكوك فيه أيضا أن تكون الصحافة قد  
نشرت أى شائعات يمكن التحقق من صدقها • لقد نشرت قصصا  
لا يمكن التحقق من صدقها بلا دليل الا دليل السمع فقط واستمر  
الناس يصدقونها فى جميع انحاء البلاد حتى فقد الموضوع اهتمام  
الناس به •

٧ - ويمكننا أن نتخيل بعد الصيت الذى يظفر به راوى هذه القصص  
المرعبة • ان الامة جميعها كانت فى حالة من الاضطراب يجعلها توافقه الى  
الاستماع الى أخبار من أى نوع • فحالما عرفت الخطوط العريضة للكارثة  
شعر الناس بنهم الى التفاصيل التى تكمل الصورة ورحبوا بها • ولذلك  
كان الجار الذى يقدم آخر الاخبار محل الترحيب وموضع الاستماع  
وحتى يمن هذا الجار على جيرانه كان يضيف الى قصته تفاصيل من  
نسيج خياله •

## النموذج الثانى :

لقد ذاعت القصة التالية فى أثناء زيارة مدام شانج كاي شيك لأمريكا فى  
عام ١٩٤٣ ويقال ان القصة وقعت فى مدينة بالتيمور • وتقول القصة : انه حدث  
فى أحد الايام أن دخل رجل محلا لبيع الجواهر وطلب شراء ساعة ثمنها ٥٠٠  
دولار • ولم يكن صاحب المحل يبيع سلعا بمثل هذا الثمن المرتفع ، ولكنه  
استطاع أن يجمع له ساعات قيمه ليختار من بينها ما يريد • فاختر المشتري  
عددا من الساعات يبلغ ثمنها ٧٠٠٠ دولار • وعندما سأله صاحب المحل عن  
الطريقة التى سوف يسدد بها الثمن قال المشتري أنه سكرتير مدام شانج وطلب  
منه أن يضيف الثمن خصما على معونة الاعارة والتأجير •

## التعليق :

كانت هذه من الشائعات التى انتشرت فى أيام الحرب العالمية الثانية المسماة شائعات « دق الاسافين » ، وكان الغرض منها الوقعة بين الولايات المتحدة وبين حلفائها • وكانت هذه القصص تقض مضاجع المسؤولين فى الحكومة • ومن نفس هذا النمط القصص التى كانت تداع عن استخدام الروس للزبد التى تصل اليهم من أمريكا طبقا لقانون الاعارة واثتأجير لتشجيع مدافعهم • كما كانت هذه القصص تروى أن البريطانيين كانوا يستخدمون أموال المعونة لشراء الجوارب النايلون وغيرها من الادوات الكمالية والادوات الاخرى النادرة ، وهكذا كانوا يحرمون المواطنين الامريكيين من السلع التى كانوا يهفون اليها •

١ - ويتضح بالدليل أنه يمكننا أن نتوقع رواج مثل هذه القصص فقط بين جمهور محدود من جماهير الشائعات • ففضيحة مدام شانج تستهوى الناس الذين يَصْمرون الحقد للصين ، أو - وهذا أكثر احتمالا - للحكومة الديمقراطية فى واشنطنطون •

٢ - وهذه الشائعة - مثل الشائعات العدائية - هى نتيجة الشعور بالفشل وخيبة الأمل • فكان نقص الأشياء وقت الحرب فى ازدياد ، وكانت الضرائب فى ارتفاع • فاذا كانت السلع التى بها نقص ترسل الى خارج البلاد ، واذا كان ايراد الضرائب يبعثر بغير حساب بواسطة حكومة غير حكيمة ، ألا يجعلنا هذا نشعر بالاستياء ؟ ونحن على استعداد لأن نقدم التضحيات من أجل الحرب ، ولكننا لا نشكو من الحرب نفسها ، انما نشكو من عدم كفاية هذه المجموعة من الاساتذة طوال الشعر ومن « ذلك الرجل » الموجود فى واشنطن • وتمثل الشائعة مزجا متقنا للعداء مع خيبة الامل ، وهى تخدم غرضين : شرح عدائنا السياسى ، وتبريره •

٣ - ويتضمن الدافع أيضا الهرب من الشعور بالذنب • فعندما كانت الحرب على أشدها ، كان كثير من الناس يشعرون فى الكماليات التى ما كانوا يستطيعون الانغماس فيها وقت السلم ، وما كان هذا ليتفق مع التأكيد على ضرورة التضحية وضرورة شراء سندات الحرب، ولكن اسرافنا الطفيف هذا يمكن أن نتناساه ونصفق عنه اذا ما قورن باسراف مدام شانج البالغ - وهى شخصية من أبرز شخصيات الحرب - حيث كانت تبشر أموالنا القومية لشراء الكماليات الخيالية •

٤ - وربما كان يوجد عنصر من عناصر التشبيه بالاعتقاد الدائم عن اسراف كبار الموظفين فى الصين وفسادهم • ولكن هذا العنصر - ان وجد - يكون عنصرا صغيرا حيث أن ضحايا هذا الاختلاس هم الامركيون لا الموظفون الصينيون •

٥ - وحتى يمكن تصديق القصة ابتعدت عن التجريد واعتمدت على الحقائق الملموسة ، وعلى ذلك ذكرت مبالغ محددة : ٥٠٠ دولار ، ٧٠٠٠ دولار • واحيطت القصة بما يشبه التفاصيل الدقيقة حتى يكون هذا جزءا من عملية جعلها قصة منطقية •

٦ - وبالرغم من أن مكان وقوع هذه القصة ليس مدينة بالتيمور فى كل الاوقات فاننا نعرف أن الاسم الذى خلق على هذه القصة يبقى دون تغيير ، ولا سيما اذا كان هذا الاسم يقع فى بداية القصة • فالعناصر الاولى من القصة هى التى تظل عالقة بالذاكرة •

ولو رويت هذه القصة دون ذكر اسم مدام شانج لما تغيرت المهمة المقصود منها ولكن تعيين اسم شخصية معروفة هى طريقة شائعة لتجسيد الشائعة ولتحويلها الى موضوع يثير اهتمام الناس فى ذلك الوقت بشكل عام وبشكل تقليدى •

## دليل لتحليل الشائعات :

ولقد قام البورت بوضع دليل لتحليل الشائعات ، يعتبر من أفضل المراجع التي تساعد أى محلل للشائعات ، كما أنها قد تعين القارئ فى تحليل شائعات مما يسمعه كل يوم . وفيما يلى بعض الاسئلة التي تعينه فى عملية التحليل . ويستند كل سؤال منها على مبدأ مقرر من مبادئ الشائعات . ولسنا فى حاجة الى أن نقول : أنه ليس من الضروري امكن تطبيق كل الاسئلة على كل الشائعات .

♦ هل القضية المطروحة قضية تنال التصديق وتستخدم للإشارة الى الموضوعات السائدة ؟

♦ هل يعوز راوى القصة والمستمع اليها الدليل على صحتها ؟

♦ هل تحتوى القصة على عنصرى الغموض والاهمية ؟ وأى العنصرين أبرز من الآخر ؟

♦ كيف تعكس الشائعة محاولة للوصول الى المعنى ؟

♦ هل تقدم الشائعة تفسيراً اقتصادياً أو مبسطاً لموقف بيئى أو عاطفى معقد ؟

♦ هل تفسر نوعاً من التوتر الداخلى ؟

♦ هل أساس هذا التوتر عاطفى أو غير عاطفى ؟

♦ هل هذا التوتر من نوع القلق أو العداء أو الرغبة أو الذنب أو حب الاستطلاع أو حالة عقلية أخرى ؟

♦ هل تبرز القصة وجود عاطفة أخرى غير مقبولة فى نفس الراوى ؟

♦ ما الذى يجعل القصة مهمة بالنسبة للراوى ؟

♦ كيف تقوم رواية الشائعة بعملية تخفيف ؟

♦ ما هى العناصر المنطقية التى تحتوى عليها القصة ؟

- ♦ هل تحتوى القصة أو الشائعة على ما يجعلها تحتمل أن يكون المقصود منها هو الاسقاط ؟
- ♦ هل تشبه الشائعة حلم اليقظة ؟
- ♦ هل يجوز أن تخدم مهمة التهرب من الذنب ؟
- ♦ هل تعكس اعتداء فى غير موضعه ؟
- ♦ هل يحتمل أن ينال راوى الشائعة سمعة من وراء روايتها ؟
- ♦ هل يجوز أن تكون رواية الشائعة بقصد جلب السرور الى نفس صديق أو لاسداء معروف ؟
- ♦ هل يجوز أن تكون الشائعة مجرد حديث عابر ؟
- ♦ هل يمكن أن يكشف الانسان جوهر الحقيقة التى تطورت منه الشائعة ؟
- ♦ هل هى شائعة محلية ؟
- ♦ الا يمكن أن يكون فيها أخطاء عند ادراكها الاول ؟
- ♦ ما هو الطريق الذى سارت فيه الشائعة منذ أن خلقت ؟
- ♦ ألا يحتمل أن تحتوى الشائعة على اضافات ؟ ومن أى نوع ؟
- ♦ هل تحتوى الشائعة على تحريف فى الاسماء أو فى التواريخ أو فى الأرقام أو فى الوقت ؟
- ♦ هل تحتفظ بمكانها أو باسمها ؟
- ♦ ألا يحتمل أن يكون فيها تغيير تام فى موضوعها .
- ♦ هل هناك دليل على محاولة خلق تقليد أو ابتكار مفترى ؟
- ♦ ما هو التمثيل الثقافى الذى يبادو أن الشائعة تعكسه ؟
- ♦ هل تشترك الشائعة فى صفة من صفات الاسطورة ؟



- ♦ هل يمكن أن تحوى قلبا تلحقا تق ؟
- ♦ هل تميل الى الناحية الفكاهية ؟
- ♦ هل توضح الحالات التى راحت فيها الشائعة خصوبتها ؟
- ♦ ماذا يمكن أن يكون قد حذف منها ؟
- ♦ هل احتفظت الشائعة بكلامها الغريب أو الاصرارى ؟
- ♦ هل زادت حدة الشائعة نتيجة تداولها ؟
- ♦ هل لعبت الحركة أو الحُجُم أو الرموز المعروفة دورا فى زيادة حدتها ؟
- ♦ هل تجسدت الشائعة أو تحولت الى شئ ملموس ؟
- ♦ ما الذى توضحه الشائعة من الميول ؟
- ♦ هل تعالج الشائعة الاحداث الجارية ؟
- ♦ هل تنسجم الاحداث الماضية بسمة الاحداث المعاصرة ؟
- ♦ هل تعكس ميولا فكرية أو ميولا عاطفية ؟
- ♦ هل كل التفاصيل مضمومة فى الموضوع الأساسى ؟
- ♦ هل حدث تركيز فى العناصر ؟
- ♦ هل هناك دليل على استهوارها استهوارا طيبا ؟
- ♦ كيف يتفق الاستيعاب مع المتوقع ؟
- ♦ هل تعبر عن عادات لغوية ؟
- ♦ هل هناك استيعاب بالنسبة للاهتمام النفسى الخاص بالمهمة أو الطبقة الاجتماعية أو الجنس أو غير ذلك ؟
- ♦ هل هناك استيعاب بشأن التحيز ؟

- ♦ هل يمكن أن يستمد أى جزء من الشائعة على سوء الفهم ؟
- ♦ هل تمثل الشائعة مزجا من الانفعال والكرهية ؟
- ♦ ما هو المعنى التعبيري أو المجازي للشائعة ؟
- ♦ هل تنتقل الشائعة على هيئة سلسلة من الشائعات ؟ ما جمهورها ؟
- ♦ هل تستهدف هذه القصة المعينة الناس لأن عقولهم مقلدة أكثر من اللازم أو لأنها مفتوحة ؟
- ♦ هل يمكن القول بأنها : شائعة خوف ، أو شائعة عداوة ، أو شائعة رغبة ؟
- ♦ هل يمكن أن تكون جزءا من حملة همسية ؟
- ♦ ما علاقتها - إذا كانت ثمة علاقة - بالآخبار ؟ بالصحافة ؟
- ♦ هل توصف القصة على أنها شائعة أو حقيقة ؟ هل تنسب الى مصدر مسؤول ؟ وما تأثير ذلك ؟
- ♦ هل يمكن أن تمثل مرحلة من مراحل أزمة نشر الشائعات ؟
- ♦ ما أفضل وسيلة لتفنيدها ؟

## حالة من مجتمعنا :

والآن سنحاول أن نحلل شائعة خلقتها الرجعية العربية والصهيونية العالمية للهجوم علينا لمحاولة النيل من انطلاقتنا واشماعة عوامل الخوف والقلق بين مواطنينا .

## الشائعة :

تبارت الصحف والاذاعات الاجنبية المعادية فى ترويج هذه الشائعة التى نشرتها صحيفة « الجريدة » اللبنانية بتاريخ ٢٣ من يوليو ١٩٦٥ تحت عنوان كبير

هو : « محاولة انقلاب عسكري للاطاحة بنظام الحكم في مصر » وقد أخذت في سرد بعض الافتراءات الكاذبة فقالت :

١ - ان أحداثا خطيرة كادت تطيح بنظام الحكم القائم في ١٦ من يوليو الجارى اذ وضع بعض ضباط الطيران بالانفاق مع بعض ضباط البحرية وضباط القوات البرية خطة انقلاب لوضع حد لجزرة اليمن .

٢ - كانت الخطة تقضى بقصف مقر رئيس الجمهورية الصيفى بالاسكندرية ومقر قيادة أركان حرب الجيش ، حتى اذا ما تم ذلك زحفت وحدات من القطاع العسكرى الشرقى على القاهرة .

وبعد هذه المقدمة وصفت تفاصيل هذه المؤامرة الوهمية فقالت :

فى صباح السادس عشر من تموز وصل الى مطار « الدخيلة » قائد السرب محمد عصام النصر يرافقه بعض العسكريين وحاولوا تعبئة القنابل على متن احدى الطائرات المطاردة زاعمين أنهم مكلفون بتهمة العرض الجوى احتفالا بيوم ٢٣ من يوليو . وعندما أبدى المسئول عن عنبر الذخيرة دهشته من الحاجة الى استعمال ذخيرة فى العرض أطلعه قائد السرب محمد عصام النصر على أمر بالمهمة غير أن المسئول عن الذخيرة شك فى التوقيع الذى يحمله الامر ، وانسحب ليتصل برؤسائه بينما انصرف المتآمرون لتعبئة الطائرة بالقنابل . وعندما تأكد المسئول عن الذخيرة من أن التوقيع مزور صاح بقائد السرب محمد عصام النصر وبرجاله فبادروه باطلاق النار عليه وعلى رجال الحامية الذين أجابوا بالمثل على اطلاق النار ودحرجوا البراميل على مدرج المطار ليمنعوا الطائرة من الاقلاع . لكن قائد السرب - النصر - ورفاقه تمكنوا من التحليق بالطائرة تاركين وراءهم أربعة منهم على ارض المطار . واتجهت الطائرة المعبأة بالذخيرة نحو الاسكندرية تطاردها طائرات « الميج » .

## وضع حد لحرب اليمن :

ولسنا نعلم أكثر من هذا عن تطورات هذه الحادثة ، ولكننا واثقون من بعض الأحداث .

وتروى المعلومات الواردة جانباً من الأحداث التي تلت ذلك كما يلي :

١ - اسقطت طائرة قائد الاسراب النصر بعد اقلاعها في منطقة وادى النطرون .

٢ - أعلن حالة الاستنفار في الجيش وألغيت جميع الاجازات .

٣ - ألقى القبض على عشرات الضباط من القوات الجوية والبحرية .

٤ - تم ابدال جميع حراس عتابر الذخيرة في جميع أراضي الجمهورية العربية وعززت بقوات اضافية .

٥ - وضعت جميع قوى الشرطة تحت تصرف قيادة أركان حرب الجيش .

٦ - عززت القوات المربطة على الحدود الليبية الجنوبية لتحول دون هرب بعض الضباط المشتركين في المؤامرة الذين لم يتم اعتقالهم .

وتشير المعلومات أخيراً الى أن المؤامرة التي لم تنجح كانت تعبيراً عن النقمة على حرب اليمن الباهظة التكاليف ، وغير المجدية ووضع حد للسلطة الفردية وللالتهيار الاقتصادي في البلاد .

التعليق :

هذه الشائعة قرية كاذبة من خلق الاستعمار والرجعية التي تسمانه ، وهي تتكرر في مثل هذا الوقت من كل عام ، وإن كانت تتلون بألوان مختلفة .

ولقد اختير هذا الوقت بالذات لاشاعة الخوف والقلق في نفوس الجماهير في وقت يستعدون فيه للاحتفال بالسناء المناسبة في تاريخهم الحديث .

١ - هذه الشائعة تعكس عداء الاستعمار والرجعية التي هالها انطلاقنا الثورية ، وتروى في وجود « عبد الناصر » خطرا يهدد مصالحها الاستعمارية والاستغلالية ، وهي تحمل بين طياتها عناصر الحق والكراهية ، وتعبّر عن آماني ورغبات أعداء الوطن .

٢ - من الواضح أن معادلة الشائعات تنطبق هنا . فاهمية الحدث هنا لا تؤثر على المصريين فقط ، بل يتأثر بها كل أبناء الوطن العربي الذين يعتبرون القاهرة ركيزة التحرر والانطلاق . أما الغموض فهو يظهر بشكل واضح من تسلسل حوادث القصة ، والتفاصيل التي ترونها . فالتناس لا يستطيعون أن يثبتوا ما إذا كان هناك انقلاب حقيقي أم لا ، الا اذا وقع فعلا ، كما أنهم لا يمكنهم أن يتأكدوا من حقيقة المعلومات التي تضمنتها هذه الشائعة ، فاذا أضفنا لذلك أثر الحرب النفسية المسعورة التي تعرضت لها البلاد في ذاك الوقت وجعلت الناس في قلق وخوف - نجد أن كل هذه العوامل ساعدت على اشاعة الغموض ، وزادت من صعوبة اكتشاف لب الحقيقة .

٣ - وعلى الرغم من أن هذه القصة كلها من نسج الخيال ، فإن هناك بعض عناصر المنطق التي تجعلها مطروحة للمتصديق .

فالتناس كلهم يعرفون أن هناك احتفالا سنويا لعيد الثورة ، كما أن الرئيس يقيم في مقره الصيفي بالاسكندرية بعد احتفالات يوليو ، وكذلك فإن القوات المسلحة تشترك في العرض العسكري الذي يقام لهذه المناسبة .

وبالاضافة لذلك قام خالقو الشائعة باضافة بعض التفاصيل التي تساعد على استيعاب الشائعة .

٤ - ولكن القصة من جهة أخرى يعوزها السليل بالنسبة للمستمع، وبإثره من الاختلافات والتعريفات التي صيغت بها القصة لتجعلها مستساغة عند سماعها ، فان تسلسل الاحداث وصياغتها يسعون الى الشك .

ان أول كذب في الشائعة هو عدم وجود ضابط طيار في القوات المسلحة باسم كمد عصام النصر، كما أن تفاصيل تطور الأحداث التي وصفتها تلك الصحيفة تدعو المستمع المبحر الى الشك في هذه التفاصيل : فاكشف تزوير التوقيع ، وشرح المعركة بين رجال الحامية والمتآمرين الوهميين ، ودحرجة البراميل لمنع الطائرة من الاقلاع ، لا نستطيع أن نصفها بأكثر من خيال طفل يحلم بما يراه في أفلام طرازن أو أعمال قراصنة البحار .

٥ - على أن هذه الشائعة ما هي الا إحدى الحملات الهامسة التي تعرضت لها بلادنا من كل أعداء الوطن ، ويجد فيها القارئ من ناحية التحيز نوعا من الاستيعاب . فربط هذه الشائعة بحرب اليمن والتشهير بها وبالوضع الاقتصادي في البلاد تبرز الحقد الكامن فيهم خلفها وروجها وتحيزها. ان حرب اليمن - وهي معركة المصير بين الاستعمار والرجعية وبين التحرر والتقدم - لابد أن يتصلب لها أولئك الذين يستغلون ثروات الجزيرة العربية ، وكذلك الذين يخشون على عروشهم من المد الثوري ، كما أن التشهير بالوضع الاقتصادي في الجمهورية العربية له شقان : الأول هو محاولة اظهار نظامنا الاقتصادي أمام الدول المتحررة بأنه فشل ، أما الشق الآخر فهو يهدف الى ضم صفوف الاقطاع الرجعي والرأسمالية المستغلة في مصر كمشترك في الخيانة وتبث سموم الافتراءات الكاذبة . ومن ثم فان التحيز يظهر بوضوح في هذه الشائعة من جانب من يههم زوال هذا النظام الذي يجرى مصالح الشعب من برائن أعدائه .

٦ - كما كان لهذه الشائعة صفة الاستمرار ، فقد عادت الادعاءات المعادية من استعمار ، ورجعية ، وصهيونية على تغذيتها ، في وقت كانت فيه

بالادنا معرضة لحمالات التآمر ، وللحملات الهامسة ، والضغط الاقتصادي . مما جعل عقول كثير من الناس غير مستقرة . وفي مثل تلك الأحوال يحاول الناس الوصول الى « المعنى » وهم بذلك يصلون الى استنتاجات كثيرة بعضها معقول وبعضها بعيد عن المنطق . ونجد في تفاصيل هذه الشائعة بعض الحوادث شبه المنطقية التي تكون ماثرا للجدل والتفاس مما يساعد على نشر الشائعة واستمرارها . ولقد استمرت هذه الشائعة فترة ليست قصيرة الى أن كذبها الرئيس عبد الناصر في أحد خطباته وفند أساليب الاستعمار والرجعية ، فذهبت الى الجحيم مع من خلقها وروجها .

وفي الختام سنقدم للقارئ خمس شائعات الغرض منها أن يقوم هو بنفسه بتحليلها مسترشداً بدليل الشائعات ، على أننا نود أن نذكر القارئ أن هذه الشائعات هي من صنع العدو، وهي تعبّر عن أمانيه ورغباته العدوانية ضد وطنه، ويقصد من ورائها بث السموم التي تهدف الى العمل على تقويض مجتمعا وتقييد انطلاقتنا . وقد أدرجنا تعليقا يسيرا بعد كل شائعة قد يساعد القارئ في التحليل .

#### الشائعة الأولى :

نشرت جميع صحف لبنان المعادية يوم ١٨ من ديسمبر سنة ١٩٦٥ أن غواصة مصرية جأت الى احدى الموانئ الفرنسية بعد أن تعطلت ، وذلك للحصول على بعض قطع الغيار اللازمة لها .

♦ تلك شائعة مغرضة قصد بها تشويه الزيارة الودية التي قامت بها غواصة مصرية لميناء فرنسي ، وتهدف الصحف من نشر هذه الشائعة ايها الرأي العام بأن الأسلحة المصرية التي وردت من المعسكر الشرقي هي أسلحة تنقصها المعدات وقطع الغيار .

## الشائعة الثانية :

نشرت جريدة الجمهورية اللبنانية في ٢٤ من يونيو سنة ١٩٦٤ تقول : ان البدر حذر من استملاك الاراضى فى اليمن وقال أنه سيرد الاراضى الى أصحابها عندما يتسلم الحكم فى اليمن ، ثم تقول الجريدة : والجدير بالذكر أن عددا كبيرا من المصريين قد استملكوا مساحات شاسعة من الاراضى فى اليمن •

♦ تلك شائعة وفرية كاذبة قصدت منها الجريدة ايفار صدور شعب اليمن وسائر شعوب البلاد العربية عامة على المصريين ، فتدعى أنهم ذهبوا الى اليمن لامتلاك الأراضى وطرد أصحابها منها •

## الشائعة الثالثة :

نشرت جريدة الحياة اللبنانية فى ٩ من ديسمبر ١٩٦٥ أن المشير عامر عقد اجتماعا يوم ١٦/١٠/١٩٦٥ أثناء وجوده فى باريس مع محمد ابن عم البدر ودارت بين الطرفين مناقشات حول مشكلة اليمن تمسك فيها المشير بالنظام الجمهورى ، وانفض الاجتماع دون خصام على أمل عقد اجتماع آخر بينهما •

♦ هذا الخبر على أهميته لم يشر فى أى جريدة عربية أو شرقية أثناء رحلة المشير الى باريس وما بعدها حتى الآن • وهذا يدل على أنه مجرد شائعة ساقطها الجريدة التى تعبر عن رأى الحلف المركزى • وتمولها المخابرات الأمريكية وقد قصد من نشر هذه الشائعة فى الوقت الذى تعثرت فيه محادثات مؤتمر حرض التأثير فى المؤتمر والتقليل من أهمية اتفاقية جدة التى وقعها الرئيس عبد الناصر شخصيا مع الملك فيصل •

## الشائعة الرابعة :

نشرت جريدة الجمهورية اللبنانية فى ١٧ من يوليو سنة ١٩٦٥ تعليقات عن القروض المصرية من دول العالم • • وبعد أن عدت أنواع القروض والقيم المالية



لها ٠٠ وكذا الدول التي وردت منها سواء من الشرق أو الغرب قالت : « انه لم تفتح مدرسة ، ولم يفتح مستشفى جديد أو تستصلح أراضى ٠٠ فأين ذهبت تلك الاموال الطائلة التي لم يظهر لها أثر في مصر ٠٠ ولكن ظهرت المجاعات والاستئجاب بروسيا وأمريكا لتوريد القداء والذخوم .

♦ هذه شائعة هادمة قصد بها الاساءة الى موقف مصر المالى والسياسى ، والى ثورتها الاشتراكية وأهدافها القومية ، وتناست الجريدة الاصلاحات الشاملة التي قامت بها الثورة فى شتى المجالات ومنها مجال التعليم والاصلاح الزراعى وغيره كثير وكثير ٠٠٠

#### الشائعة الخامسة :

نشرت مجلة الدبور اللبنانية فى عددها الصادر فى ١٨ من أكتوبر سنة ١٩٦٥ زجلا باللغة اللبنانية الدارجة أيدت فيه الاقتصاد الرأسمالى والتجارة الحرة فى البر والبحر حتى لا تنقلب الحياة الى عيشة مرة ثم قالت :

يا ألف لعنة علىاشتراكية خلتننا نمشى حد الشيوعية

وكل من بده يتبع هالطريق حيوصل للهلاك فيه باليه

♦ ان الأزجال والنكات من أهم وسائل ترويج الشائعات ، وهذا ما لجأت اليه المجلة حينما أرادت أن تربط بين الاشتراكية والشيوعية من جهة ، وحينما أرادت تشويه المبادئ الاشتراكية التى تدين بها القاهرة .

## مقاومة الشائعات

سبق أن بينا أن الشائعات ذات أثر بالغ على الروح المعنوية القومية لأى مجتمع ، وفى وقت الحرب تزداد خطورتها بما تسببه من خسائر فادحة فى جبهة الوطن نتيجة ما تشيعه بين المواطنين من روح الهزيمة والانقسام داخل البلاد .

وفى هذا الفصل سنحاول أن نتفهم المشكلات الرئيسية التى تواجه المجتمع فى مقاومته للشائعات ، مسترشدين فى ذلك بخبرة الحرب العالمية الثانية ، وهادفين الى أن نصل الى حل معقول لهذه المشكلة .

لقد سببت الشائعات ازعاجا كبيرا للمسؤولين فى الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من أن أجهزة الدولة بها كانت تدرك طبيعة دور الشائعات ومدى تأثيرها على الشعب ، فإن المشكلة التى كانت تحيرها هى كيفية تحديد خطة العمل ، ووضع الوسائل الملائمة التى تمكنها من مقاومة الشائعات .

لقد كان أثر الشائعات التى انتشرت فى الولايات المتحدة خطيرا لدرجة جعلت الرئيس روزفلت يلجأ بنفسه الى الاذاعة ليمفى شائعة معينة .

وسرعان ما أدرك المسؤولون أهمية مقاومة هذا الوباء ، فاستندت مسئولية مقاومة الشائعات الى جهازين رئيسيين: أحدهما مكشوف ويتبع ادارة الاستعلامات الخارجية الامريكية ، والاخر سري كان يطلق عليه « عبادة الشائعات » (١) .

ولقد قام الجهازان - وقد كان لكل منهما اتجاه وفلسفة - بمقاومة الشائعات ، وبذلا مجهودات مشكورة في توجيه صفوف الشعب ، ورفع معنوياته .

كانت فلسفة الجهاز الاول تعول على ايمان بال قاعدة التي تقول بأن « الشائعة تروج اذا غاب الخبر » . ولذلك ركز هذا الجهاز نشاطه على تحسين مستوى انتشارات الاخبارية وزيادة ثقة الشعب فيها ، وكان من رأيه أن ترد يد الشائعات بغرض تنفيذها يؤدي الى نتائج عكسية على أساس أن خلق الشائعة بواسطة الحقائق أفضل من محاولة اثبات كذبها عن طريق تفنيدها ، فقد يخشى في أثناء هذه العملية أن تساعد الظروف على انتشارها .

أما عبادة الشائعات فقد كانت سياسيتها تسير في اتجاه مضاد ، إذ كانت تركز مجهودها على تنفيذ القصص الزائفة ، وكانت فلسفتها تعتمد على أن الناس لا يمكنهم الربط بين الحقائق الا اذا وضعت لهم . ولذا كانت تنادى بأن أنجح وسيلة في مقاومة الشائعة هو ترديدها ثم سحقها بشدة .

---

(١) اصطلاح اطلق في الحرب العالمية الثانية على أسلوب مقاومة الشائعات في الولايات المتحدة ، على أساس استخدام الصحافة في تنفيذ الشائعات المغرقة . ويرجع الفضل في انشاء هذا السلاح الدفاعي الى الصحفي مستر و . ج . جافين W. G. Gavin من صحيفة هيرالد تريبيون بوسطن الذي قام في المدة من مارس ١٩٤٢ حتى ديسمبر ١٩٤٣ بإصدار صحيفة أسبوعية بمساعدة بعض علماء النفس المحليين وغيرهم من المواطنين . ومصادف الفكرة هوى في نفوس أربعين صحيفة وعدد من المجلات في الولايات المتحدة وكندا . كانت الشائعات التي تنتشر عادة عادية والردود قصيرة ، وفي بعض الأحيان كان يقوم احد علماء النفس بكتابة احد الاعددة لكثير بعض المعلومات والعوارف السيكولوجية اللازمة للهم الشائعات المقدة فهما سليما .

لقد كانت طريقة العيادة تتلخص فى دحض الشائعات بواسطة الاخبار وأن تمنع القصص الكاذبة بواسطة الحقائق • كانت تساعد الجمهور على أن يميز أو يفرق بين العاملين ، وحتى اذا حدث فى بعض أحوال وكان هناك وعى للشائعات أكثر من اللازم فان الشك فى الاخبار وصحتها يكون أخف ضررا من المغالاة فى التصديق •

وعلى الرغم من أن كلا الجهازين استخدم الحقائق والمنطق فى الاسلوب الذى اتبعه فان المعلومات والجدل لم يكونا كافيين لمحو الشائعات التى تعيش على المخاوف والاحقاد ، ففي مثل هذه الشائعات - كما وضعنا - تكمن فى داخل نفوس مروجيها دوافع ذاتية لا يمكن نزعها منهم بسهولة ، وهم لا يتوانون عن الاستمرار فى تغذية الشائعات وتنويعها بصور وأشكال توحى بتصديقها •

ولذا فان تنفيذ هذا النوع من الشائعات يعتبر عديم الجدوى ، وفى مثل تلك الحالات نحتاج الى أكثر من تصحيح المعلومات وأعمال المنطق لآخراس السنة مروجى الشائعات المغرضين • ان الأمر يتطلب تخطيطا عاما شاملا على أعلى مستويات الدولة ، كما يتطلب تكاتف جميع أفراد الشعب بروح من الايمان والعقيدة الراسخة للقضاء على هذا الوباء •

والواقع أن أفضل الوسائل هو عدم محاولة ترديد شائعة أو تكذيبها • ان الوسيلة الوحيدة الفعالة فى القضاء عن الشائعات وخاصة التى تحوى بذور الكراهية والحقدهى اصدار البيانات الصريحة التى تقضى على مصدر المتاعب نفسها لا على الشائعة نفسها ، اذ أن الشائعة ليست سوى مظهر من مظاهر المتاعب •

فاذا ما قامت أجهزة الدولة المختلفة متعاونة مع الشعب بالهجوم غير المباشر على مشكلة الشائعة ، باصدار الحقائق المتعلقة بموضوع الشائعة ، وكذا البيانات السليمة التى يجب أن يعرفها الناس - أمكن الى حد كبير ازالة كثير من أسباب الغموض الذى يساعد على رواج أى شائعة •

وهنا يبرز دور أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة وغيرها فى تنمية ثقة الناس بالأنباء ، وتوضيح خطورة تداول هذه الشائعات على الروح المعنوية وبالتالي على الوحدة القومية .

على أن اقتفاء خط سير الشائعات ومحاولة الوصول الى جذورها يساعدان الى حد كبير على وضع يد المسؤولين على مروجى الشائعات الذين يرتكبون بخلقهم لها وترويجها جريمة فى حق الوطن كمن يقوم بنسب مصنع أو أداة من أدوات الانتاج .

ويستطيع علماء النفس بواسطة الوسائل الحديثة أن يراقبوا عملية انتشار الشائعات من مكان لآخر ، وأن يقيسوا سرعة انتشارها . وكلما أمكن انتقال شائعة الى مكان استطاع المختصون ادراك السبيل التى سارت فيها وانتشرت عبرها .

ان تحليل الشائعات السليمة المبني على الاسس العلمية قد يعطى للمسؤولين فى الدولة صورة واضحة عن الدوافع الذاتية والسيكولوجية التى ساعدت على انتشار الشائعة ، كما تمكن من معرفة ما يدور بخلد الناس . اذ أن الشائعات كما سبق أن أشرنا تساهم الى حد ما فى خلق الرأى العام ، ومن ثم يسهل حل الكثير من المشكلات ، ووضع الخطط المناسبة لكل حالة من الحالات .

ولكن هل يكفى اظهار الحقائق، واصدار البيانات السليمة ، وتكاتف أجهزة الدولة المختلفة فى الحد من انتشار الشائعات ؟ الواقع أنه اذا لم يكن لدى الشعب الوعى الكافى بالنسبة لخطورة الشائعات وبالنسبة للدوافع والعوامل التى تعمل على رواجها يصبح من العسير على المجتمع أن يقضى على السموم التى يبذرها المروجون والمفرضون .

ويقول كل من الجورت وبورتسمان فى هذا الصدد « ليس من الصواب أن نقول : أن المعلومات الذاتية أو البصرية تشفى تلقائيا كل عاداتنا الشريرة

أو تضفى علينا حرية لا حد لها من الإرادة • ولكن المعروف أن معرفة الطريق التي يعمل بها قانون من القوانين تؤدي غالبا إما إلى تغييره وإما إلى إبطاله •

ولذلك فإن الناس الذين لديهم وعى بالنسبة للشائعات من غير المحتمل أن يقعوا ضحايا لها • ولهذا نجد ما يمرر جميع الأعمال التي يقوم بها علماء النفس في زمن الحرب ، وكذلك كتاب المجلات والمذيعون والمحررون الذين يعملون في عيادات الشائعات • وهنا يثار الجدل حول ادخال دراسة الشائعات ضمن برامج الدراسات الاجتماعية في المدارس والجامعات ، فالشبان الذين يعرفون قانون الشائعات يكونون أقدر على تحصين أنفسهم في مواقف كثيرة يكون فيها الدليل غير مضمون • ويجب أن نبذل جهدنا حتى لا يسبب الخرص والتشكك الوصول إلى السلبية ، فالشخص الشديد الارتياح في الشائعة قد يتطور به الحال بحيث لا يصدق حتى أصداق الأنباء المحققة » •

وليس هناك شك في أن الوعي يلعب دورا كبيرا في مقاومة الشائعات ، ولا سيما إذا كان في مجتمع تسوده المتناقضات الفكرية والاجتماعية ، أو يكون للخرافات والعادات البالية أثر في توجيه الناس لحياتهم العامة •

إن لأولئك الذين لا يزالون يؤمنون بأعمال السحر والخرافات الاستعداد لتقبل أي أحاديث أو روايات يسمعونها •

وتشير الدلائل إلى أن معظم الذين يؤمنون بالخرافات غير أذكياء إلى حد ما ، بل يفتقرون إلى الاستقرار العاطفي ، كما أن آباءهم وأمهاتهم ممن يؤمنون بالخرافات • ويمكن القول : إن خرافات وثيقة الصلة بالشائعات ، ومن الواضح أن الأشخاص ذوي الاطلاع والدراية يميلون إلى عدم قبول الشائعة •

ومن هنا يتضح لنا الدور الكبير الذي يجب أن يلعبه المدرسون والاساتذة في المدرسة والجامعة في خلق الوعي اللازم ، والقضاء على تلك الافكار البالية التي قد تكون موجودة في هذا الجيل الصاعد ، على أنه لكي يكتمل الأمر يجب ألا يغيب

عن بالنأ أن توعية الأب والأم من أهم الضروريات • فالمدسة والبیت متلازمان ، وهما التربة التي يخرج منها النشء بأفكاره وعقائده •

ولنعد الآن الى الحديث عن « عيادة الشائعات » التي سبق أن أشرنا إليها • لقد قامت المجلات الامريكية ذات التوزيع الواسع بعمل دعايات واسعة جدا لأغراض عيادات الشائعات ، وعن طريق القصص المختلفة أمكنها أن تخلق في الجمهور بصفة مؤقتة وعيا بشأن الشائعات ، كان على هذه العيادات أن تستمد معلوماتها من مصادر مختلفة ، فدعت قراءها كي يصبحوا « مراسلي شائعات » وهكذا أصبح القراء المهتمون بالموضوع المصادر الرئيسي لها • وأنشئ في بعض المراكز قسم لتحليل الدعايات تحت اشراف لجنة الأمن العام المحلية • وفي بعض الاماكن كان ضباط الاشراف على الغارات الجوية وغيرهم يجتمعون اجتماعات دورية ليلبغ كل منهم فيها عن محصول الشائعات التي سمعها في منطقته خلال هذه المدة • وكان عمال السيارات وسائقوها والحلاقون يعملون كمبلغين عن هذه الشائعات •

ولكن بعض عيوب خطيرة ظهرت نتيجة لاستخدام مواطنين غير مدربين للعمل كمبلغين عن الشائعات. فمن جهة كان كثير من الناس يأنفون من هذا النوع من العمل ، بالرغم من أنه لم يكن محتما ذكر اسم الشخص الذي يقوم بترويج الشائعة • والاخطر من ذلك اكتشف أن قلة من غير المدربين هم الذين كان في مقدورهم أن يتعرفوا على شائعة ، ويسجلوها وينقلوها لدى سماعها ، ولا سيما أن بعض الناس كانوا يتحرون الصديق فيما يسمعون ، وعلى ذلك لم يكونوا يميلون الى اعتبار ذلك شائعة • ومن جهة أخرى كانت هناك حقائق ثابتة بالوثائق ، ولكنها كانت توصف بأنها من قبيل الشائعة اذا كان سماعها لا يستسيقها • ومع ذلك وبالرغم من هذه الصعاب اشترك كثير من الناس في عملية السيطرة على الشائعات ، وشعروا بالرضا التام عن عملهم الذي ساهموا به في بناء الروح المعنوية ، وفي الوقت نفسه تعلموا كيف يتجنبون الثثرة •

ولقد تعرف رجال علم النفس خلال تجربة عيادة الشائعات على كثير من المشكلات التي كانت تقف عقبة في طريق عملهم ، وحاول البعض تقييمها من

ناحية أسلوب عملها وأثرها في مقاومة الشائعات ، فيقوم البورث وبوستمان بتحليل رائج لدى خطورة أسلوب عبادة الشائعات واحتمال نشر القصص الكاذبة في أثناء تفنيدها لها ، وهما يبدسان في هذا المجال : « هل من المحتمل أن يحدث عند محاربة شائعة أن نشرها دون قصد ؟ » ولقد أدليا في هذا المجال برأيهما ، ونحن نلخصه فيما يلي :

لا يبدو محتملا أن عملية نفي الشائعة أو المستخرجة منها يمكن أن يتجاهلها القاري . كان من يقرأ الأعمدة الخاصة بالشائعات هم العقلاء من السكان الذين تتسم دوافعهم بالوطنية بينما تستطيع عقولهم نقد السعاية اذا قدمت لهم العوة للتعرف عليها . وكانت هذه الاعمدة المكتوبة تعليمية في محتواها وفي شكلها . لم تكن تنشر أي شائعة الا ومعهما نقيضها مستندا الى برهان أو حجة ، وكان هناك تحليل موضوعي للشائعة وتفنيد لها ، وكانت الاحتياطات المتخذة تضمن - الى جانب النفي والنفق بالحجة - لغت النظر الى عملية الطبع والى الاسلوب ، اذ يستحسن عدم طبع الشائعة بحروف كبيرة واضحة . والاهم من ذلك يجب افساد ما قد يكون فيها من موسيقى لفظية وروح فكاهية خفيفة .

أما بالنسبة لعيادات الشائعات على الهواء فالأمر يختلف ، ويمكن الخطر في أن المستمع قد يدير جهاز الراديو لسماع نص الشائعة ثم يقلل الجهاز قبل أن يستمع الى تفنيدها .

وقد أظهرت إحدى التجارب التي أجراها مكتب الاستعلامات اخرى الاخرى عدم سلامة هذه الطريقة السلبية ، فقديم برنابا اداعيا خاصا بالشائعات الى عدد من المستمعين - رجال ونساء . وقد أظهر تحليل تصرفاتهم اتجاهات غير مرضية . فاولا لم ينجح المستمعون تماما في التفنيدات التي سمعوها عن طريق الراديو ، وحتى نفس الشائعات التي أنكروها منذ البداية كانوا لا يتذكرون منها سوى واحدة من كل ثلاث . ومن بين الشائعات التي أذيعت في هذه التجربة كان ٧٠ ٪ منها لم يسمع بها من قبل أو كانت قد نبذت لاقتناع الناس بكذبها ، أما الـ ٣٠ ٪ الباقية وهي التي سمعت وصدقت من قبل فقد ظل ١٤ ٪ منها محل التصديق حتى بعد اداعتها على الهواء .



ولكن هذه النتيجة لا تعنى أن ننكر قيمة الاذاعة فى الحد من الشائعات •  
كما أن دور التلفزيون قد زاد من قيمة ذلك على أساس أن الموضوعات المعقدة  
والعسيرة يمكن تفهمها بطريقة أفضل عن طريق العين • ومن هنا يمكن استغلال  
الاذاعة والتلفزيون فى نشر برامج مسبقة هادفة ، ومن هذه البرامج يمكن  
تقويض الدعايم الأساسية التى تركز عليها الشائعات ، وزيادة الوعي لدى  
الجمهور » •

وينتقل البورت وبوستمان فى بحثهما الى نقطة أخرى متسائلين :

« هل ساعدت عيادات الشائعات على تخفيض انتشار الشائعات ؟ وفى  
اجابتهما عن ذلك يقولان : « من الصعب اعطاء اجابة حاسمة ، ولكن هناك خطين  
من الأدلة فى متناول أيدينا ، وهما حتى الآن فى صالح عيادات الشائعات •  
ففى المدن التى انتشرت فيها هذه الاعمدة أصبح واضحاً أن الجمهور قد نضج  
وعيه بالنسبة للشائعة • وكانت الاحاديث التى تدور تبين هذه النقطة • فكان  
إذا سمع أحدهم شائعة يقول : سوف أرسل هذه الشائعة الى العيادة ؟ وقد دلت  
حوادث لا حصر لها على أن نوعاً من المناعة العامة قد زرع فى الناس نتيجة مجهود  
هذه العيادات •

« وعلى سبيل المثال أجريت تجربة واحدة لاختبار مدى المناعة ضد الشائعات  
التي حصل عليها قراء هذه العيادات • ففى مدينة سيراكيوز أجرى اختبار  
شخصى لعدد من السكان عن مدى تصديقهم لبعض القصص الشائعة الخاصة  
بالاسراف والمحسوبية • فوجد من البحث والتحريات أن تصديق من كانوا  
يقرأون أعمدة عيادة بوست ستاندرد أقل من تصديق من لم يكونوا يقرأونها  
بمقدار ٦٥ ٪ •

« وإذا جمعنا القراء المنتظمين على القراء غير المنتظمين دل على أن مناعتهم بلغت  
زيادتها ٤٤ ٪ ، وعلى الرغم من أن الفرق ليس كبيراً - وقد يكون ذلك متأثراً بمستوى

التعليم - فان معناه كبير ، لأن ٢٧٪ فقط من السكان هم الذين تقبلوا الشائعة .  
ومن ثم كان مدى تصديق القراء النظاميين للشائعة هو ٢٥٪ اذا قورن بمدى  
تصديق غير القراء .

« واذا فرضنا أن هذه العيادات نجحت في خلق درجة معينة من المناعة العامة  
فهل هذا أدى الى خلق نوع من الريبة في كل الاخبار ؟ انما نذكر أن شيئاً شبيهاً  
بهذا حدث في أعقاب الحرب العالمية الاولى . فقد أصبح وعي الجمهور بأعمال  
الدعاية قويا لدرجة أنه كان يشمتبه في وجود دعاية خلف كل شجرة وتحت  
كل سرير . وقد انتقل هذا الشعور الى الحرب العالمية الثانية لدرجة أن أى  
تقارير كانت ثابتة ومحققة بالوثائق بخصوص معسكرات الاعتقال وغيرها من  
أعمال النازي الوحشية - كانت محل تكذيب الجماهير على أنها من اختراع أعمال  
الدعاية . ولكن ليس هناك دليل على أنه كان لعيادات الشائعات أثر مثل ذلك » .

## السيطرة على الشائعات :

وبوجه عام فان النقاط والقواعد التالية التى تقوم فى الواقع على ملاحظات  
فنية يمكن الاسترشاد بها فى السيطرة على الشائعات ، وسيجد أولئك الذين  
يحاولون محاربة الشائعات فائدة كبيرة فى اتباعها :

١ - الايمان والثقة بالبلاغات الرسمية ، اذ أنه لو فقدت الجماهير الثقة  
فى هذه البلاغات فان الشائعات تأخذ فى الانتشار .

٢ - عرض الحقائق على أوسع مدى ، ويجب أن تستغل الصحافة، والاذاعة،  
والتليفزيون فى تقديم أكثر ما يمكن من الأنباء ، مع حذف التفاصيل  
التي قد ينتفع منها العدو . ان الناس تريد الحقائق فاذا لم يستطيعوا  
الحصول عليها فانهم يتقبلون الشائعات .

٣ - الثقة في القادة والزعماء أمر جوهري في مقاومة الشائعات ، فقد يتحمل الناس الرقابة على النشر أو نقص المعلومات ، بل قد يحسون أن ما يسمعون له ليس الا أكاذيب غير صحيحة اذا ما كانت لديهم ثقة بقادتهم . وفي مثل هذه الاحوال يكون لدى الناس الوعي الكافي لادراك أسباب نقص المعلومات التي لو نشرت قد تفيد العدو .

والثقة بالقادة والزعماء تعني الثقة بالجهاز الحاكم ابتداء من رئيس الجمهورية حتى أصغر موظف في الدولة . أما في القوات المسلحة فيجب أن تشمل الثقة كل الرتب من أكبر القادة الى أصغر عريف .

٤ - ان الملل والجهول ميدان خصب لخلق الشائعات وترويجها ، فالعقول الفارغة يمكن أن تمتلئ بالأكاذيب ، والأيدي المتعطلة تخلق السنة لاذعة . ولذا فإن العمل والانتاج وشغل الناس بما يعود عليهم بالنفع يساعد الى حد كبير في مقاومة الشائعات .

٥ - غالبا ما تكون الشائعات الهجومية المسمومة نتيجة دعاية العدو ، أما من يقوم بترويجها فهم أولئك الذين يعتبرون أعداء للوطن . ولذا فإن النجاح في كشف دعاية العدو بطريقة سهلة واضحة ومحاربة مروج الشائعات بكل وسيلة لهما دعامتان أساسيتان يركز عليها تخطيط مقاومة الشائعات .

ولقد سبق أن شرحنا قيمة « عيادة الشائعات » في مجال مقاومتها ، ولذا يمكن استخدام هذا الأسلوب بصورة مصفرة في أى مؤسسة أو مصنع أو تشكييل ، ويشجع الافراد على أن يسألوا عن الحقائق وتفنيد لهم الاكاذيب والباطيل .

وبستطيع كل مصنع أو معسكر أن يقاوم الشائعات محليا بطريقة سهلة ميسرة ، اذ توضع لوحة في مكان ظاهر ويسجل فيها كل الشائعات الكاذبة ،

وبعد قليل ستملء اللوحة بشائعات متناقضة ، ومن ثم لا يمكن لأى فرد أن يصدق ما يسمع .

على أننا نود أن نشير الى نقطة هامة وهى صعوبة جعل كل أفراد الشعب مشغولين ، ولذا فإنه يمكن مواجهة ذلك عن طريق عيادة الشائعات والحملات المضادة .

كما يجب أن نضع فى أذهاننا أن الانشغال الزائد عن الحد المعقول يجعل الفرد يهوس لنفسه برغبات ، وتدور من ثم بخاطره بعض عوامل القلق مما يجعله يبدأ بالحدس والتخمين فيصبح نهبا للشائعات .

ولقد ظهر لنا بوضوح فى خلال الفصول المختلفة من هذا الباب أن الشائعة تتغلغل بعق داخل نسيج المجتمع . ورأينا أن أحداثا تاريخية كثيرة قد حسمها تصرف الناس حيال الشائعات ، كما أن كثيرا من معتقداتهم كانت وليدة القصص والأساطير القديمة .

إن سمعة الخداع التى تتسم بها الشائعة هى نتيجة كون الشائعة – وأن تكن مثيرة – تلبس لباسا زائفا ، كأنها الأداة التى توفر الأنباء الموضوعية . والحقيقة أن وظيفتها الخفية أهم بكثير من وظيفتها الاخبارية المزعومة .

وكما سبق أن بينا أن صفة التملص التى تتسم بها الشائعة هى نتيجة المزج المركب لعاطفتى الحب والكراهية فيها . إن معناها الوظيفى يمكن التعرف عليه بالتغلغل فى أعماق شخصية الفرد وفى حياته العقلية . فبعض الجماهير المعينة يستهويها أنواع معينة من الشائعات . وتعتمد سلاسل الشائعات على مدى ما يكون لهذه الشائعات من قدرة على استهواء الافراد الذين يبتكرونها . وكلما اشتد الاضطراب كثر عدد حلقات سلسلة الشائعة . وتعمل الحروب والشغب والانتخابات على توليد هذا النوع الماكر من الشائعات التى نطلق عليه عادة اسم « الحملات الهامسة » . ومن المؤكد أننا اذا أردنا السيطرة على الشغب يجب أن نحذر الشائعات .

ولما كان الناس لا يعرفون الشائعة عندما يصادفونها ، ولما كانوا لا يمتنعون عن تصديقها لأنها توصف بأنها شائعة ، فإننا نستنبط من ذلك أن الجمهور لم يحصل بعد الى مرحلة الوعي تجاه الشائعات • انه لم يحصل بعد على مناعة ضدها •

ولا يمكننا أن نتوقع أن نقلل من أهمية الشائعة في المجتمع الا اذا تحققت عدة اشياء • يجب أن تكون الأنباء أكثر دقة ، وأن تنجح أكثر من ذي قبل في التغلغل في عقول كل من يستمعون اليها • ويجب أن يجد الناس الذين يريدون أن يعرفوا تفسيراً لما يجري حولهم التوضيح الكافي لما يريدون • اذا حدث هذا قلت حالات الكراهية ، وحالات الخوف التي تجد تخفيفاً عنها بواسطة التخيلات • وأخيراً يجب أن نصل الى طريقة لعلاج التسمويه الديناميكي الذي يحدث لكل عمليات الادراك والتذكر •

ولما كان من غير المحتمل أن تتحقق الأشياء سالفة الذكر في المستقبل المنظور ، فكل ما يمكن للفرد أن يعمله ليحصل على مناعة ضد الشائعات هو أن يكون ملماً على قسائر الامكان بظواهر الشائعة السيكولوجية والاجتماعية ، وعن طريق التدريب المستمر تزيد قدرته على التعرف على الشائعات اليومية التي تصل الى أسماعه وتحليلها •

# البيان الرعاية والرأي العام

- ◆ الفصل الأول  
تأثير الرأي العام
- ◆ الفصل الثاني  
وسائل استخدام الرعاية
- ◆ الفصل الثالث  
دور جمهور الرأي في تقييم الحرب النفسية



## تأثير الرأي العام

قد يتساءل القارئ : ما علاقة دراسة الرأي العام بالحرب النفسية ؟  
والاجابة عن ذلك سهلة • ان الرأي العام - أكثر من أى قوة أخرى - هو  
الذى يحدد كيف يفكر الناس وكيف يتصرفون •

ولقد سبق أن قلنا : ان الحرب النفسية توجه ضد عقل الانسان وضد  
ما يفكر فيه ، ومن ثم كان لدراسة الرأي العام اتصال وثيق بموضوع هذا  
الكتاب •

على أننا يجب ألا نجرى وراء الخيال فنقول : ان الفصل سيغطي موضوع  
الرأي العام ، ولكننا سنعرض له فقط من زوايا معينة هي التى تتصل بموضوعنا .

### تعريف الرأي العام :

ان « الرأي العام » تعبير غير دقيق ، أو غامض • ولكن عمليات تحديده  
قد تكون عديمة الجدوى فى معظم الاحوال ، وذات قيمة فى بعض الاحوال •

لقد اختلف العلماء فى وضع تعريف محدد له ، فمن قائل : انه التعبير عن  
موضوع مختلف عليه ، ومن قائل : انه رد الفعل الذى يقوم به الناس دون فهم  
واضح لما يؤمنون به أو لآرائهم وموقفهم وحكمهم •



ولكن مثل هذين التعريفين ضيق ، ولذا علينا أن نعرض كثيرا من التعريفات الأخرى التي قد تنير الطريق . ووفقا لتعريف حديث نقول : ان رأى العام يعنى اتفاق وجهة نظر الناس تجاه موضوع ما طالما كانوا أعضاء في مجتمع واحد ، ويحتمل أن يجمع كثير من الخبراء على هذا التعريف .

وكثيرا ما يردد خبراء البحوث الخاصة بالرأى العام أنه ليس هناك رأى عام « مفرد » لأن رأى العام يستوعب آراء عامة . حتى كلمة « العام » تستبعد آراء غير العقلاء والصغار والمسنين والمسجونين وغيرهم . ويواصل هؤلاء الخبراء الكلام فيقولون ان الجماهير نفسها تنقسم الى أنواع . فمن الناحية النظرية نرى أن عدد أنواع الجماهير فى مجتمع من المجتمعات هو عدد فى تجمهرات الافراد . ومن هذه النقطة نقول : ان رأى العام هو مجموعة آراء فردية بفض النظر عن اتفاقها أو وحدتها . ان درجة تجانسها لا تعتبر شرطا أساسيا فى وجود رأى العام .

بهذا التعريف الذى نتخذه كنقطة ابتداء نقول: ان الظاهرة الجديدة بالملاحظة فى عصرنا الحالى هى أطراف أهمية الجماهير الصغيرة . لقد اتسع نطاق الاتصالات الانسانية وكانت نتيجة ذلك تزايد أهمية العلاقات العامة . ولا ينبغي هنا أن نقصر كلمة « رأى العام » على جماهير الشعب . وذلك لأنه كان من نتيجة زيادة الجماهير الكبيرة الذين تنظمهم العلاقات الانسانية ان زاد الاهتمام البالغ بالرأى العام .

ويرى ادوارد الزورث روس<sup>(١)</sup> Edward Alsworth Ross - العالم الاجتماعى المعروف - ان رأى العام يتضمن : الحكم العام ، والميل العام ، والعمل العام . ويبنى روس هذا الحكم على الاكتشاف الذى يقول : ان رأى الفرد عن نفسه

---

(١) روس ، ادوارد الزورث ( ١٨٦٦ - ١٩٥١ ) من بواكير كتاب علم النفس الاجتماعى الأمريكين خريج جامعتي برلين وجون هوبكنز ، كان يجيد عرض كتاباته العلمية وقد بذل جهدا لاستمالة الاهتمام بمشكلات الأبحاث الاجتماعية أول كتبه Social Control صدر سنة ١٩٠١ ، وأخرج بعدها علم النفس الاجتماعى سنة ١٩٠٨ آخر كتبه New Age Sociology صدر سنة ١٩٤٠

لا يكون نتيجة ادراك الخواص وانما يشككه الایحاء . فنادرا ما يحدث أن ينظر شخص الى عمل على انه خير اذا كان الآخرون يرون أنه شر . كذلك لا يمكن أن ينظر الشخص الى نفسه على أنه بطل إذا كان الآخرون ينظرون اليه على أنه جبان . ويسترسل روس في ذلك فيقول : ان السيطرة الاولى للناس على شخص ما هي الا نتيجة قدرتهم على اثارته ضد نفسه . ونادرا ما يحس الشخص العادي بسمطرة الرأي العام عليه لأنه ألف ذلك . ففي عالمنا الحديث - على خلاف الأزمان الماضية - يكاد يستحيل علينا أن نفكر في شيء الا في ضوء تسليمنا ورضانا بما تقرره الجماهير . وليست المسألة خوفا من غضب الجماهير وانما هي العجز عن الوقوف دون تأثير في مواجهة تعليقات الجموع المعادية ، كما هي العجز عن الحياة على الرغم من الخلاف الدائم في الضمير والشعور مع هؤلاء الذين يعيشون من حوله .

وهناك محاولة أخرى أكثر طموحا لتعريف الرأي العام ، هي التي قام بها فلويد هـ . ألبورت Floyd H. Allport استاذ علم النفس السياسي والاجتماعي . وقد ظهر هذا التعريف في المقال الاول من العدد الاول من « صحيفة الرأي العام » التي تظهر كل ثلاثة شهور .

يعرف ألبورت الرأي العام بقوله :

« تطلق كلمة « الرأي العام » على موقف عدد من الافراد يعبرون فيه او يطلب منهم التعبير فيه عن موافقتهم أو تأييدهم - أو عكس ذلك - حالة محدودة أو شخص محدد أو اقتراح محدد تكون له أهمية واسعة سواء من ناحية : العدد ، أو القوة ، أو الدوام مما يؤدي الى احتمال التأثير في العمل - المباشر أو غير المباشر - الذي يحقق بدوره الهدف المنشود » .

اكتشف ألبورت أن الظواهر التي تدرس تحت كلمة « الرأي العام » هي أساسا أمثلة من أنواع السلوك تصدق عليها الاحوال الآتية :

- ♦ انها سلوك الافراد \*
- ♦ انها تتضمن اللغو \*
- ♦ يمارسها أفراد كثيرون \*
- ♦ يدفع اليها ويوجهها هدف أو موقف معروف من الجميع \*
- ♦ ان الهدف أو الموقف الذى يتصل بها ذو أهمية للكثيرين \*
- ♦ انها تمثل العمل أو الاستعداد للعمل على شكل موافقة أو عدم موافقة على الهدف العام \*
- ♦ وغالباً ما يؤديها الشخص وهو مدرك أن الآخرين يتصرفون فى نفس الموقف بنفس الطريقة \*
- ♦ يعبر الأفراد - أو على الأقل يبدو استعدادهم للتعبير - عن وجهة النظر أو الرأى الذى تتضمنه هذه الانواع من السلوك \*
- ♦ ويجوز أن يكون الافراد الذين يقومون بها فى حضور آخرين أو فى غيبتهم \*
- ♦ يجوز أن تتضمن أشياء شفوية ذات طبيعة ثابتة أو متغيرة \*
- ♦ قد تكون طبيعتها محاولات لمعارضة شىء أو لعمل شىء يختلف عن السلوك الثابت \*
- ♦ ولما كانت هذه عبارة عن محاولات لتحقيق هدف مشترك فغالباً ما تأخذ طبيعة المنازعات بين الافراد المتشيعين لكل من الجانبين المتعارضين \*
- ♦ وهى متعددة وتسمم بالقوة الكافية التى تؤدى الى احتمال تحقيق هدفها \*

ومن شأن كل هذه الاستعمالات لكلمة « الرأى العام » ان تستخدم كهوذة قوى لنا فى بحثنا عن طبيعة الموضوع الذى نقوم بمناقشته ، لكن مما يؤسف له أنه ليس هناك اتفاق على وحدة المعنى وهذا يتطلب منا دراسة أوفى لكثير من العناصر التى قد تبدد لنا هذا الظلام .

## أهمية الرأى العام :

قال هوم<sup>(١)</sup> Hume « سوف تحافظ الطبيعة دائما على حقوقها وتتغلب فى النهاية على أى حجة أو منطق مجرد مهما كان » . أى بمعنى آخر ان طبيعة الكون هى التى تحدد فى النهاية تفكير الناس وتصرفهم . ومع ذلك فان الطريقة التى يتصرف بها الناس فى المواقف المختلفة يحددها لا ما هو كائن ، ولكن ما يؤمن به الرأى العام . فاذا كان الرأى العام مطابقا للحقيقة تصرف الانسان بما يطابق الحقيقة ، اما اذا لم يتقبل الرأى العام الحقيقة أنكرها الانسان كأساس لتصرفاته .

وحتى يستطيع الانسان أن يحقق السلام والرخاء يجب عليه أن يقدر نفوذ الرأى العام تقديرا كليا . ويمكننا أن نتنبأ بتصرفات الناس على أساس أنماط الرأى العام الكبرى . ان القدرة على التنبؤ بتصرفات الناس المستقبلية ذات قيمة كبرى لأنها تتيح الفرصة لتوجيه الجهود الانسانية الى الطرق البناءة .

والواقع ان الانسان يعيش بالحقيقة كما يعيش بالرأى . وبالنسبة الى أعماله نرى أن الرأى يلعب دورا أكثر أهمية من الحقيقة . وهذا يصل بنا الى أن نوجه السؤال التالى : لماذا نعتبر الرأى مهما ؟ .

---

(١) دافيد هوم ( ١٧١١ - ١٧٧٦ ) فيلسوف ومؤرخ اسكتلندى ترك الدراسة من جامعة أدنبره دون الحصول على درجة علمية ، درس وحده آراء الير ايزاك نيوتن ، قرر فى سن مبكرة احداث ثورة فى فلسفة العلوم المعنوية ، والفلسفة ، والاقتصاديات ، كما أحدث نيوتن ثورة فى علم الفيزياء .

ودون أن نغزو ميادين الدين والفلسفة بالنسبة الى طبيعة الانسان ومصيره يبدو واضحا أن كلمة « الثقافة » هي المفتاح الذى يؤدى بنا الى معرفة السبب فى اهتمام الناس بما يؤمن به الناس الآخرون . ان « الثقافة » هي الكلمة التى تكتسح العلوم الاجتماعية وهى تعنى باختصار - كما سبق أن ذكرنا - ان الناس يتبعون انماطا مكتسبة من السلوك سواء فى : أعمالهم أو فى تفكيرهم . ويشكل الرأى العام قسما كبيرا من الثقافة ، وفى كثير من الاحوال يستحيل علينا فصل الاثنين الا اذا استخدمنا طريقة صناعية .

وقد قام ستيوارت تشيس<sup>(١)</sup> Stuart Chase بعرض العناصر التى تمثل كل قسم من أقسام العلوم الاجتماعية ليستخلص منها ما يلعب دورا كبيرا فيها ، وكان اختياره الأول هو « الثقافة » واختياره الأخير « بحوث الرأى العام » .

وإذا نحن جمعنا مادة الثقافة على مادة بحوث الرأى العام أمكننا أن نقطع شوطا بعيدا فى معرفة كنه سلوك الانسان . وكما تبين الثقافة الدوافع العميقة والأسباب التى تدفع الانسان الى العمل ، فان بحوث الرأى العام تفسر عملا معيناً ذا طبيعة مباشرة .

وإذا طرحنا جانبا - وبصفة مؤقتة - الأسباب الخفية لأهمية الرأى العام يمكننا أن نورد بعض الظروف التى توضح لنا أهمية الرأى العام . ولقد صرح إيرل ل. فانس Earl L. Vance فى مقال له عن التربية ان الخبر لا يؤثر فقط على تفكيرنا بل أنه تفكيرنا نفسه بقوله :

---

(١) ستيوارت ، تشيس ولد ٨ من مارس سنة ١٨٨٦ درس فى معهد التكنولوجيا بماساتشوستس لمدة عامين ثم تركه ليدخل جامعة هارفارد حيث تخرج سنة ١٩١٠ بمرتبة الشرف أهم كتبه فى ميدان العلوم الاجتماعية :

The Proper Study of Mankind ( 1948 )

The Power of Words ( 1954 ).

والثانى كتبه بالتعاون مع زوجته ماريان تيلر .

« ان ما نسميه « تفكيرنا » الخاص بمعظم الاحداث والموضوعات – الدولية والقومية والمحلية – التى تشكل جزءا كبيرا من حياتنا هو الى حد كبير مجرد وظيفة من وظائف « الخبر » • ان تفكير الملايين من الناس يصبح عملا خفنة من الاشخاص الموزعين توزيعا استراتيجيا : فهذا رجل يقف أمام ميكروفون الاذاعة، وثان يجلس الى مكتب الأنباء ، وثالث يجلس أمام آلة الكتابة – وكلهم يتعدون آلاف الاميال •

« وبغض النظر عن حدة عقل الفرد ، فان فى هذه الأمكنة السابقة يتكون تفكير الشخص وتتكون آراؤه • فالرأى فى جوهره هو خلاصة للمعلومات التى تصل الى الشخص •

« ان السؤال الملح لم يعد كما كان فى الماضى « ما رأيك ؟ » وانما « ماذا قرأت ؟ » و « الى من استمعت ؟ » • هنا يولد العمل • وبالنسبة لما نقوم به من عمل لم يعد يهم : ما شكل الارض ؟ ، ولكن المهم ماذا قيل عن شكل الارض ؟ أن تصرفنا حيال العالم غير مبنى على العالم كما هو ولكن على ما دفعنا الى الاعتقاد عن كنهه • ان الرجل البدائى كان يقدم القربان الآدمى لتهديئة سورة غضب الآلهة ، ولم يكن يهم ما اذا كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة لاستلامها • المهم أن الضحية قد ماتت وقد تشعر بها الآلهة •

« ويتصرف الانسان اليوم بما يشبه ذلك تماما ، فمثل العلماء الذين أعطونا القنبلة الذرية ، والسياسيين الذين يقررون استخدامها كمثل الانسان البدائى تماما • انه يتصرف حسبما وصلت اليه المعلومات • فاذا كانت نتيجة العمل وبالا فهو لم يكن يدرك النتيجة من قبل كالبدائى • ان الناس يتصرفون الآن وفق ما دفعوا الى الاعتقاد بأنه الصالح فاذا ثبت بعد ذلك أن ما دفعوا الى الاعتقاد به غير سليم أو أنه كانت هناك حقائق لم يعرفوها اذن فليساعدنا الله » •

ويمضى فانس فى كلامه فيقول « ان ما نسميه بالشخص المتعلم فى أمريكا يحصل على معلوماته الجاذبة من نفس المصادر التى يحصل منها الرجل الأمى

معلوماته • هناك مكان واحد يستقى منه معظم الافراد شرحا للاحداث الجارية ،  
ألا وهو رأى الآخرين » •

ومن المؤكد أن رأى الآخرين يلعب بالنسبة للفرد فى حياته العادية دورا  
لا يمكننا تجاهله ، ومن جهة أخرى فمن الواضح أن قليلين هم الذين لديهم فكرة  
محددة عن الاشخاص الذين تحترم آراءهم •

ان العامل الذى يقرر كثيرا من سلوك الانسان هو ما يعتقد الناس أن  
الناس الآخرين يعتقدونه ، وذلك لأن تقدير الفرد لما يعتقدونه الناس هو الوجه  
لأعماله • وهكذا يصبح الرأى العام هو المعيار • انه يصبح الحكم النهائى لما يعمل  
وما لا يعمل • وبالنسبة الى العمل فان هذا النوع من الرأى العام له واقعية  
يمكن قياسها •

ولما كان الرأى العام نادرا ما يعتمد على الحقيقة قدر اعتماده على ما يعتقد  
أنه الحقيقة يصبح خرقه موضوعا خطيرا لأنه ليس هناك مخرج من كسر الآراء  
التي ثبت قبولها • واذا لا يجد معظم الناس طريقا لتقرير صحة رأى بالمقارنة  
برأى آخر كان تقبل الرأى هو المعيار • وبالإضافة الى ذلك فان الحقائق يصعب  
عادة الوصول اليها لدرجة أن عمليات الحياة العادية تسير وفق تقنين المعتقدات ،  
أو وفق ما نسميه بالرأى العام •

ان الرأى العام بمعناه الواسع هو الوجه الأول للفرد فى تقرير سلوكه ،  
وطالما ظل الرأى العام مستقرا ، وطالما ظل بعيدا عن أنه لا يصطدم بشدة مع  
الحقيقة ، فانه يكون صالحا لتوجيه سلوك الانسان صلاحية الغريزة فى توجيه  
سلوك الحيوان •

## طبيعة الرأى العام :

تلك كانت أهمية الرأى العام ونستطيع بعد ذلك أن نؤكد أن الرأى العام  
هو قوة اجتماعية تنظيمية تدلنا على اتجاهات الناس وتسيطر عليها أيضا •

وهناك أنواع مختلفة من الرأى العام • هناك الرأى العام الخاص بالمجتمع الصغير ، وهناك الرأى العام الخاص بالأمة ، والخاص بالعالم ، وأول أنواعه ربما كان أبرز مظاهره •

ولقد عرف جينزبرج M. Ginsberg الرأى العام بقوله : « انه الآراء والأحكام الجماعية التى تعمل فى مجتمع تشكل بصورة محددة تقريبا ويتمتع باستقرار محدد وهو نتيجة العمل المشترك لكثير من العقول » •

وفى هذا المجال أو على هذا الاساس يختلف الرأى العام عن الرأى الشخصى ، ومع ذلك فان هناك بعض التقارب والتشابه • فالرأى الشخصى يهيم القاعدة الضرورية لتشكيل الرأى العام ، اذ ينتج عن تفاعل الآراء الشخصية لعديد من الناس خلق الرأى العام • وقد يكون لرجل آراء شخصية عن أمور كثيرة مثل أسعار اللحم ، أو تكاليف المعيشة ، أو ما شابهها • ولكن الرأى العام يوجد فقط عندما يكون هناك موضوع أو مسألة تتطلب الانتباه العام • ويجب أن تكون هذه المسألة حيوية بما يكفى لحث الناس على اتخاذ موقف بصددها • فقد يكون لكل من زيد أو عمرو آراء شخصية بصدد أزمة المساكن ولكن هذه المسألة لن تصبح رأيا عاما ما لم تشند مشكلة الاسكان بحيث تصبح مسألة عامة يهتم بها الناس ، ويعبرون عن ذلك عن طريق الرأى العام •

كما أن الرأى العام يضبط بشكل ما الفعل الفردى • ويخضع الفرد ارادته لارادة الشعب كما تخضع آراؤه الى الرأى العام • فقد تكون لدى كل منا رغبة فى أن يسلك سلوكا معيناً يخالف رأى الآخرين ، ولكننا نلتزم دائما بما يعتقدونه الآخرون خشية الرأى العام •

والرأى العام ليس الارادة الجماعية للشعب • فانه ينمو فقط عندما يكون هناك اختلاف أو اتفاق فيما يتعلق بموضوعات معينة • فاذا كان هناك اجماع فليس هناك حاجة لوجود الآراء • فالرأى يستلزم وجود الجدل والنزاع •



ويعرف بلومر Blumer<sup>(١)</sup> الرأى العام بأنه : « رأى مركب مكون من عدة آراء يتمسك بها الشعب ، أو النزعة الرئيسية التى تنشأ عن النزاع بين هذه الآراء المفصلة » .

ولفت لورنس لوويل Lawrence Lowell<sup>(٢)</sup> الانتباه الى قوة الايمان كعامل فى تكوين الرأى العام فيقول : « ان هناك انطباعا عاما بأن الرأى العام يعتمد على عدد الأشخاص الذين يقفون فى أحد جوانب مشكلة ما ، ولكن هذا أبعد عن أن يكون صوابا . فإذا كانت نسبة تسعة وأربعين فى المائة من مجتمع ما تقف بدرجة قوية جدا الى أحد جوانب مسألة ما بينما تقف نسبة واحد وخمسين بفتور الى الجانب الآخر ، فان الرأى السابق يعنى أن القوة العامة الأعظم هى التى خلقتة . ومن المؤكد أن ينتشر فى النهاية ، اذا لم ينتشر فى الحال . وآراء الأشخاص الذين لديهم أعظم قدر من المعلومات بصدد موضوع ما تكون أيضا أكثر وزنا من آراء عدد مساو لهم من الجهلاء . فالشخص الواحد الذى يتمسك تماما بما يعتقد أقيم بكثير ممن يتمسكون بآرائهم بضعف ، لأنه يكون أكثر تهجما وعدوانا وبذلك يجبر الآخرين ويخيفهم بما يدعوهم الى الاتفاق الظاهرى معه أو على الأقل الى السكون والركون الى السلبية . وباختصار فان الرأى العام ليس هو بالتحديد رأى الأغلبية العددية ، ولا تقيس أية صورة من صوره التعبيرية مجرد الاغلبية لأن الآراء الفردية توزن وتحسب أيضا الى حد ما . ودون محاولة دراسة كيف يمكن أن نقيس بدقة القوة والذكاء ، فانه مما يكفى لتحقيق غرضنا أن نشير الى أنه عندما نتكلم عن رأى الاغلبية فاننا نقصد ، الأغلبية الفعالة ذات التأثير ، لا أغلبية العددية .

---

(١) بلومر ، هيربرت استاذ جامعى ولد ٧ من مارس سنة ١٩٠٠ حصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو سنة ١٩٢٧ عمل استاذاً للعلوم الاجتماعية فى عدة كليات عضو الجمعيات الأمريكية للعلوم الاجتماعية والسياسية كان عضوا للجمعية الدولية للدراسات الاجتماعية ١٩٤٥ - ١٩٥٥ تولى تحرير كتاب « الجانب الانسانى للتخطيط الاجتماعى »  
Humen Side of Social Planning.

(٢) الأسقف لورنس لوويل ( ١٨٥٦ - ١٩٤٣ ) من رجال التربية والمحاماة الأمريكيين ، كان رئيسا لجامعة هارفارد من ١٩٠٩ الى ١٩٣٣ . معجم ويبستر ص ٨٧٠ .

## القوى المحركة للرأى العام :

شير « كمبال يونج Kimball Young » (١) الى مراحل ثلاث لنمو  
الرأى العام هى :

### ١ - نشأة الموضوع :

يبدأ الرأى العام بمشكلة عامة ، اذ طالما كانت الأمور تسير بطريقة تلقائية روتينية ، والمسائل العامة تعالج طبقا للعادات والقوانين فلن يشغل أحد نفسه بالتفكير ؛ لأنه قلما يشغل أحد نفسه بالتفكير لمجرد النقد . ولقد ذكرنا فعلا المثال الخاص بالاسكان . فطالما كانت هناك مساكن كافية فى المدينة فلن يهتم أحدا مجرد التفكير بشأن هذا الموضوع ، ولكن حينما تظهر المشكلة فان الناس تبدأ فى ترديد السؤال : ماذا تفعل وزارة الاسكان أو لماذا لا تحل هذه المشكلة ؟

### ٢ - مناقشة الموضوع والحلول المقترحة :

تبدأ هذه المرحلة « بمحاولة » للتعرف بالموضوع ووضع الأمل فى إيجاد حل فى صورة فعل . ويتبع هذا مناقشة أكثر تفصيلا ولكنها تظل فى مرحلة تفسيرية وأولية . ويجرى فحص السمات المختلفة للمشكلة مثل مدى خطورتها وانعكاساتها المحتملة الوقوع على السمات الأخرى للحياة الجماعية . وفى الوقت الذى تتقدم فيه المناقشات والمجاذبات والمشاورات تبرز حلول مختلفة ، وغالبا ما تكون متعارضة مثل ذلك ، يجب أن تعمل الحكومة على زيادة المساكن الشعبية والمتوسطة ، أو يجب مساعدة القطاع الخاص للمساهمة فى مشكلة الاسكان ، أو يجب العمل على وقف الهجرة للمدينة وتحديد العلاقة بين المالك والسكان .. الخ

وأما بالنسبة لسبل حل الموضوع فغالبا ما تظهر اختلافات شديدة فيها . وفى هذه المرحلة تبدو عوامل الاختلاف وعوامل الاتفاق أكثر وضوحا . وفى

(١) Kimball Young, Social Psychology, F. S. Crofts and Coy, New York, 1936.

(١)

الوقت الذى يتم فيه التعبير عن الآراء المختلفة تتكون جماعات صغيرة تدافع كل منها عن وجهة نظر معينة . ثم تتبلور الآراء ، وتنبذ الحلول الخيالية ويتم الوصول الى حل وسط ، أو قد تؤدى الاختلافات الى عدم التوفيق بينها . وأحيانا تبذل محاولات لضم حلين أو أكثر فى حل واحد شامل .

### ٣ - الوصول الى اتفاق عام :

عندما تكون الموضوعات عاجلة لا يمكن أن نستمر فى المناقشات الى مالا نهاية . والوصول الى حل ما أمر حيوى . فعندما يكون هناك مشكلة اسكان فان النقاش يحدده رأى الأغلبية ، ولا يمكن أن يحدث اجماع عام أو تام . ولكن غالباً ما يكون هناك اتفاق على الاختلاف ؛ فيعطى أحد الحلول المعينة فرصة اثبات قدرته حتى ولو كان البعض غير مقتنع بأنه أفضل حل ممكن . هذا هو السلوك العام ، ولكن هناك اختلافات وفروقا عديدة . ان القوى الاجتماعية لا تعمل دائماً طبقاً او وفقاً للنمط الموضوع . ان من السهل أن نصل الى اتفاق عام فى مجالات معينة كما أنه من الصعب الوصول الى ذلك فى مجالات معينة أخرى ، وحتى فى أوقات الأزمات نميل الى أن نتبع أهواءنا فيما يتعلق بالطعام والملبس ، بينما قد نكون أكثر استعداداً للتخلى عن بعض أموالنا . ولثقافة أيضاً دور كبير فى هذا ، فبعض الثقافات تشجع الفردية بينما تمجد غيرها السير على نمط واحد .

### قياس الرأى العام :

الواقع أن أفضل سبيل لمعرفة ماذا يفكر الشعب فيه هو السؤال عن ذلك . ولكن الأمر ليس سهلاً كما يبدو ، ففي الغالب لا نستطيع أن نسأل كل الشعب .

ومن هنا برزت الحاجة الى الأخذ بطريقة « العينة » ، ولكن قد تشوه الأسئلة فى أثناء عملية توجيهها ، كما قد تقدر الاجابات على أساس اعتبارات

تختلف عن تلك التي أثارها الأسئلة ، أو قد تتدخل قوى معطلة سواء بطريقة شعورية واعية أو بطريقة لا شعورية . وبالإضافة لذلك فإن الناس في هذه العملية قد لا تذكر كل شيء سواء عن قصد أو عن غير قصد . ومن ثم فإن المشكلات الخاصة بإخفاء المعلومات وتشويهها تعتبر عاملا معطلا في قياس الرأى العام .

ويذكر أسش Asch (١) ان السنوات الاخيرة شهدت نمو حركة جديدة في العلوم الاجتماعية هي عمل استفتاءات أو مسح للرأى العام . وتحظى هذه باهتمام عام لأنها تزعم أنها تتأكد بصورة دقيقة من آراء السكان بصدد موضوعات تؤثر على رفاهية الشعب . ومثل هذه المعلومات ، اذا أمكن الحصول عليها ، تمدنا بمعلومات عن الاحتياجات والنوايا العامة ، كما انها تعد مصدرا أساسيا للمعلومات والتحريات في العلوم الاجتماعية . لذلك سوف تحل محلها الاعتماد على الملاحظات المبنية على غير أساس والتي غالبا ما تكون منحرفة ، ويذكرها القادة السياسيون والمعلقون والصحف أيضا » .

والافتراع أهم أشكال قياس الرأى العام . ففي الافتراع يوجه للشعب عدد من الأسئلة : اما شفاهها « في المقابلة » ، واما كتابة « الاستفتاء » . وهناك نوعان من الأسئلة ، أسئلة ذات المجال المفتوح ، والافتراع . ففي النوع الاول تكون الاجابة المطلوبة هي الى حد ما لها طابع المناقشة المفتوحة بينما تكون الاجابات المختلفة الممكنة في النوع الثانى مدونة ومحددة وعلى الشخص أن يختار واحدة منها .

ويمكننا أن نذكر الآن الخطوات العامة للقيام ببحث عن الرأى وهى :

- ١ - القيام بدراسة للاسترشاد لجماعة صغيرة أو لعينة فرعية ، وذلك عن طريق استفتاءات مفتوحة ، وهو الأمر الأكثر احتمالا .

٢ - اجراء مقابلات مع عينة أكبر عددا للإجابة بواسطة الاقتراع ، أو بواسطة عبارات محددة ، أى عن طريق استفتاء مقنن .

٣ - دراسة عينة فرعية صغيرة ، وذلك بنمط من الأسئلة مفتوح المجال لسبر الفور عن أحد فروض الدراسة الكبيرة .

٤ - تفسير النتائج في ضوء أبحاث الرأى الأخير .

وسواء كان الاقتراع يوضح الحقيقة فيما يتعلق بالرأى العام أو لا يعطي الصورة الحقيقية ، فإن نتيجة الاقتراع تكون من المؤكد أفضل من تعميمات بنيت على أساس مشاعر تم جمعها من بضعة أحاديث عشوية مع عدد ضئيل من أفراد المجتمع . وحتى مع الاعتراف بأننا نتحسس طريقنا في الظلام ، فإنه يبدو أننا نتلمس طريقنا الى هدف ، كما يبدو أيضا أن هناك بصيصا من الضوء يبدد هذا الظلام .

لقد كان هـ . بلومر H. Blumer واحدا من أقسى نقاد اتباع أسلوب الاقتراع في جمع الرأى العام . وقد ذكر أنه جرت عمليات اقتراع واسعة ، ولكن المعلومات التي توافرت ، نتيجة لها ، عن طبيعة الرأى العام كانت ضئيلة جدا . فهناك قلة أو ندرة ان لم يكن نقص تام في التعميمات الخاصة بالرأى العام بالرغم من القدر الكبير من الدراسات القائمة على الاقتراع والخاصة بالرأى العام .

ومن النقاط الهامة - فيما يتصل بقياس الرأى العام - تلك الخاصة بالشدة . فقد تعطى لنا أحد أبحاث الاقتراع صورة على أن الشعب يتمسك بآراء معينة . ولكن هذه المعرفة ليست كافية . فاننا يجب أن نعلم أيضا ما اذا كان يتمسك بها على اعتبار أنها مبادئ يعتز بها ، ولديه الرغبة في الثبات عليها بأى ثمن ، أو أنها سطحية الى الدرجة التي يكون فيها على استعداد لنبذها لدى آتفه اثارة .

كما اقترحت أيضا دراسات النماذج كطريقة أخرى من طرق زيادة كفاءة عمليات مسح الرأى العام • وفى هذه الطريقة يتم اجراء المقابلات مع جماعة صغيرة ممثلة ، وذلك بصورة متكررة خلال فترة من الزمن لدراسة تغيرات الرأى التى تحدث •

## أخطار عمليات مسح الرأى العام :

وجه كل من كريش Krech (١) وكرتشفيلد Crutchfield الانتباه الى بعض هذه الأخطار : « ان لدينا جميعا رغبة طبيعية وأحيانا رغبة سقيمة لمعرفة شئ عن المستقبل • وعمليات مسح الرأى العام أحيانا تحاول أن تتنبأ باتجاهات الأحداث المستقبلية • وهناك خطورة فى التنبؤ ، فقد لا تكون التنبؤات صحيحة كما أنها قد تثير خيبة الأمل أو تضلل • على أن هذه الاخطار قلت بدرجة كبيرة ، لأن الرحلة عبر المستقبل أصبحت مبنية على دراسات علمية بحتة للحاضر • ولكن العلوم البحتة ليست سهلة جدا فى هذا المجال • فلسوف يكون هناك دائما عنصر عمل قائم على التخمين ، وأن يصبح أقل وأقل بتحسن الأساليب •

ويشير المؤلفان الى أن اضعاف القيادة السياسية أو الزعامة خطر محتمل آخر فيقولان : « من الخير للقائد أن يعرف فيما يفكر الشعب فيه ، ولكن من الضار أن يفكر فيه طوال الوقت • فالقائد ينبغي عليه ألا يتبع الرأى العام عن عبودية ، ولا يتملقه بصفة مستمرة • فأحيانا يكون الجهل نعمة حقا ، لأنه يمنح القائد الفرصة للاستمرار فيما يعتقد أنه حق دون الالتفات كثيرا جدا الى ما قد يقوله الناس الآخرون • وعمليات مسح المعلومات العامة قد تمد القائد بمعلومات كثيرة

---

(١) Krech, D. and Crutchfield, R. S. Theory and Problems of Social Psychology, Mc. Grew Hill, New York, 1948.

جدا ، ولكنه قد يشعر بالخوف أو التوتر ، كما أنه سيكون أكثر شجاعة اذا كان لا يلتفت الى كل هذه المعلومات » •

والواقع أن هناك ظروفًا يفضل فيها أن تتجاهل القيادة السياسية الرأي العام ، فمثلا في الرأي الذي يعبر عنه الشعب بصدد موضوع لا يعرف عنه الا القليل جدا ، أو اذا نصح الرأي العام بعدم القيام بأى نشاط في أمور معينة ، فان القيادة الحكيمة يجب ألا تعتمد على هذا الرأي كعذر لتجنب نتائج معينة •

وبالإضافة لذلك هناك أيضا الخطر الاساسى من أن الرأي الذى تجمع نتيجة لعملية الاقتراع قد لا يمثل حقا ارادة الشعب ، وأنه بالرغم من أنهم قد يختارون أمورا بديلة فان أفكارهم الحقيقية تكون بعيدة عنها •

## تغير الرأي العام :

على أن وسائل الدعاية التى عرضنا لها في هذا الكتاب هى كلها من وسائل تغيير الرأي العام • ومن الطبيعى أن العقل والادراك يبينان لنا أن أفضل السبل لتغيير الرأي العام – اذا ما كان على خطأ – هو أن نقدم للشعب مزيدا من المعلومات ذات الطابع الخاص لتصحيح معلوماته ، وليرى موضع الخطأ ، وبالتالي يغير موقفه واتجاهه • ولكن لسوء الحظ لا يتلقى الشعب دائما مثل هذه المعرفة !

كما أن الفرد حينما يوفق بين بضعة آراء معينة يكون ذلك نتيجة رغبته فى التوافق والمطابقة ، وبسبب أناس آخرين يرون هذه الآراء ، وهو يرغب فى أن يعتبر عضوا نافعا فى الجماعة • ويمكن تحقيق التغير فى وجهة النظر باثبات ان اتوافق والمطابقة قد يكونان متفقين مع المنطق •

يجب أن تكون المعتقدات التي يعتنقها الفرد مفهومة له فيما يتعلق بكونها صورا دقيقة صادقة للعالم الذي يعرفه • كما أن الحقائق الجديدة التي قد تؤثر على رغبته في التوافق والمطابقة يجب تقديمها اليه ، بخلق اطار جديد يجهل المقاييس القديمة •

وهناك أسلوب آخر لتغيير الاتجاه وهو ما يعرف بأسلوب الثواب والعقاب ، فنحن لا نتقبل الآراء فقط ، ولكننا أيضا نغيرها بما يناسب الشعب أو الجماعة التي نعيش معها • فإذا نال الفرد استحسان الجماعة بتغيير رأيه فقد تتولد لديه الرغبة في دراسة التغيير ، حتى ولو لم يكن هو شخصا مقتنعا بالحاجة اليه • وهذا عكس المبدأ الاول • ففي الاول يضطر الفرد الى تغيير رأيه على حساب عدم رضا الجماعة بسبب الاسباب المنطقية والمعقولة ، وأما في الثاني فان الرأي الزائف لأحد الافراد يتغير الى رأى حقيقي يتفق مع التطابق والموافقة والاستحسان العام •

واقترح البعض أسلوب التنفيس عن النفس كوسيلة ثالثة لتغيير الرأي العام ، فالناقشة الحرة بين أعضاء احدى الجماعات تساعد على اخراج كل المشاعر المكبوتة أو الكامنة ، ويتبع ذلك خلق جو ملائم لتغيير الرأي • اذ أن مشاعر الذنب والعداء والتوتر تختفي كلها في الحرية التي تتولد عن الاختلاط العقلي ، وهذه هي الفكرة التي تكمن خلف مائدة المؤتمر • فليس شكل المائدة هنا هو المهم ، ولكن التفتح الذهني للمشاركين هو الذي يساعد على سير المناقشات • ومثل هذه المناقشات تساعد الفرد المشترك على أن يعبر عن نفسه وبذلك يوضح عن نواحي الصراع الداخلي • وهذا التوضيح يؤدي الى ادراك أسلم وهذا بدوره يمكنه من أن يستغل ذكائه بصورة أكثر فاعلية فيما يدور من مناقشات •

## طريقة تحليل المضمون :

وكما أن الوقوف على اتجاهات الرأي العام الداخلي يعتبر من الأمور الهامة ، فان معرفة الرأي العام العالمي لا تقل أهمية عن سابقتها ، اذ من الضروري أن



تحاط الحكومات علما بآراء الشعوب واتجاهاتها في الخارج ، ليتسنى لها رسم سياستها الخارجية تجاه هذه الشعوب بنجاح . وتهتم أغلب الدول بدراسة اتجاهات الرأي العام في جميع دول العالم ، وعلى الأخص فيما يتعلق بسياساتها ازاء الموضوعات والمشكلات المختلفة .

ولعل من الواضح أنه لن يتيسر دراسة اتجاهات الرأي العام العالمية باستخدام طريقة الاستفتاء أو المسح كما ذكرنا من قبل ، ولذلك لجأ علماء الرأي العام الى معرفة اتجاهات الرأي العام العالمي نحو دولة ما ، بدراسة اتجاهات الصحف والمجلات والنشرات والكتب التي تصدر في الدول المختلفة ، وكذا برامج الاذاعة والتليفزيون التي تهمس هذه الدولة باعتبار أن هذه المواد الاعلامية تعبر عن اتجاهات موجودة بالفعل ، أو تعمل على تكون اتجاهات جديدة . فهي تأخذ من الرأي العام وتعطيه ، وتؤثر فيه وتتأثر به ، تقود الجمهور وتنقاد له ، توجه الحكومات وتتلقى توجيهاتها ، وهكذا . وبذلك يعتبر كل ما يصدر عن هذه الوسائل تعبيراً عن اتجاهات الرأي العام في صورة ما لا تصل في دقتها الى معرفة حقيقة الرأي العام ، ذلك لأن وسائل الاعلام المختلفة وأخصها : الصحافة ، والاذاعة ، والسينما ، أصبحت تتسم بالطابع التجارى أو تعبر في كثير من الأحيان عن رأى الحكومة اذا كانت الصحيفة تنطق باسمها ، أو كانت الرقابة محكمة بحيث لا يرى منها الا مكان ممثل لوجهة نظر الحكومة ، وحتى البلاد الديمقراطية فانها قد تقع تحت تأثير بعض الأفراد والهيئات الرأسمالية ، وقد يصل الحال الى درجة الاحتكار .

ولعل أبرز مثال على ذلك موقف الصحافة والاذاعة الأمريكيتين اللتين تسيطر عليهما المنظمات الصهيونية الرأسمالية .

وبالرغم مما يوجه لهذه الطريقة من عيوب فانها الى حد ما تعطي فكرة عن الرأي العام في بلد ما بخصوص المسألة التي تخص دولة أخرى باعتبار أن وسائل

الاعلام تتأثر بالرأى العام وتؤثر فيه ، وباعتبارها الوسيلة الاقرب الى الموضوعية  
وهى الوحيدة التى يمكن الالتجاء اليها فى معرفة اتجاهات الرأى العام الخارجى •

وتستخدم طريقة تحليل مضمون المقال فى قياس اتجاهات الرأى العام  
العالمى ازاء مشكلة معينة فى وقت معين ، وكذلك تستخدم فى الكشف عن بعض  
المفاهيم التى استقرت فى دولة ما ، وسنبين فيما يلى الطريقتين :

#### أولا - الطريقة الأولى :

لما كانت بحوث الرأى العام بنوعيه الداخلى والعالمى تهدف فى النهاية الى  
ترجمة الاتجاهات النظرية الى أرقام لها دلالات احصائية - أى ابرازها فى صورة  
نسب مئوية توضح الاتجاهات المؤيدة والمعارضة والمحايدة - لذلك جرت معاهد  
الرأى العام العالمية على تجميع جميع المواد الاعلامية التى تناولت موضوعا يخص  
دولة أخرى فى فترة معينة ، ثم تحليلها بطريقة المضمون ، وهذه الطريقة عبارة  
عن تلخيص لكل وحدة اعلامية سواء كانت هذه الوحدة : مقالا صحفيا ، أو حديثا  
اذاعيا ، أو برنامجا تليفزيونيا بحيث يبرز هذا التلخيص جميع الآراء والأفكار  
التي تتضمنها هذه الوحدة الاعلامية الى جانب روح المقال الذى يكشف عن الاتجاه  
الذى يغلب عليها « مؤيد ، معارض ، محايد » •

وفيما يلى نموذج لتحليل احدى المقالات التى نشرتها جريدة « فرانس  
أوبزرفاتور France Observateur » الفرنسية الاسبوعية تحت عنوان  
« مصر عبد الناصر » بقلم الكاتب الفرنسى ألبير بول لانتات جاء فيها ما يلى :

« ان ثورة الرئيس عبد الناصر هى امتداد للانتفاضات الثورية الشعبية  
التي بدأت عام ١٩١٩ ، ولكن انقلاب ٢٣ من يوليو يبدو فى حلقات هذه السلسلة  
الطويلة من الانتفاضات ذا معنى خاص فى تاريخ العرب الحديث •

لقد أعلن هذا الانقلاب عمليا بأن اقطاعية الارض لم تعد صاحبة الكلمة الأخيرة في تقرير مصير الجمهورية العربية المتحدة ، بل ان الشعب هو صانع مصيره ، فبعد أن كانت مصر حتى عام ١٩٥٢ مجرد حقل كبير لانتاج الاقطان التي تحتاج اليها المصانع البريطانية ، ولا سيما مصانع لانكشاير ، فقد بدأت بعد الانقلاب تتخذ شخصية جديدة ، هي شخصية البلد المصمم على تصنيع نفسه ، وتطبيق سياسة الاكتفاء الذاتي في أقل الاعبارات .

ان الثورة قد ردت الى مصر كرامتها ضامنة للبلاد استقلالا وطنيا حقيقيا في الداخل وفي الخارج ، أما في الداخل فهو في انشاء اقتصاد مستقل عن طريق سياسة التصنيع الواسعة وسياسة التنمية الزراعية المتكيفة مع حاجات البلاد الداخلية ، وأما في الخارج فهو في الالتزام بمبدأ الحياد الايجابي أو سياسة عدم الانحياز » .

ويصير تحليل مضمون هذا المقال على الوجه التالي :

الاشادة بثورة ٢٣ يوليو ، على أساس أنها نجحت في الداخل بتصنيع البلاد والعمل على توسيع الرقعة الزراعية ، بقصد تحقيق الاكتفاء الذاتي . وفي الخارج باتباع سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، وواضح أيضا أن روح المقال مؤيد .

ويخضع للتحليل - في عملية قياس الرأي العام العالمي - جميع المقالات التي تصدر في كل صحف مختلف الدول ، وكذا تعليقات الاذاعة والنشرات والكتيب التي تتعرض لهذا الموضوع بالتأييد أو المعارضة أو الوقوف موقف الحياد ، ثم تبوب وترتب في صورة احصائية ليتسنى تفسير نتائجها .

## ثانيا - الطريقة الثانية :

وبما أن الصحف تختلف في درجة توزيعها ، ومدى تأثيرها ، ومكان نشر المقال ، ودرجة بروزه في الصحيفة ، فلا شك أن كل ذلك يوجد مشكلة تقويم تأثير المقال بصورة كمية . وقد رأى أحد علماء الرأى العام أن يحل هذا الاشكال بمعرفة العدد التقريبى لجمهور كل وسيلة من وسائل الاعلام المختلفة على حدة ، ثم بعد ذلك يضع الوسائل المؤيدة في جانب ، والوسائل المعارضة في جانب آخر ، والمحايدة في جانب ثالث ، ثم يجمع جمهور المؤيدين والمعارضين والمحايدون كل على حدة في المسألة موضوع الدراسة ، ويقارن هذه الاعداد ويعرف نسبها المئوية التي تؤدي الى نسب الاتجاهات المؤيدة والمعارضة نحو هذا الموضوع .

غير أنه وجه الى هذه الطريقة نقد شديد ، اذ أنها تتجاهل تأثير كل وسيلة . فقد يحدث أن توجد صحيفة تتمتع بتوزيعها المرتفع ، ولكنها قليلة التأثير ، والعكس صحيح . كذلك تجاهلت هذه الطريقة مكان نشر المادة الاعلامية ، وطريقة بروزها ، لأنه لا يعقل أن يكون تأثير مادة اعلامية لها عنوان كبير « ماشيت » أو مقال افتتاحي التأثير نفسه لمادة اعلامية على شكل خبر ، مجرد خبر ، أو في داخل طيات الصحيفة . ولذلك اتفق على أن يراعى في تقدير الاتجاهات النظرية التي تتضمنها الوسائل الاعلامية المختلفة الشروط التالية :

♦ أن يقدر لمضمون المادة الاعلامية درجة واحدة .

♦ أن يضاف لمضمون المادة الاعلامية درجة ثانية لانتشار الوسيلة

الاعلامية مثل التوزيع في حالة الصحف .

♦ أن يضاف لمضمون المادة الاعلامية درجة ثالثة لشدة تأثير الوسيلة

الاعلامية ، فصحيفة مثل التايمز توزع ثلث مليون نسخة ولكنها أقوى

تأثيرا من صحيفة نيوز أوف دى ورلد التي يزيد توزيعها على أربعة

ملايين نسخة .

♦ أن يضاف لمضمون المادة الاعلامية درجة رابعة لمكان النشر ودرجة  
البروز في الصحف • كما ينطبق ذلك أيضا على مكان الخبر بالنسبة  
للنشرة الاذاعية ، أو التليفزيون ، أو السينمائية ، وبتابع هذا المعيار  
يصير تقويم كل مقال بين درجة وأربع درجات بحسب الشروط  
السابقة • وعلى ذلك ينبغي على خبير الرأي العام أن يعرف عند قيامه  
بعملية تحليل الرأي العام العالمي درجة انتشار كل وسيلة اعلامية  
وشدة تأثيرها •

## وفاة الشيخ الرباعي

كتب صن تزو Sun - tzu الاستراتيجي العسكري الصيني في القرن الخامس قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام يقول في القتال الليل :

« تستعمل الطبول والنيران العالية بكثرة ، وفي القتال النهاري تستعمل أعداد كبيرة من : الاعلام ، واليفط ، وبذلك ترهب عيون العدو وآذانه » •

وفي الكتاب الهندسي الكلاسيكي عن « فن الحكيم » المسمى « ارثااسترا لكوينتليا » نجده يقول : « ان المنجمين وغيرهم من أتباع الملك يجب أن ينفخوا في الجيش عن طريق تأكيد الصبغة القوية لتنظيمات جيشه ، كما يجب أن يقوم العملاء السريون بالاختلاط بقوات العدو لنشر الشائعات عن هزيمته الأكيدة •

كما توجد وثائق منذ العهد اليوناني الروماني « الجريكورومان » تشرح طريقة التغلب في المناقشة وطريقة كسب الانتخابات • ويحتوى أدب الدعاية على وثائق تشرح طريقة تبشير الكفار ، والتأثير على الشباب ، ونشر المؤامرات ومنعها ، والحصول على الهدايا وعمليات البيع ، بل لا نجد موضوعا لم يكتب عنه كتاب متخصص •

وعلى الرغم من ذلك فان العلماء والمفكرين لم يبدأوا الا منذ عهد قريب في قياس مكان التأثير الجماهيري في التطور الاجتماعى • وهناك دوافع كثيرة معروفة

للنشاط الدعائي ، فتادة الثورات السياسية والاجتماعية يرون أن في استطاعتهم انقاذ الجنود ، وتوفير الاموال عن طريق استعمال عبارات تثير الرغبة في الطاعة للنظام الجديد . وقد وضعت الاسس الاولى لاقامة الامبراطوريات حين تعلم الغزاة أهمية تحويل البلاد المغزوة الى جانبهم بدلا من القضاء عليها . ولعل طريقة الطابور الخامس التي تستهدف التفتغل في صفوف العدو لاغراض سياسية جاءت نتيجة لدراسة عمليات التبشير الناجحة التي قامت بها الاديان المختلفة .

والواقع أن كلمة « دعاية » بالانجليزية Propaganda وثبت عام ١٦٢٢ من ذلك القسم في الثفاتيكات « الكرسي البابوي » الذي كان واجبه نشر العقيدة والدعوة للايمان ، على الرغم من أن حقيقة الدعاية ترجع الى قديم الزمان .

## التعاريف الواسعة والتعاريف الضيقة :

هناك في تعريف الدعاية عدد من التعريفات لا حصر له ، ومن بين الكتاب الذين كتبوا الكثير من الكتابات التاريخية والتحليلية والنقدية عن « الدعاية » نجد وولتر ليبمان وهارولد لاسويل وليونارد دوب ، كذلك أسهم عدد كبير من الاساتذة العالميين في محاولة تعريفها وايضاح اتجاهاتها ، وأعمال بعض هؤلاء لها أهميتها الكبيرة . وقد نستطيع أن نقول عن الدعاية هنا انها « تتكون من الاستخدام الذي يقوم على تخطيط معنى به لاي صورة من صور الاعلام بقصد التأثير في العقول ، والعواطف ، وفي أعمال جماعات معينة لغرض خاص » .

وقد يقال : ان هذا تعريف واسع ، ومن ثم يجب أن تستبعد صور الدعاية التي تستهدف التأثير في الاغراض الخاصة غير السياسية ، وبذلك يمكن أن يقال :

« تتكون الدعاية من الاستخدام المعنى به لاي صورة من صور الاعلام العامة أو الشعبية بقصد التأثير في العقول والعواطف لجماعة معينة لغرض عام معين سواء أكان هذا الغرض عسكريا ، أم اقتصاديا ، أم سياسيا » .

وقد يكون هذا التعريف الاخير هو التعريف العادى للدعاية ، كما يستعمل فى أغلب كتب التعليم المدنية فى الجامعات ، على أنه من الضرورى للاغراض العسكرية أن نهذب من أطراف هذا التعريف من جهة واحدة أو أكثر مع تطبيقه بدقة على العدو وجعله كما يلي :

« تتكون الدعاية العسكرية من الاستخدام المعنى به لاي نوع من وسائل الاعلام بقصد التأثير فى عقول وعواطف : جماعة معادية معينة ، أو جماعة محايدة ، أو جماعة صديقة أجنبية لغرض استراتيجى أو تكتيكى معين » .

لكنه ما لم يكن الاستخدام لوسائل الاتصال والاعلام طبقا لخطة موضوعة فانها لا تكون دعاية .

وبالاضافة الى ذلك يجب أن يكون للدعاية غرض معروف ، وهذا هو الجوهر الأساسى الذى يجب أن يتضمنه التعريف . وتحدث فى وقت الحرب والسلام اتصالات كثيرة بشتى صور الاعلام ، حيث يسبب سرور المذيع أو الكاتب فى السخرية والاستهزاء بالعدو ردودا عكسية على المستمع . ولقد عرفت الحرب الماضية اسلوبا طريفا بارسال صور كاريكاتورية لليابانيين بها رسوم تهدف الى السخرية منهم والاستهزاء بهم ، كما أرسلت بطاقات للالمان فيها سخريه باللغة الألمانية ، وأطلقت أسماء أو نعوتنا غير كريمة على الايطاليين ، وقد وجد مرسلو هذه البطاقات متعة وسرورا فى هذا النوع من السخرية .

ولقد كان هذا العمل فى الواقع دليلا على الحماسة لأن التأثير الفعلى الواقعى لهذه الصور والرسوم أعاظ الجانب الآخر وزاد من رغبته فى المقاومة ومتابعة القتال .

ولا شك أن ازعاج العدو ومضايقته لا تزال لهما مكانتهما فى الدعاية العسكرية الحديثة ولهما دورهما ، ولكن هذا الدور يعتبر دورا خاصا من النادر استخدامه ، فاذا ما استخدم وجب أن يوضع له تخطيط جيد .



## أنواع الدعاية :

قد لا نستطيع أن نفهم الدعاية دون أن نبحثها من زوايا معينة ، فالمصدر مثلا يلعب دورا كبيرا فى تقسيمها الى أنواع مختلفة • فإذا كان المصدر مكشوفاً ومعروفاً فإن الحكومة التى تصدر الدعاية تعرضها باسمها أمام العالم كله ، ومن ثم يجب أن تصدر هذه الدعاية بقدر كاف من الكرامة مقدرة كل الاحتمالات للمستقبل ، وإذا كان المصدر مزوراً فمن المهم أن تثق الحكومة أو الجيش بأن التزييف جيد جدا ، وأنه ليس من السهل تعقب الدعاية لمعرفة مصدرها وما بها من زيف •

ويستخدم هنا أسلوبان مختلفان كل الاختلاف ، فالمصادر العلنية المكشوفة تتطلب موظفين عموميين مسئولين. ويفضل الرجال ذوو الشهرة الدولية الذى يمكن أن يحققوا أفضل تأثير من أسمائهم ومن التسهيلات التى توفرها الحكومة ، واستخدام المصدر المكشوف فى الغالبية - وليس دائما - يشمل ايمان رجل الدعاية بصحة المادة التى يقوم بتوزيعها ، وتتطلب المصادر المزيفة « المفبركة » أشخاصا مهرة بارعين فى قوة التخيل والتزييف والاختلاق ، ونتيجة لهذا الفهم المبني على تقسيم الدعاية من ناحية المصدر وجدت الانواع الثلاثة التالية :

## الدعاية البيضاء :

تصدر من مصدر معروف وفى العادة يكون المصدر وكالة من الوكالات الحكومية بما فى هذا القيادات العسكرية على مختلف مستوياتها ، ويشترك هذا النوع من الدعاية مع العمليات النفسية العلنية المكشوفة •

## دعاية رمادية :

لا توضح أى مصدر •



أخرى ، وكان الالمان يرسلون الانباء الالمانية الرسمية الى الولايات المتحدة باللغة الانجليزية ، ولكنهم كانوا يزعمون أنها اذاعة أمريكية من الاراضى الامريكية فى الغرب الاوسط .

وفى بعض الاحوال كانت الدول المتقاتلة تستخدم أجهزة الاذاعة للدعاية العلنية والدعاية الخفية السرية ، ولقد عرفنا من قبل أن اذاعة «سيبان» وهى تحت ادارة الامريكيين كانت فى أغلب الوقت بديلة لاذاعة برامج محطة سان فرانسيسكو واستعارتها « منظمة الخدمة الاستراتيجية » O S S فصارت محطة « يابانية » .

على أنه من ناحية التوقيت يمكن أن تقسم الدعاية الى نوعين : دعاية استراتيجية ودعاية تكتيكية ، وتدار الدعاية الاستراتيجية دون أن يكون لها تأثير مباشر واضح مرئى ، وغرضها اجهاد العدو بتغييرات سيكولوجية يمكن أن تمتد على مدى شهور ، أما الدعاية التكتيكية فهى تهدف الى تحقيق غرض مباشر قصير الاجل ، وهى عادة لا تعطى فترة زمنية طويلة .

ويمكن أن نعرف هذين النوعين على النحو التالى :

١ - دعاية استراتيجية : توجه ضد قوات العدو ، وضد شعوب العدو ، وضد المناطق التى يحتلها العدو متناسقة مع تخطيط استراتيجى ، وتوضح بقصد تكملة نتائج مخططة ينشد تحقيقها على مدى أسابيع ، أو شهور ، أو سنوات .

٢ - دعاية تكتيكية : توجه لستمعين معينين يذكر أسماؤهم فى الغالبية ، وتعد وتنفذ لتنفيذ عمليات القتال المحلية .

على أنه من الممكن ابراز فروق مميزة أخرى ، ويتوقف هذا على العلاقة بين عملية الدعاية التى يقوم بها أحد الجانبين وعملية الدعاية التى يقوم بها العدو فى الوقت نفسه ، أى أن تكون هناك دعاية هجومية ، ودعاية دفاعية .

ولقد ظهرت أهمية هذا الفرق قبل الحرب العالمية الثانية ، ولكن التجربة في كل الجبهات دلت على أن هذا لم يكن يعنى الا القليل عندما يطبق على الاحتياجات اليومية في الاجراء الفعلى ، وتنسيق الدعاية تسميقا وثيقا مع الانباء ومع موقف الراى حتى انها لتحمل في الغالبية تحليلات متقنة محكمة سابقة للعمليات ، ولكن التخطيط المتقن ينتهى في الغالبية الى الملفات المغلقة ومن ثم فان التمييز على أسس « هجومية » و « دفاعية » يكون قليل المعنى في العمل الروتينى الرتيب .

## الاستراتيجية :

تعتمد الاستراتيجية الصحيحة للدعاية على الاطار العام للسياسة وللظروف التى تساعد على النجاح أو تقف فى طريقه . والغرض الأساسى للسياسة يمتد من اعادة بناء المجتمع الى موضوعات محلية عاجلة ، ومن الاعتماد الكامل على الاقناع الى القضاء اتمام على الدعاية .

واذا كانت هناك خطة شاملة للتغير الاجتماعى يراد اتباعها عن طريق الوسائل السلمية ، فان المشكلة الاساسية للتخطيط الاستراتيجى هى : هل يمكن الاسراع فى النجاح على حساب الاستغناء عن بعض التفاصيل ؟ وفى وقت ما فى الصين مثلا لبس الجزويت ملابس العلماء المحليين كوسيلة لتعديل غرابة طريقة الحياة المسيحية .

وهناك موضوع آخر متصل بالاستراتيجية وهو كيف يمكن التركيز على نشر دعوة ما ، وما مدى استعمال نداءات مساعدة ؟ فمن عمل البعثات التبشيرية نجد أن نواحي النشاط الثانوية هى التى صارت الوسيلة المتبعة للاتصال غير المباشر بالسكان المحتمل تبشيرهم . فبعثات التبشير البوذية دائما تشجع الاعمال الخيرية ، ولكن يقال : أنه فى الصين استطاعت ترجمة مبادئ البوذية أن تلعب دورا هاما فى اثاره اهتمام بعض الطبقات .

وأحيانا ما تكون مهمة الدعاية هى اعداد الطريق لبعض نواحي النشاط التى لابد من أن تشمل اذا تم شرحها مقدما ، فقبل الاستيلاء على المنطقة فى ألمانيا كانت

استراتيجية الحزب الاشتراكي الوطني هي منع تجمع الاشتراكيين والشيوعيين والمحافظين ، ذلك التجمع الذي كان من شأنه أن يقف ضدهم . وبمجرد أن استولت الاشتراكية الوطنية على الحكم ، انتقلت المشكلة الى نطاق السياسة الدولية وصارت مهمتها منع كل من الشرق والغرب من اتخاذ أية خطوات عملية ، بينما قامت ألمانيا بالتسلح واحتلال أرض الراين واستيعاب النمسا ، وتقسيم تشيكوسلوفاكيا ، ثم بدأت الحرب ضد بولندا . وبعد فسخ العلاقة مع السوفييت صار الغرض الاستراتيجي الأساسي هو الفصل بين الشرق والغرب حتى يمكن الهرب من القتال على جبهتين .

## التكتيك :

ان مشكلات الدعاية التكتيكية تنتج من تكييف الموقف حسب الحدود التي تفرضها ، ويجب اختيار الجماهير الصالحة والوسائل الصالحة حتى يمكن الحصول على التأثير المطلوب ، كما يجب خلق هيئة لها القدرة والاخلاص المطلوبان لتحقيق هذه الاغراض .

وعند تقرير ما يراد نشره يجب مراعاة ابعاد الجماهير ، وهذه الابعاد هي : مزيج من المفاهيم للنفس ، ومن الرغبات المطلوبة ، والاعتبارات المنتظرة . ويمكن تصنيف الابعاد حسب الثقافة والطبقة والشخصية . ولنفترض أن المشكلة التكتيكية هي جعل أكبر عدد من جنود العدو وضباطه يسلمون أنفسهم . في هذه الحالة سيدرس الداعية ثقافة العدو وهل تجعل الشرف العسكري مثلاً أعلى ؟ سيحاول أن يكتشف هل هناك ظروف يعترف فيها العدو بأن التسليم شرف أيضاً ؟ وفي هذه الحالة سيقوم الداعية بتوزيع بيانات بأن أية مقاومة بعد ذلك ليس لها أى معنى عسكري . وسيقوم في نفس الوقت باعداد أمر عال يجب اطاعته .

كما أن ابعاد الجمهور من الأمور الهامة التي يجب أن تراعى في المجال التكتيكي حينما يقرر المعلومات التي يجب منع نشرها . ففي الحرب العالمية

الثانية كانت الفكرة السائدة هي أن الجماهير الألمانية كانت على حذر شديد من أن تقع فريسة مرة أخرى لخديعة الحلفاء وأنها حذرة ضد الدعاية • ومن هنا قرر الداعون الانجليز والامريكيون اتباع الطريق الطويل الذي يرمى الى كسب ثقة الجمهور عن طريق اعطاء معلومات دقيقة . وكانت الخطة هي كسب « معركة الثقة » عن طريق اتباع الحق ، وذلك بنشر بيانات في استطاعة الجماهير الألمانية التأكيد منها • وكنتيجة لدراسة طبيعة الجماهير في ألمانيا ، كانت البيانات الحقيقية كثيرا ما تخفف لهجتها حتى تبدو معقولة ، فكانت الحقائق عن الانتصارات العسكرية ونتاج الاسلحة والاغذية والمعدات كثيرا ما يقلل من شأنها حتى تبدو حقيقية •

ومن المعروف أنه من الصعب اخفاء الحقائق عن الجماهير ، ومن ثم صار من المعتقد أن نشر المعلومات السيئة في الحال أقل ضررا من اخفائها أو من نشرها بصورة غير كاملة • لقد تعلمت السكك الحديدية ، وتبعثها شركات الطيران أن تنشر أخبار حوادثها بمجرد وقوعها . وغالبا ما توجد حقائق غير مرضية للجانبين، وفي الخلافات المريرة نجد من الطبيعي أن يحاول الداعون الحصول من المخابرات على معلومات يمكن استعمالها بطريقة خاصة للضغط على الخصم وارغامه على ألا ينشر معلومات معينة •

والمشكلة الدائمة التي تواجه رجل الدعاية التكتيكي هي مدى مدح النفس والهجوم على العدو • ونجد أن المتنافسين التجاريين مثلا يمتنعون عن الهجوم ضد منافسيهم على أساس أن الشك يمكن أن يثار لا على « الماركة » بل على نفس السلعة التي يراد بيعها • وبالعكس الدعاية التجارية نجد أن الدعاية السياسية تتصف بتقديم السياسة كدراما تتصارع فيها قوى الخير وقوى الشر • وتحاول الحركات الثورية أو الاصلاحية أن تخلق شعورا بالجرم بين منافسيها ، وشعورا بالصالح بين مؤيديها • وقد ينجح هذا التكتيك في اثارة نضال في الضمائر •

## تكنيكات الدعاية السوداء :

والآن ننتقل الى الحديث عن تكنيك الدعاية السوداء ومتطلباتها التي تعتبر من أخطر أنواع الدعاية في الحرب النفسية ، وأكثرها استخداما .

والواقع أن كل شخص يعمل في ميدان الحرب النفسية يجب أن يعلم ماهيتها ، وكيف تعمل ، وأن يكون قادرا ما أمكن على ألا يفسد فاعلية الجهود التي تقوم بها القوات التي ينتمي إليها بالحديث دون حذر .

وكقاعدة عامة ليس من الضروري في حرب الدعاية أن يعلم رجل الدعاية المكشوفة ما يقوم به رجل الدعاية الخفية ، وبمعنى آخر لا داعي الى أن تعرف اليد اليمنى ما تفعله اليد اليسرى . ان أحسن طريقة لضمان سلامة عمليات الدعاية السوداء هي عدم الكشف عن وجودها الى أى شخص الا اذا كانت هناك ضرورة تستدعي المعرفة .

ان الدعاية السوداء من العمليات الاخبارية الهامة ، لا لأنها تتخذ المادة الاخبارية ذخيرة لها فحسب ، ولكن لأنها كذلك مناورة مستقلة تتم في جو من السرية والحفاء . وان الدعاية السوداء لا يمكن أن نتعرف على مصدرها الحقيقي ، وهي تتظاهر بأنها تبدأ داخل أراضى العدو أو الاراضى التي يحتلها أو بالقرب منها ، وان الذى يقوم بها عناصر هدامة بين الاعداء . انها نشاط بالغ السرية ذلك لان كشفها يقضى على فائدتها .

ان بريطانيا بصفة خاصة تتمتع بمهارة فائقة فى أعمال الدعاية السوداء . ان أكثر الجهود التي فاقت بها أية دولة نجاحا حتى الآن هي العمليات السرية التي قامت بها الوكالات البريطانية فى أثناء الحرب العالمية الثانية . وكان من أهم هذه العمليات انشاء محطة ارسال سرية اسمها « المذيع السرى رقم ١ » كانت ترسل عليها اذاعات أحد رجال الدعاية الذى اتخذ لنفسه اسم « الزعيم » وكان هذا الزعيم صحفيا بريطانيا اسمه سيفتون ديلمار Sefton Delmer وقد صار واحدا من

رجال الاسرار المبدعين فى الحرب العالمية الثانية عندما اختفى فجأة • وكان زملاؤه يطلقون عليه «اللحية» لانه كان يترك الشعر على جانبيه لحيته طويلا . وكان يسمى فى الولايات المتحدة « هنرى الثامن » لانه كان يذكر الناس بذلك الملك • وكانت مهارته محل اعجاب فى جميع أنحاء العالم ، ويعتبر ديلمار فى الوقت الحاضر من أبرز الاخصائيين ممن يزاولون الدعاية السوداء •

وعند الارسال كان ديلمار يدعى أنه من كبار ضباط الجيش الالمانى ممن لهم سجل حافل بالاعمال العظيمة فى الحرب العالمية الاولى . لقد كان يظهر «وطنية» متطرفة ولكنه كان يعارض كل شيء . كان يكره : البريطانيين واليهود والسوفييت والنازى ، وكل شخص فى هذه الدنيا • ان هذا الخليط من الكراهية جعله غنيفا ولكن الجنود كانوا يحبون أن يستمعوا الى شخص يبدو كما لو كان صدى لآلامهم . وكان هناك شيء آخر يجذب المستمعين الى « الزعيم » • لقد كان لا يقيم أى وزن للقيم ولا للاخلاق ولا للاديان • وكان يتلاعب بالالفاظ الخاصة بالجنود ولكن هذه الالفاظ كان يقولها بطريقة الخاصة فكانت تسمع وكأنها ألفاظ التعزيز والتكريم .

وكان الزعيم يذهب الى أبعد ما يمكن لكسب ثقة مستمعيه الالمان ، فقد حدث مرة أن تخير ضابطا ألمانيا معروفا بعدم كفاءته وبأن أخطائه قد تسببت فى القضاء على احدى الكتائب ، وندد به فى احدى اذاعات هيئة الاذاعة البريطانية العلنية الموجهة الى ألمانيا . وقد علم فيما بعد أن هذا الهجوم كانت له آثاره السيئة على هذا الضابط ، فقد أمرت القيادة الألمانية العليا بالقبض عليه وحاكمته أمام مجلس عسكري . ولما رأى الزعيم « أن الأمر قد وصل الى هذا الحد قرر أن يتدخل فقام بحملة عنيفة على القيادة العليا الألمانية لأنها تصرفت بناء على اشارة من الاذاعة البريطانية، وأخذ يتساءل بحماس قائلا « متى بدأنا نتلقى أوامرا من هؤلاء البريطانيين الملاحين ؟ » ومن هم هؤلاء البريطانيون وكيف يسمحون لانفسهم بأن يقولوا لنا ما الذى يجب أن نعمله مع ضباطنا ؟ ان هذا الحال اذا استمر فسنجد كل ضباطنا يقدمون الى المحاكمة أمام المحاكم العسكرية ، أليس هذا ما يريد



هؤلاء البريطانيون الملاحين ؟ ان الخطأ من طبيعة البشر أليس كذلك ؟ ان معظم ضباطنا يخطئون من آن لآخر ولا ذنب لهم في ذلك اذا كانت النتيجة هي القضاء على احدى الكتائب ! ان الحرب هي كذلك !

لقد كان هذا « الزعيم » الذى تحرر من جميع القيود والقيم يتحدث فى الاذاعة موجهاً حديثه الى الالمان بطريقته العابثة المستهترة حاملاً اليهم أخباراً مشيرة تخفى بين ثناياها - بطريقة مأكرة - الدعاية التى يريدونها . وكان يتحدث عن أدق تفاصيل حياة هتلر الخاصة ، ويكشف الغطاء عن الخلافات داخل القيادة الألمانية العليا حول بعض خطط العمليات . وكان يشير الفصائح والأقاويل . وكان هذا انتصاراً للأخبار كدعاية ، وكان هذا يبين امتياز المادة الاخبارية التى كان « الزعيم » يبنى عليها فضائحه وأقاويله المبتذلة .

وبالرغم من أن الجنود الالمان كانوا يستمعون بانتظام الى الزعيم فانهم لم يساورهم الشك فى أن هذه الاذاعة كانت اذاعة من الاعداء . ومما هو جدير بالذكر أنه حتى يونية عام ١٩٤٢ لم يعرف جهاز المخابرات العسكرية الامريكى بالدليل القاطع أن محطة الاذاعة هذه كانت حيث هى . ولم يطلع البريطانيون أى شخص على السر ، ولكن كشفوا هذه العملية الاخبارية المدهشة لاثنيين من رجال المخابرات الامريكية حينما واجها البريطانيون بدلائل قاطعة استطاعوا الحصول عليها بعد عملية دقيقة من عمليات المخابرات .

والى جانب الاذاعة كانت الدعاية السوداء تستعمل وسائل أخرى متعددة مثل الصحف السرية التى تقلد فى مظهرها الصحف اليومية المشهورة . ومن الأمثلة المشهورة لهذه الوسيلة الصحيفة التى ظهرت تقليداً لصحيفة « سوار » SOIR الواسعة الانتشار ، وكان البلجيكيون ينشرونها سرا فى أثناء الحرب العالمية الثانية . ومن الوسائل الأخرى التى تستعملها الدعاية السوداء تهريب المطبوعات الهدامة الى عناوين معينة عن طريق البريد . وتشمل العمليات الألمانية فى هذا الميدان ارسال خطابات الى الجنود الفرنسيين من قراهم أو مدنهاهم تؤكد

أن زوجاتهم يرتكبن أعمالا فاحشة • وكان النازي يرسل كميات ضخمة من دعايتهم بهذه الطريقة عن طريق البريد الأمريكى ، كما كانت مطبوعات مماثلة ترسل عن طريق البريد اليابانى وكلها كانت ترسل من مصادر سرية •

ان ارسال كميات ضخمة من الرسائل البريدية يتم مع الاعتقاد بأن كثيرا من هذه الرسائل قد لا يصل الى الجهات المرسله اليها ، وبالرغم من ذلك فان لها فائدتها لأنها تثقل كاهل الرقابة وتعمل على تعطيل البريد العادى ، وهى بهذه الطريقة تؤثر على الروح المعنوية •

ان النشرات السوداء تعتبر ذات فاعلية كبرى عندما تحسن صياغتها ويحسن توزيعها •

ان وسائل الدعاية السوداء متعددة ، ويمثل بعضها خرقا لا مبالاة فيه للقانون الدولى ، ويسبب مضايقة لا حد لها للعدو • ومن هذه الوسائل الجريئة : تزوير العملة والنقد الخاص بالاعداء ، وتزوير بطاقات التموين وأوراق تحقيق الشخصية • واذا لم يكن لهذه العمليات فائدة ، فانها على الأقل تشغل الأجهزة الادارية للأعداء وتعطلها ، كما تشغل رجال الأمن الذين يشغلون فى البحث والاستقصاء • ان أساس هذا - كما هو الأساس فى كل أنواع الدعاية السوداء - احداث الارتباك فى أجهزة الدولة المعادية •

## تقييم الفاعلية :

ليست هناك مشكلة من مشكلات الحرب النفسية أكثر تعقيدا من مشكلة ضرورة القيام بمحاولات من وقت لآخر لتقييم النتائج التى أمكن الحصول عليها من العمليات الدعائية السابقة ، ولكن ليس هناك ما هو أكثر صعوبة من هذا • والواقع أن الانسان اذا كان صادقا كل الصدق فى اجابته ، فانه لا بد من أن يعترف بأنه لا يمكنه أن يثبت أن الدعاية التى تشر تحقق النتائج المرجوة ، بالرغم من تيسر الوسائل السليمة التى تستطيع أن تحدد مدى فاعلية أعمال الدعاية •

أن مشكلة تحديد مدى الفاعلية تحددها عدة عوامل ، فالعلوم الاجتماعية الحديثة توصلت الى وسائل فنية للتقييم، كما أن لها فائدتها في تقدير مدى ما يصل اليه البرنامج ، ولكن لم يتم التوصل الى نفس المستوى في الوسائل التي تقيس بطريقة علمية التأثير الذي تحدثه رسالة معينة أو مجموعة من الرسائل على مجموعة من المستمعين . أى أنه من السهل نسبيا التأكد من المدى الذي يحققه البرنامج، ولكن من الصعب جدا معرفة مدى التأثير الذي وقع على عقلية المستمعين.

وعلى الرغم من ذلك فإن الأبحاث التي أجريت في وسائل الاتصال وفي أبحاث الاسواق ، والتطوير المستمر الذي أدخل عليها أظهر أن كثيرا من هذه الوسائل مفيدة في قياس النتائج في عمليات الأخبار والمعلومات الأجنبية وعمليات الحرب النفسية . وإذا كانت النتائج التي أمكن تحقيقها باستخدام إحدى الوسائل لا تصل الى درجة كبيرة من الدقة ، فإن هذا لا يمنع من استعمال هذه الوسائل بحيث تكون مفيدة ونافعة .

وعند تقييم النتائج في الحرب النفسية بعكس الحال في الدراسات التي تمت في أبحاث الأسواق المحلية ، فإن المشكلة ليست مشكلة اختيار بين الوسائل المختلفة ، ولكنها مشكلة استعمال الفطنة والخيال وتحسين تطبيق وسائل البحث المتحدد الأطراف ، وتقدير مدى فاعلية أحد البرامج أو الاعمال الدعائية ، وكذا لتأكيد التأثير المحتمل على المجموعة أو المجموعات التي تتلقى الدعاية .

على أننا نرجو أن نلفت نظر القارئ هنا الى دراستين هامتين في هذا الكتاب وهما تقييم الدعاية في أثناء المعارك ، ودور أبحاث الرأي في تقييم الحرب النفسية ، اذ أنهما يمثلان للقارئ جزءا كبيرا من العقبات التي لابد من التغلب عليها قبل أن نستطيع أن نتأكد من التأثيرات التي يمكن الحصول عليها من أى مجهود مجدد .

كما نرجو أن نشير الى أن هذه الدراسات ليست كافية لتغطية الموضوع ، فهناك الكثير من الأبحاث وتجارب الماضي تؤكد أهمية الوسائل الناجحة في تقييم

النتائج التي يمكن الحصول عليها • وليس هناك ما يوحي بأن جميع الوسائل والتكنيك المفيدة في تقييم العمل قد نوقشت في هذا الفصل •

على أننا من ناحية الوصف يمكن أن نحدد عملية التقييم بأنها تشمل على الأقل ثلاثة أنواع من النشاط :

١ - قياس الانتاج ويشمل تحديد مدى كفاية الادوات المستعملة •

٢ - تحديد نوع الاستقبال المحتمل لوسائل الدعاية المختلفة المستعملة •

٣ - تحديد التأثير الممكن أو المعروف للرسالة أو الحملة أو الخطة الاستراتيجية على المجموعة التي توجه اليها الدعاية ، أو بمعنى آخر تحديد نوع التغييرات التي حدثت في السلوك والاتجاهات بين المجموعة التي يراد التأثير فيها والتي يمكن ارجاعها لمجهودات الحرب النفسية •

ومن بين أبسط وسائل التقييم المستخدمة في عمليات الحرب النفسية طريقة تجميع ملخص للانتاج بالنسبة لعدد الوسائل، مثل: النشرات، وصحائف الاخبار، وعدد ساعات الاذاعة ، والافكار التي أمكن تغطيتها • فمثلا في حالة النشرات وصحائف الاخبار يسجل عدد كل منهما ونوعه ، وفي الصحافة والمطبوعات تسجل الاعداد المتداولة ، وفي الافلام والمعارض الفنية يسجل عدد الاشخاص الذين يشاهدون كلا منها • وبالنسبة للاذاعة وعمليات الارسال يسجل بيان بعدد ساعات الاذاعة وكمية البرامج المختلفة كما لو كانت كمية النشاط نفسها برهانا على الفاعلية •

ويجب ألا يغالى الانسان في الافتراض بأن لكمية الانتاج أو تنوع البرامج أية علاقة بدرجة الفاعلية أو مداها ، ولكن بالرغم من ذلك فإن المشرفين على الدعاية نظرا لأنهم ينقصهم المقاييس العلمية الصحيحة لتحديد مدى الفاعلية ، فقد جعلوا هذه الارقام أول دليل على هذا ، بالرغم من أنه ليست هناك علاقة مباشرة واضحة بين مقدار الدعاية أو كميتها ، والتأثيرات الناتجة بالنسبة لتغيير الاتجاهات ، وأنواع السلوك بين المجموعات التي توجه اليها الدعاية •

ان تجميع المعلومات عن الانتاج هو مجرد وسيلة للاحتفاظ بعمليات ضبط التشغيل والتكنيك ، وهى الاشياء التى يسمح تحليلها فى المستقبل باجراء دراسات فعالة . ومن الامثلة التى تبين كيفية استعمال عمليات تجميع الانتاج فى دراسات مدى الفاعلية المثال الآتى :

« فى أثناء العام الأول من الحملة الكورية كان الأفراد القائمون على عمليات الحرب النفسية فى قيادة الشرق الاقصى بطوكيو بالرغم من قلة عددهم بشكل واضح يحتفظون بسجلات رائعة لعند كل نشرة صدرت وللمكان الذى القيت عليه والوقت الذى القيت فيه . وقد تم خلال الاسابيع الستة الاولى من حملة كوريا طبع عدة ملايين من النشرات ، وتم توزيعها . ومنذ بداية القتال قام أفراد المخابرات - وهم أشخاص ليسوا مشتركين اشتراكا مباشرا فى عمليات الدعاية - باستجواب أسرى كوريا الشمالية عن تأثير دعاية الأمم المتحدة فى اقناعهم بالقاء أسلحتهم ليصبحوا أسرى حرب . وقد قرر حوالى ثلث عدد الأسرى الذين تم استجوابهم أن دعاية الأمم المتحدة لعبت دورا كبيرا فى اغرائهم بالاستسلام . وقد شعر موظفو الحرب النفسية المسؤولون عن التخطيط للنشرات ونتاجها بكثير من الرضا لهذا الاكتشاف ، ولكن ظهر فيما بعد أنهم ضلوا باجابات بعض الأسرى من كوريا الشمالية فى عمليات استجوابهم .

ولقد ظل موظفو الحرب النفسية القليلو العدد فى « قيادة الشرق الاقصى » طوال شهرى يونية ويولية وفى الاسبوع الاول من أغسطس سنة ١٩٥٠ يعملون بلا توقف . فقد كانت تجهز عدة نشرات وتطبع ، وكانت ملايين النسخ توزع ولكن فى كل حالة طوال هذه الفترة الاولى من القتال كانت النشرات توجه الى قوات كوريا الجنوبية والموالين ، ولم توجه أية نداءات للقوات الشيوعية فى كوريا الشمالية .

ولم تجهز أول نشرة أعدت خصيصا للجنود فى كوريا الشمالية وألقيت عليهم الا بعد الأسبوع السابع من الحملة . وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر فى أثناء

استجاب أسرى كوريا الشمالية أن حوالي ١/٢ جنودها ممن وقعوا في الأسر في هذه الفترة المبكرة قد استجابوا لنداءات دعاية الأمم المتحدة ، وهكذا نسب إلى الحرب النفسية فضل لم تكن تستحقه .

## تقييم دعاية المعارك :

وإذا كانت عملية تقييم نشاط الحرب النفسية تعتبر شيئاً آخر غير العملية الاخبارية ، فإنها على الرغم من ذلك أقل العمليات التي تتوافر لها الامكانيات من بين جميع مظاهر عملية الدعاية . ان هذا صحيح سواء كان الانسان مهتما بالمظهر الاستراتيجي العام لاحدى العمليات ، أو مهتما بالمظاهر التي ترمى للتأثير على قوات العدو عبر الحظوظ . ولكننا نجد الشخص المسئول عن الحرب النفسية يسأل دائماً السؤال الآتي :

هل للحرب النفسية حقيقة أى تأثير ؟ .

الواقع أنه لم يعط التفكير الكافى لمشكلة توفير الاجابات الشافية لوضع اجابة عن هذا السؤال ونجود ، كما أن مشكلة التقييم لم تعط التفكير اللازم ، وكانت النتيجة أن تأثر برنامج الحرب النفسية .

ان لتقييم عمليات الحرب النفسية أهمية ، وذلك لسببين :

أولاً : ان المعلومات التي يتم الحصول عليها نتيجة عملية التقييم تعتبر مورداً جديداً لقسم المعلومات ، لاخطار العاملين وغيرهم عن المدى والوسائل التي أمكن بها التأثير على المجموعة الهدف .

ثانياً : ان التقييم القائم على التكنيك الصحيح يهكّن القيادة العسكرية أو غيرها من الجهات أن تتأكد بوسائل غير مجرد التخمين من أنه اذا كان من المرغوب فيه أو غير المرغوب عنه الافادة بنسبة مئوية أكبر أو أقل من الموارد المتوافرة من الرجال والمواد فى عمليات الحرب النفسية .

## الأهداف الكبرى التى يخدمها تقييم البرامج الجارية :

على أن الرجال الذين يقومون بعملية التقييم ويستخدمون تكتيك العلوم الاجتماعية الذى يمكن تطويره لاستعماله فى مناطق القتال ، قد يستطيعون تقديم بعض الأدلة المفيدة التى تفى بالاحتياجات العاجلة المستهرة لمعلومات أكثر فيما يختص بما اذا كان انتاج الدعاية يصل الى الهدف المقصود بالطريقة المطلوبة وبالتائج المتوقعة .

ان لمادة التقييم من الناحية الكمية والنوعية فائدتها من حيث هى مصدر جديد للأخبار . وهكذا تمكن المادة النافعة القائم بالدعاية من أن يقرر كيف يمكن تحسين برنامج اليوم التالى أكثر من برنامج اليوم السابق .

ومن الأغراض الأخرى التى يخدمها التقييم تلك العملية التى يمكن أن توصف « بالعلاقات العامة » . وعلى سبيل المثال : تعرض مديرو عمليات الدعاية من أعلى المستويات فى واشنطنون الى الموظف الذى يعمل نصف الوقت فى عمليات الحرب النفسية مع موظفى إحدى الفرق المحاربة من آن لآخر - لهجوم عنيف بسبب نشاطهم الذى يوصف بأنه « مضحكة للوقت ولا فائدة منه » . وقد طلب أعضاء لجان الكونجرس وضباط أركان الحرب فى بعض القيادات العسكرية ممن لا يميلون الى الحرب النفسية وغيرهم أدلة على فاعلية هذه الحرب النفسية كشرط ضرورى للموافقة على استمرار تأييدهم لبرامج الحرب النفسية . ولم يكن من المستطاع دائما الرد على اعتراضات النقاد ، ذلك لأنه لم يتحقق الا القليل فيما وصلت اليه هذه الجهود وفى مدى ما حققته من نتائج بطريقة علمية . ومما هو جدير بالذكر أن النقاد والافراد الذين يعملون فى ميدان الدعاية لم يستطيعوا أن يكونوا فهموا واضحا لرسالة الدعاية وطبيعة عملياتها .

ولكن كان هناك استنباط بأن ثمة علاقتى سبب ونتيجة بين تأثير الدعاية والاستجابة السلوكية ، ولم تظهر الا أمثلة قليلة ثبت فيها صحة هذا القول وذلك عن طريق استعمال تكتيك العلوم الاجتماعية . وهكذا ، فإن كثيرا من المناقشات حول فاعلية الحرب النفسية قام بها بعض المديرين أمام لجان الميزانية أو لجان

الكونجرس ، أو على صورة تقارير شخصية ظهرت فى الصحف أو المجالات  
أو المذكرات • وكان معظمها يتسم بصيغة العلاقات العامة لمواجهة النقد الذى كان  
يوجهه الافراد غير المؤمنين باستخدام الحرب النفسية فى تحقيق أهداف قومية  
أو عسكرية •

صعوبة تكون عملية تقييم علمية يعتمد عليها :

ولقد كانت معظم جهود التقييم فى الماضى ذات قيمة محدودة لأسباب  
ثلاثة هى :

١ - لم يكن لدى الاشخاص المشتركين فى عمليات الدعاية ، ولا الاشخاص  
القائمين بعملية تقييم نتائج العمليات فهم واضح ثابت لطبيعة هذا  
النشاط ورسالته •

٢ - لا يوجد فى الوقت الحاضر مقياس واضح لمعرفة تأثير الدعاية الا فى  
مواقف محددة ومحدودة •

٣ - وجود عوامل أخرى تعوق نجاح من يقوم بأعمال التقييم لنتائج  
العمليات التى تتم فى أثناء المعارك •

ونظرا لأهمية هذه العوامل ، فاننا نرى من الأوفق أن نعرض لها بشيء  
من التفصيل ، حتى تتضح لنا معالم المشكلة •

نقص الفهم الواضح :

ان أولى الضروريات لرجال التقييم لكى يستطيعوا أن يقيسوا مدى فاعلية  
الحرب النفسية بصفة عامة ، أن يضعوا أمام أعينهم الحقائق التالية :

١ - الحرب النفسية لا يحتمل أن تحقق نجاحا يذكر بمفردها لأنها سلاح  
مساعدة •



٢ - تأثير الدعاية لا يتحقق الا بعد مؤثرات متكررة ، فهي ليست موضوعا بهذه البساطة بحيث يستطيع الانسان أن يوجد التأثير في صورة نشرة أو نشرتين أو ثلاث ثم يتوقع بعد ذلك أن يحقق نتائج سريعة .

٣ - لاجدال في أن حملة تأثير الدعاية السابقة الى جانب الموقف الحربى القائم تعتبر من العوامل الاخرى التى لا تقل أهمية عن الدعاية الحالية فى التأثير على قوات العدو ، لتجعل جنوده تهرب من الميدان أو تتصرف بأى طريقة أخرى يراد الوصول اليها .

على أننا نود أن نشير هنا الى اجابة عن سؤال وجه عام ١٩٥٠ الى ضابط امريكى كان مسئولا عن « راديو سمول » (١) .

وقد دلت اجابته على أنه ربما كان لا يميل الى عملء ولا يهتم به ، أو أنه ربما لم يكن يفهم المسئولية الملقاة على عاتقه . ونورد فيما يلى نص الاجابة :

« ان الموظفين الكوريين الذين يعملون فى عمليات الاتصال ليس لديهم مفهوم تام عن ضرورة المواظبة على المواعيد ، كما أن الوطنيين الذين يكتبون للاذاعة والذين يعملون تحت اشرافى يقدمون موضوعات من المفروض أن تذاع فى فترة خمس عشرة دقيقة ، ولكن كان لا يمكن اذاعتها فى أقل من ١٧ أو ١٨ دقيقة . كما أن المذيعين أو المعلقين الذين يجب أن يبدأوا ارسالهم فى الساعة ١٢ ظهرا يبدأون عملهم متأخرين سبع دقائق بعد الميعاد . ونظرا لطول الموضوعات التى تكتب وعدم دقة المواعيد التى يبدأون فيها عملهم ، فانهم غالبا ما كانوا يتأخرون عن موعد الانصراف بحوالى عشر دقائق أو اثنى عشرة دقيقة . ولذلك فاننى أعتقد ان من أهم واجباتى تدريب هؤلاء الكوريين الجنوبيين من أصدقائى ممن يعملون فى الاذاعة على ضرورة بدء العمليات حسب الميعاد المقرر لها ، والانتهاء منها فى الوقت المحدد لذلك » .

---

(١) محطة اذاعة كانت تقوم بعمليات الحرب النفسية التكتيكية التابعة لقيادة الشرق الاقصى الامريكية .

ويقول دانيال ليرنر Daniel Lerner (١) في تحليله المفصل للحرب النفسية في المسرح الأوروبي في الحرب العالمية الثانية أنه وجد عددا كبيرا من الأشخاص لديهم خبرة في الدعاية في هذه المنطقة • ومن بين الأسئلة التي كان يسألها لهم « ما رأيك في رسالة الحرب النفسية أو مهمتها في أوروبا في أثناء الحرب العالمية الثانية ؟ » وقد تلقى ٢٩ اجابة معقولة تحتوي على ٥٦ واجبا منفصلا ونضمها أمام القارئ في الجدول التالي :

### جدول استفتاء لتحديد أهداف الحرب النفسية مسرح العمليات الأوروبي في الحرب العالمية الثانية

| الأهداف   | عدد من ذكرها |
|---|--------------|
| إضعاف رغبة العدو في المقاومة                    | ١٣           |
| القضاء على رغبة العدو في المقاومة               | ٦            |
| تخطيط رغبة العدو في المقاومة                    | ٤            |
| القضاء على رغبة العدو في النصر                  | ١            |
| الإغراء على الاستسلام                           | ٨            |
| تقصير الحرب                                     | ٦            |
| تشجيع المقاومة في المناطق التي يحتلها العدو     | ٦            |
| وضع الأساس للاستلام عادل                        | ٣            |
| الانضمام على مركز حكومة النازي                  | ٢            |
| إظهار أهداف الخلفاء ومثلهم بوضوح                | ٢            |
| تسهيل التعامل مع العدو عندما يستسلم             | ٢            |
| تأييد الحملة العسكرية                           | ٢            |
| السيطرة على السكان في المناطق التي يحتلها العدو | ١            |
| المجموع   | ٥٦           |

(١) Daniel Lerner, Sykewar: Psychological Warfare Against Germany, D - Day to VE - Day, George W. Stewart Publisher, Inc., New York 1959, P. 308 FF.

ويبدو أن ليرنر افترض افتراضا أو أكثر عندما سأل أسئلته ، وكانت افتراضاته قائمة على أساس خاطيء . لقد كان السؤال يوحي بأن هناك هدفا واحدا أو على الأقل هدفا واحدا أساسيا للحرب النفسية في مسرح العمليات الأوروبية ، ولكن هذا الافتراض لا يمكن أن يكون دقيقا الا اذا كان قائما على قاعدة عريضة مثل « المساعدة في كسب الحرب » والسلام . كما أن السؤال يعنى أن الانسان يستطيع أن يقدر نتائج الدعاية التى تنشر فى أثناء المعارك وغيرها من وسائل الحرب النفسية بصفة عامة دون اشارة محددة للأهداف المعروفة ، ومثل هذا التصرف لا يؤدى الى أى نتائج نافعة .

### أهمية السجلات الدقيقة :

على أن طبيعة السجلات الرسمية للاحداث الماضية غالبا ما كانت تترك كثيرا من الشكوك فى عقول القائمين بعمليات التقييم نحو الهدف الذى يحتمل أن تحققه دعاية معينة ، ولذا فإنه لاغراض التقييم لابد من وجود السجلات الدقيقة التى توضح الامور التالية :

١ - ماذا حدث بعد الدعاية ؟

٢ - ما أنواع النشاط الاخرى التى كان من الممكن أن تؤثر فى النتائج ؟

٣ - طبيعة الهدف الذى يهاجم ، هل كانت روحه المعنوية عالية أو هابطة ؟

٤ - طبيعة الأرض .

٥ - طبيعة الاحوال الجوية .

٦ - درجة دقة الأخبار المتعلقة بالهدف .

ان كل هذه العوامل مجتمعة او بعضها من الممكن أن تؤثر على درجة النجاح الذى تحقق فى عملية معينة ، ولكى يكون هناك تقييم علمى له معناه لنشاط

الحرب النفسية أو عمل من أعمالها فانه لا بد من أن يكون للانسان فكرة سليمة وفهم واضح للغرض المطلوب الذى يرمى اليه رجل الدعاية ، كما أن التقييم لابد من أن يكون فى ضوء أهداف محددة ليست عامة ، كذلك لابد لتقارير العمليات المباشرة والمساعدة من أن تحتفظ بتفاصيل لا تترك مجالا للشك فى عقول القائمين بالتقييم نحو ما كان يراد تحقيقه وما حدث فعلا . ولكن حتى الآن لم يعط الاهتمام الكافى لضرورة الاحتفاظ بمثل هذه المعلومات التى تمكن من القيام بعملية تقييم علمية .

### المعايير اللازمة لقياس النتائج :

من المتفق عليه بصفة عامة أن للتقييم فى عمليات الحرب النفسية مظهرين كبيرين . أولا : لابد من تحديد ما اذا كان الهدف المطلوب قد تحقق بالقوة والثبات المطلوبين ، وأخيرا : لابد من التأكد من مدى تأثير هذه الجهود على الافراد أو الجماعات التى تخاطب .

ان رجال الدعاية وأفراد العلوم الاجتماعية المتخصصين لعمليات الحرب النفسية لم يتوصلوا بعد الى تكوين معايير علمية لتقييم نتائج الحرب النفسية . وهذا شئ لابد منه فى موقف لا يتوافر فيه الفهم أو الاتفاق حول الاهداف التى يراد تحقيقها . وحتى اذا كان هناك اتفاق حول رسالة الحرب النفسية فهناك صعوبات كاملة حول اقامة معايير مقبولة لقياس النتائج أو تقييم التأثيرات .

وقد أشرنا فى مجالات كثيرة من هذا الكتاب الى أن الافراد المشتغلين بالعلوم الاجتماعية ممن حاولوا تقييم نتائج الحرب النفسية يفضلون استخدام وسائل القياس الكمية . وكثيرا ما كان رجال الدعاية أنفسهم يعتمدون على ابراز ارقام ضخمة بخصوص الانتاج مثل عدد النشرات المطبوعة التى وزعت وعدد برامج الاذاعة وساعات الارسلات ومجموع الوقت الذى استنفسد فى الاذاعة بمكبرات الصوت على خطوط الجبهة كما لو كانت هناك علاقة بين كمية الانتاج والنتائج التى أمكن الحصول عليها .

ورغم أن قدرا كبيرا من العناية في الماضي كان يوجه لأغراء جنود الاعداء على الاستسلام ، بالإضافة الى أن من الامور السهلة نسبيا سرد عدد الجنود الذين استسلموا في فترة معينة ، فلم يكن سهلا اكتشاف دوافع معينة في سلوك جنود العدو . وحتى أسرى الحرب قد لا يمكنهم أن يصفوا بدقة السبب الذي جعلهم يتصرفون بطريقة خاصة . فمثلا ليس هناك من يستطيع أن يجزم بأن أحد جنود العدو استسلم بسبب رسالة في إحدى النشرات ، وليس بسبب الجوع وقلة الذخيرة ، أو لأنه قد سمم الحرب .

إن المادة الخام التي تستعمل في التقييم لابد من أن تأتي نسبة كبيرة منها من أسرى الحرب أنفسهم من الاجابات التي يدلون بها عند استجوابهم والتحدث اليهم ومناقشتهم . وبصرف النظر عن الوسائل المستعملة في تحليل المادة أو المعلومات فإن النتائج لا يمكن أن تكون أكثر صحة من الاجابات التي يتم الحصول عليها من الأسرى ثم تدخل في التحليل . وهناك عوامل متداخلة في مواقف القتال بحيث يمكن أن يكون لها تأثير مضاد على المادة أو المعلومات التي تجمع لتحليلها .

وبالرغم من أنه لا توجد طريقة سهلة أو معتمدة للحصول على تقييم صحيح ومضبوط يبين دقة نشر الدعاية ، فإن المشكلة تشير مصاعب أقل من المصاعب التي يقابلها الاشخاص الذين يحاولون قياس تأثير إحدى الرسائل ، أو مجموعة من الرسائل ، أو غير ذلك من أعمال الحرب النفسية على الآراء وعلى سلوك المجموعة التي يراد التأثير عليها . ويزيد من هذه الصعوبة ظروف العمل في مناطق القتال وقت النزاع المسلح .

ولقد استخدم أسرى الحرب في عمليات التقييم بثلاث طرق رئيسية :

أ - للحصول منهم على معلومات ( كمية ) عن طريق الاستفتاءات الشفهية والمكتوبة التي صيغت بطريقة خاصة لضمان الحصول على أشياء معينة .

ب - للحصول على معلومات ذات صبغة نوعية أو ذاتية يتم الحصول عليها عادة من مجموعة مختارة من أسرى الحرب عن طريق المقابلات الشخصية .

ج - عن طريق تقارير صيغت بعناية لمناقشات أسرى الحرب ، حيث كان يوجه انتباه الشخص الذي يسأل الى نقط معينة لها أهميتها بالنسبة للأفراد الذين يقومون بأعمال الحرب النفسية .

وعند استخدام أسرى الحرب للحصول على معلومات كمية كان التكنيك المستعمل في الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية لقياس الرأي العام هو نفس التكنيك الذي استخدم في الحرب . وقد وصف ليرنر الأعداد الضخمة من أسرى الحرب الألمان في أوروبا في الحرب العالمية الثانية الذين أمكن استجوابهم بواسطة أجهزة الحلفاء بأنها « أعداد خيالية » . ان التحليل الكمي للاستجابات يتطلب عينة كبيرة متجانسة في ناحية واحدة على الأقل .

ولقد سبق أن ناقشنا في الفصل السابق مسألة مدى تمثيل أسرى الحرب لقوات العدو التي لا تزال مشتركة في القتال ، ولكن مما لا شك فيه أن هناك أوجه شبه كثيرة مشتركة بين أسرى الحرب وقوات العدو مثل التراث الثقافي والآمال الوطنية واللفة . أن الفرق الهام بينهما - وهو الفرق الذي يجب أن يعمل له حساب في تحليل ردودهم - هو أن الأسرى حسب طبيعة وضعهم في الأسر يقلقهم نوع من المشكلات مختلف عن مشكلات جنود العدو الذين لا يزالون مشتركين في القتال . ان هذه الحقيقة وهي تعتمد على الظروف والثقافة قد تشكل بطريقة شعورية أو لا شعورية الردود التي تعطى في أثناء المقابلات الشخصية أو الاستجابات .

أن أسرى الحرب يندرس أن يستجيبوا لأغراض الحرب النفسية في الساعات الأولى لأسرهم ، فهناك أنواع أخرى من النشاط لها أولوية واضحة ومنطقية في جمع الأخبار . وهكذا فإنه ليس غريباً أن يستجوب الأسرى عن الأمور المتعلقة

بالحرب النفسية فى المعتقلات بعد مرور أيام أو أسابيع من وقوعهم فى الأسر ، وهذا يمكنهم من أن يشكّلوا سلوكهم بطريقة تظهرهم أمام الآخرين فى صورة مقبولة بالنسبة لتراثهم الثقافى • وحتى فى أحسن الظروف ومع الأسرى الذين تتسم نواياهم بالصدق فإنه لا ينتظر منهم أن يعطوا أى قدر من الأهمية للعوامل المختلفة التى كانت تتحكم فى تصرفاتهم وتوجيهها •

وفى الحرب العالمية الثانية كان من الأشياء العادية أن يسأل رجال الاستجواب الأسرى اليابانيين أن يصفوا لهم الطريقة التى وقعوا بها فى الأسر • ولقد وصفوا جميعا كيف أنهم خدعوا أو وقعوا فى الأسر وهم نيام وبدون أن يكون لديهم فرصة أو وسيلة للانتحار • أما فى المواقع الخلفية فكانوا كثيرا ما يقررون أنهم وقعوا فى الأسر على غير رغبة منهم وفى ظروف لا حيلة لهم فيها • وكان من النادر أن تتفق هذه التقارير مع التقارير التى كانت تصدرها الوحدات التى قامت بعملية الأسر • وكان هذا الخلاف يرجع الى أن الجندى اليابانى كان يظهر السلوك بطريقة تجعله يتناسب مع طبيعة السلوك الذى ينتظر من مواطن يابانى •

وبالرغم من أن استخدام أسرى الحرب لأغراض الاستجواب قد تكون له فائدته ، فإن استخدامهم دون بعد نظر كاف ، أو مراعاة للاعتبارات الثقافية لهم قد يؤدى الى نتائج سيئة •

وكما هو الحال بالنسبة لجميع الأمور المتعلقة بالحرب النفسية وبالنسبة للاستجوابات ، فإن أعظم نجاح يمكن أن يحققه أولئك الذين يقومون بالاستجواب يبرز من بين أولئك الذين كان لديهم أكبر قدر من المعلومات عن المجموعة التى يراد التأثير فيها أو لديهم اهتمام بشأنها •

ومن الخطر إصدار أحكام عامة عن أحسن الطرق التى يمكن للإنسان أن يتبعها بالنسبة لثقافة أو أخرى لتحقيق أحسن النتائج فيما يختص باستجواب الأسرى • ان الاجراءات التى قد تنجح تحت ظروف معينة مع مجموعة معينة قد لا تنجح مع مجموعة أخرى مختلفة الثقافة •

وعموما فهناك اتفاق فى الرأى على أن الاسرى الذين يجرى تنظيمهم على هيئة مجموعات متعاونة للمناقشة تكون لهم فاعليتهم فى أى منظمة للحرب النفسية . وبهذه الصورة يمكن تشجيعهم جماعيا وفرديا لمناقشة فائدة طرق الدعاية المختلفة ومدى فاعلية الوسائل المختلفة .

ومن السهل نسبيا تحديد مدى تأثير مجموعة من البرامج أو عمليات الدعاية ، ولكن لا يوجد حتى الآن الا وسائل قليلة يمكن الاعتماد عليها علميا لقياس التأثير الذى يظهر على مجموعة من الاشخاص نتيجة تعرضهم للدعاية . والحق أن التقييم يقوم على الحكم الناتج عن الخبرة أكثر من قيامه على القياس العلمى .

### تحديد ظروف القتال :

هناك ظروف كثيرة فى مواقف القتال تجعل من الصعب استخدام وسائل العلوم الاجتماعية لقياس فاعلية الدعاية التى تحدث فى أثناء المعارك ، فهناك دائما حد أقصى تفرضه الاعتبارات العسكرية يحدد عدد الافراد الذين يمكن ضمهم لاحدى العمليات العسكرية للقيام بأعمال خاصة .

كما أن استخدام وسائل قياس الرأى العام يتطلب قدرا من التدريب المتخصص لابد من توافره فى الافراد الذين يقومون به ، وهذا مالا يتوافر فى أنظمة الجيش . ولكن ليس هناك احتمال كبير فى أن يتوافر الشخص ذو التدريب الكافى والخبرة اللازمة للقيام بأعمال التقييم فى الفرق العسكرية عند اللزوم .

وحتى اذا عين مثل هذا الشخص الذى يتمتع بهذه الاميزات للقيام بهذا العمل ، فان الاعتبارات الخاصة - مثل ضرورة الحصول على اجابة تقريرية عن عمليات الغد بدلا من الانتظار للحصول على اجابة أكثر دقة فى الاسبوع التالى عندما يكون الموقف الحربى قد تغير - تقضى على كثير من الوسائل والتقنيات المتبع فى التحليل الذى يستخدم فى وسائل الاعلان الحديثة وعمليات قياس



الرأي العام ، وإذا كان الموقف على ما أوضحناه ، وإذا كان تطور العلوم الاجتماعية الحديثة خاليا من الوسائل المفيدة التي يمكن استعمالها في مناطق المعارك لقياس الفاعلية - فكيف استطاع رجال الدعاية في الحرب العالمية الثانية وفي غيرها من عمليات القتال أن يتأكدوا مما إذا كانوا يصيبون الهدف المطلوب ، وإذا كانوا يصيبونه فما النتيجة ؟ ليست هناك إجابة واحدة عن ذلك ولكن هناك إجابة جيدة كتبها مارتن هيرز Martin Herz (١) وهو من أقدر كتاب النشرات في الحرب العالمية الثانية . ويتحدث في التقرير التالي عن الخبرة التي اكتسبها في أوروبا :

« كيف يمكن الحكم على الفاعلية ؟ »

ومن المعقول جدا أن يسأل كيف أمكن أن يعرف في أثناء الحرب العالمية الأخيرة ما إذا كانت النشرات التي تنشر في أثناء المعارك ناجحة أم غير ناجحة . ان الضابط المختص باخبار الحرب النفسية لا يمكنه الا في أندر الظروف أن يلاحظ في أثناء المعركة سلوك وحدات العدو التي أقيت عليها نشرات معينة .

« ان الدلائل على الفاعلية أو عدم وجودها قد أمكن الحصول عليها من المصادر الآتية :

- ١ - عدد النشرات التي وجدت مع الأسرى .
- ٢ - تذكر الأسرى لفجوى النشرات وتعليقهم عليها .
- ٣ - مناقشات الجنود التفصيلية خلف الخطوط الألمانية كما جاء في التقارير الجماعية للأسرى .
- ٤ - الوصف التفصيلي للجنود عن استسلامهم .

---

(١) Martin Herz, « Some Psychological Lessons From Leaflet Propaganda in World War II. » Public Opinion Quarterly, 13 : 472-73 ( 1949 ) .

٥ - اهتمام الدعاية الالمانية المضادة بنشرات خاصة من نشرات الخلفاء بما فى ذلك ما تستعيره دعاية الالمان من أفكار .

٦ - تعليقات قيادة الأعداء عن الروح المعنوية للجنود وهى التعليقات التى وجدت فى الوثائق التى أمكن الحصول عليها .

« وفى بعض الحالات التى رأتى فيها ضرورة الاستمرار فى نشر نشرة معينة كان من الممكن استعمال رد الفعل لدى الجنود لزيادة فاعلية النشرة كما فى حالة نشرة « المرور الآمن » المشهورة التى صدرت الطبعة الاولى منها فى الأيام الأولى بعد غزو نورماندى وعليها ختم الولايات المتحدة والشعار الملكى البريطانى وبها نص باللغة الانجليزية واللفة الالمانية يطلب الى جنود الخلفاء عند الخطوط الامامية أن يعاملوا أسراهم معاملة طيبة . وعندما طبعت الطبعة السادسة من النشرة كان قد أدخلت عليها التغيرات التالية نتيجة للمقابلات والاحاديث مع أسرى الحرب :

١ - وضع النص الالمانى فوق النص الانجليزى .

٢ - أضيفت ملحوظة تقول: ان النص الانجليزى هو ترجمة للنص الالمانى.

٣ - أضيف للنشرة توقيع الجنرال أيزنهاور .

٤ - كتب اسم ايزنهاور بالحروف وكتابة لأنه عرف أن الالمان لم يكونوا يعرفون أن التوقيع المذكور هو توقيع ايزنهاور .

٥ - طبعت النشرة باللون الأحمر بدلا من اللون الأخضر مما جعلها أكثر وضوحا وهى ملقاة على الارض .

٦ - أضيفت ملاحظة تحت عبارة « المرور الآمن » تشير الى أن الوثيقة صالحة « لفرد أو لأكثر ممن يحملونها » .

وقد نتجت هذه التحسينات من الفحص المستمر لفاعلية المنشور .

وهكذا ، كما يظهر من قراءة خاتمة الموضوع الذى كتبه هيرز فان معظم عمليات التقييم المفيدة التى تمت فى أثناء الصراع الأوروبى كان من النوع الكيفى لا الكمى . ان رجال التقييم القلائل الذين أرسلوا الى الميدان خصيصا لتقييم النتائج كانوا يميلون الى الاهتمام بجمع المعلومات الكمية . وبالرغم من ذلك فانه نظرا للظروف الخاصة لمنطقة القتال - وهى الظروف التى تحد من القدرة على جمع المعلومات وتحليلها علميا - فانه لا بد من زيادة الاعتماد على التقييم النوعى أو الكيفى، ولو أن لهذا التقييم عيوبه وكما هو الحال بالنسبة لتقييم برامج الاخبار الاستراتيجية فان تقييم الدعاية التى تنشر فى أثناء المعارك صعب ، فليس هناك الا القليل يمكن عمله لقياس التأثير غير الاستمرار فى الاعتماد على الأدلة غير المباشرة وغير العلمية . وعلى كل حال فمن المعتقد أن مثل هذه الدلائل قيمة كبيرة . ان مثل هذا التقييم يعطى نقطة للبداية يمكن أن تركز عليها العمليات التالية والابحاث التى يدخل فيها استعمال الحرب النفسية فى العمليات التكتيكية .

## دور بحوث الرأى فى تقييم الحرب النفسية

على الرغم من الدور الكبير الذى أسهمت به بحوث الرأى فى تقييم الدعاية الاستراتيجية ، فإنه لا تزال هناك بعض الصعاب يتحتم التغلب عليها .

وفى هذا الفصل سنحاول عرض دور بحوث الرأى فى تقييم الحرب النفسية ، وإبراز الاسهامات التى اضطلعت بها ، وما عجزت عن تحقيقه ، والاساليب المقترحة لعلاج ذلك .

### دور بحوث الاتصالات فى تقييم الاذاعة الدولية :

يعهد عادة الى الاجهزة التى تقوم بدراسة البرامج ، بمهمة تقييم جميع مراحل عملية الاتصال ابتداء من عمليات الانتاج الاذاعى الى بيان أثر الاذاعة على المستمعين .

وفى لغة بحوث الاتصالات ، نستطيع أن نقول أن هذا العمل هو تقييم عملية الاتصال التى تحاول بها احدى الوسائل العاملة فى بلد ما ابلاغ رسائلها الى الجماهير المستمعين فى معظم أنحاء العالم .

ان المشكلات والاساليب فى هذا المجال ، تشبه فى كثير من جوانبها المشكلات والاساليب المعروفة التى تحدد العمل اليومى فى بحوث الاتصال الداخلى ، أى العمل

اليومى فى أحد أقسام البحوث التى تعمل فى تقييم أثر برامج الدولة اليومية المتعددة •

الا أن المشكلات المختلفة فى الاذاعات الدولية تظهر نتيجة لاشراف الحكومات على الاتصال ، وتوجيهه الى البلاد الاجنبية •

ان تقييم الاذاعة الدولية يشترك مع كل بحوث الاتصال الاخرى فى اسلوب عام وفى هدف نظرى عام كذلك •

والهدف النهائى ، مثله مثل كل الاهداف النهائية، عسير المنال على الارجح، اذ يتضمنه الوصف المعروف الذى وضعه لاسموبل لبحوث الاتصالات ، فيقول : « ثمة عملية تحليل لأربعة أشياء : الناقل WHO ، والمادة المنقولة، Says What والمنقولة اليه To Whom ، ومدى التأثير With What effect » •

ان النجاح النهائى لبحث الاتصالات لابد أن يتضمن القدرة على اجابة هذه الأسئلة بدقة لا بالنسبة لحالة اتصال قائمة فحسب ، بل كذلك بالنسبة لاي حالة منظورة أو مرغوب فيها •

فرجل الحرب النفسية لن يحتاج الى أكثر من أن يحدد للباحث الآثار التى يريدتها ، أما الباحث الذى لا يزيد عن متخصص فنى فانه يعمل على صياغة الرياضيات ليحدد بالتالى المضمون الدقيق الذى سينشر من خلال رسائل محددة الى جمهور محدد لتحقيق النتائج أو الآثار المرغوب فيها •

وفى الممارسة اليومية ، يمكن الاجابة عن الاسئلة الخاصة بالعناصر التى ذكرناها جزئيا وبشروط خاصة ، ولكن تتعذر الاجابة عن سؤال منها بدقة كاملة، أو يصعب تحديد العلاقة بين العناصر من زاوية السببية الضرورية أو الكافية •

## عنصر الناقل The Element of Who :

عادة ما يحذف السؤال الخاص بتحديد المتحدث - في معرض تقييم الاذاعة الدولية - من مهمة الذين يتولون عملية التقييم أو عملهم ، وذلك لأن المتحدثين أنفسهم هم الذين ينظمون عملية التقييم هذه . ومن ثم فإن سؤال تحديد المتحدث ، لا يدخل في اختصاص الهيئات الحكومية التي تشغل بأبحاث الاتصالات فعلا .

## عنصر المضمون The Element of Content :

يمكن الاجابة عن السؤال الخاص بالمادة المنقولة ، اجابة تفصيلية بواسطة تحليل المضمون .

وليس الحاجة كبيرة الى عرض امكانيات تحليل المضمون ، ويدرك الباحثون في الرأى ادراكا تاما أن تحليل المضمون في أيدي المتخصصين المدربين ، يمكن أن يصف مادة معينة مثل الاذاعة في ضوء أى جوانب تكون هي نفسها قابلة للوصف بواسطة المعايير الموضوعية .

ولبحوث تحليل المضمون فوائد قيمة ، وفي معظم الدول الكبيرة بل المتوسطة يوضع انتاج الاذاعات الخارجية بكل اللغات خلال فترة زمنية - ولتكن اسبوعا مثلا - موضع تحليل المضمون ، ويستطيع بذلك مخرجو البرامج في « الاذاعات الدولية » ، من أن يتحققوا من كيفية تنفيذ سياستهم ، اذ يمكن مقارنة البرامج بعضها بالبعض الآخر ، وكذلك مقارنتها بالاذاعات المنبعثة من بلاد أخرى .

ولبحوث تحليل المضمون قيمة اضافية وهامة هي توضيح معايير العمل الحقيقية التي تصاغ على أساسها النصوص والبرامج Scripts and Programming .

ولقد سبق أن أشرنا الى دراسات تحليل المضمون فى الفصل الأول من هذا الباب ، ونشير هنا الى أن الاختلافات فى أسلوب المناقشة والجدل كانت ماثلة فى الاذاعات الموجهة الى البلاد المختلفة .

لقد كانت هذه الاختلافات، تعكس فى جزء منها الاحتياجات المختلفة بالفعل، والتي ينطوى عليها الوصول الى مختلف المستمعين والاحتفاظ بهم ، ولكن هذه الاختلافات تمثل - فى جزء منها - ميولا أو أهواء عشوائية نحو أساليب معينة فى الجدل والمناقشة .

ونتيجة لتحليلات المضمون ، يمكن ادراك هذه الميول والاهواء وابعادها عن الاذاعات حيث وجدت .

أما التحليل الكمى للمضمون ، فانه لم يعالج بنجاح حتى الآن سوى أجزاء من الاذاعة منفردة كانت أو فى تكوينات عديدة ، الا أن ذلك النجاح لم يتعد أجزاء معينة .

وثمة تحد للتحليل يكمن فى ضرورة رصد الاوصاف الدقيقة الموضوعية لجوانب المضمون التى لا تقبل الوصف الكمى بالرغم من أهميتها الواضحة .

وفضلا عن ذلك ، فليس ثمة تحليل للمضمون - سواء كان كميا أو نوعيا - يمكن أدائه مع التأكيد الحقيقى بأن المكونات التى يبرزها التحليل هى بالضرورة العناصر الضمنية Contextual elements التى ترتبط ارتباطا سببيا بأى تأثير ملحوظ أو مرغوب فيه على المستمعين .

فاذا كان هناك - على سبيل المثال - تعليق سياسى موضع انتقاد بوصفه بعيدا عن العاطفة أو الانفعال بعض الشيء ، فلن نستطيع التأكيد مما اذا كان رد فعل المستمع نتج عن بعد « المادة » كثيرا عن اهتماماته أو مصالحه المباشرة ، أو أن الاهتمام ركز أكثر من اللازم على المشكلات الدولية القائمة دون أن يوجه

بنفس القدر الى الامل فى عالم أفضل ، أو أن رد فعل المستمع كان ناتجا عن نوع من « الاصطلاح أو القول » الذى لا يشك فيه المحلل أدنى شك، وكذلك لا يشك فيه المستمعون .

وقصارى القول ، أن الوصف الكامل للمضمون فى اطار عناصر الاتصالات المتصلة بها لا يمكن أن يتحقق الا حين ينجز تحليل المضمون أو أى اسلوب آخر شيئين يعتبران فى الوقت الحالى متجاوزين لامكانياته الظاهرة ألا وهما :

- ١ - أن يستطيع وصف الجوانب غير الملموسة حاليا فى المضمون .
- ٢ - وأن يستطيع الربط بطريقة منهجية لا بطريقة التجربة والخطأ ، بين مضمون معين أو عناصر معينة، وبين الآثار الملموسة أو المنظورة .

### عنصر المستمع : The Element of Audience

ويمكن لبحوث الرأى أن توفر فعلا للمشغلين بالحرب النفسية قدرا عظيما من المعلومات المفيدة القيمة ، بيد أن هناك معلومات كثيرة يريد لها رؤساء أركان الحرب النفسية تقصر بحوث الرأى عن تزويدهم بها .

ونجد غالبا فى الجانب الدائن من الحساب ، كل المعلومات التى يمكن لاساليب الاستفتاء الدقيقة أن توفرها . فاذا أمكن مثلا تحديد عينة تمثل السكان والاتصال بهم ، فإن هذه الوسيلة تنجح غالبا فى أن توضح بدقة كبيرة الحجم الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية لجمهور المستمعين .

ويبدو أن الاستقصاءات المرسومة بعناية أو الاساليب المشابهة لها ، بما فى ذلك المقابلات ، قادرة على توفير معلومات كثيرة عن قنوات الاتصال غير الرسمية ، وعن نوع المادة التى تناقش على نطاق واسع ، وربما عن سرعة الانتشار والذبوع ودقتها .



كما أن الاساليب المماثلة ، المخططة أو الموجهة بالتعاون مع علماء الاجناس البشرية وخبراء المنطقة الهدف، يمكنها أن توفر معلومات عن الرموز الفعالة والقيم السائدة بين المستمعين ، وكل هذه المعلومات ذات قيمة لا تقدر بالنسبة لكل من يعمل بالحرب النفسية .

ولقد قام رجال التقييم في مكتب الاذاعة الدولي بالولايات المتحدة باجراء استقصاءات عادية في بلاد عديدة هي : النمسا ، ألمانيا ، فرنسا ، إيطاليا ، النرويج ، السويد ، فنلندا ، شيلي ، وأروجواي ، ولكن رجال الحرب النفسية يريدون معلومات مماثلة عن جميع دول العالم . ان رغبتهم هذه تطرح تحديا جديد أمام علم الاجتماع ، لان جزءا كبيرا من الكرة الارضية ليس ميسورا سهلا لاجراء البحوث المنهجية فيه .

وعلى سبيل المثال هناك بلاد كثيرة ، لا يزال فيها علم الاجتماع الكمي : اما أنه غير معروف على الاطلاق ، واما أنه لا يزال يجبو في مدارجه الاولى .

وفي مثل هذا البلد ، نجد أن الافتقار الى البيانات الاحصائية أو الخاصة بالتعداد لا توفر الا معلومات قليلة ناقصة عن خصائص السكان ، بحيث يتعذر تحديد عينة تمثل السكان كلهم . فضلا عن ذلك فان أى مقابلة علنية منهجية تعتبر أمرا غريبا ، وينظر اليها بعين الشك والاستغراب بل الكراهية بحيث تكون البيانات التي يحصل عليها من أى عمليات مسح علني موضع شك ، أو ينظر اليها بحذر شديد .

ونتيجة لذلك نجح « مكتب الاذاعة الدولية » في الولايات المتحدة في استخدام ما يمكن أن يسمى « منهجا اثروبولوجيا مشاركا » ، اذ درست عادات الاتصال للسكان على يد مراقبين مدربين تدريبا خاصا في اطار الانماط العامة للثقافة ، والانماط العامة للمعيشة اليومية .

ولقد أتى هذا الاتجاه العريض في البحث بنتائج طيبة للغاية . ويتجه المرء للاعتقاد بأن المناهج الجامعية المعدة اعدادا دقيقا والتي تتيح التدريب في مجموعة

كبيرة من العلوم الاجتماعية ، يمكن أن تخرج باحثين في الرأي ذوى سعة في الافق والخيال وكفاءة فنية يندر وجودهم اليوم .

ومن التحديات الاخرى المطروحة على علماء الاجتماع ، مشكلة اعداد السكان الهائلة الذين يتعدى سياسيا اجراء استقصاء منهجي عليهم ، وتنشأ هذه الصعوبة بطبيعة الحال كلما وجد التوتر بين أمتين أو بين مجموعات من الأمم ، ومؤدى ذلك القول : ان هذه الشعوب عسيرة المثال ، أو الوصول اليها سياسيا صعب عسير .

ان الوصول على معلومات عن سكان يتعذر اجراء البحوث عليهم يعتبر مشكلة جديدة ، وهذه المشكلة تظهر الآن بوصفها تحديا لعلماء الاجتماع . ان صياغة المشكلة في حد ذاتها توحى بأسلوبين أو بمنهجين على الاقل يستحقان البحث ، ولكن قبل تحديد هذين المنهجين يحسن أن نلاحظ كيف تظهر المشكلة من جديد. حين تحاول بحوث الاتصال الاجابة عن أكبر سؤال ينطوى عليه تقييم الحرب النفسية ، ذلك هو بطبيعة الحال السؤال الخاص بالتأثير وهو : ماذا ينتظر أن تفعله ذخيرة الاتصال بالنسبة للمستمعين ؟

### مسألة التأثير The Question of Effect :

ولعله من اللائق هنا أن نتكلم عن ردود الافعال ، وعن الرأي المتغير على نحو يمكن تحديده وتعيينه .

وفي اقتفاء ردود الافعال هذه أو تتبعها نرى أن أدوات بحوث الرأي المألوفة ذات فائدة عظيمة ، إذ أن اختبارات البرامج وجهاز تحليل البرامج ، وجداول المواقف والاتجاهات ، وتحليل الصفات الكامنة الموضوعة أحيانا في اطار التجارب المحكومة مع المجهودات المتكافئة المستمدة من عينات سكانية مرتبة آفقيًا – كل هذه الاساليب أُنشئت – بطبيعة الحال – كنزًا من المعلومات لرجال الحرب النفسية .

ويكفي هنا الإشارة الى المشكلات القديمة ، فهناك على سبيل المثال ، الصعوبة المألوفة عن ربط المعلّة بالنتيجة . فإزاء حقيقة مميّنة لابد أن نبحث

مثلا الامتزاج بين : المضمون ، والموقف الاجتماعي النفسى ، وكذلك الظروف التى يمكن فى ظلها تكرار التأثير أو منعه ، وما التطور المحتمل مثلا خلال ثلاثة شهور مقبلة أو أربعة . ثم هناك بعد هذا المشكلات المألوفة التى يستطيع الباحثون فى الاتصال أن يذكروها ، ولكن تقييم الاذاعة الدولية - ولا سيما الاذاعة السياسية فى المضمون والغرض - تنطوى على تحديثات جديدة .

اما الصعوبة الأولى الخاصة بتحديد التأثير فانها تظهر فى التعقيد الذى ينفرد به نوع التأثير الذى نهتم به . فاذا كنا نتردد فى الحديث حديثا مطلقا عن تأثير اعلان معين لنوع معين من السلع الاستهلاكية فانه لابد من أن يكون ترددا أكبر كثيرا منه حين نتحدث عن المواد المعقدة الخاصة بالاتجاهات السياسية الشخصية .

ان التحولات أو التغيرات الدقيقة التى قد تكون الحلقات الاولى فى سلسلة من ردود الأفعال ، من الصير بل من المستحيل أحيانا تعريفها ، بل أن مثل هذه التغيرات لا يمكن الافتراض بسهولة أنها ناتجة عن اتصال معين .

ولا شك أن قوى عديدة تشكل اتجاه الفرد نحو نوع من السلع ، ولكن كم عدد القوى التى تتجمع لتشكيل مفهوم الفرد ونظرته الى السياسة العالمية ؟

يبدو أن الرد على هذا التحدى يكمن أساسا فى حماس أكبر نحو تحسين امكانياتنا وقدراتنا فى المنهاج التجريبي .

ولكن ثمة مشكلة أكثر صعوبة تظهر فى محاولتنا تحديد آثار الاذاعة الدولية ونتائجها ، وهذه المشكلة كامنة فى المستمعين الذين يتعذر الوصول اليهم .

وقد تنشأ هذه الصعوبة - كما سبق القول - من : قصور العلوم الاجتماعية الكمية فى المنطقة الهدف، أو من التناقضات التى تسببها السياسة الدولية ، أو من أى أشياء أخرى . ولكن مهما كان السبب ، فان فى مناطق عديدة من العالم نعدم فرصة استخدام أى عدد كبير من السكان كمواول للبحث، وبحيث يشكلون أنفسهم المجموعة التى نهتم بها .

## التحدى الكبير والحلول المحتملة :

لهذا فان عالم الاجتماع الذى يطلب منه تقييم الاذاعة الدولية يواجه في عمله بنفس التحدى ، أى مشكلة للحصول على معلومات دقيقة عن أعداد كبيرة من السكان دون استخدام منهجى للسكان أنفسهم ، ويمكن ذكر هذا التحدى بوضوح وعلى نحو لا يحتمل اللبس .

وعلى الرغم من حدة المشكلة ، فانه يبدو أنها قد صيغت صياغة مجردة ، فضلا عن اكتشافها بواسطة البحث الاجتماعى . ولقد ظهرت المشكلة قبل ذلك فى البحوث خارج نطاق رأى والاتصال فى محاولات وصف النمط السلوكى للمجتمع شبه العالمى .

وفى كل حالة ، وضعت صيغة معتدلة أو اقترح حل وسط لمواجهة احتياجات الاستفسار المباشر ، ومثل هذا الحل الوسط أو الصيغة المعتدلة والادراك العام يوحى بأسلوبين على الأقل يستحقان البحث المنهجى ، ويمكن أن يطلق عليهما للافتقار الى تسميات أفضل « الأسلوب الأقرب تماثلا » The Most - Like Approach و « أسلوب الحكم المؤهل » The Qualified Judge Approach

### الأسلوب الأقرب تماثلا The Most-Like Approach :

ان المنطق القامض وراء هذا الأسلوب ، يبدو أنه يتصور فردا أسطوريا يشبه عضوا فى الجماعة موضع البحث فى جميع النواحي عدا انتمائه لعضويتها ، ومن ثم يكون له نفس التكوين النفسى .

ودون الوصول الى هذا النموذج الاسطورى ، يظهر أن هذا المنطق يفترض ارتباطا من التشابه العام والتماثل النفسى المحدد .

لقد استخدم رجال التقييم فى « مكتب الاذاعة الدولية » هذا الأسلوب ، فى مقابلة اللاجئين للحصول على معلومات عن الجماعات الموجودة وراء الستار

الحديث ، فاللاجئون على أية حال يشبهون غير اللاجئين فى الاصل القومى ، وفى التاريخ الثقافى واللغوى . ويمكن جمعهم لتمثيل السكان الاصليين فى التعليم والسن ، وفى كل وجه من الوجوه فيما عدا وجهها واحدا . ذلك أن اللاجئين هربوا من أرضهم الاصلية وغيرهم لم يتركها، ولهذا لابد من ربط هذا الاختلاف مع الرأى بطريقة غاية فى التعقيد .

ولكن ما هذه الطريقة ؟

لقد حاول مكتب الاذاعة الدولية وضع تقدير معين لميول اللاجئين « الاقرب شبيها » عن طريق أسئلة معدة اعدادا دقيقا تفحص مفهوم اللاجئ ونظراته الى غير اللاجئين ، وأعدت كل البيانات موضع التحليل بواسطة المتخصصين فى المنطقة . ولقد أثبت هذا التقدير الفائدة الكبيرة لهذه الأساليب، وسيظل الاسلوب الوحيد الممكن حتى يتاح أن تصاغ تجريبيا تعريفات أفضل لهذا المنهج .

أسلوب الحكم المؤهل :

وفى هذا الاسلوب يطلب من الشخص الذى يعتقد أنه يعرف الجماعة موضع البحث وضع تقديرات معينة عن الجماعة عسيرة المنال . ولا يلزم أن يكون الشخص المختار - باعتباره مصدرا للمعلومات - شبيها بالمجموعة موضع البحث، بل يجب أن يكون بالاحرى حكما مؤهلا ، ومقدرا حكيما لسلوك هذه الجماعة وآرائها .

ويستخدم هذا الاسلوب على نطاق واسع فى تقييم الحرب النفسية ، ومن ثم نجده يسعى دائما نحو الافراد المؤهلين لمعرفة السكان الذين يتعذر الوصول اليهم ، ويعهد الى هؤلاء الافراد بالقيام بعمل ملاحظات أو تحليلات اجتماعية دقيقة .

وبهذا الاسلوب يتحقق تكامل محقق لمناهج العلوم الاجتماعية ، فالمعلومات التى تجمع بواسطة دراسات على مستوى محدود ، انما تحلل بمعرفة علماء

الأنثروبولوجيا ، كما أن أفضل تخمينات هؤلاء العلماء تخضع بدورها لتقييم علماء السياسة وخبراء المنطقة .

على أنه من جهة أخرى فإن ذلك الأسلوب يفرض قيودا مصدرها انعدام المعرفة التجريبية للخصائص المطلوبة في « الحكم المؤهل » .

فعلى سبيل المثال قام مكتب الاذاعة الدولية بسلسلة من « الاختبارات اللغوية » وضعت فيها برامج اذاعة صوت أمريكا بلغات مختلفة موضع نقد جان مختارة . ولما كان من المتعذر اختبار البرامج اللغوية المختلفة أمام جمهور من المواطنين الأمريكيين ، فقد استبدل بهذا الجمهور لجنة يمثل جزء منها اللاجئين ، أى المستجيبين المماثلين للأصل ، أما الجزء الآخر فيتكون من الأشخاص الذين يعتقد أنهم من القضاة أو الحكام المؤهلين . وقد أختير هؤلاء الحكام على أساس معرفتهم الدقيقة بالعادات اللغوية للبلد الهدف ، وكان من بينهم صحفيون ومدرسون ، وكانت تعليقاتهم ذات فائدة كبيرة .

وقصارى القول فإن الصفات المطلوبة « للحكم » غير معروفة ، كما أننا فى استخدام منهج « الحكم المؤهل » لا نتجاوز مستوى أفضل تخمين ممكن تماما كما يحدث عند استخدام الأسلوب الاقرب تماثلا !

## الخلاصة :

وفى تلك المجالات أو الميادين التى يمكن لبحوث الرأى أن تقدم أفضل تخمين ممكن ، يتحتم علينا أن نواجه اهتماما منهجيا منظما ، ولقد أكد هذا البحث شيئين :

١ - ضرورة الأسلوب المنهجى لربط تحليل المضمون بدراسات التأثير .

٢ - ضرورة البحث أن الدراسة التجريبية لوسائل الحصول على معلومات  
عن مجموعات كبيرة من الأشخاص الذين يتعذر وضعهم موضع  
البحث .

وبالنسبة للشيئين ، فإن بحوث الرأى التى أسهمت اسهاما كبيرا فى الحرب  
النفسية لا تستطيع أن تقدم سوى أفضل تخمين ممكن .

ولا سبيل للتقليل من شأن التخمينات، اذ أنها ارهاصات ضرورية، أو تهيد  
لازم للبحث التجريبي وللصياغة النهائية للعلاقة ، وهى الدافع وراء أى علم جاد  
نشط . لقد لعبت بحوث الرأى دورا نشطا فى تقييم الحرب النفسية ، ولكن هذا  
النشاط لابد من أن يتبعه منهج ناضج متكامل حتى يؤتى ثماره ، ويحقق نتائجه .

# الرب الحج

## المخابرات والتحليل

- ◆ الفصل الأول  
دور المخابرات في الحرب النفسية
- ◆ الفصل الثاني  
مخابرات الرعاية .
- ◆ الفصل الثالث  
تحليل الرعاية .





## دور الخبراء في الحرب النفسية

يتوقف مستقبل أى أمة على دقة المعلومات التى تصل اليها المخبرات (١) ،  
والتي تدير الطريق أمام القرارات العليا للدولة فى سياستها القومية ، ولا سيما  
فى عالم مضطرب تتقاطع فيه أغراض قوى عديدة، وأيديولوجيات متباينة .

ففى هذا العصر عصر التطور الذى ، يتوقف كيان الدولة وأمنها على مدى  
المعرفة التى تتجمع لديها . والمعرفة المبكرة للدولة أمر لابد منه لتجنب المفاجأة ،  
ولتفهمتها من وضع سياستها وإدارة دفة دبلوماسيتها قبل الممارك الاستراتيجية  
الطاحنة .

ولم تكن الحرب يوما تعتمد على الشجاعة والتجربة فقط ، فقد كانت الوهبة  
المقلية تفرض نفسها دائما فى الحروب ، ولكن الحرب الشاملة غيرت للمهوم  
التقليدى للحرب ، بما كان يعتمد عليه فى الماضى من مظاهر القوة المادية

---

(١) اختلفت آراء الشراح والمفسرين فى تعريف معنى المخبرات ، فالمنى العادى لها هو :  
القوة على التعلم والاستفادة من التجارب والاستجابة السريعة لأى موقف جديد .  
أما التعريف الذى للمخبرات فهو يحدد بوضوح مهمتها وواجباتها « فالخبرات كعملية  
أو كمشاط هى عبارة عن الجهود المتنام بجمع المعلومات وتقديرها قطعة قطعة ، وتجميعها  
بما حتى تكون منها صورة أكثر وضوحا الى امد الذى يمكن من رؤية صورة  
الاشياء التوقعية . انها مجهود متواصل لاختراق الفسباب الخيم على الحرب والدبلوماسية  
حتى يمكننا ان نرسم خطف الفد » .

والعسكرية • ومع تطور المجتمع نفسه ، لم تعد الحروب مقصورة على الجيوش التي تقاتل في ميادين منعزلة ، بل امتدت الى ميادين عديدة •

ومن أهم هذه الميادين ما يسمى بحرب الدهاء أو حرب المواهب العقلية • وفي هذه الحرب تحتل قوة المواهب العقلية مكانها الى جانب، القوة الأرضية، والقوة البحرية ، والقوة الجوية ، وباقي القوات التقليدية للحرب • ويمكن القول بصفة عامة أن الحرب الحديثة أدت الى تحسين الحرب في جملتها بتحويلها من الاعتماد على المادية الى مظاهر ذهنية في النزاع البشرى ، والمخبرات هي العنصر الفعال في تلك الحرب •

والمخبرات لا تكون مجدية قط الا اذا أديرت على قواعد علمية صحيحة ، ترتبط فيها الاسباب والمسببات ارتباطا وثيقا ، وفي كلمة موجزة يمكن القول أن المخبرات بجميع فروعها تهدف الى الوصول للحقيقة •

والمخبرات متشعبة الواجبات ، ولكننا يمكن تقسيمها بصورة عامة الى قسمين رئيسيين : مخبرات ايجابية Positive Intelligence ومخبرات وقائية Passive Intelligence •

وليس هذا الفصل مجال بحث واجبات المخبرات عامة ، ولكننا نرى من الأفضل أن نلمس هذين القسمين لمسة خفيفة حتى يمكن أن يتضح للقارئ فكرة عامة عن هذه الواجبات تمهيدا لدراستنا لدور المخبرات في الحرب النفسية •

## المخبرات الايجابية :

يشمل نشاط المخبرات الايجابية الاجراءات التي تتبعها أجهزة المخبرات لتحصل على المعلومات سواء : بالملاحظة والمتابعة ، أو القيام بعمل ايجابي « أعمال التجسس » أو بعبارة أخرى النشاط الذي يهدف الى الحصول على جميع المعلومات التي يجب أن نعرفها قبل أن نبدأ في اتخاذ طريق معين ، حتى يكون المسؤولون على علم مقدما بما سيواجههم به العدو من اجراءات قبل وقوعها ، ومثل ذلك الامر ينطبق على المخبرات : السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والعلمية، وغيرها .

ويشمل نشاط المخابرات الايجابي أيضا : أعمال التخريب ، والأعمال السياسية ، والمظاهرات ، والدعاية ، وحرب الشائعات ، وكل ما يتطلب خططا ايجابية لتنفيذ أغراض معينة للمعاونة في التغلب على العدو في أى ميدان من ميادين : الحياة العسكرية ، أو السياسية ، أو الاقتصادية . الخ .

## المخابرات الوقائية :

أما المخابرات الوقائية فهي اصطلاح شامل لجميع الاجراءات والعمليات التي تقوم بها الدولة لتحقيق أمنها وحفظ أسرارها من نشاط الجواسيس وضد التخريب المادى والمعنوى والدعاية ، هادفة بذلك الى المحافظة على كيانها ، وحدودها ومنشأتها ، كما تشمل المخابرات الوقائية جميع الاجراءات التي تحرم العدو ومنظمات مخابراته من مفاجاتنا ، كذا الاجراءات الوقائية التي تمكننا من الحصول على التفوق على العدو والانتصار عليه في النواحي : السياسية والاقتصادية والعسكرية . الخ . ويطلق عليها في بعض الاحيان اسم المخابرات المضادة . وتنقسم المخابرات الوقائية الى العناصر الآتية :

( أ ) مخابرات الأمن ومسئولياتها : مكافحة التخريب ، والتآمر والتمرد ، والنشاط الهدام ، وكذا مسؤولية الأمن بمفهومه الشامل من : أمن شخصي ، وأفراد ، ومنشآت ، ومعلومات . الخ .

( ب ) مقاومة التجسس .

## أ - مخابرات الأمن Security Intelligence :

ويقصد بمخابرات الأمن المجهودات التي تبذل لاختفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية أو القرارات الدبلوماسية وغير هذا من المعلومات ذات الطابع

السرى الذى يؤثر على أمن الدولة ، ومنع تسرب هذه المعلومات لغير المختصين عن طريق تحديد وصولها الى الاشخاص المسئولين الذين يجب أن يلموا بها وحدهم .

وأساس مخاطرات الامن السرية بصفة عامة ، ويشتمل اختصاصها في مختلف النواحي في الدولة . فهي تستصدر القوانين والتشريعات التى تمنع الافراد من محاولة الحصول على معلومات ليس من حقهم الحصول عليها ، وهى تتولى اختيار الاشخاص الذين يمكن الوثوق بهم والذين تتوافر لديهم موهبة تقدير أهمية الامن للقيام بالاعمال الخاصة ، وهى تفصح الخططة اللازمة لمصانة الموارد الطبيعية ، ومناطق الانتاج الصناعى ضد أعمال المخاطر والجاسوسية والتخريب التى يلجأ اليها العدو . وبالإضافة الى ذلك تقوم بعمليات مخادعة لتضليل العدو عن طريق نشر معلومات غير صحيحة .

وهناك فرق واضح بين مخاطرات الامن ومقاومة التجسس بالرغم من وحدة الهدف الذى يربط بين الاثنين ، وهو منع العدو من الحصول على المعلومات ذات الطابع السرى . فاذا قلنا أن عملية مخاطرات الأمن هى عملية وقائية فان مقاومة الجاسوسية هى عملية ايجابية تهدف الى استيجاد الجواسيس والقبض عليهم قبل أن يرسلوا معلومات ذات قيمة للأجهزة التى يعملون لحسابها . لذا يرى بعض الاختصاصيين في علوم المخاطر أن أعمال مخاطرات الامن تتسم بطابع التوجيه والتوعية أكثر من أجهزة مقاومة الجاسوسية التى يتسم عملها بالطابع الايجابى . ولعلنا نكون قد أوضحنا بمدى هذا التقدير لوجاهات مخاطرات الامن مدى ضخامة المسئوليات الملقاة على عاتقها .

وفي الواقع توجد وظيفتان رئيسيتان للمخاطرات في الحرب النفسية تقوم بها كل من المخاطرات الايجابية والوقائية ، وبالرغم من أن هاتين الوظيفتين منفصلتان من ناحية الشكل فهما مرتبطتان موضوعيا :

١ - الوظيفة الاولى هى ما تسمى بتحليل الدعاية ونمى دعاية الدولة وكذا دعاية العدو ، والتي سوف نشرحها بالتفصيل في الفصلين القادمين .

٢ - الوظيفة الأخيرة وتتلخص في الحصول على المعلومات لمن يقومون بإدارة الحرب النفسية . ان الذى يقوم بواجب توجيه الحرب النفسية لن يستطيع التأثير فى الجماهير الا اذا دعم بمعلومات دقيقة عنها ، وفى أثناء الحرب تأتى معظم هذه المعلومات عن طريق وسائل التجسس ، ولذلك يكون من الصعب غالبا الحصول عليها . ومن جهة أخرى نجد أن هناك صراعا طبيعيا بين موظفى المخابرات الذين يحاولون دائما الاحتفاظ بسرية هذه المعلومات ، وبين موظفى الحرب النفسية الذين يبحثون دائما عن الجزء الواقعى من المعلومات لتقوية الرسائل التى يوجهونها . وهذه المشكلة تعانى منها كثير من الدول بل لا تزال هذه المسألة عرضة لخلافات واسعة النطاق حتى فى الدول الكبرى . ان الوسيلة الوحيدة للتغلب على تلك المشكلة هو التنظيم الجيد للتنسيق بين الطرفين ، وتفهم كل منهما لمسئولية الآخر .

على أن عليها واجبا ثالثا يتفرع من هاتين الوظيفتين ، وهو مسؤولية اجراءات الامن فى الحرب النفسية . وكما سبق أن أشرنا الى الصراع الذى يحدث غالبا بين موظفى المخابرات ، وموظفى الحرب النفسية نتيجة طبيعة عملهما ، ومن ثم كان من المنطق أن نحاول إبراز أسباب هذا المشكل ، وذلك قبل أن نخوض فى تفاصيل الواجبات . هذا المشكل سنطلق عليه قيود الامن .

#### قيود الأمن :

لا ريب أن أية دولة من دول المجتمع الدولى تسعى دائما الى تحقيق أمنها وان اختلفت وسائل الامن فى كل منها . الا أن القيود التى تنشأ من مشكلات الأمن كثيرا ما تؤثر على أعمال الحرب النفسية اذا لم يبذل الجهد فى تذليل هذا التعارض ، وتفهم كلا الطرفين المسؤولية المشتركة للعمليات . فمن ناحية يستهدف الامن دائما منع وصول المعلومات السرية الى العدو ، على حين تحرص عمليات الدعاية على أن يصل الى العدو أكبر كمية من المعلومات الحقيقية التى قد تتعارض مع سريتها . كما يتطلب الامن منع الانباء العسكرية عن العدو على حين تهدف الدعاية الى اخطار العدو بالانباء أسرع مما قد تصل اليه عن طريق مصادره الخاصة وهو يهدف من ذلك الى تقليل قيمة ما يذيعه العدو من أنباء على مواطنيه .

وفى اختيار الافراد الذين يعملون فى ميدان الحرب النفسية يظهر هذا التعارض بصورة واضحة بين الدعاية والامن ، اذ يحاول الامن ابعاد الاشخاص المشكوك فيهم أو المشتبه فى صلتهم بالعدو بعيدا عن وسائل الاتصال ، أما رجل الدعاية فغالبا ما يكون اختياره للأفراد الذين يعملون معه على أساس الكفاية والمواهب التى يتمتع بها الافراد كقدرتهم على النطق بلغة العدو جيدا أو تفهم نفسيته وغير ذلك من العوامل المطلوب توافرها فى رجل الدعاية . وغالبا ما يقفل رجل الدعاية عامل الامن حينما يبحث بعينه الفاحصة لالتقاط هؤلاء الافراد من بين الجموع الفقيرة .

ولذا نجد أن رجال الحرب النفسية ورجال الامن غالبا ما تتعارض مسؤولياتهم ، مما يثير صعوبات قد يكون لها أثر بالغ فى تحقيق أهداف الطرفين . ولكن ليس من الصعب أن تنسق الجهود المشتركة التى تساعد على تحقيق أهداف الامن والحرب النفسية ، وذلك بإنشاء منظمة للرقابة تساعد على التنسيق وتفهم دل منهما مسؤولية الآخر وحدودها .

ان اجراءات الامن العادية يجب أن تطبق فى جميع الظروف ، والطريقة المثلى لتحقيق ذلك فى ميدان الحرب النفسية هى توعية جميع القائمين بها فى زمن السلم بأهمية الامن سواء كانوا مدنيين أو عسكريين ، فغالبا ما يتحدث كثير من هؤلاء الافراد الى بعض من ينقون بهم بدافع غريزى فى موضوعات هامة تتعلق بأعمالهم قد تبدو لهم أنها لا قيمة لها لايهام هؤلاء الناس بأنهم علميون ببواطن الأمور مما قد يؤثر تأثيرا بالغا فى مجهودات الأمن .

وهناك سلاح خطير لو تفشى بين القائمين بالحرب النفسية لاستطلاع أن يهدم الكثير من مجهوداتهم ألا وهو سلاح الشائعات والاكاذيب التى قد أفردنا لها بابا خاصا لأهميتها . لذا يجب ألا يتأثر القائمون بإدارة الحرب النفسية على جميع المستويات بأى شائعات أو أكاذيب ينشرها العدو ، بل أن واجبه هو فل هذا السلاح وتحذير الشعب والجنود من التأثير بما ينشره العدو من دعايات مغرضة .

ان اجراءات الامن التى تتبع فى الحرب النفسية هى نفس القواعد التى يعينها مفهوم الأمن بشكله العام • وبالرغم من أن تحقيق الأمن يتطلب اتباع قواعد معينة فان الحس والذوق الغريزى يلعب دورا فعالا فى الاجراءات التى يجب أن تتبع ولا سيما فى عمليات الحرب النفسية ، ونستطيع لمجرد الدراسة أن نوجز القواعد الاساسية التى قد تحقق الغرض فى القواعد الآتية :

#### تقييم المواد من ناحية درجة السرية :

ونعنى بذلك أن يكون تصنيف المواد أو المعلومات التى تستخدم فى الحرب النفسية تبعا لدرجة سريتها ، وكثيرا ما تنشأ مشكلات لرجال الأمن نتيجة لعدم اعطاء درجة السرية المناسبة للمعلومات التى تحتفظ بها الادارات المختلفة التى تعمل فى هذا الميدان • وكقاعدة عامة يجب الا تعطى درجة سرية عالية لأى معلومات لا تفيد العدو • ان مسؤوليه تقدير درجة سرية المعلومات غالبا ما تترك الى ضباط مدربين على هذا الواجب • وقد ترتب على اهمال هذا العامل فى الحرب العالمية الثانية كثير من المشكلات العسكرية ، فمثلا وجد فى أحد ميادين الباسفيك وثيقة ذات درجة عالية من السرية فى أحد أدرج مكتب سكرتيرة قائد أمريكى . واستطاع العدو أن يحصل عليها بمنتهى السهولة ، لان هذه السكرتيرة لم تستطع أن تقدر درجة السرية للمعلومات التى كانت بها ، وفى الحقيقة لم تكن هذه مسؤوليتها بل مسؤولية أولئك الذين لم يضعوا على هذه الوثيقة درجة السرية التى تستحقها •

#### تحديد الأفراد الذين يتعاملون مع المعلومات السرية :

وحينما يحدد الافراد المسموح لهم بالتعامل بالاطلاع على المعلومات ذات درجات السرية المختلفة ، يجب أن يطبق الامن على كل من يستخدمها ، اذ غالبا ما يحاول الافراد الذين يعملون معهم ويحرمون من هذه المعلومات أن يبحثوا بالفرصة عما وصل لأولئك الافراد من معلومات، فاذا ما تحصلوا عليها لا يستطيعون أن يقدروا قيمة هذه المعلومات بل غالبا ما يحسون بالامتناع والاستياء من اخفائها



عنهم • وهم في بحثهم عن هذه المعلومات لا يتعمد أن يكون الدافع هو الفضول  
وحب الاستطلاع • ومن ثم نجد أنه من الناحية النفسية يشعر هؤلاء الأفراد أنهم  
غير مرتبطين بالابقاء على سريتها ، ولذا فإن اجراءات الأمن بالنسبة لتداول  
المعلومات السرية يجب أن تطبق على المجموعات المختلفة كليا وليس فرديا •

التفرقة بين اجراءات الأمن والرقابة على النشر :

ويجب أن نفرق بين اجراءات الامن التي تتخذ في عمليات الحرب النفسية  
وبين عمليات الرقابة على النشر ، فالرقابة على الصحف Censorship وظيفة  
أخرى لها ظروفها وقواعدها • ان اجراءات الأمن غير السلمية واعطاء سلطات  
تحكيمية في مسائل الرقابة لضباط الامن قد تغرى ضابط الامن بأن يعبر عن  
تفضيله لاشخاص في ميادين التحرير أو الفن أو السياسة تحت ستار المحافظة  
على الامن ، والمعوقات التي لا معدى عنها لهذا العمل عدم توفيق الأمن وعدم  
نجاح الاجراءات •

وان الرقابة يجب أن تطبق بتنسيق تام مع سياسات الرقابة القومية أو  
سياسة الرقابة الخاصة بمسرح العمليات ، ومن جهة أخرى فإن تقدير قيمة الانتاج  
الاذاعي أو انتاج النشرات يعتبر وظيفة أخرى الغرض منها تقييم الانتاج ، ومدى  
تمشييه مع خطة الدعاية الاستراتيجية •

ومن السهولة بدرجة كافية القيام بالرقابة على المواد المطبوعة في مسرح  
العمليات ، اذ يمكن ارسال النشرات الى أركان الحرب للعمليات رقم ٢ G.  
لفحصها ، أو الى الشخص الذي توكل اليه وظيفة الامن •

الرقابة على الاذاعة :

ولكن مشكلة أمن الاذاعة شيء آخر ، وتدلنا تجارب الحرب العالمية الثانية  
على أن الأنباء العاجلة الخاطفة Spot News لا يمكن أن تتبع الاجراء الروتيني  
للأمن • وأنها يجب أن ترسل بسرعة ، ولهذا فإنه من المرغوب فيه دائما أن  
يكون ثمة نوعان من الرقابة يكمل كل منهما الآخر •

١ - أما النوع الأول فيمكن تحقيقه باقامة خدمة اتصال للأمن Security Liason على أساس عمل متواصل طوال الأربع والعشرين ساعة مع العاملين في الاذاعة ، وذلك لسرعة تمرير الأنباء العسكرية ، ويجب أن يلحق ضابط الأمن « المنوب » المبادئ التي تحقق التعاون التام على أساس تفهم قيمة الدعاية • ويجب أن يدرك أن مهمته هي أن يوضح لرؤسائه احتياجات الدعاية الاذاعية بدلا من أن يتجه الى اعتبار نفسه أسمى من العاملين في الاذاعة • ولهذا سبب نفسى معقول ، فان وجود ضابط الامن الودود المشجع يزيد من التعاون من جانب مذيع الدعاية ، أما الموقف غير الودود فانه يدفع بالاذاعي الى أن يعمل دائما للاحتفاظ بالكرامة الوظيفية لمكتبه ولمركزه ، فاذا ما زاد التنافر بين ضابط الامن والكاتب الاذاعي أو المذيع فان ذلك يؤدى دائما الى أسوأ النتائج بخاصة اذا ما أثر هذا التنافر على الروح المعنوية لرجال الدعاية •

٢ - أما النوع الآخر فانه يمكن ممارسته باشراف الأمن ورقابته بواسطة الوسائل الميسرة للاستماع : أى يمكن أن يزود ضباط الأمن بأجهزة استقبال جيدة فينصتون للاذاعات دون مقابلة المذيعين ، ومن المرغوب فيه أن يكون لهؤلاء الضباط طاقة من الوعي وقدرة على النقد ، اذ هم على نقيض ضباط الاتصال ليس من الضروري أن يكونوا متعاونين عن قرب ، فان نقدهم يجيء بعد أن تكون العملية قد تمت والاذاعة قد وجهت ، وبذا يمكن أن يبرزوا نقدهم بمعدلات صارمة عنيفة للعمل بها في المستقبل •

ومن هنا كانت العمليتان مختلفتين من ناحيتى الشكل والتوقيت ، فالأولى تقوم بمراجعة انتاج الدعاية فى أثناء الارسال ، والاخرى يبتدىء دورها بعد انتهاء العملية •

ان النقطة الرئيسية التي يجب أن تكون دائماً في أذهان من يقومون بإدارة الحرب النفسية ألا يطلقوا من ضباط الأمن رجال دعابة، إذ أن ذلك مثل من يحاول أن يخلق من المذبح رجل آمن • ان الطريقة المثلى هو أن يتفهم كل منهم مسؤولية الآخر ويعرف حدوده ، وأن يبذل كل منهما جهده في التعاون لتحقيق رسالة الآخر •

ونستطيع الآن أن نتقل الى بحث وظيفة أساسية من وظائف المخابرات في الحرب النفسية وهي مهمة جمع المعلومات •

#### مهمة جمع المعلومات :

يمكن أن تتم عملية جمع المعلومات ائحارجية بطرق مختلفة ، ليست كلها خاضعة أو سرية • وهذا ينطبق بصفة خاصة على المخابرات المكشوفة التي تستقي معلوماتها من : الصحف ، والكتب ، والمطبوعات ، والنتقارير الرسمية ، والاذاعة ، والتلفزيون ، وقد تحتوي قصة ما أو أية مسرحية على معلومات نافعة عن حالة أمة من الأمم •

ان كل المعلومات المكشوفة هي « طحنة » تدخل طاحونة المخابرات • ولكن هناك من تلقوا تدريباً يمكنهم من أن ينتقوا حبة القمح من بين جبال « التبن » • وفي البلاد ذات الصحافة الحرة والتي لا تتدخل فيها الحكومة عند نشر البيانات الرسمية تكون عملية المخابرات المكشوفة ذات قيمة خاصة ، وذات فائدة مباشرة في اعداد تقديرات المخابرات •

ان الجهود الذي يبذل في عملية اجمع الاسافرة هو مجهود واسع ونستخدم • انه يحاول ألا يفغل شيئاً يمكن الحصول عليه وله فائدته • ولكن ربما كانت هناك موضوعات قد تكون حاجتنا اليها شديدة ولكن لا تغطيها هذه المادة ، أو قد نفقس هذه المادة التفاصيل الكافية، أو لا تكون حاسمة ، أو لا تكون موضع الثقة التامة • فمثلا لا يمكن أن نقول على ما نفصح عنه اسرائيل - سواء بقصد أو

بغير قصد - فيما تحتاج حكومتنا الى معرفته • انها لا تفصح الا عما تريده منا  
أن نصدقه ، فاذا هي أدلت ببيانات رسمية فانه لا يمكن أن تكون هذه البيانات  
موضح ثقتنا •

ومن جهة أخرى يمكن التلاعب في الصور الفوتوغرافية كما يمكن تزيفها  
على نحو ما حدث عندما عرض السوفييت - لفرض الدعاية - صورة كومة من  
المهلات وقالوا : انهم أسقطوا طائرة أمريكية من طراز « ٢ ى » كذلك عرض  
السوفييت في يوم استعراض الجيش الاحمر صاروخا شاهده وصوره رجال  
الصحافة الغربية والمحققون العسكريون ، ولم يكن في الحقيقة الا شيئا لا قيمة له  
مكونا من أجزاء متفرقة من صواريخ مختلفة لا يمكن أن تكون قذيفة صالحة •  
وكما هو سهّل أن نجمع المعلومات المكشوفة فمن اليسير أن نحيف هذه  
المعلومات بنمى القناع • لكل هذه الاسباب يجب أن يظل جمع المعلومات  
بالطريقة السرية « التجسس » هو النشاط الأساسي للمخابرات •

ان عملية الجمع السرية هي أساسا عملية التغلب على العقبات بقصد  
الوصول الى الهدف • اذنا نختار الهدف ويقوم خصومنا بوضع العراقيل  
والعقبات ، وهو عادة يدرك أى أهداف يهنا أن نصل اليها ، ثم يحبطها بكل  
ما يستطيع من العقبات الوعة •

ويستغل اجمع السرى الافراد في هذه العملية فيستخدم : « العملاء »  
و « المصادر » و « المبلغين » ، كما تستخدم الآلات • وهناك آلات تستطيع أن  
تفعل ما لا يقدر الانسان أن يفعله ، وان ترى أشياء يعجز عن أن يراها •  
ولما كان كل جانب يحاول وقف هذا النشاط اذا استطاع أن يحدد مكانه أو اذا  
أمكنه الوصول اليه فان كلا منهما يقوم بهذا النشاط بطريقة سرية ، ولهذا  
يطلق عليه اسم اجمع السرى ، والكلمة التقليدية التى تطلق عليه هي  
« التجسس » •

ان جوهر التجسس هو الوصول الى الهدف . يجب أن يتمكن انسان ما أو آلة ما من الاقتراب من هذا الشيء ، أو هذا المكان ، أو هذا الشخص ليرى أو يكتشف الحقائق المطلوبة دون أن يثير انتباه من يتولون حراسته . ثم بعد ذلك لابد من أن تبلغ هذه المعلومات الى من يطلبها من المسؤولين ، ويجب أن يتم ذلك بسرعة حتى لا تفقد قيمتها ، كما يجب ألا تضيع أو يقطع عليها طريق العودة .

ان التجسس في أقل صورته لا يعدو أن يكون نوعا من الاستطلاع المستتر . وقد يكفي هذا عندما يقتصر المطلوب على القاء نظرة خاطفة . فيقصد العميل هدفا من الاهداف ويلقى عليه نظرة ثم يقفل راجعا ليبلغ عما رأى . وفي هذه الحالة يكون الهدف عادة كبيرا وسهل الرؤية ، مثال ذلك : تجمع القوات - التحصينات - المطارات ، وأحيانا يستطيع العميل أن يجد طريقه الى داخل المكان المقفل ويستطلع ما فيه أو يخرج منه بوثائق . وعلى كل حال تكون فترة بقاءه محدودة لأن بقاء العميل مدة طويلة أمر صعب طالما وجد بطريقة سرية وغير شرعية .

وهناك ما هو أكثر قيمة من الاستطلاع ونعني « التغلغل » الذي يقوم به العميل ويستطيع فيه أن يصل الى داخل الهدف ويبقى فيه . ومن بين الطرق المستخدمة في هذا النوع أن يتسلل العميل الى المكاتب أو الى دوائر الصفوة المختارة بحيلة ما وبذلك يكون في موقف يستطيع منه أن يستخرج المعلومات المطلوبة من الاشخاص الذين يائمنونه ، والذين لا يدركون دوره الحقيقي ، ويطلقون على هذه العملية اصطلاحا يسمى « الزرع » وهي من أقدم أنواع الطرق في التجسس .

ويستند هذا النوع من التغلغل الى مظاهر الولاء والاخلاص التي غالبا لا توضع موضع الاختبار . كما أنه ليس من السهل اختيارها ولا سيما اذا كان الخصوم يتكلمون نفس اللغة ، ولكن في الوقت الحاضر عندما أصبحت الخطوط التي تفصل أمة ومذهبا سياسيا عن أمة أخرى ومذهب سياسي آخر واضحة ،

أصبح الاحتفاظ بمظاهر الولاء والاخلاص لفترة طويلة عسيرا ، وإن كان يمكن تحقيقه . ومن بين عمليات التجسس السوفييتية المشهورة قبل الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها هى عملية الشبكة الجاسوسية فى الشرق الأقصى التى كان يتولى ادارتها ريتشارد سورج ، وهو المانى كان يعمل فى طوكيو كمراسل لصحيفة فرانكفورتر زايتمونج . لقد كان سورج يقوم « بزرع » مواطنيه فى السفارة الألمانية فى طوكيو ، ونجح فعلا فى إلحاق نفسه بقسم الصحافة بالسفارة وكان هذا بمثابة ستار له يعمل من ورائه مع عملائه اليابانيين فضلا عن أن هذا كان يوفر له الفرصة للحصول على المعلومات المباشرة عن سير حرب النازى وعلاقتهم مع اليابان .

وحتى يستطيع سورج تحقيق ذلك كان يلعب دور النازى الصالح ، وقد أحرز فى ذلك كل النجاح بالرغم من أنه كان يمقت النازى . لقد كان رئيس الجستابو فى السفارة كما كان السفير والملحقون أصدقاء له . ولو نقب الجستابو ماضيه - كما فعلوا بعد أن قبض عليه اليابانيون عام ١٩٤١ - لعرفوا أن سورج كان عميلا شيوعيا فى ألمانيا فى السنوات العشرينية وأنه أمضى بعض سنواته فى موسكو .

ولنتقل الآن الى دراسة الواجب الاخير من دور المخابرات فى الحرب النفسية وهى ما يتعلق باجراءات الأمن ، ويمكن تقسيم هذا الواجب الى أقسام رئيسية :

مقاومة التخريب ♦ Counter Sabotage

مقاومة التآمر والتمرد ♦ Counter Insurgency

مقاومة النشاط الهدام ♦ Counter Subversion

الأمن الداخلى ♦ Domestic Security

وفي نطاق هذه المسؤوليات تتولى مخبرات الامن بأجهزتها المختلفة حماية أسرار الدولة ومنشآتها •

## مقاومة التخريب Counter Sabotage :

التخريب (١) صورة من الحرب المدمرة ، وهو عادة يستهدف ائتلاف النظام ، أو تدمير التنظيم العسكري ، أو الاقتصادى للعدو • وهو عمل مضاد لنظام العدو الادارى ، ونتاجه الصناعى والغذائى ، وقواته المسلحة ، وخطوط مواصلاته ، بل عموما ، ضد أى شىء يعاون المجهود الحربى للعدو •

ويحدث التخريب فى عادة صور متباينة ليس من الضرورى أن تبدو كلها عنيفة • فهناك عمليات مباشرة أى عمليات تخريب نشيطة عنيفة مفاجئة ضد الأغراض والأهداف الرئيسية ، وهناك أيضا أعمال غير مباشرة أى سلبية ضد معنويات العدو وموارده المادية فى أسلوب وبوسائل غير عنيفة • كما أن هناك صورة أخرى تسمى التوجيه السيكولوجى Psychological Training تهدف منه تكوين اتجاه عام وسط الجماهير للقيام بالاضراب أو لنشر الذعر والفوضى والاضطراب •

وتنفذ الأعمال المباشرة بعدة وسائل وعلى مستويات مختلفة ، وقد توجه ضد أغراض أساسية هامة كالمصانع فى المناطق التى تتوافر للعدو فيها مؤسسات هامة ، أو ضد أهداف صغيرة كأكشاك التحويل على الخطوط الحديدية وغيرها من

---

(١) جاء الاصطلاح الانجليزى Sabotage أى الائلاف والتخريب ، من الكلمة Sabot

وتعنى هذه الكلمة الحذاء الخشبى الذى كانت ترتديه الطبقات الفقيرة فى بعض البلاد الاوربية ، وقد اعتبر هذا الحذاء الخشبى رمزا للشورة من جانب عمال الزراعة وغيرهم ممن يعملون فى أملاك السيد أو الامير • وكانوا يلقبون بهذه الاحذية الخشبية فى آلات المصانع طوال فترة الاضطراب فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر • وقد اصطلح فيما بعد على اطلاق كلمة Sabotage على التخريب المقصود لممتلكات الغير طبقا لأهداف خاصة وسمى الذين يقومون بهذا العمل Saboteurs •

الأهداف التي تعرقل في النهاية المجهود القومي • ويعتبر الاحراق ، والتدمير ، والقاء المتفجرات ، وتعطيل الآلات أو نسفها - الصورة العادية لأعمال التخريب المباشر ، وتتفاوت الوسائل طبقا لطبيعة الهدف وظروفه •

ويعد التخريب البحري وهو الذى يوجه ضد السفن ، والمنشآت البحرية ، وطرق الملاحة - من أخطر أعمال التخريب ، وذلك لفداحة الاضرار التى تترتب عليه •

أما العمليات غير المباشرة أو عمليات التخريب السلبية فانها تصل الى تحقيق أهدافها دون عنف واضح، والصورة المألوفة لهذا هى التشجيع على تخفيف مستوى الانتاج أو الإبطاء فى اتمام الأعمال الانشائية ، أو الإهمال الذى يبدو غير متعمد ، ولكنه يؤدى فى النهاية الى الاضرار بالكفاءة الانتاجية ، أو السلب المنظم للمستودعات وما الى ذلك •

على أن التخريب السيكلوجي الذى يستهدف ازعاج العدو فى عقر داره أو فى المناطق التى تحتلها قواته المسلحة يعد من أخطر الانواع كما سبق أن أشرنا الى ذلك • كما أن للتخريب السيكلوجي الذى يعتمد على الشائعة والنكتة آثارا لا تقل فى خطورتها عن التخريب العنيف بل يفوقه أحيانا كما ظهر لنا فى الباب الخاص بالشائعات •

وعمليات التخريب تعد سلاحا رئيسيا من أسلحة الحرب النفسية ، وهى كأعمال المخابرات تتطلب تحضيرات عسكرية، واقتصادية، وفنية ، وسيكلوجيه، وتعتمد فى خططها أساسا على المعلومات التى توفرها لها أجهزة المخابرات الإيجابية ، وغالبا ما يقوم بتنفيذها عملاء من رعايا الدولة نفسها التى تتم فيها الحوادث •

ومن أجل هذا تقوم المخابرات الوقائية بإجراء الاحتياطات المضادة عن طريق تأمين المنشآت والمصانع والمراقب الحيوية بعد دراسة دقيقة للموقع ونظام العمل وطبيعته ، والافراد الذين يعملون فيه ، وهذا ما يسمى بمشروع الأمن •



على أن أسلوب مقاومة التخريب يجب أن يهدف إلى مقاومة جميع الأعمال التخريبية في جميع أشكالها وصورها مادية، أو معنوية ، مباشرة ، أو غير مباشرة . ونعمد مقاومة التخريب على الدراسة العلمية للاحتمالات التخريب والأماكن المعرضة له ، وكموما نتمهد على العناصر الآتية :

١ - استعمال الدراسة والمعرفة في توجيه الأعمال التنفيذية .

٢ - اعتقال المخرب قبل أن يبدأ عملياته ، ومن الأمثلة الجيدة التي مارسها مخابرتنا في هذا المجال قضية العميل الاسرائيلي « وولف جانج لوتز » الذي كلفته المخابرات الاسرائيلية بما يلي :

♦ جمع معلومات عن المجهود الخربي .

♦ جمع معلومات عن الخبراء الأجانب الذين يعملون في تطوير المجهود الخربي بغرض مباشرة عمليات التخريب المادي بالقيام بأعمال التدمير والاختيال ، وكذا مباشرة تعليمات التخريب المنوى برسال خطابات التهديد لهم ، وتوزيع المنشورات المعادية التي تهدف إلى التفريقة والانقسام .

ومن ذلك يتضح في هذه الحالة أنه لا يمكن أن نفرق بين مقاومة التجسس ومقاومة التخريب .

مقاومة الناصر والتمرد Counter Insurgency :

والقصود بالناصر والتمرد هو وجود تدير للقيام بثورة ضد السلطة الحاكمة بهدف إلى تغيير نظام الحكم ، أو الشخصيات الحاكمة ، أو فرض مطالب معينة لتحقيق أهداف القائمين بالناصر . وتعني كلمة الناصر في إبعادها : التمرد والعصيان ، ورفض اطاعة السلطات أو القانون السائد . ويستعمل اصطلاح العصيان المدني Civil Disobedience في بعض الحالات بدلاً لكلمة التمرد .

وقد يكون التآمر فى بعض الحالات نابعا من داخل الشعب نفسه دون تحريض أو مساعدة من الخارج ، ولكنه غالبا ما يكون موجها من الدول التى تتعارض مصالحها مع نظام الحكم القائم •

ومهمة مخابرات الأمن الكشف عن أى محاولة للتآمر أو التمرد ، والقضاء عليها ، والقبض على مدبريها قبل أن تتم •

وتستخدم مخابرات الأمن فى عمليات مكافحة التآمر والتمرد أساليب المخابرات المختلفة ، مستفيدة من كل العناصر والامكانيات البشرية والفنية التى تشابه الى حد كبير مع الوسائل المتبعة فى مكافحة الجاسوسية - أى أن مخابرات الأمن تقوم بنشاط ايجابى مضاد فى هذا المجال •

والمؤامرات والانقلابات التى تحدث فى الدول ما هى الا سلسلة من الاعمال الموجهة من الخارج أو الداخل ، وعادة تكون بتوجيه من جهات أجنبية أو تشجيعها ، ولذلك تعتبر من الواجبات الأساسية للأمن القومى • ان مقاومة التآمر هى الأداة التى تساعد على الاحتفاظ بالاستقرار القومى ، وتعتبر العناصر الآتية أساسا لمقاومة التآمر •

١ - استخدام جميع أساليب المخابرات الفنية ووسائلها لغرض الحماية والسيطرة على الميادين ، والهيئات ، والمؤسسات التى يحتمل أن يباشر أفرادها أى نشاط ضد الحكم القائم •

٢ - تجديد الدول التى ينتظر أن تساند مثل هذه المؤامرات ، أو تشجيعها وذلك بدراسة الأهداف والمبادئ السياسية التى تعتنقها الدولة ، والتى لا تتفق مع أهداف تلك الدول وسياستها •

٣ - مراقبة نشاط الفئات ، والأفراد ، والهيئات التى تعتبر هدفا لمدبرى المؤامرات والانقلابات •

٤ - يعتبر الوقوف على مشاعر الجماهير ومضى تجاوبها وأحاسيسها بالنسبة للأحداث الجارية « الرأي العام » ووضع المسؤولين في صورة كاملة من هذه الأحاسيس أساسا للوقاية ضد المؤامرة .

#### مقاومة النشاط الهدام Counter Subversion (١) :

تعتمد مقاومة النشاط الهدام أساسا وفي الدرجة الأولى على التوعية ، لأن النشاط الهدام عادة يبدأ بالتشكيك في مذهب الدولة أو اتجاهها ، وفي معظم الأحوال يتبنى عقيدة مضادة لعقيدة الدولة . ويعمل النشاط الهدام على الترويج للمذهب المضاد ولا سيما في الأوساط المهيأة نفسيا وعقليا لتقبله . وبالرغم من أن نشاطه عادة يكون نشاطا سريا ، فهو يكتفى في مراحله الأولى بغزو العقل دون اللجوء الى العنف . لذا فإن الطريق السليم لمكافحة النشاط الهدام هو مقارعة الفكرة بالفكرة وتنظيم الحملات الفكرية المدروسة . وهذا لا يمنع مخاطر الأمن من اللجوء الى الأساليب الإيجابية لمواجهة النشاط الهدام ، بخاصة اذا ما كانت قوانين الدولة تحرم مثل هذا النشاط .

على أنه يجب أن نشير هنا الى أن مسؤولية حماية نظام الدولة الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة من واجب كل مواطن ، وعليه أن يتفهم العقيدة الاشتراكية والعقائد الأخرى المتباينة ، ويتحتم على كل فرد مداومة الاطلاع ومتابعة الانتاج الفكري في العالم ، والتعمق في دراسة الايدلوجيات والنظريات المختلفة .

---

(١) أصل الكلمة Subvert أى اسقاط أو تدمير شيء قائم ، ويمكن أن تعنى نشر الفساد والفوضى في الاخلاق والمبادئ والعقائد وهذا هو المعنى المقصود . ويختلف النشاط الهدام من دولة الى أخرى طبقا لمبادئها السياسية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية . وهناك فرق ولا شك بين النشاط الهدام ، وبين التآمر والتمرد ، فعادة يسبق الأول الثاني ، وبالإضافة الى ذلك هناك فروق أيضا في طريقة المكافحة .

## الأمن الداخلي Domestic Security :

عبارة عن جميع الاجراءات الوقائية التي تتخذها الدولة للحفاظ على أسرارها لاختفاء السياسة القومية، والمعلومات العسكرية، والعلمية ، والاقتصادية، والقرارات الدبلوماسية ، وغير ذلك من المعلومات ذات الطابع السرى والتي تؤثر على أمن الدولة وسلامتها ، كما يحقق الأمن الداخلي مقاومة لجاسوسية العدو ، وذلك بتحديد حركات عملائه ، ومنع تسرب أى معلومات لها قيمتها الى مخبرات العدو ، ففي الدول الدكتاتورية والفاشية حيث يسيطر على الدولة الأسلوب البوليسى ، نجد أنه يسهل على أجهزة الأمن استمرار السيطرة على جميع المقيمين بالدولة ، بعكس الدول الديمقراطية التي يتمتع فيها الفرد بحرية أوسع مما يعرفل كثيرا من مجهودات الأمن •

وتتدرج اجراءات الأمن الوقائية من التحفظ على المعلومات ذات الطابع السرى ومنع تسربها ، الى مقاومة أى تسلل الى المراكز الحساسة فى جميع قطاعات الدولة • وتكون المرحلة النهائية هي تدابير مقاومة التجسس ، ويجب ألا نفعل هنا أهمية وعى الأمن لدى الشعب الذى يساعد كثيرا على نجاح خطة الأمن •

## ب — مقاومة التجسس :

تعتبر مقاومة الجاسوسية الجانب الايجابى من المخابرات الوقائية • ويمكن أن نعرفها بأنها المعرفة ، والتنظيم ، والتحليل ، والنشاط الذى تستخدمه مخابرات الدولة لشمّل نشاط المخابرات المعادية •

ويوجه نشاط مقاومة الجاسوسية ضد جهود الجاسوسية الاجنبية ، ومهمتها الأساسية هي التعرف على نشاط عملاء العدو السريين ، واستغلاله والسيطرة عليه •

ان الهدف الشامل من تلك الجهود ، هو وقاية أمن الدولة وسلامتها ، وكذا منع تسليل عملاء العدو داخل المراكز الحساسة بها . وهى فى هذا المجال تحاول أن تصل عن طريق المعرفة الى ازالة القناع عن نشاط منظمات العدو ، وكشف خطته ونواياه .

وبالرغم من أهمية الأهداف Targets التى تسعى اليها أجهزة مقاومة الجاسوسية والمخابرات المضادة ، فان تحديد الغرض Object يسبق دائما تحديد الأهداف . وللدراصة الدقيقة ، والتحليل الشامل أهمية كبيرة فى تقدير قيمة الهدف وأهميته .

ويهتم رجال مقاومة الجاسوسية عامة بأربعة مجالات أساسية لها أهمية كبيرة فى تحديد المعلومات الايجابية اللازمة لمقاومة التجسس ، كما أن هذه المجالات تسهم أيضا فى جمع المعلومات الايجابية الهامة للمخابرات ، وهى التى تبنى عليها خطة العمل والتنفيذ .

١ - أول هذه المجالات ، الافراد الذين يعملون فى أجهزة المخابرات المعادية وعملاؤهم وخاصة الذين يعملون فى الدولة التى تعتبر هدفا للجاسوسية . ان اكتشاف الاشخاص الذين يشك أنهم عملاء للعدو يعتبر واجبا يتطلب وقتا كافيا ، كما يستدعى الدقة ، اذ غالبا ما يكون اتصال رجال مقاومة التجسس مع منظمات العدو عن طريق هؤلاء العملاء . لذا يجب أن توجه عناية كبيرة لفحص هؤلاء العملاء ومحاولة الحصول على معلومات تفصيلية شاملة عن نشاطهم ، وأسرارهم ، ومعارفهم ، وأصدقائهم .

٢ - أما المجال الثاني فهو الأسلوب الذى تستخدمه منظمات العدو فى عمليات التجسس ، ويتضمن هذا الأسلوب كثيرا من العناصر منها استخدام الساتر ، وطريقة التجنيد ، والاتصال ، والتمويل ، واختيار محطات العمل السرى. وعلى الرغم من أن هذه العناصر تحكمها عوامل تقنية ثابتة Techniques ، فان لكل منظمة عادة أسلوبا فنيا فى نشاطها . وتكرار هذا الأسلوب ، حتى يشب نجاحه أكثر من مرة كثيرا ما يؤدى الى كشف نشاطها وشمل عملياتها من جانب رجال مقاومة الجاسوسية ، وهذا يرغمها على تغيير خططها وأساليبها، وقد يدفعها لتجديد نشاطها لفترة قد تطول . لذا فان الابتكار والبحث عن طرق جديدة دائما ، وتهيئة الجو المناسب للعمل - هو أساس نجاح عمليات التجسس .

٣ - والمجال الثالث الذى يبحث فيه رجال مقاومة الجاسوسية ، هو مركز حشد قوات العدو ، ونوع المعلومات التى تحظى باهتمامه الخاص ، وأى الميادين يصلح لاثارة أو النشاط الهدام ، ومدى الاستجابة المتوقعة . وينبغى أن تغطى المعلومات عن هذه الأهداف كل ما يختص بالأماكن والمواقع ، كما تشتمل على كل ما يختص بالأفراد .

٤ - والمجال الرابع والآخر الذى يهتم به رجال مقاومة التجسس هو الاغراض والنوايا القريبة والبعيدة لمنظمات التجسس .

هذه المعلومات قد لا يمكن الوصول اليها بطريق مباشر ، ولكن الدراسة والتحليل للأهداف المعروفة لمنظمات التجسس ، ودرجة كفاءة هذه المنظمات ،

ومدى تطبيق تعليمات الأمن فى الدولة الهدف . . كل هذا يساعد رجال مقاومة التجسس على التكهّن بالاهداف التى تسعى هذه المنظمات لاختراقها ، وتسير الطريق أمامهم •

هذه المجالات الأربعة التى يهتم بها رجال مقاومة التجسس لا يمكن اعتبارها أهدافا أو أغراضا ، ولكنها تعتبر الميادين الأساسية التى يهتمون بها للحصول على المعلومات التى تساعدهم فى تنفيذ مهام عملهم ، ووضع خططهم وتنفيذها •

## مخابرات الدعاية

### الخيال الخصب والعمل الجاد :

ليس هناك بد لنجاح عملية المعلومات من خيال خصب وعمل جاد ، ولقد قدم لنا صحفي ألماني مثالا رائعا لفاعلية البحث وتحليل المعلومات، ولقد اشتهرت حالة بحثه في جميع أنحاء العالم في مارس عام ١٩٣٥ .

لقد خطف هذا الرجل - واسمه برثولد جاكوب - بواسطة عملاء البوليس السرى الالمانى من سويسرا . وكان جاكوب قد سبق أن كتب بتوسع عن الجيش الالمانى الذى كان فى ذلك الوقت يمر بمرحلة اعادة التسليح ، وكان قد نشر كتابا صغيرا قدم فيه كل التفاصيل عن هيئة أركان الحرب العامة التى أعيد تنظيمها من جديد ، كما نشر معلومات تفصيلية عن قيادات الجيش ، وعن المناطق العسكرية المختلفة ، والوحدات العسكرية التى شكلت حديثا ، وأورد بالكتاب قوائم لعدد ١٦٨ من قواد الجيش ، وصورا لتاريخ حياتهم .

وعندما أطلع هتلر على الكتاب ثار وغضب ، واستدعى الكولونيل والاذن نيكولاى مستشاره فى شئون المعلومات وسأله :

« كيف تسنى لرجل واحد أن يكتشف كل هذه المعلومات ؟ وقرر نيكولاى أن يعرف الرد عن ذلك السؤال من جاكوب نفسه، فكلف عميلا اسمه هانز ويزمان بالاتصال بجاكوب وإيقاعه فى فخ .



ولتنفيذ الخطة قام ويزمان - وكان يعيش في سويسرا - بإنشاء دار للنشر بالقرب من الحدود الألمانية ، ومثل دور لاجئ . وأخذ يعقد صداقات مع عدد كبير من المنفيين من ألمانيا النازية ، ثم اتصل بجاكوب في لندن ودعاه للحضور الى سويسرا لمناقشة صفقة أدبية .

وذهب جاكوب الى « باسل » ومع زوجته واستقبله ويزمان ، وتركها مسر جاكوب في فندق ثم ذهب الى مطعم فاخر لتناول الغداء . وفي أثناء الحديث الممتع بينهما اعتذر جاكوب عن ذهابه الى دورة المياه وخلال غيابيه وضع ويزمان مخدرا في كأسه . وعاد جاكوب وشرب الكأس وهو لا يشك في شيء . وجلس ويزمان في كرسيه يراقب جاكوب وهو ينام تحت تأثير المخدر . واعتذر ويزمان للساقى عن سكر صديقه وطلب منه مساعدته لكي يحمله معه الى غرفة كانت في الانتظار . وبعد لحظة كان جاكوب في طريقه الى ألمانيا وبذلك نجح ويزمان في اختطافه .

ووصل جاكوب قبل منتصف الليل بقليل الى برلين وهو يدرك تماما ما حدث . ثم سيق مباشرة الى مقر رئاسة الجستابو ، واقتيد الى غرفة في الدور الثاني حيث كان في انتظاره لجنة من الضباط والمدنيين .

وكان على رأس اللجنة الكولونيل والدز نيكولاى ، وفي اللحظة التي دخل فيها جاكوب الغرفة ، انقض عليه نيكولاى بهذا السؤال : « اخبرنا ياهر جاكوب من أين حصلت على البيانات التي كانت أساسا لكتابك ؟ » .

وبدأ جاكوب يشرح شرحا بدا للسامعين أنه عمل باهر من أعمال المخبرات وقال « كل شيء فى كتابى جاء من تقارير نشرت فى الصحافة الألمانية ، فعندما ذكرت فى كتابى أن ماجور جنرال هاس كان الضابط القائد للوحدة السابعة عشرة وموقعها فى نورمبرج ، فأننى استقيت معلوماتى هذه من اعلان وفيات فى جريدة نورمبرج ، اذ جاء فى الجريدة أن جنرال هاس الذى قُدم من نورمبرج وهو قائد الفرقة السابعة عشرة المنقولة حديثا حضر جنازة فى نورمبرج » .

واستطرد جاكوب « وجدت في جريدة U. L. M. فقرة في صفحة المجتمع عن حادث سعيد ، وهو زواج ابنة كولونيل فيرو للماجور ستيمرمان ، ووصف فيرو في الفقرة بأنه الضابط القائد للفرقة ٣٦ في الوحدة ٢٥ . ووصف ماجور ستيمرمان بأنه ضابط الاشارة في الوحدة ، وكان يحضر حفل الزواج أيضا ماجور جنرال سكار الذي وصف في القصة بأنه قائد الوحدة الذي كان قد قدم - كما قالت الجريدة - من شتوتجارت حيث كان مقر قيادة الوحدة » . وهكذا انتهى الاستجواب .

ولحسن حظ جاكوب كان نيكولاى يحترم عمل المعلومات الجيد وكان اعجابه بالعمل الذي قام به جاكوب السبب في أن يعامله معاملة انسانية . هذا بالإضافة الى المجهودات الجبارة التي بذلتها زوجة جاكوب لكي تنجح في اطلاق سراح زوجها . وصارت قضية جاكوب حادثا دبلوماسيا ، فقد طالبت سويسرا بأن تفرج ألمانيا عن جاكوب فوراً . وأحس المكتب الخارجى الالمانى بالخرج وأجرى البحث عن جاكوب ، واكتشف أنه فى سجن الجسناو ، وبعد شهر أعيد جاكوب الى سويسرا حيث قص تفاصيل مغامرته .

ورفع نيكولاى تقريراً لهتلر عن نتائج بحثه « لم يكن لجاكوب شريك سوى مجلاتنا العسكرية وصحفنا اليومية . لقد أعد تقريره عن نظام المعركة Order of Battie من قطع من المعلومات اكتشفها فى اعلانات الوفيات واعلانات الزواج وغيرها » .

وأضاف نيكولاى بصوت خافت وبلمهجة تدل على الاعجاب : « جاكوب هذا يعتبر أنبغ رجال المخابرات الذين صادفتهم فى حياتى التى دامت ٣٥ عاماً فى هذه الخدمة » .

وبدت القضية فى أول الامر أنها سوف تتكشف عن فضيحة جاسوسية سوف تهز الجيش الالمانى ، ولكن لم يكن بها جاسوس بل كانت عبارة عن نجاح ساحق حققه رجل مدنى ممتاز كانت كل أدواته مقصا ، وزجاجة صمغ ، وملف بطاقات ، وعقلمية ضابط مخابرات .

هذه القصة الطريفة قد تكون مفيدة لكل من يعمل في ميدان المعلومات .  
وقد آثرنا أن نذكرها في أول هذا الفصل حتى تكون واضحة دائما للقارئ عند  
بحثنا للدوافع التي يتضمنها هذا الفصل .

## طبيعة مشكلة المعلومات :

كتب صن تزو في كتابه « فن الحرب » :

« اذا عرفت العدو وعرفت نفسك ، فليس هناك ما يدعو الى أن تخاف نتائج  
مائة معركة . واذا عرفت نفسك ولم تعرف العدو ، فانك سوف تقاسى من هزيمة  
مقابل كل انتصار . واذا لم تعرف نفسك ولم تعرف العدو ، فانك أحق وسوف  
تواجه الهزيمة في كل معركة » .

ان نصيحة صن تزو لا تزال الى اليوم سليمة كعهدا منذ ٥٠٠ عام قبل  
الميلاد ، ومن الممكن تطبيقها على مجال الاتصالات الدولية . والحرب النفسية  
والدبلوماسية ، والحرب التقليدية .

وتعتمد الحرب النفسية على المعلومات الموجودة في كل نواحي عملياتها .  
وبدون معرفة حديثة بقدرة المرء ، وادراك متعاطف واقعي بأمال الاشخاص  
وأمانهم وتواريخهم السياسية والاجتماعية والثقافية، فانه من المؤكد أن مجهودات  
الحرب النفسية التي توجه لهم سوف تبوء بعدم التوفيق . وكلما ازدادت معرفة  
المرء بالناس الذين يوجه لهم نداء الدعاية ازداد أثر هذا الشخص على هؤلاء الناس  
وعلى سلوكهم وآرائهم ، وعن طريق هذا يؤثر على أنماط سلوكهم .

ومن الممكن أن نعرف « معلومات » الحرب النفسية بأنها المجموعة من المعرفة  
الناجمة من الجمع ، والتقييم ، والمقارنات ، والتفسير ، وذلك فيما يتعلق بالآراء ،  
والاتجاهات ، والمعتقدات ، والاحساسات ، وأنماط السلوك المنطقي، وغير المنطقي،  
التي قد تميز جماعة ما يأمل المرء أن يؤثر فيها عن طريق نداءات الدعاية والأجهزة  
الآخري .

## احتياجات المعلومات :

وهذا النوع من البيانات Data الذى يتعلق بأهداف الحرب النفسية، والذى يطلق عليه كلمة « معلومات » مطلوب لأغراض ثلاثة رئيسية فى عمليات الحرب النفسية :

- ١ - فهى تساعد المخططين من اعداد خطط واقعية صالحة تقوم على التعرف على خطط العدو ومواقفه .
- ٢ - وتمتد القائمين بالتنفيذ بمادة من الممكن استخدامها فى انتاج الدعاية .
- ٣ - وتمكن أخيرا الذين يعملون فى ميدان الحرب النفسية من تقييم فاعلية العمليات السابقة .

## المعلومات من أجل التخطيط :

ان أهم وظيفة للمعلومات بل أكثرها أهمية فى عمليات الحرب النفسية هى الوفاء بحاجات التخطيط . فسواء أكان من يعمل بميدان الحرب النفسية موجودا فى وحدة عسكرية فى الخطوط الاولى من منطقة القتال ، أو فى قيادة استراتيجية بعيدة كل البعد عن الناس الذين توجه اليهم مجهودات الحرب النفسية ، فان هذا الشخص سوف يحتاج الى بيانات عن الجماهير التى توجه اليها الحرب النفسية . ويطلق على عملية جمع المعلومات ، وتحليلها ونشرها الى أشخاص من الممكن أن يستخدموها - اصطلاح « تحليل الهدف » .

« وتحليل الهدف » يعنى الفحص الدقيق ، أو التقييم لكل البيانات المطابقة المتوافرة التى تتعلق بالجماعات أهداف الحرب النفسية ، ويدخل فيه الظروف العسكرية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية التى قد تؤثر على الاستعدادات النفسية ، والايديولوجية ، السابقة لهذه الجماعات .

والفرض من وراء جمع هذه البيانات وتقييمها هو التأكد من نواحي ضعف نفسية يمكن توجيه هجوم نفسى عليها بوسائل ملائمة . وإذا كان العامل فى ميدان الحرب النفسية مسئولاً فقط، عن جمع المعلومات وتقديرها لاستخدامها فى مناطق اهتمام ضيقة كجبهة قتال ، فإن البنود الرئيسية للاهتمام سوف تتضمن ما يأتى :

١ - سلوك القوات والضباط فى معسكر الاعداء ازاء الصراع القائم ، ودرجة اشتراكهم الشخصى فيه ، والظروف التى يجبرون فى ظلها أن يخوضوا المعارك .

٢ - سلوك الضباط والرجال تجاه حكومتهم القومية ، وقادتهم وأى جماعات أو دول متحالفة معهم فى الكفاح المشترك .

٣ - معلومات مفصلة لتاريخ حياة الأشخاص ويشمل ذلك قادة العدو فى الميدان ، وكذا الضباط الموجودين من القوات الصديقة عبر خط القتال مباشرة .

أما فى عمليات الدعاية الاستراتيجية ذات المستويات العالية فإن احتياجات المعلومات تتطلب سمة فنية من أولئك الذين يعدونها أو يستخدمونها ، وهذه البيانات اللازمة لأغراض التخطيط تضم :

١ - بيانات خاصة بهجوم أو « تكوين » جماعة معينة تكون هدف الحرب النفسية ، وكذا معلومات عن أيديولوجيتها واستعداداتها وميولها السابقة نحو ذلك .

٢ - بيانات تدل على الأشخاص والقوى التى تؤثر فى الجماعة ، وأسباب هذا التأثير وقدره فى المنطقة الهدف ، ومن هم الأشخاص الذين يجب مخاطبتهم فى اتصالات الحرب النفسية .

## تحليل الهدف :

وبالرغم من أن التجارب السابقة أثبتت أهمية الحاجة الى تحليل الهدف، فإن الإجابة عن احتياجات هذا التحليل التي تتطلب معلومات لا حد لها ليست بالشيء السهل الذي يمكن تنفيذه بطريقة مرضية دائما .

ولقد طور محللو العلم الاجتماعى منذ الحرب العالمية الثانية تكتيكات وطرقا لتحليل الهدف ، وقد نتوقع تطورا وتحسينا أكثر من ذلك فى المستقبل .

على أنه فى هذا التطوير يجب أن تقوم التحليلات على فهم للعلاقات القائمة بين الأنظمة السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية للمنطقة ، وطرق الاتصالات بين الاشخاص كأفراد ، وبين الجماعات كمجموعة ، وبين القوى المحركة المحتملة التي تؤدي الى تغيرات فى الاتجاهات والسلوك من جانب الافراد والجماعات .

وفى المرحلة الحالية لتطور العلوم الاجتماعية ، يكون من السداجة أن نصر على طريقة معالجة واحدة أو اسلوب واحد فى تحليل الهدف . فكل جماعة « هدف » للحرب النفسية تتطلب اعتبارات خاصة ، وهذا يتطلب تعديلات فى الاسلوب أو المنهاج .

وعلى سبيل المثال جاءت البيانات اللازمة عن العدو لتحليل الهدف فى أثناء الحرب العالمية الثانية من مصادر ثلاثة :

♦ تقارير استجواب أسرى الحرب .

♦ الوثائق التي ضبظت ، والبريد الذى وقع فى أيدي الجانب الآخر ، ومطبوعات العدو الدورية التي احتفظ بها فى البلاد « المحايدة » .

♦ تقارير اذاعات العدو .

وعند مناقشة المصادر التي نحصل بها على بيانات رئيسية من أجل تحليل الهدف ، جدير بنا أن نذكر مصدرين آخرين هما : استفتاءات الرأي العام ، والدراسات الاساسية التفصيلية التي تجرى على منطقة أو دولة •

على أننا نرجو قبل أن ننتقل الى شرح التكنيك الحرفي لتحليل الهدف أن نشير الى أثر التحليل السليم أو الخاطئ على التخطيط •

ففي دراسة جويل بريمان حرب الدعاية اليابانية الموجهة للولايات المتحدة صورة صحيحة توضح الاثر البالغ لتحليل الهدف حينما يكون تحليلا خاطئا ، أو غير تام ، أو قديما جدا •

لقد حلل بريمان محتويات عدد من الاذاعات اليابانية على الموجة القصيرة الموجهة للولايات المتحدة في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعن طريق مثل هذه التحليلات استطاع بريمان أن يبنى من جديد تقدير معلومات الدعاية اليابانية للظروف التي كانت سائدة في الولايات المتحدة خلال الحرب • وظهر من هذه الدراسة أن مخطط الدعاية الياباني لم تكن لديه صورة دقيقة عن الاحداث والقوى المحركة في أمريكا ، ولذلك فإن معظم مجهودات الاذاعة اليابانية لم تصب الهدف المحدد •

وخلال الحرب العالمية الثانية أعد طبيب نفسى بريطاني دكتور هـ ف ديكس عددا من التقارير المفيدة جدا تقسم الحرب النفسية الانجليزية الامريكية في القيادة العليا للحلفاء • ولقد استطاع دكتور ديكس بفضل معرفته وفهمه للغة الالمانية والشعب الالمانى والثقافة الالمانية ، أن يدخل معتقلات أسرى الحرب متنكرا فى زى فاعل خير ، وأن يستجوب الجنود النازيين الأسرى من غير أن يعرفوا شخصيته الحقيقية ، أو أغراضه من دخول السياج الحصين ، وتكن من أن يستطلع بفراسته اتجاهات جديدة فى كيانهم النفسى ، وأن يعرف العوامل الرئيسية التى دفعتهم لهذا السلوك •

واستطاع أطباء نفسيون ، وعلماء نفس ، واخصائون في علم الأجناس أن يطوروا وينقحوا في نصوص أخرى الطرق التي استخدمها دكتور ديكس وزملاؤه في وقت الحرب - من تحليل الخلق الألماني • وتضمنت الطرق اجراء عدد من المحادثات غير الرسمية، والمقابلات الشخصية الممتدة مع مساجين من رتب مختلفة. ودرست الوثائق المضبوطة المناسبة ، وأجريت محادثات استطلاعية مع رؤساء قسم المخبرات والقائمين على الاستجواب بغرض تفهم أنماط الخلق النازي • وكانت نتيجة الاساليب المختلفة بحثا تركيبيا جديدا لبيانات المعلومات الموجودة التي تؤدي الى تشخيص جديد للجندى الألماني ، وهو الهدف الاول لمجهودات الحرب النفسية الانجليزية - الامريكية المشتركة •

## الأنباء كمعلومات :

ان رجل الدعاية الذي لا يستطيع أن يوصل الى العدو تلك الانواع من المعلومات التي تستهدف تمزيق وحدته ، والتي تجعل تقديراته وتوقعاته مرتبطة بهذه المعلومات ، لا يكون قد أدى مهمته على أكمل وجه • ورجل الدعاية لا يستطيع أن يفعل هذا بواسطة اسطوانات الموسيقى ، أو المحاضرات الثقافية أو السياحية بغض النظر عن مدى جمال الموسيقى أو طرافة المحاضرات • انه يجب أن يتحول بكل جهده الى أول سلاح للدعاية ونعني « سلاح الانباء » •

ورجل الدعاية المحترف ليس بصحفي حتى ولو كان أصل صناعته الصحافة، فهو يتحدث باسم جيش أو باسم حكومة ، كما أن كل ما يتلفظ به له مسئوليته الرسمية • وهو يجب أن يكون دقيقا في توقيت دعايته ، أى تصدر في موعد محدد مهما كانت وسيلة الاعلام المستخدمة ، وهذا شبه ما يحدث في صحافة أيام السلم التي لا تتأخر عن الصدور في موعدها المحدد ، ولكنه في نفس الوقت يجب أن يكون حريصا حرص مندوب صحفى حكومى • وهو في الواقع تتجاذبه مسئوليتان : مسئولية نحو عمله في الدعاية وذلك يتطلب منه الحصول على معلومات طريفة يبعث بها عن طريق الاذاعة ، أو عن طريق النشرات الى العدو بسرعة ،



ومسؤولية تجاه السياسات الرسمية لحكومته • وهذا يلزمه بالألا ينشر أو يذيع شيئاً غير مؤكد أو يكون ضاراً بوطنه أو حكومته •

ومصادر الأنباء كثيرة متعددة ، فمثلا تحتوى التقارير عن العمليات الواردة من الميدان على مواد فى غاية الطرافة والاهمية للعدو ، ولكن هناك أسبابا واضحة تحول دون وصول مثل هذه المعلومات لرجال الدعاية لانهم يفكرون أولا فى المستمع ، ثم يفكرون بعد ذلك فى موضوع الأمن • وهنا يلعب التعارض بين الأمن والدعاية دورا كبيرا فى حجب الكثير من المعلومات الطريفة والهامة عن رجل الدعاية •

وفى البلاد المتقدمة تقوم الهيئات العاملة فى الصحافة والاذاعة بالاعمال المألوفة فى الأنباء ، والعادة أنها تقوم بعملها أفضل مما يقوم به موظف هاو فى خدمة الحكومة •

والواقع أن طبيعة الأنباء لا تتأثر بالتصنيف الذى يحدد درجة سريتها ، والفرق بين الأنباء التى تصدرها الهيئات الحكومية وتلك التى تصدرها الهيئات التى تعمل فى ميدان الأنباء خارج الحكومة هو أن الأخير أفضل من ناحية الطابع المهنى أى طابع الحرفة •

أما من ناحية اجتذاب الانتباه فانه يجب أن تنافس المعلومات التى تستخدم فى عمل الدعاية ما ينشر بالصحف الكبيرة فى بلاد العدو ، اذ يجب أن تكون حديثة جيدة الاعداد موثوقا بها ، فليس من محل فى الدعاية للكذب أو الهزل أو السخرية بأكثر مما قد يكون فى صحيفة من الدرجة الاولى ، وحتى اذا ظهرت مبالغات أو توافه فى الصحف التجارية فان رجل الدعاية يجب أن يعتبر نفسه أركان حرب للعمليات ، وظيفته أن يرسل للعدو الأنباء ذات الفاعلية التى لها تأثير سميء عليه ، ولكنها يجب أن تشير الى كل موضوع هام يستحق الذكر ، وأن يكون هذا فى شكل مستمسح مقبول •

ولكن هناك مسألة تستحق الذكر هنا ، وهى أن فى العقل البشرى ناحية خداعة قد تعاون كل رجال الدعاية على ارسال الانباء التى يجب أن يكون لها تأثير سيىء . اذ يكمن فى داخلية أغلب الناس جزء من الميل نحو اللامسؤولية ، وهذا يجعل الانباء السيئة لهم أكثر طرافة من الانباء الجيدة، فهم يتوقفون للانباء السيئة، ويميلون الى نشرها وتناقلها ، وهى تزيد من حدة التوتر فى الفرد منهم وتزيد اهتمامه بالاشياء ، على حين ترفع الانباء الجيدة عن كاهل الفرد التوتر والقلق .

ويستطيع رجل الدعاية أن يحصل على الانباء من مختلف المصادر باشتراكه فى كل الاجهزة التى تشتغل بالانباء ، مثل الصحف ، شركات الانباء ، أجهزة التيكس « الانباء بالبرق » وغير ذلك ، أما فى الميدان فان ضابط الدعاية يستطيع أن يسترق الأنباء عن طريق التقاط اذاعات الأنباء من وطنه ، أو من دول اصدقاء .

### توافر المعلومات مع الموقف :

وتحتاج بعض مواد الدعاية البيضاء وكل مواد الدعاية السوداء ، الى أن تكتب بحيث تتواءم مع ما يطالبه العدو ، أو يستمتع اليه ، أو يتحدث عنه فى وطنه . واستخدام لغة عامية قديمة مهجورة ، أو فكاهة قديمة مبتذلة ، أو إشارة الى رجل عظيم باعتباره حيا مع كونه مات منذ سنوات طوال ، ونقص تفهم الاحوال والظروف وألوان القلق التى يعيش فى ضوئها المستمعين . . كل هذا يفسد برنامج الاذاعة . ومن ثم فان رجل الدعاية الاذاعية يجب أن يعيش فى العصر والظروف التى يعيش فيها المستمعون لاذاعاته .

ولما كان غير معقول أن يتحرك رجل الدعاية بحرية بين وطن العدو ، وبين محطة الاذاعة التى يعمل فيها كان من الضرورى أن يكون على صلة بسير الأمور فى بلاد العدو حتى أقرب دقيقة ، والا فانه يفقد فاعليته ، ويصبح متحدثا عن أشياء قديمة لا تأثير لها على الموقف الذى يحاول التأثير فيه .

على أنه ليس من الصعب أن يكون رجل الدعاية دائم الصلة ببلاد العدو وذلك عن طريق أحدث المطبوعات التى يصدرها العدو ، أو عن طريق استجابات الاسرى أو المدنيين الأعداء ، أو عن طريق تحليل اذاعات العدو لمواطنيه •

وعلى سبيل المثال أخطأ النازيون بافتراضهم أن دعاة العزلة فى الولايات المتحدة استمروا على حالهم بعد عملية « بيرل هاربر » • وقد يكون الالمان على صواب فى افتراضهم بوجود كثير من الناس يبدون مشاعر معادية لروزفلت ، كما كان هناك الكثيرون ممن لا يريدون تدخل الولايات المتحدة دوليا • ولكن الالمان أخطأوا فى استخدام لغة منتصف عام ١٩٤١ فى منتصف عام ١٩٤٢ لأنه حدث تغير جوهري فى الشعب الأمريكى بعد بيرل هاربر وتعرف الى آراء جديدة ومعتقدات أخرى ، ولذا فقد بدا الالمان فى أعين الناس جهلة لا يعرفون مجريات الأمور ، ولم يكسبوا أنصارا لدعايتهم •

لقد كان ينقصهم عنصر الملاءمة ، وكان فى قدرتهم أن يتغلبوا على ذلك بشراء أحدث المطبوعات الأمريكية من لشبونة والقيام بدراساتها للتعرف على سير الامور بين الشعب الأمريكى •

## التعرف على خطط العدو ومواقفه :

للدعاية طبعها الذى لا معدى عنه ، والذى يظهر تدريجيا واضحا تماما للقائم بتحليل الدعاية ، فاذا كان حريصا أريبا يعنى بدقة الحكم فى تقدير قيمة المهام الخاصة ، فسيجد أن ملفاته تزخر بأهداف مباشرة ، وأهداف طويلة المدى للعدو • ويصبح هذا مستطاعا فقط حينما يكون ثمة مادة كافية هى حصيلة انتاج فترة زمنية مناسبة • وهذه المادة تعطى بيانا كاملا عن الاغراض المحتملة لدعاية العدو للمدة التى تغطيها المادة المتوافرة للقائم بالتحليل •

على أنه يمكن ملاحظة هدف الدعاية وقصدها بالصورة التى يمكن بها ملاحظة العمل والاجراء الذى يقوم به العدو ، كما أنه من الممكن عن طريق الدعاية التى

يطلقها العدو أن نتوقع وننتظر الاجراء الذى سيقوم به ، دون حساب للمدى الزمنى الذى يمكن أن يتم الاجراء فيه . واذا ما تقرر الاجراء ، فانه يمكن تعقب العلاقة بين موضوعات الدعاية الاخرى ، وبين هذا الاجراء .

والواقع أن أى اجراء فى الحرب يستهدف الاضرار بالعدو من ضربات توجه ضد انتاجه الى اثاره للفرع بين مواطنيه ، ومن ايجاد مشاعر عدم ثقة بين قراء صحفه والمستمعين لاداعته الى خلق تفكك لوحدة الزعامة السياسية فى بلده مما يوجد توقفا فى الحركة العامة فى البلاد . . وهكذا ، أما الاجراء فى وقت السلم أو فى الفترة السابقة للعمليات ، فانه يستهدف القضاء على طاقة استمرار الحرب أى أنه يوجه ضد الحرب نفسها .

### تقدير موقف دعاية العدو :

وبالإضافة الى عرض صورة أهداف العدو وتقدير الوسائل السيكولوجية التى تعتبر مفيدة لتحقيق هذه الأهداف ، فان لتحليل الدعاية فائدته فى عرض موقف دعاية العدو ، فالعدو يتجنب بعض الموضوعات المعينة لانه يجد لزاما عليه أن يفعل هذا ، ثم هو يتحدث عن موضوعات أخرى لان الظروف ترغمه على أن يفعل هذا .

فمثلا ، لو حدث أن توقف الالمان فى أثناء الحرب العالمية الثانية عن ترديد الدعاية ضد ما يستهلكه اليهود فى ألمانيا من مواد غذائية أولى بها أفراد الشعب الالمانى المحارب ، لكان معنى هذا أنه اما أن يكون الشعب الالمانى قد شبع من الدعاية ضد السامية ، واما كراهى تبادلى ، ان السلطات النازية ألغت بطاقات التموين لليهود وتركتهم يتضورون جوعا . ولو اتبع الالمان هذا بتصريح عن سوء محصول الشعير لكان من الممكن أن يعنى هذا أنهم يعدون الناحية الانسانية والمشاعر العاطفية فى مستمعهم لتقبل التصريح بتضور اليهود جوعا .



ولا يماثل المخلوق البشرى فى الخلق والذكاء الا مخلوق بشرى آخر ، وما يحاول رجل ما أن يحققه عن طريق الخداع والتضليل يستطيع رجل آخر أن يتصوره ويتخيله . كما أن مواد الدعاية تمتلئ بالمعلومات عن العدو ، وعن رأيه فى نفسه ، وعن رأيه فىك ، وحالته الفكرية ، وتوزيعه لقواته ، وتنظيمه للمعركة ، ونظامه الاقتصادى وكل ما عدا هذا .

ولقد أبقت الحكومة اليابانية الولايات المتحدة طوال الحرب الاخيرة على دراية تامة بالاحوال التى تسودها ، اذ كانت تذيع لها بالانجليزية التغييرات التى تحدث فى الوزراء وكبار الموظفين فى الحكومة مما أعطى الولايات المتحدة فكرة جيدة عن الموقف السياسى دائما . ويبدو أن مجلس المعلومات الامبراطورى Joho Kyoku قد افترض أنه لا فائدة من اخفاء هذه التغييرات لفترة طويلة، ووازن بين اتجاهين ورأى أن مثل هذه المعلومات ستجعل رجال الصحافة الامريكيين والموظفين والضباط الامريكيين وغيرهم يطالعون وينصتون لمواد الدعاية للحصول على الحقائق .

وبالاضافة الى ذلك فان الامداد المباشر بالانباء غير الممتزجة بغيرها وبالمعلومات المستنبطة من دعاية العدو فى وقت الحرب أو فى أوقات الازمات ، يقدم دليلا ومرشدا يوضح استراتيجية العدو .

فى عام ١٩٤١ / ١٩٤٢ بدأت الاذاعة اليابانية فى اذاعتها باللغة اليابانية، وباللغات الاجنبية تبرز اهتماما بجزر كريسماس على أنها ذات أهمية من ناحية الاستراتيجية البحرية ، وقد تبع هذا أن احتلت القوات المسلحة اليابانية تلك الجزيرة ، ولقد سر اليابانيون عندما عرفوا من اذاعتهم أنه قد تم الاستيلاء على هذا الموقع الاستراتيجى الهام . والواقع أن جزيرة كريسماس لم تكن بالاهمية التى صورتها لها الاذاعة اليابانية ، ولكن الشئ الهام هو أن الاذاعة اليابانية قد تحدثت عنها سابقة للزمن ، فأعطت للحلفاء بذلك انذارا مبكرا باعتزام اليابان احتلالها .



الصواريخ ف - ١ على الساحل الفرنسى بالقنابل صممت الاذاعة الألمانية عن هذه الأحاديث ، ومن ثم توافرت للانجليز فرصة للتأكد من أن هذه الروافع التى حطموها كانت جزءا من الأسلحة السرية التى تفاخر الألمان بالحديث عنها .

وسرعان ما عرف الانجليز أن الالمان قد يحاولون العمل ضد التأثير السيكولوجى لاعلان الحلفاء عن « يوم الغزو » D - Day لقلعة هتلر الاوروبية باذاعة أنباء براقية من جانبهم ، وعندما عاد الالمان الى ذكر الأسلحة السرية شك الانجليز فى أن الالمان قد أصلحوا التلف الذى سببوه لآلات اطلاق الصواريخ .

وجاء يوم الغزو وفى اذاعة واحدة أراد الألمان أن يؤثروا فى اليابانيين والصينيين ، فأعلنوا أن عمليات الأسلحة السرية تكاد تبدأ ، وأن الكثير من الأسلحة السرية ستستخدم الواحد تلو الآخر . وبعد يوم واحد أصاب أول صاروخ ف - ١ مدينة لندن .

ولكى يمكن تعقب هذا اللون من الدعاية يحسن اعداد لوحة لرسم بياني لفترة مدتها ثلاثة شهور ، وتختار بعض الموضوعات البارزة . وعلى مثال ما يجرى فى الرسوم البيانية يكون لكل موضوع لون خاص فى اللوحة ، وترسم الخطوط على اللوحة لبيان عدد المرات التى يذكر فيها كل من هذه الموضوعات فى اذاعات العدو ، وتكفى اذ ذاك نظرة الى اللوحة لبيان سير اهتمام العدو بكل من هذه الموضوعات فى مدة زمنية محددة ضمن المدة التى يغطيها الرسم البياني .

ومن الممكن أن يشتمل هذا الرسم البياني على عدد الكلمات التى يعرض بها العدو لكل من هذه الموضوعات الرئيسية ، وكذلك المساحة التى يخصصها فى صحفه لكل منها .

وقد أعد بول لاينبارجر لوحة تقدم سير دعاية الالمان عن ثلاثة موضوعات رئيسية هى « الغذاء » و « الحرب البحرية » و « الأسلحة السرية » فى المدة من أول يناير سنة ١٩٤٤ حتى الثلاثين من يونيو من نفس السنة ، وقسم المدة



الزمنية الى فترات كل منها عشرة ايام ، ودلت اللوحة على أن الألمان استهروا يتحدثون عن الامداد بالغذاء وعن الحرب البحرية حتى منتصف شهر مارس على أساس افتراضهم أن سفنهم ستجىء بمزيد من الغذاء . وفى مايو عندما اعترف الألمان أنفسهم بالموقف البحرى السيمى أسقطت الحرب البحرية من حسابهم ولم يذكر عنها شىء قط ، واستمر الامداد بالغذاء يذكر باعتدال نظرا لأنهم راحوا يتحدثون عن صعاب أخرى ، ولكن الألمان عندما شعروا بالحاجة الى شىء جديد يشعل الحماس ، ويشجع المستمعين فى الجبهة الداخلية - بدأوا يتحدثون عن الأسلحة السرية .

وسواء أكانت هناك أسلحة سرية أم لم تكن ، فإن الامر كان يتوقف على مظهر السلوك القومى ، ولقد زعم كل من الألمان واليابانيين أن لديهم الكثير من الأسلحة السرية التى يملكونها - وألتى سوف تهز العالم ، وأطلقوا فعلا بعض الأسلحة السرية ، أما اليابانيون فلم يكشفوا عن شىء حتى انتهت الحرب .

على أنه اذا أعدت مثل هذه اللوحات الاحصائية عن دعايتنا ، وقورنت باللوحات الخاصة بدعاية العدو ، فانها تبين كيف استطعنا أن نرغم العدو على أن يتحدث عن شىء لم يكن يود أن يخوض فيه .

ويمكن اعداد مثل هذا الفحص الاحصائى بطريقة فعالة اذا احتفظ للعدو بسجلات تقييد بها دعايته ، واتجاهاته ، والموضوعات التى تعرض لها ، مع اعداد ملف لكل من الموضوعات الهامة ، ومع تقييد الوقت الذى يخصص للحديث عن كل من هذه الموضوعات ، والمساحات التى يغطيها فى مواد الدعاية المطبوعة وذلك بالنسبة للفترة الزمنية موضع الفحص .

ولهذه المادة الاحصائية نفعها فى تحليل الدعاية ، ولا يمكن تجاهل قيمتها بالنسبة للحرب النفسية . فمن جهة تنخل المعلومات العادية عن الدعاية ، ومن جهة أخرى تجمع المعلومات ذات القيمة لرجال المخابرات لاستخدامها بدورهم ، ثم الى جانب هذا تعد التحليلات اللازمة لاغراض الحرب النفسية .



وسؤال « ماذا تظن أنك تظن ؟ » يبدو سخيفا ، ولكي يكون هذا السؤال مفيدا يجب أن يتجه الى التخصيص ، كأن تقول : « ماذا تظن في سعر معطف جديد ؟ » و « ماذا تظن فيما تتناول من أجرة ، وهل هو كاف ؟ » .

ان ما يفكر فيه شخص ما « رأيه » له صلة عملية بما يقوم به ، وفي الحياة العملية يكون لرأى الشخص تأثيرا لانه جزء من رأى الجماعة .

ويقول لاينبارجر « ان بعض الجماعات تتكون بسبب اشتراكها فى رأى واحد دون أى عامل مشترك آخر ، ففي الاجتماع الدينى تجد مدير البنك يجلس الى جانب المرأة التى تحمل له الفحج الذى يستخدم فى مدفاته . ان أغلب الجماعات تتكون بحيث تضم أناسا من نوع واحد ( زنوج مثلا ) ، أو تضم أناسا يعملون فى مهنة واحدة ، كما تتكون بعض الجماعات على أساس ما يملكه أعضاؤها ( ملاك أراضى ، أصحاب عمارات ) ، والمجتمع العمل يجعل الجماعة ذات رأى واحد نظرا لابرازه المشكلات التى يظن أنهم جميعا يواجهونها ولها تأثير على مصلحتهم المشتركة ، وهذه الجماعات ليست ( جماعات رأى ) فحسب بل هى ( جماعات مصالح ) ، وهذه الجماعات ذات الطابع الجماعى والتى تجمع بينها حرفة واحدة أو مصلحة مشتركة هى التى تحاول الدعاية انارتها وتحريكها ضد بعضها بعض مع العمل لادراك هذا الهدف بكل وسيلة مستطاعة .

ولا ينبغى أن يعتقد رجل الدعاية أنه نظرا لوجود جماعات مختلفة فى المجتمع يكون هذا مصدرا للضعف أو سببا للانقسام ، فلا يقف العمال دائما موقف التضاد من المؤسسات التى يعملون بها ، ولا يقف كبار السن دائما ضد الشباب ، ولا النساء ضد الرجال ، ولا بحارة السفن ضد رجال السكك الحديدية . وفى المجتمع الجيد التوجيه يكون للجماعات مصالحها الخاصة الى مدى محدود ولأغراض معينة ، ورجال السكك الحديدية ليسوا دائما أعداء لسيارات نقل الركاب ولا لشركات الطيران ، ولكنهم أحيانا يفقدون عقولهم ويظهرون استياءهم ضد شركات التأمين عندما يختلفون مع هذه الشركات على تقديراتها للتعويضات » .

ورجل الدعاية الضعيف هو الذى يحاول التدخل فى كل خلاف بين الجماعات ، بل يحاول التدخل مع عدم وجود أى خلاف ، ولكن الدعاية الحكيمة هى التى تتخير « الموضوعات الجماعية » المستحكمة بالقدر الذى يجعلها لا تستطیع معه العزوف عن تقبل معاونة صغيرة من الخارج .

فاذا ما كانت هذه المعاونة من الخارج مثلها مثل « قبلة الموت » للجماعة التى تتقبل المعاونة ، كان من الواضح هنا أن الدعاية المستخدمة هى « الدعاية السوداء » لا « الدعاية البيضاء » ، وعلى أية حال فإن الاستخدام الحكيم المعقول للمعلومات هو العامل الأول فى محاولة « المعالجة السيكولوجية » لجماعة العدو .

## الاستفتاء :

يمكن أن يقدم تحليل الرأى منظرا جانبيا للرأى العام للعدو ، وللحصول على هذا المنظر الجانبي أبدأ العمل على نحو ما تعمل عند تجميع سلخات الخرائط التى تلتقطها آلات التصوير الجوى . قسم كل بلاد العدو الى جماعات أساسية حسب النسبة المئوية لمجموعات السكان ، نخير هذه الجماعات التى يهتمك التحدث اليها ، ولو توافر لك عدد من الانصار الموالين أرسلهم الى بلاد العدو ليسألوا مواطني العدو سؤالاً واحداً معيناً تضعه لهم ، على أن يوضع محل الاعتبار التمثيل النسبي للجماعات المختلفة داخل أرض الهدف ، وكذا توزيع السكان بين الحضر والريف ، والقوى السياسية التى لها تأثير على شعب الاعداء .

ولا ينبغي أن يوجه السؤال للجميع بشكل واحد ، ولكنه يجب أن يتضمن كل التفاصيل ، وتستطيع أن تستكمل نتائج الاستفتاء عندما يعود مندوبوك ، فاذا لم يكن لديك هؤلاء المندوبون تستطيع أن تحصل على هذه النسبة من كتب المراجع . وحاول أن تقدر عدد الجماعات التى تشعر بمرارة بالنسبة لموضوع خاص ، ومن ثم تتوافر لك القاعدة التى تبدأ منها عملك .

## الاستجواب :

وعندما تقوم بعملية استجواب الاسرى فان الطريقة المثالية أن تعمل للحصول منهم على معلومات معنوية الى جانب المعلومات العسكرية ، فلا ينبغي أن تستهدف الاسئلة مثلا معرفة الى أى مدى يعتقد الاسير في وجود الله ، أو ما رآه في زعمائه وفي بلاده ، بل يجب أن تسأله عن الأشياء التي يهتم بها الاسير نفسه :

♦ أسأله عما اذا كانت زوجته قد كتبت له عن أن لدى أطفاله الفئاة والغذاء الكافي .

♦ أسأله عن خدمة البريد .

♦ أسأله أيشعر بفارق من احتمال أن يشغل أحد عمله السابق الذي كان يقوم به .

♦ أسأله عن الغذاء .

♦ أسأله هل يعانيه ضباط الصنف مماثلة حسنة .

♦ أسأله كم يدخل من مرتبه .

♦ أسأله هل يظن أن بعض الناس في أرض الوطن يكسبون الكثير من المال .

وتذكر أن بعض الافراد عندما يجندون يقال لهم اهتمامهم بمشكلات صناعاتهم قبل التجنيد ، فالنجار مثلا قد يصبح « عريفا » في الاشاة من طراز ممتاز ولكنه لا يزال نجارا في تفكيره ويهتم بمشكلات التجارين ، مثل هؤلاء الافراد نستطيع أن نسألهم عن مشكلات الصناعات والاهرة وأعضاء النقابات في الوطن .

على أنه من جهة أخرى يمكن أن تطبق التنظيمات والاساليب التي تستخدم في استفتاءات المدنيين وتحليل الدعاية على الموقف في الميدان .

ويؤكد بول لينبارجر نجاح ذلك بقوله :

« ٠٠٠ وتستطيع أن ترسم لوحات بيانية لهذا ، وعلى سبيل المثال لو حدث عند استجوابك لعدد ٦٩٩ أسيرا كان منهم ١٦٧ من أعضاء اتحادات العمال في الحياة المدنية . ووجدت أنه قد ذكر طوعية واختيارا في أثناء الاستجواب ٣٣٤ مرة شكوى من سياسة الحكومة تجاه اتحادات العمال فان هذه النتائج العددية تكون مرشدا لك ، ولو حدث أى تغيير فيها فى مناسبة أخرى بارتفاع أو انخفاض لكان هذا موجها لك ومرشدا لتوجيه سياستك الدعائية ، ولاحظ أن هذا العمل هو على أساس كمي Quantative أى على أساس العدد ولكنك تستطيع أن تعمل سجيلا على أساس نوعي Qualitative ، لما يثار من عوامل عدم الرضا فى أقسام رئيسية مثل نظام التموين بالاحذية والرعاية الطبية ومدى احترام الرؤساء الحكوميين . الخ . ويجب أن يستجوب كل أسير حرب ، وكل مدني معتقل فى هذه الموضوعات الرئيسية التى تتخيرها ، ثم ضعه تبعا لرأيك فى إجابته ضمن مجموعة ما ، وتستطيع فى النهاية أن تخرج بنسبة مئوية لوجهات النظر بالنسبة لكل من هذه الموضوعات ، وبذلك تستطيع أن تقدر نسبة مئوية لعوامل عدم الرضا داخل كل مجموعة قسمت إليها مجتمع العدو .

« على أنه يجب ملاحظة أن هذه الأرقام قد تكون مؤثرة من الناحية الشكلية فى الوثائق ، ولكن ليس لها من الناحية العملية الدور الذى للنسبة المئوية التى تجيء من دراسة كل موضوع على حدة ، وعند دراسته فى طابع متخصص من ناحية الموضوعات أو الجماعات .

« فإذا شعرت أنك تقوم بعرض لا فائدة منه ، خذ متوسطات النتائج التى وصلت إليها واجمع هذه المتوسطات كلها معا فيما يطلق عليه ( جملة متوسطات معنويات العدو ) ، ولكن لاحظ أنك لا تستطيع أن تفعل شيئا ( بهذه ) المتوسطات ولا عن ( هذه ) المتوسطات وكل ما تستطيع أن تنتفع به هو أن تقيدتها فى اللوحة المعلقة فى المكتب الخارجى التى تتغير من شهر الى آخر حيث يمكن أن يشعر الزوار بسرور لان يطلعوا على سر عسكري عن العدو . ولو حدث أن رأى هذه اللوحة

عميل للعدو، ثم بعث بأرقام المتوسطات الى العدو، فثق أن خبراء العدو سيفقدون عقولهم وهم يحاولون معرفة الوسيلة التي استطعت الوصول بها الى هذه الارقام وماذا يمكن أن تعنيه منها » .

## حالة التخصص :

وفي النهاية فإن مخبرات الدعاية الجيدة تمكن من الحصول على :

- ♦ الأنباء .
- ♦ معلومات عسكرية يمكن أن تداع وأن تنشر على أنها أنباء .
- ♦ معلومات عسكرية لا يمكن أن تداع أو أن تنشر كأنباء ، ولكن الالام بها يمكن أن يمنع رجل الدعاية من ارتكاب أخطاء أو سوء تقدير في سرد الأنباء .
- ♦ أنباء عن العدو .
- ♦ ألوان عدم الرضا عن سلطات العدو .
- ♦ التعرف على الشخصيات التي لا شعبية لها والتي لها شعبية في صفوف العدو .
- ♦ كل المعلومات الاخرى التي تمكن من يعمل في الحرب النفسية من العمل بقوة وبمودة الى جانب أى مجموعة معينة من العدو ضد أى جماعات أخرى للعدو .

## تحليل الدعاية

تحتاج دراسة الرأى العام الى تحليل الدعاية تحليلًا كاملاً ، ولكن مما يؤسف له أنه لم يتم بحث عملية تحليل الدعاية على نطاق واسع بسبب الكبر أو الغطرسة. وكما سبق أن ذكرنا في الفصل السابق يختص تحليل الرأى بما يفكر فيه الناس ، أما تحليل الدعاية فيعنى ما يحاول أحد الناس أن يجعلهم يفكرون ، وكل من هذين اللونين من ألوان التحليل يعتبر من أهم العوامل اللازمة في ميدان البحث الاجتماعى .

ان العالم الحديث – كما يبدو – لا يتسم بالهدوء ولن يصل الى هذه الحالة بعد وقت طويل جداً ، ولا يبدو محتملاً أن يتقدم تحليل أعمال الدعاية أبعد مما حدث فى الماضى . ولذلك جدير بنا قبل أن ندخل فى التفاصيل الحرفية أن نعرض لآراء بعض ذوى الخبرة فى الفترة ما بين نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية الحرب العالمية الثانية ، وهى الفترة التى ننظر إليها الآن على أنها كانت فترة هدوء نسبى .

لقد قال « ادوارد ل. بيرنيس Edward L. Bernays » (١) فى عشرينات هذا القرن ان الدعاية لا يمكن أن تموت . ويجب أن يدرك العقلاء أن الدعاية

---

(١) Bernays, Edward L., Altitude Polls Servants or Masters, Public Opinion Quarterly, Vol 9, 1945.



هى السلاح الحديث الذى يمكنهم من تحقيق الأهداف الانتاجية واحلال النظام محل الفوضى . ويقول بيرنيس « ان ماكان يعيب التربية والعمل الاجتماعى هو أنه لم تقدم لهما الدعاية الكافية » .

وعلى نقيض من بيرنيس يقف نورمان أنجل<sup>(١)</sup> فى كتابه « العقل العام Public Mind » الذى يمكن تلخيصه بأنه اعترض على الدعاية لأنها مبنية على الخوف من المخبرات ولأن فيها قلبا للحقائق . ولم يكن أنجل موفقا لأن السنوات العشرينية كانت تتم فيها صفقات بيع كبيرة استلزمت الدعاية بأشكالها المختلفة .

أما فى الثلاثينات فقد عادت فكرة تقييم الدعاية الى الظهور . فكتب فردريك لاملي Frederick Lumley<sup>(٢)</sup> كتابا مدرسيا بعنوان « تهديد الدعاية » ساعد على جعل الدعاية حقلا للدراسة فى مجال العلوم الاجتماعية. وأعقب ذلك ظهور كتاب « الدعاية : نفسياتها وأسلوبها » تأليف ليونارد دوب Leonard Doob<sup>(٣)</sup> وقد كتب يقول « ان الدعاية ضرورية ما دام العلم لم يقدم لنا حلول المشكلات التى تواجهنا . ولكن أى نوع من الدعاية يجب علينا أن نقبله وأيها يجب أن نرفضه ؟ ان أسباب طرح هذا السؤال واضحة ، ولكن أين الجواب ؟ ليس هناك جواب » . وأعقب الكتاب الاخير سلسلة من المقالات مثل « الدعاية والدكتاتورية » لهارولد لورنس تشيلدز Harword Laurence Childs وقد كتب يقول ان الدعاية فى الدكتاتوريات والديموقراطيات كانت وما زالت شيئا لا بد منه للسيطرة والاشراف الاجتماعى .

على أنه فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ازدادت المؤلفات عن تحليل الدعاية بشكل واسع وبدرجة تدلنا على اهتمام الدول المتزايدة بهذا الموضوع .

(١) Angell, Norman. The Public Mind, New York, The Macmillan Co, 1927.

(٢) Lumely, Fredrick E. The Propaganda Menace, New York, Appelton Century, 1933.

(٣) Doob Leonard W., Propaganda and Its Psychology and Technique, Henry Holt and Co., New York, 1950.

ان قوائم الكتب العديدة عن الدعاية والرأى العام التى تنشر فى أنحاء العالم ويعاد طبعا منقحة بين حين وآخر ليست الا احد ظواهر الاهتمام للوصول بنتائج البحوث الفنية والاجتماعية الى طابع عصرى مستحدث .

كما ان كل الدراسات الخاصة بالتعليم النظرى ، والتحول الدينى ، ومنظمات العمل والسياسة العملية ، والتأمر التورى ، بل حتى الاعلانات التجارية لها أثرها فى تحليل الدعاية .

## تكميك العمل :

قد تكون الطبيعة المشتركة للانسان أساس كل الدعاية والسياسة ، ولكن حوار العمل تتوافر ولا شك فى الدوافع التى تحيى من العوامل الفسيولوجية ، والبيئية ، والثقافية ، وغيرها كما يينا فى الفصل الاول من هذا الكتاب .

لقد كتب الصينيون القدامى بضمه سطور فى الحكمة حاول على أساسها ملايين الصينيين أن يتعلموا القراءة والكتابة ، وقد جاء فيها :

« عندما يولد الناس فانهم يشاؤون نشأة طيبة ، ودمع أنهم كلهم فى طابع متماثل تقرىبا فالواجب أن تراهم عندما يتها لهم الوقت ليختلف أحدهم عن الآخر بأن يلتقط العادات من هنا ومن هناك » .

هذه الحكمة لا يمكن أن نقول أنها صحيحة بدرجة مطلقة ، ولا يمكن أن نحكم عليها بالخطا ، فهناك مثلا مسألة « البقاء على قيد الحياة » أو « انتهاء الحياة » التى نعتقد أن كل المخلوقات البشرية تقف منها موقفا متماثلا وتكون استجابتها كلها واحدة متشابهة .

ففى مسألة « التسليم » والاستسلام التى سبق أن ناقشناها وضح الخلاف فى التفكير بين الأمريكين واليابانيين فى مجرد اللفظ .

لقد كان للفرق اللفظى بين كلمة « تسليم » وكلمة « استسلام » أهمية كبيرة كالفرق بين الحياة والموت ، فاليابانيون لا يمكن أن يقبلوا البقاء على حساب

شرفهم ، ولكن اذا شعروا بأن شرفهم قد حوُفِظَ عليه ، فانهم يستطيعون التوقف عن متابعة القتال .

ومن ثم فإن تحليل الدعاية يحتاج الى بصيرة نافذة ومعرفة تامة بتفكير الناس محل الدراسة . ويشير بول لاينبارجر في ذلك بقوله : « ان الدعاية توجه الى التفاصيل الدقيقة الرقيقة من الفكر التي يحفظ بها الناس تنظيمهم وتوجيههم الشخصي في عالم مزعزع الصلات بين الناس . ويجب أن تستخدم الدعاية لغة الأم . . لغة المدرس . . لغة الحبيب الودود . . لغة صغار الطير . . لغة رجل الشرطة . . لغة الممثل . . لغة الكاهن . . لغة « البلطجي » . . لغة الصحفي . . وأن تستعمل هذه اللغات على التوالي ، وعملية تحليل الدعاية لقياس قيمتها يجب أن تكون أكثر تميزا وادراكا في تقريرها ما اذا كانت الدعاية جديرة بأن تحقق غرضها أم لا ؟ »

## مواد الدعاية :

والمطلب الأول لتحليل الدعاية هو الحصول على المواد التي ستحلل فعلا ، والعادة أنه يكفي في وقت السلم الاشتراك في الصحيفة ، أو المجلة ، أو سلسلة النشرات ، وشراء الكتب حال صدورها . ولكن من الصعب الحصول على مواد الدعاية هذه دائما ، إذ يتطلب الامر في الغالب القيام باتصالات في نفس مكان الاصدار . ولقد استطاع الدكتور دافيد روا أن يحصل من الصين المحتلة في الأيام الأولى للحرب الصينية اليابانية على سلسلة طريفة من المواد ، ولكن كان لابد من الحصول عليها من ذهابه شخصيا الى الصين وقطع عشرين ألف ميل ليعود بها الى أمريكا .

ولكن من الممكن تحقيق نتائج أفضل لو أمكن تتبع نفس المصادر باستمرار ولفترة زمنية مثل أربعة شهور أو ستة شهور ، بل ربما أطول قليلا بالنسبة لبعض مصادر الاعلام . على أنه اذا كان تحليل الدعاية في هذه الحال مسئولية رجل واحد في دولة صغيرة أو في منطقة صغيرة في وقت السلم ، فإن هذا الرجل

يستطيع أن يجمع مختلف أنواع النماذج لوسائل الاعلام في مارس مثلا ، ثم يقضى بعض شهور متابعا تطور الدعاية ، ولكن في الوقت الذي يتم فيه اعداد تقريره يكون هذا التقرير أقل طرافة بالنسبة لمستلم التقرير مما اذا كان قد أعده عن الاسبوع السابق لموعد صدور التقرير ، هذا عدا أنه ما لم يكن محلل الدعاية على دراية جيدة بالمنطقة أو الدولة التي يحلل دعايتها فانه قد يتعرض لحظا تقدير بعض الموضوعات الاساسية وبعض الموضوعات العابرة .

وما لم يكن لدى محلل الدعاية عدد كاف من الموظفين الذين يعملون معه فانه قد يغفل بعض العوامل الهامة التي لها وزنها في تحليله ، ومن الضروري أن يتخير بعناية وسائل الاعلام التي يختبرها ، وأن يتقبل نصيحة الافراد الذين يعرفون المنطقة جيدا . ومن الحكمة أن يتخير في المناطق التي تتوافر فيها السيطرة على الآراء صحيفة دعائية تشرف عليها الحكومة ، وصحيفة شبه مستقلة للمعارضة لو كان هذا ميسورا ، وتعتبر الصحف المحلية مرشدا جيدا للدعاية الداخلية أكثر من الصحف الكبيرة التي تصدر في العواصم الكبرى ، ورجال الدعاية يعرفون أن الهيئات الاجنبية تعنى بمراقبة الصحف الكبيرة ومن ثم فانهم يحتفظون بجهدهم الاكبر للصحف الاقليمية المحلية .

ومع متابعة الصحف الاقليمية المحلية في منطقة أو اثنتين يحسن تخيرهما يجب أن يتخير محلل الدعاية عددا من الشخصيات الحكومية ويتعقب كل كلمة تصدر منهم ويحصل هو عليها .

والمبدأ الاساسي أن يقرر محلل الدعاية مدى المواد التي يغطيها بفحصه ، ليزن منذ البداية العمل الذي يقوم به ، وهذا بدوره يتوقف على الوقت المتيسر له ، ودرجة المامه باللغة ، ودرجة قابليته للعمل ، ثم مقدار المعوقات المتوقعة من الموظفين الآخرين وما الى هذا من العوامل الشخصية .

ولكي يكمل محلل الدعاية تحليله يجب أن يتصل بالمستمعين الذين يتلقون هذه المواد ليحصل منهم على تأثير الدعاية التي تلقوها ، ونود أن نشير هنا الى ما جاء في الحديث عن « الاستجواب » في الفصل الخاص بمخابرات الدعاية .

## المواد المطبوعة :

ليست المواد المطبوعة أيسر المصادر التي يمكن الحصول عليها بخاصة في وقت العمليات العدائية ، فقد لا يكون من السهل الحصول على وسائل الاعلام المطبوعة بعملية ارسال حوالة بريدية دولية ، والتأخير الذي يمكن أن يحدث في نقل المواد المطبوعة قد يجعلها عديمة القيمة بالنسبة للتحليلات السريعة الفورية وان كان لها نفعها فقط في الدراسات الاساسية الطويلة الاجل للتعرف على القوى المعنوية ، وقد يضطر رجل الدعاية الى أن يقرأ عددا من المقالات الافتتاحية في الراديو .

ويذكر لنا لاينبرجر مثالا لذلك بقوله :

« حدث في أثناء الحرب العالمية الثانية أن دُعر الضباط والمدنيون الأمريكيون عندما سمعوا راديو طوكيو يعلق على مقالات صدرت في مجلة « لايف » وفي جريدة « النيويورك تايمز » قبل ساعات ، وظنوا أن لليابانيين محطة ارسال على الموجة القصيرة من نيويورك الى طوكيو مباشرة ، وغابت عنهم حقيقة أن ادارة استعلامات الحرب ربما تكون قد أرسلت بعض المقالات بطريقة المورس البطيء الى الصين عبر الباسفيك ، وأن اليابانيين التقطوها واستخدموها في ارسالها من جديد الى الولايات المتحدة » .

والعادة أن ترسل المواد المطبوعة على الهواء في أى عملية أنباء رئيسية ، وقبل أن تتطور عملية التليفون الكاتب « التلبرنتر » كانت المشكلة مشكلة عامل الوقت فقط ، ولكن اليوم أصبح من اليسير أن تطبع نسخة من جريدة واحدة في مدينتين تبعد كل منها عن الاخرى آلاف الاميال وبفرق زمني غير محسوس ، وقللت الصور المرسلة باللاسلكي هذا الفاصل الزمني ، وبذلك يمكن ببساطة أن يقرأ كل من الجانبين المتقاتلين الصحف الرئيسية للجانب الآخر .

## المواد المذاعة :

والتوقع أن الراديو سيمثل في الوقت الحاضر أكبر المصادر لامتصاص الدعاية ، وهو وسيلة ملائمة مناسبة ، كما أنه من الممكن التقاط الاذاعة بطريقة « غير قانونية » دون الخوف من أن يكشف الجانب الآخر هذا . والاذاعة أرخص وسيلة عندما نفكر في العدد الكبير من الملايين الذين تصل اليهم المادة المذاعة ، كما أنها معرضة نفسها للتقاط .

إن الدفاع الوحيد ضد استخدام العدو للتقاط الاذاعي والحصول على محتويات الاذاعة هو تطبيق نظام الراديو « المتصل بالاسلاك » Wired Radio أى أن تكون كل أجهزة الاستقبال متصلة بشبكة التليفونات ، ومن ثم فإنه لا يرسل أى شيء على الهواء ، وبذلك يمنع العدو من التنصت على الاذاعات والتسمع اليها .

ولكن عملية وضع أجهزة الراديو على شبكة التليفون عملية باهظة التكاليف ، وبالمثل فإن كبت الاستقبال بالراديو عملية صعبة ، وأولئك الذين ينجحون في الاستماع سرا للاذاعة قد صاروا بمثابة صحف تسير على قدمين ، فيدورون في المدن ناشرين الآمال التي تبعث على الطمأنينة . هذه الآمال التي تعمل سلطات العدو على كبح جماحها . والتوقع أن ندرة الأنباء تزيد من قيمة هذه الوسيلة ، ولا يمكن تصور الدور الذي تلعبه الشائعات حينئذ .

ويتبع تحليل الدعاية بوساطة الراديو نفس الاعتبارات التي تحكم اختيار المواد المكتوبة . إن تتبع برنامج أو اثنين من محطة واحدة وسيلة أفضل وأكثر ضمانا للخروج بتحليل جيد بدلا من انتقاء متنوعات من الاذاعات في جولة عاجلة من هنا ومن هناك .

وللاذاعة فائدة أخرى تفضل بها استخدام المادة المكتوبة للدعاية ، فإن عددا قليلا جدا من الأمم هي التي تطمع مواد دعائية منفصلة بكل لغة أجنبية لتعدها بصفة خاصة لمنطقة معينة محددة ، على حين أن لكل دولة كبيرة بل

حتى لكل دولة متوسطة ترتيباتها للإذاعة بالملفات الأجنبية لكي تغطي الإذاعة الموجهة بعض الدول في كل أركان العالم . ولما كانت برامج الإذاعة الموجهة ترسل الى مجموعات متعددة من الناس بملفات مختلفة كان من الضروري أن تعد خطوط الدعاية لكل مجموعة من هذه المجموعات تبعا لأنس خاصة نتيجة لدراسات سابقة . ولا شك أن هذه « الخطوط » أو الاتجاهات الدعاية تختلف بين كل مجموعة وأخرى وتباين لهدفها ، أو تبعا لطبيعة علاقتها مع الدول الموجهة اليها الإذاعة .

والإذاعة - على نقيض مواد الدعاية المطبوعة - ليس من السهل الاحتفاظ بها كسجل للفائز بتحليل الدعاية ، وليس من الميسور أن تسجل كل ادعاءات العدو ليحتفظ بها للرجوع اليها كلما دعت الحاجة الى ذلك .

ولكن من جهة أخرى اذا كان مركز التحليل كبيرا كما لو كان في جوار مركز رئاسة الحكومة، أو مركز رئاسة قيادة مسرح الحرب، فإنه يمكن التغلب على كل المشكلات الخاصة بالترجمة وبالكتابة على الآلة الكاتبة . ومن المحتمل أن يجيب المستمعون للإذاعات المكتوبة على الآلة الكاتبة فيكتبون الإذاعات كاملة كلمة كلمة اما وهي تداع على الهواء ، واما من الشرائط التي يسجلونها عليها . ويختبر المحرر بعد ذلك الأجزاء الهامة من الإنتاج اليومي اما لتسجيلها والاحتفاظ بها ، واما لتوزيعها ونشرها على أجهزة أمنية . ومن الممكن أيضا أن تطبع المواد الهامة في الملخص اليومي للدعاية العدو ، أما الباقي فيرسل للمختصين أو يوضح في الملفات ، أو يرسل لأقسام المعلومات ، ثم يعدم ما لا حاجة اليه بعد ذلك .

ولقد لعبت التقارير المكتوبة « كلمة كلمة » دورا هاما خلال الحرب العالمية الثانية . لقد قامت هيئة مختبرات الإذاعة الأجنبية بهذا العمل في الولايات المتحدة طوال سني الحرب تحت اشراف لجنة المواصلات الفيدرالية ، ثم حولت بعد ذلك الى قسم المواصلات الأجنبية في وزارة الحرب وانتقلت مرة أخرى من وزارة الحرب الى المختبرات المركزية .

وقد لا تعتبر محتويات هذه التقارير سرية ، وإن اعتبرت « محظورة » في أغلب سنى الحرب .

## الاستماع بواسطة فرد واحد :

ومن المرغوب فيه حينما يتم الاستماع بواسطة فرد واحد أو بواسطة هيئة صغيرة العدد من المستمعين أن تتعرف على الاذاعة الرئيسية للأنباء ، وأن تقيدها كاملة كلمة كلمة كلما أمكن . هذا الاجراء يعطى للمحلل فرصة الاطلاع على هذه المواد ، ويحول دون أن يصدر حكما سريعا على ما هو هام أو غير هام في أثناء استماعه للاذاعة .

وتختلف أجهزة الراديو في الاستماع تبعا للأحوال العامة المحيطة بعملية الاستقبال ، ولكن أغلب أجهزة الاستقبال في سرايا الاشارة للقوات المسلحة بل حتى أجهزة الراديو العادية الكبيرة تستطيع القيام بهذا الواجب على أكمل وجه ، على أنه أحيانا قد لا يمكن تمييز اذاعة محطة ما مهما كانت قوة جهاز الاستقبال المستخدم في هذا بسبب التدخلات التي يوجد لها وضع هذا الجهاز في مبنى بالمدينة ، وفي هذه الحال فإن استخدام سيارة الراديو للاستقبال من منطقة مرتفعة في الضواحي ، أو من نقطة على حافة بحيرة ييسر عملية التقاط اذاعة تلك المحطة بوضوح تام للتغلب على التدخلات ، على أنه من الضروري أن تتوافر أجهزة استقبال على الموجة القصيرة لو كان من الضروري التقاط اذاعات محطات عبر المحيط .

وليس من الحكمة التقاط خطبة تلقى بسرعة ، وأفضل استقبال هو ارسال الأنباء بطريقة مودس أو اذاعة الأنباء بطريقة السرعة الاملائية من محطة مركزية مع مختارات من البرنامج اليومي . وتعطى ترتيبات التقاط البرنامج اليومي « كلمة كلمة » مع المراجعة اليومية للأنباء بواسطة اجراءات التحليل العادية فرصة جيدة للفحص الكامل لاذاعة العدو .



## الدعاية ضد الحقيقة :

لا معنى من أن يشار هنا أكثر من سؤال هام :

« ان كل ما سبق قوله يبين لنا كيف ننصت الى اذاعة أجنبية ، ونحصل منها على الأنباء ، المحاضرات ، المسرحيات ، وما عدا ذلك من مواد برنامج الاذاعة . ولكن كيف يمكن أن نعرف ما هو حقيقي وما هو دعاية ؟ كيف يمكن أن نفصل بين هذا وذاك ؟ »

ومع أن هذه الأسئلة تبدو في طابعها العام محيرة فإن اجابتها هينة ومرجتها المستمع نفسه . فإذا اتفق ما يذاع مع ما يؤمن به المستمع وما يعرفه كان حقيقة لا شك فيها ، أما اذا لم يتفق معه فهو دعاية .

فإذا قلنا أن كل ما نسمعه في اذاعة أجنبية هو دعاية ، فماذا يمكن أن يحدث بالنسبة لها في تقاريرنا الخاصة بتحليل هذه الدعاية ؟

ان المخلوقات البشرية تتحدث . وهى تواق للكلام واثرثرة ، وأغلب المعادئات الخاصة مهمة لا قيمة لها ولكن المعتوه وحده هو الذى يمكن أن يتحدث في المدياع لا لغرض الا أن يسمع صوته . ان الدعاية عرض كلمات لغرض ، وهذا « الغرض » هو الذى يجعلها دعاية ، ولا أهمية هنا لنصيبها من «الصدق» أو « عدم الصدق » .

ان الاذاعات التى تلتقط من أى دولة حديثة في كل يوم لتحوى من الحقائق أكثر مما يمكن أن يقرأه رجل واحد في حياته كلها . ان المحررين والكتاب ، ومندوبى الصحف الذين يجمعون الحقائق لا يجمعونها فحسب ، بل ايضا يتخبرونها ، وهم يجب أن يفعلوا هذا . ولكن المسألة الخاصة بالدعاية هى لماذا يتخبرون هذه الحقائق التى يجمعونها ؟

فاذا كانوا يتخبرونها بقصد التأثير في عواطف مجموعة معينة من الناس لغرض معين كانت دعاية ، أما اذا كانت تداع كمجرد أنباء فانها لا تكون دعاية .

ويعطى لاينبارجر مثالا لذلك فيقول :

« اذا ما أعلنت احدى محطات الاذاعة الامريكية أن عاملا ملونا أمريكيا في جرينز بورو من أعمال ولاية كارولينا الشمالية قد حصل على ثمانين سنتا كأجر له عن عمل عنيف يوما كاملا فمن الممكن أن يعرض هذا النبأ وأن يفسر كما يلي :

- ١ - مجرد نبأ صغير ، أو كان هناك مزيد للقصة حول ما قاله العامل من أنه كيف أنفق الثمانين سنتا على شراء طعام لحيوانه المدلل .
- ٢ - دعاية مضادة للرأسمالية لو قيل : أن مبلغ الثمانين سنتا هو مبلغ تافه زهيد اذ يدفعه رجال الاعمال الامريكيون لعمالهم .

- ٣ - دعاية معارضة للرأسمالية لو استطاعت الاذاعة أن توضح أن هذه الثمانين سنتا يمكن أن تشتري بضائع استهلاكية بأكثر مما يستطيع عامل في ولاية أخرى أن يتناعه من أجره لمدة أسبوعين .

- ٤ - دعاية ضد البيض لو وضحت الاذاعة أن هذا العامل أعطى ثمانين سنتا لا لسبب الا كونه ملونا » .

ثم يعلق على ذلك بقوله « وهكذا فانه يمكن الخروج بتفسيرات كثيرة مختلفة متباينة ، مع ملاحظة أن الحقائق ثابتة وموجودة في كل حالة . حقائق خاصة بوجود الرجل ، قيامه بعمل عنيف ، تناوله لأجر جملة ثمانون سنتا ، ان هذا حدث في جرينز بورو ، وان العمل استغرق يوما كاملا . فالحقائق هنا هي : « الرجل » و « ما حدث » و « المبلغ » و « المكان » و « الوقت » . وهذا لم يختلف أى عرض فيه ولكن التفسير الذى يصحب النبأ ، ومن الذى يعرضه ؟ ولن ؟ ولماذا ؟ ومتى ؟ فكلها العوامل التى تجعل من هذا النبأ دعاية .

« وقد تستطيع الا ترضى عن تفسير ، بل تستطيع أن تقتل رجلا لأنه يصدق هذا التفسير الذى لا ترضاه أنت ، وتستطيع أن تقوم بدعاية لتحويله عن اعتقاده . ولكنك لا تستطيع أن تجلس أمام مكتبك لتثبت أن هذا التفسير غير صحيح وغير حقيقى » .

ان الحقائق والمنطق نافعان فى الدعاية ، ولكنهما لا يستطيعان أن يرتفعا الى المستوى الذى يمكن معه أن تؤكد ان « هذه دعاية أو هذا حديث غير صحيح » ، ولكن غالبا ما تكون كل دعاية جيدة - مهما كان نوعها - فيها نصيب من الحقائق لأنها تحسن اختيار الحقائق التى تستخدمها .

ولا توجد « وصفة » سرية يمكن - فى ضوءها - أن نحدد باختبار صائب للدعاية ، وليس من الممكن لشخص لا يلم بالامام التام بهذا الجزء من العالم الذى يتأثر بالدعاية ، وبالموضوع الذى يناقش ، وبالأطراف المعنية ، وبالسياسات المباشرة التى يتضمنها الموضوع - ان يضع أصبعه على النبأ ويقول : « ان القصد الصحيح من ذلك دعاية » ثم يلتفت اليك ثانية ليقول : « ولكن التقرير الصحيح ان كل ما قيل حقيقة » . على أنه قد تذكر تقارير غير صحيحة أحيانا لأغراض غيرالدعاية ، كما أن التقارير الصحيحة تكون أحيانا فى حد ذاتها دعاية أو قد لا تكون . كما يجب أن ينتمى من يقوم « بتحليل الدعاية » الى الطرف الذى يهتم بالموضوع ، وعليه أن يقرر مبكرا ماذا يمكن أن يعتبره دعاية وما لا يعتبره دعاية ، وهو يجب أن يفعل هذا ليحدد ميدان تحليلاته قبل أن يبدأ العمل . ولا يستطيع فرد واحد ، بل لا يستطيع نفر من الموظفين أن يتعقبوا كل الدوافع وراء بيان واحد .

ومحلل الدعاية ينظر عادة فى الاتجاه الذى تسير فيه المادة المذاعة ، فقد يعرف ويحدد « الغرض الدعائى » بالنسبة للأشخاص الذين ترسل من أجلهم هذه الاذاعات على ضوء تقديره لما يتوافر له من معلومات عامة عن الموقف ، وهو اذا لم يعرف الغرض من الاذاعة يستطيع أن يتكهن به من طبيعة المستمعين أو

من التأثير الذى يفترض أن تخلقه الاذاعة فى هؤلاء المستمعين ، ومن جهة أخرى فان المحلل اذا لم يعرف المستمعين فانه يستطيع أن يتعقب الطابع الذى ترسل به الاذاعة ، وبأى لغة تذاع ؟ ومن أين ؟ وإلى أين ؟ ومتى ؟

ويعطى لنا لاينبارجر أسلوباً نموذجياً معاوناً لعملية التحليل وقد وجد انه صالح فى تحليل الاذاعات الالمانية العلنية والسرية ، وفى تحليل مواد الدعاية اليابانية فى الشهور الأخيرة من الحرب العالمية الثانية .

هذا الأسلوب أطلق عليه كلمة STASM وهى مركبة من الحروف الأولى لعناصر التحليل كما يلى :

|           |             |                          |
|-----------|-------------|--------------------------|
| المصدر    | (S) ource   | بما فى هذا وسيلة الاعلام |
| الوقت     | (T) ime     |                          |
| المستمعون | (A) udience |                          |
| الموضوع   | (S) ubject  |                          |
| المهمة    | (M) ission  |                          |

وهذا الاشتقاق اللغوى بتكوين كلمة جديدة هى كلمة « ستاسم » STASM انما يقصد به فى الواقع المعاونة على استيعاب هذه العناصر الخمسة التى تتركب منها هذه « الكلمة » . ويقول « ان أفضل استخدام لهذا الأسلوب ، هو استخدامه فى معالجة المواد التى يستمع لها فى الاذاعة ، والتى يعرف مصدرها ، وعند معالجتها يجب أن تجرى الآتى :

« لاحظ أولاً طبيعة المصدر ، وهنا فى الواقع يكون له عدة أوجه : فهناك المصدر الحقيقى أى المصدر الذى اذاع النبأ أو الموضوع ، والمصدر الظاهرى أى المصدر الذى ارتبط اسمه به ، والمصدر الاول فى الاستعمال أى المصدر الذى

استعمله لأول مرة ، ومصدر الاستعمال الثانى أى المصدر الذى استغل الموضوع للاستشهاد به أو اقتبس منه عبارات » •

وقد يكون من المفيد أن نعرض الآن لدراسة العناصر المكونة لتحليل موضوع من موضوعات الدعاية :

## المصدر :

١ - المصدر الحقيقى ، من أين جاء الموضوع فعلا ؟

أ - مسرب الاطلاق ، كيف خرج الموضوع ؟

ب - الشخص أو الهيئة التى تولد الموضوع باسمها •

ج - مسرب الارسال ، من جاءنا به ؟ الشخص أو الهيئة المؤثرة فى

وسيلة الارسال المعروفة • يجب هنا اغفال ما يتيسر من وسائل لتحليل الدعاية •

٢ - المصدر الظاهرى أو الصورى •

ما هو المصدر الذى يزعم بأنه نقل عنه ؟ ، وما مسرب الارسال ؟

٣ - مصادر الاستعمال الأول والثانى :

المصدر الأول « هو الذى يقال بأنه أول من استخدمه » ، المصدر

الثانى « الذى يدعى أنه يقتبس من مصدر آخر » •

أ - ما العلاقة بين مصدر الاستعمال الأول ومصدر الاستعمال

الثانى ، والمألوف أن تكون هذه العلاقة فى الشكل الذى يجرى

فيه الاقتباس ، ومن النادر أن يكون هذا انتحالا أو اغتصانا

لحق من استخدام الموضوع أولا •

ب - التعديل بين الاستعمال الاول والاستعمال الثانى اذا كان النص معروفا فى الحالتين ؟

- ♦ هل حذفت فقرات ؟
- ♦ هل هناك تعديلات فى النص ؟
- ♦ هل حدث أى دمج مع مواد أخرى مرسلة على الاذاعة ؟
- ♦ هل هناك تزييف يبدو متعمدا ؟
- ♦ ما التأثير الذى يحدث نتيجة للنقل من لغة الى لغة أخرى .

الوقت :

- ١ - وقت الحوادث الذى يشير له الموضوع
- ٢ - وقت الارسال
- ٣ - وقت تكرار هذا الارسال
- ٤ - الاسباب - لو وضحت - لهذا التوقيت

المستمعون :

- ١ - المستمعون المقصودون مباشرة
- ٢ - المستمعون المقصودون بطريقة غير مباشرة مثل « برنامج مرسل بالانجليزية لأمريكا الشمالية ولكنه يصل الى هونج كونج وسنغافورة بتخطيط مقصود من جانب مرسل البرنامج »
- ٣ - مستمعون أو مشاهدون غير مقصودين كأن يطلق أحد مواطني غرب أفريقيا على مجلة الحوادث اللبنانية ، أو يستمع رجل ياباني لخطبة الجمعة التى تذاع قبل الصلاة

## الموضوع ، ماذا يقول ، ماذا يحتوى ؟

- ١ - توضع المحتويات تحت رؤوس الموضوعات الصالحة لها . . هل هي  
• « مجرد أنباء » دون خداع أو هل هي « معلومات »
- ٢ - تلخيص المحتويات لظهور أى تكنيك جديد للدعاية •
- ٣ - فرز المحتويات التى لها نفعها فى الدعاية المضادة •
- ٤ - تقييم أهمية المحتويات لتحليلات المخابرات •

## المهمة :

- ١ - الأمة أو الجماعة أو الشخص الذى يتعرض للهجوم •
- ٢ - العلاقة بموضوعات سابقة فى نفس المهمة أو العلاقة بمهام سابقة •

# الكتاب الثاني التطبيقات

♦ الفصل الأول  
نورة ٢٣ يوليو في مواجهة  
الحايب الاستعمار والرهبة





## ثورة ١٩٣٦ في مواجهة الاستعمار والرهبة

### مقدمة :

في الثلاث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ انبثقت الثورة المصرية بعد ما يقرب من قرن من الزمان عاشتها مصر في ظل الاستعمار وأعوانه من رجعية وعملاء - مفجرة الطاقات الكامنة للشعب المصري .

وبعد عامين على الأقل من قيام الثورة كانت المسألة الوطنية هي التي تمثل التحدي الأول . ولقد حاول الاستعمار البريطاني ممارسة أساليبه القديمة في المراوغة والتسويف ولكن ما لبث أن شعر بالمواجهة الحقيقية لأول مرة . وأطلق الرئيس عبد الناصر عبارته المشهورة « على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل ... »

وبعد توقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ من أكتوبر عام ١٩٥٤ كان هناك ثمة شعور دولي عام بأن الصراع الطويل الذي دام ما يقرب من ٨٠ عاما بين الشعب المصري والاستعمار البريطاني قد آن له أن ينتهي . وحاولت الدعاية البريطانية أواخر عام ١٩٥٤ وأوائل عام ١٩٥٥ بأساليبها الماكرة التمهيد لما تسميه بالعلاقات الجديدة في الشرق الأوسط .

ولكن الموقف في الشرق الأوسط تغير في نهاية العام نفسه ، وتغيرت بذلك  
أساليب الدعاية الموجهة الى شعوب المنطقة •

لقد أصبح هم اسرائيل منذ قيام الثورة المصرية أن تنبه الى الخطر الذي  
يهدد كيائها وأمنها من جانب قادة هذه الثورة ، وتزايدت مخاوفها بعد جلاء  
القوات البريطانية عن منطقة السويس ، وكانت هذه القوات تشكل حزام الأمن  
للدولة العميلة •

وبدأت تحرشات اسرائيل بالثورة المصرية بالاعتداءات المتكررة على  
الأراضي المصرية ، وكان الهدف الأساسي من هذه التحرشات اشعار العالم  
الغربي بصفة خاصة أنه لا بد من ضمان دولي جديد لكيان اسرائيل ، وفي نفس  
الوقت حاولت هذه الدولة التقليل من هيبة الثورة المصرية أمام الرأي العام  
العربي •

ولقد كانت قيادة الثورة على وعي كامل بالأهداف الحقيقية البارزة  
وراء تحرشات اسرائيل وعدوانها المتكرر ، وكان لابد من مواجهة اللعبة  
الاسرائيلية بالحزم والتصميم •

ولما كانت اسرائيل وما زالت ترسانة للسلاح الغربي في منطقة  
الشرق الأوسط ، فقد حاولت مصر الحصول على السلاح اللازم لأمنها القومي من  
الغرب ، ولكن كل جهودها باءت بعدم التوفيق ورفض الغرب تقديم أى مساعدات.  
فالغرب كما هو معروف لا يقدم السلاح للدول العربية الا في أضيق  
الحدود وبمساومات سياسية •

وكان لابد من الحصول على السلاح • ان أحد المبادئ الستة الكبيرة  
لثورة ٢٣ من يوليو هو اقامة جيش وطني قوى ، وبداهة لا يوجد جيش وطني  
قوى بدون سلاح حديث •

وكانت اسرائيل قد تمكنت من الحصول على الكثير من الأسلحة من بعض الدول الشرقية منذ عام ١٩٤٨ وما بعدها . لقد كانت - ولا تزال - تسعى الى الحصول على أى سلاح من أى مورد بصرف النظر عن حقيقته أو عقيدته .

وعقد مؤتمر باندونج الأول في ٢٩/٣/١٩٥٥ وخرجت الثورة المصرية من نطاقها المحلي العربى الى آفاق رحبة . لقد كانت روح باندونج تجسيدا حيا للواقع النضالى لشعوب آسيا وأفريقيا التى تكافح من أجل : الاستقلال الوطنى ، والحرية السياسية ، والعدالة الاجتماعية .

ولقد قامت مصر بدور قيادى بارز فى الاعداد لمؤتمر باندونج حتى اعلان قراراته الشهيرة ، كما كان المؤتمر أرضا صالحة للتعارف الوثيق بين الرئيس عبد الناصر ومعظم القادة المناضلين فى أفريقيا وآسيا .

وبعد عودة الرئيس عبد الناصر الى القاهرة فى أبريل عام ١٩٥٥ كواحد من أبرز أبطال باندونج بات مؤكدا أن الغرب أصبح لديه الآن ما يزيد من مخاوفه اذا ما تمكن الجيش المصرى من الحصول على أسلحة حديثة .

ويأتى عام ١٩٥٥ مشحونا بالعمل الثورى المصرى على نطاق الأمة العربية .

فى هذا العام بالذات تأكدت المعالم الواضحة لثورة ٢٣ يوليو بعد أن أعلنت القيادة السياسية فى القاهرة محاصرتها خلف بغداد ، وفى هذا العام بالذات تأكدت المعالم النضالية للثورة المصرية عندما أخذت على عاتقها الوقوف بحزم ضد اتجاهات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى ربط الدول العربية بالأحلاف العسكرية .

وفى هذا العام بالذات أيضا تمكنت الثورة المصرية من خوض تجربة رائدة كان لها أثرها الدولى البعيد عندما عقدت القيادة السياسية المصرية - ولأول مرة - صفقة الأسلحة التشيكية .

كذلك فانه فى هذا العام بالذات تكشفتم تماما النوايا العدوانية للاستعمار الغربى ضد ثورة ٢٣ يوليو وبدأت سلسلة الضغوط . النفسية ،

والاقتصادية ، والعسكرية ضد مصر . . هذه السلسلة الطويلة التي بدأت منذ عقد صفقة السلاح التشيكي ولما تلته حتى الآن !

لقد كان تسليم الجيش المصرى فى حد ذاته - وبصرف النظر عن مصدر السلاح - هو الذى أرق الغرب الاستعماري طويلا .

ان بناء القاعدة المادية لقوة الثورة المصرية متمثلة فى جيشها الوطنى كان هو الخطر الذى حاول الاستعمار تأخير به بكل الوسائل والأساليب . وعندما تمكنت مصر من كسر مبدأ احتكار السلاح كان ذلك سابقة خطيرة فى عرف الدبلوماسية الغربية وسياساتها العسكرية .

وبدأت حرب الدعاية بكل وسائلها وكل أساليبها توجه ضد الثورة المصرية من كل عواصم الغرب واسرائيل ، وكل العواصم العربية التى تدين بوجودها واستمرار بقائها للاستعمار نفسه .

ولقد قيل يوما ان مصر قد اشترت سلاحا ملحدا ، وبدأ الاستعمار يكتشف فجأة مدى تعاطفه مع الاسلام وهو الذى استذل شعوبه زمانا طويلا . وارتفعت شعارات الفرعونية ، والأطماع المصرية وأحلام ناصر ، وظهر تباكي اسرائيل على انهيار مبدأ توازن القوى فى الشرق الأوسط الذى لم يعد فى صالح أمن اسرائيل وقوتها العسكرية ، وقال الحكام العرب الضالكون مع الاستعمار : أن الشيوعيين تمكنوا من إيجاد موضع لقدم فى الشرق الأوسط .

وبعد عام واحد من حصول الجيش المصرى على أسلحة حديثة لم يكن أمام الغرب الاستعماري من سبيل يرتاده ضد الثورة المصرية بعد استفاد كل ضغوطه الدعاية والنفسية - الا استخدام الحرب المسلحة ضد مصر .

ولقد كانت ملحمة بناء السد العالى هى الفرصة المواتية التى استخدمتها بريطانيا وفرنسا واسرائيل . وقصة تمويل السد من جانب الولايات المتحدة والبنك الدولى وبريطانيا معروفة ، ويتذكرها العالم أجمع كدليل واضح على فساد

البلوهارسية الغربية وضيق نظرتها وعصبيتها تجاه حركات التحرر الوطني ليس في الشرق الأوسط فقط ولكن في العالم أجمع .

وكما رفض الغرب تقديم السلاح للجيش المصري لبناء جيش وطني قوى يعدهى مكاسب الشعب المصري - رفض أيضا وبمناذ المساهمة في تمويل مشروع السد العالي لبناء القاعدة الاقتصادية التي تمكن الشعب المصري من الوصول الى الحد الأدنى للمستوى اللائق لحياة الانسان في النصف الثاني من القرن العشرين ، وكان الرد المصري الثورى هو تأميم قناة السويس ليكون عائدتها في خدمة تمويل السد العالي .

ولقد كان التمهيد للمدوان على السويس في حد ذاته من جانب : بريطانيا ، وفرنسا ، وتهيئة الراى العام العالمى لقبوله ، واستخدام أحدث أساليب الدعاية والاثارة ، وتسخير كل أجهزة الدعاية والاعلام والصحافة والاذاعات على أوسع نطاق ممكن ضد مصر - كان كل هذا مادة تصلح كأساس لدراسات عديدة مستقلة تبحث في هذه الأساليب ، ومناهجها ، وطرق تنفيذها ، ومدى ما أحرزته من نجاح أو فشل .

كذلك فان مسألة الشعب المصري ومقدرة جيشه على صد المدوان السلاح وادانة الراى العام العالمى للمدوان قد جعلت حرب السويس ذات دلالة تاريخية بالغة الأثر . ولم تعد أساليب القهر والمدوان السلاح ، والتواطؤ تجدى في صد حركات التحرر العالمية أو انحرافها عن أهدافها الحقيقية .

لقد أدان ضمير العالم هذا المدوان ، وكان الانتصار المصري عليه تجربة رائدة وضعها النضال المصري في خدمة الشعوب التي تكافح من أجل استقلالها الوطنى فى : أفريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية .

وليس صدفة أن قمة المد التحررى في العالم كله سجلته سنوات ما بعد حرب السويس - وعيننا حاول الاستعمار للتقليل من أهمية الخيبة التي أصابته في حرب السويس ، وكان لابد من تغيير معطياته . وإذا كانت الحرب المسلحة لم تقدم حلا حاسما ، فلا بأس من العودة الى الأساليب التقليدية .

وبدأت الحرب الاقتصادية لتجويع الشعب المصرى •

وبدأت عمليات التشكيك على أوسع نطاق فى سلامة الاقتصاد المصرى ،  
وفى قدرته على الوفاء بالتزاماته الداخلية والدولية •

وبدأت عملية عزل ثورة مصر فى داخل حدودها بعيدا عن التيار  
التحررى الثورى الذى أشعل شرارته المتوهجة حرب السويس لتشمل كل  
المنطقة العربية •

وعاد الخوف الغربى التقليدى من التوغل الشيوعى فى الشرق الأوسط ،  
واصطنع الغرب مشروع أيزنهاور كبديل ماذى خوف غير منظور فى منطقة  
أصبح ثابتا ومؤكدا أن أهلها هم الذين يصنعون مستقبلها وفق ارادتهم الحرة •

وكما أن حلف بغداد لم يعد أكثر من مجرد اسم فى التاريخ ، فكذلك كان  
مشروع أيزنهاور • وفى هذه الفترة تزايد الضغط على الشعب السورى كنوع  
مباشر من الضغط على الشعب المصرى ، وكان الرد العربى الحاسم هو قيام  
الجمهورية العربية المتحدة بإقليميهما المصرى والسورى فى ٢٢ من فبراير  
سنة ١٩٥٨ •

وتزايد اشتعال ربح الدعايات الغربية ضد دولة الوحدة ، ومرة أخرى  
تزايدت الأحاديث عن امبراطورية ناصر التى تتحكم فى ٩٠٪ من بترول الشرق  
الأوسط •

وبدأت حرب التخريب فى داخل دولة الوحدة ومحاصرتها من خارجها  
وأقيم الاتحاد الملكى الهاشمى المصطنع فى مواجهتها • ولكن قامت ثورة ١٤ من  
يوليو فى العراق لتهدم اتحاد التيجان وتترفع اسم بغداد من فوق واجهة  
الحلف الذى صنعه الاستعمار ورفع شعاراته نورى السعيد •• وظهر واضحا  
أن المد الثورى العربى يسير فى طريق قدره •

وبصدور قرارات يوليو الاشتراكية فى عام ١٩٦١ ، واستيعاب الثورة  
الوطنية لأبعادها الاجتماعية لم يعد أمام الاستعمار الغربى الممثل الشرعى  
لرأسمالية فى قمتها الاحتكارية الا طريق التآمر •

وكان الانفصال في ٢٦ من سبتمبر ١٩٦١ الذي احتفل به الاستعمار والرجعية العربية رسميا في شترة في أغسطس ١٩٦٢ .

ولكن المد الاستعماري الرجعي لما ينته قبل أن تثبت الثورة العربية أصالتها وعراقتها وامتداد جذورها في التربة العربية . فلقد أفاق العالم على ثورة شعب اليمن ضد الطغيان الامامي الرجعي المتخلف في ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢ .

وقبل أن يتمكن الاستعمار من محاصرة ثورة اليمن في طريق التخلص منها نهائيا كانت ثورة ٢٣ يوليو المصرية عند التزامها واقفة الى جانب شعب اليمن وثورته .

كذلك قضى شعب العراق على انحرافات عبد الكريم قاسم وشعوبيته في فبراير عام ١٩٦٣ .

وبرز المضمون الاجتماعي لثورة ٢٣ يوليو عندما اختارت طريق التحول الاشتراكي باعلان الميثاق الوطني في ٢١ من مايو ١٩٦٢ واقراره من جانب اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ٢٠ من يونيو من نفس العام . وقال الاستعماريون : ان الميثاق قابل للتصدير الى كل الدول العربية ، وأن اشتراكية مصر هي اشتراكية عدوانية قابلة للانتشار .

واذا كان الاستعمار والرجعية في المنطقة العربية قد جربا كل أساليب الحرب الخفية والعلنية ابتداء من حملات : التشكيك ، والتسويق ، وعقد الأحلاف العسكرية ، وبناء كيانات اتحادية هزيلة الى الحرب المسلحة في السويس ، والحرب المأجورة ضد ثورة اليمن - فانهما لجأ الى وسيلة جديدة هي الحلف الاسلامي الذي يتزعمه الملك فيصل في الدول العربية والاسلامية ، ويعاونه بورقية في تونس ، وشاه ايران ، ويحرك خيوطه صانعو السياسة في واشنطن ولندن . غير أن مصير الحلف الاسلامي حددته الشعب العربي منذ عام ١٩٥٧ عندما حاول الملك سعود بتكليف خاص من الرئيس السابق أيزنهاور أن يدعو له في المنطقة العربية .



ان جوهر ثورة ٢٣ يوليو المجيدة هو أنها اكتشفت طريق اليقظة العربية التي تمكنت من احراز النصر الكامل في كل المعارك التي خاضتها وتذوّصها في المستقبل .

## الوسائل والأساليب :

ولم يتوان الاستعمار والرجعية في استخدام كل الوسائل النفسية للقضاء على الثورة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكننا أن نذكر عادة وسائل رئيسية استخدمها أعداء ثورة ٢٣ يوليو على مدى الأربعة عشر عاما الماضية . ولقد استخدمت هذه الوسائل جميعها في وقت واحد في بعض الاحوال كما استخدم بعضها في ظروف خاصة ، وان كان الهدف النهائي لم يتغير في كل الاحوال وهو محاولة القضاء على فاعلية الثورة المصرية سواء في نطاقها الداخلي ، أو العربي ، أو العالمي .

### ١ - الاذاعات السرية :

لقد وعدنا القارئ في الباب ( الرابع ) بالعودة الى الحديث عن الاذاعات السرية التي تعرضت لها بلادنا ، ولقد سبق أن وضعنا مدى خطورة استخدام هذا النوع من الاذاعات . والواقع أن استخدام الاذاعات السرية كان من أول الوسائل - وأهمها - التي استخدمها أعداء الثورة المصرية في مرحلة مبكرة ، فلقد تم استماع أول اذاعة سرية معادية موجهة الى الشعب المصري في أوائل عام ١٩٥٥ وكانت تحمل اسم محطة « صوت مصر الحرة » وآخر محطة سرية ما زالت تذيع حتى الآن هي اذاعة الملكيين التي يديرها الاستعمار والرجعية السعودية الحاكمة لحساب الامام المخلوع أحمد البدر وتوجه اذاعاتها ضد ثورة اليمن ومؤيديها .

وتزايد عدد المحطات السرية ونشاطها عام ١٩٥٨ وبلغ عددها احدى عشرة اذاعة سرية توجه كل أحاديثها المحمومة ضد شعب الجمهورية العربية المتحدة . ولقد كان من بين هذه الاذاعات السرية المعادية ما هو موجود بالفعل في اراض عربية

مثل اذاعة « صوت الحق » وكانت أجهزتها في بيت نوري السعيد نفسه وجعلت مهمتها التمهيد لحرب السمويس في شتاء ١٩٥٦ ، وأنشأ كميل شمعون اذاعة صوت لبنان السرية في ١٩٥٨ وكانت توجه اذاعتها ضد الجمهورية العربية المتحدة .

كذلك اتبع عبد الكريم قاسم نفس الأسلوب وأنشأ في بغداد اذاعة سرية تحت اسم « صوت دمشق الحرة » ووجه اذاعتها عام ١٩٥٩ ضد دولة الوحدة . وفي الاردن أيضا تم تجهيز اذاعة سرية بعد ثورة ١٤ يوليو العراقية عام ١٩٥٨ حملت اسم « صوت العراق » وكانت مهمتها مهاجمة ثورة العراق وكان الملك حسين بنفسه قد نبه الى وجود هذه المحطة في حديث صحفي نشرته له جريدة الصنادى تايمز البريطانية يوم ٢٧ من يوليو ١٩٥٨ وقد سبقت اذاعة اسرائيل الملك الى الاعلان عن هذه المحطة الاردنية السرية .

وفي أكتوبر ١٩٦٣ أنشأ حزب البعث الحاكم في العراق اذاعة سرية باسم « صوت الجماهير » ركزت الهجوم على القاهرة بعد عدم توفيق مباحثات الوحدة الاتحادية الثلاثية بين القاهرة ، ودمشق ، وبغداد .

ومن الأراضي الفرنسية ظهرت اذاعات « صوت مصر الحرة » و « صوت الأحرار » .

وفي الجزائر أنشأ جاك سوسميتيل محطة سرية أطلق عليها اسم « محطة كليبر » وكانت تذيع على طريقة اذاعة صوت العرب وتقلد أصوات مذيعها وذلك بقصد تحطيم الثقة التي اكتسبتها اذاعة صوت العرب عند جميع المناضلين الثوريين العرب .

كذلك تحولت اذاعة الشرق الأدنى التي كانت تديرها بريطانيا الى اذاعة صوت بريطانيا ابان حرب السمويس ، وكانت وظيفتها اذاعة بلاغات العدوان الثلاثي على الشعب المصري، ولقد توقفت هذه الاذاعة بخيبة أمل المتدين والعدوان.

ولقد جاءت هذه الاذاعات جميعها بنتائج عكسية تماما ، إذ كان يستمع اليها أفراد الشعب المصري بالسخرية والاستهزاء . وأكثر من ذلك أن الصحف

المصرية نفسها كانت تكتب عن هذه الاذاعات ، كما أن الرئيس عبد الناصر أشار إليها أكثر من مرة ، وكان تعليقه الدائم عليها « دع الكلاب تعوى ما دامت القافلة تسير » .

وقد يكون من المفيد الآن أن نتناول دور هذه الاذاعات في العمليات النفسية التي وجهها الاستعمار بشئ من التفصيل .

أنشئت إذاعة مصر الحرة بعد تولي الرئيس عبد الناصر رئاسة الجمهورية . وبعد أن أممت مصر قناة السويس بدأ الاستعمار يدبر مؤامراته ضد حكام مصر ولا سيما ضد الرئيس عبد الناصر شخصيا ، حيث ساهمت المحطة المذكورة في المؤامرة التي كانت تدبر في لندن عقب تأميم قناة السويس .

وكان هدف هذه المحطة إثارة شعب مصر ضد الرئيس عبد الناصر ونظام حكمه ، فقامت بتأليب شعب مصر ضد حكاه قبل العدوان الثلاثي لكي يصبح مستعدا لمناصرة المستعمر اذا وقع العدوان منه . وبعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا حاولت بكل جهد تفتيتها والقضاء عليها .

وكانت هذه المحطة تهاجم حكام مصر بألفاظ بذيئة عبرت عنها جريدة التايمز بأنها غير قابلة للنشر ، وكانت تستهدف أن تتعود الجماهير المصرية تحقير زعمائهم .

كما استمرت المحطة في حملاتها دائمة على سياستها الهجومية على نطاق أعنف مستغلة بشكل ظاهر عملاءها من الخونة والمأجورين .

ولما لم تنجح المحطة في تحقيق الأغراض التي وجدت من أجلها توقفت في ٣٠/٧/١٩٥٩ ثم عادت للظهور باسم صوت الاحرار في ٤/١٢/١٩٥٩ .

كان هدف « صوت الاحرار » هو الهجوم على الرئيس عبد الناصر شخصيا ، والتنديد بسياسته الداخلية وذلك بترديد الحديث عن : المعتقلات ، والسجون ،

وارهاب رجال المباحث ، والزعم بتفشى الانحلال الخلقى ، والتشكيك في مدى فائدة المشروعات الصناعية والانتاجية .

كما جعلت من مبررات التشهير أنها تسير في الفلك الشيوعي ، وذلك لاثارة الرأى العام العربى في مصر ، وحاولت مرارا اثارة الكراهية ضد المصريين في سوريا بعد قيام الوحدة محاولة تفتيتها .

وفى يوم ٥٧/١٢/٣ ظهرت اذاعة « صوت الاصلاح » وادعت بأنها تذيب من سوريا ، وقد توقفت المحطة بعد ذلك عدة أيام ثم استأنفت عملها مما يدل على أنها كانت فى دور التجربة . وقد وجهت دعايتها أول الامر الى حكومة سوريا . ثم استمرت فى اذاعتها المعادية ضد الجمهورية العربية المتحدة حتى توقفت .

وكان هدف المحطة اثارة شعب الجمهورية العربية المتحدة ضد نظام الحكم القائم ، وركزت دعايتها على الاقليم السورى مخاطبة شعبه زاعمة له أن مصر تحاول استغلال سوريا وأنها السبب فى سوء الحالة الاقتصادية . وكان هدفها من هذا واضحا وهو تحطيم الوحدة بين الاقليمين بعد أن خذلت فى منع قيامها .

وابان ثورة لبنان والمقاومة الشعبية لحكم كميل شمعون ، ظهرت اذاعة « صوت لبنان » لتؤيد كميل شمعون وسياسة الاحلاف ، وتهاجم رجال المعارضة اللبنانية .

وفى ١٩٥٨/٧/١٨ ظهرت اذاعة صوت العراق بهدف تحطيم ثورة العراق واعادتها الى حظيرة التاج الهاشمى تحت قيادة الملك حسين ، فأخذت تشكك الشعب العراقى فى ثورة الجبش ، وتهاجم الجمهورية العربية المتحدة وحكومة الثورة فى العراق ، وتتهم مصر بأنها تجر الدول العربية تجاه موسكو .

كما كانت تهاجم الصحافة والاذاعة فى الجمهورية العربية المتحدة ، وتقول: ان أموال الدولة تنفق على الدعاية والاعوان ، وتهاجم نظام الحكم الداخلى، وتحاول تفتيت الوحدة ، واثارة الرأى العام فى الاقليم الشمالى والقول بعدم توفيقها .

أما في مجال السياسة الخارجية فكانت تعمل على التهوين بقوة الجمهورية العربية المتحدة والاقبال من فاعلية الجيش المصري في صراعه مع إسرائيل، والايقاع بين الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى .

وكانت تزعم بأن السد العالي سيلم للاستعمار الشيوعي ، وأنه وسيلة لتحكم السوفييت وتغلغل الشيوعية ، كما كانت تقوم بتحريض أهل فلسطين ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وتهاجم جامعة الدول العربية محاولة هدمها .

وفي فترة الاعتداء الثلاثي على مصر والتمهيد له ظهرت محطة سرية جديدة عرفت باسم « صوت الحق » ، وكان هدفها في أوائل نشأتها عام ١٩٥٦ هو التمهيد لاثارة الشعب المصري ضد حكاه لاسقاط الحكم القائم ، والتشهير به وبخاصة الرئيس عبد الناصر في الميدانين الداخلي والخارجي .

وفي ٢٥ من ديسمبر ١٩٥٩ ظهرت اذاعة عرفت باسم « صوت دمشق الحر » ومقرها بغداد حيث استورد عبد الكريم قاسم محطة اذاعة لتقوية اذاعة بغداد ، ولكنها نصبت في قصر الحارث قرب أبي غريب لتذيع باسم صوت دمشق الحر .

وفي ٣٠ من سبتمبر ١٩٦٢ أمكن العثور على محطة أطلقت على نفسها اذاعة الأحرار وتدعو الى الالتفاف حول الامير الحسن ، وتعمل على موجة قصيرة طولها ٤٩٨ .

وتعتبر السعودية صاحبة المصلحة الاولى في هذه المحطة وتسييرها ، كما ترددت أنباء بأن القوات الأمريكية الموجودة في الظهران ، والقوات البريطانية الموجودة في عدن قد تقدمت بمساعدة هذه الاذاعة والاشراف عليها فنيا .

وكان هناك اذاعة كليبر وهي الاذاعة السرية التي يشرف عليها جاك سوستيل والمعروفة باسم حركة النهضة الجزائرية والموجهة بخاصة للتوار الجزائريين ،

ولقد اتبعت ادارة المحطة الصادرة من فرنسا طريقة اذاعة صوت العرب ، وبنفس الأخان المميزة لصوت العرب مع احدات شوشرة توهم المستمع بأنها صادرة من القاهرة .

وكان هدف هذه الاذاعة تحطيم الثقة التي اكتسبتها اذاعة صوت العرب لدى الثوار الجزائريين والمناضلين في شمالي أفريقيا خاصة والعالم العربي عامة ، وكانت تقوم باذاعة الانباء والمعلومات على أنها صادرة من اذاعة صوت العرب من القاهرة ، بما يتمشى مع المخطط المعادى للقاهرة .

## ٢ - النشرات السرية :

وتوزع عادة عن طريق البريد العادى ، أو توضع مباشرة فى صناديق البريد الخاصة فى المنازل ، ويصل الأمر فى بعض الأحيان الى حد وضعها تحت أبواب الشقق الخاصة .

وتتضمن النشرات السرية وجهات نظر معادية ضد نظم الحكم الشرعية وهى فى العادة وجهات نظر لا يستطيع اصحابها الاعلان عنها بالطرق المشروعة .

ولقد تعرض الشعب المصرى لكثير من أنواع هذه النشرات وان كان الملاحظة بصفة عامة أنها جميعها كانت تطبع فى الخارج وتتسرب الى داخل البلاد عن طريق : البريد ، والمطارات ، والبواخر ، وفى بعض الحالات حقائب الدبلوماسيين الاجانب .

وأساليب النشرات تعتمد فى الغالب على التأثير العاطفى للقارىء دون مخاطبة عقله . وطابع السرية فى الكتابة والنشر والتوزيع قد يعطى أهمية للنشر لا تستحقها اذا كانت معروضة بطريقة علنية .

وقد ظهرت بعض النشرات تعتمد على الرسوم الكاريكاتورية دون تعليق أو مع تعليق صغير عليها يسهل انطباعه فى ذهن القارىء ، فمثلا فى عهد

الوحدة ظهرت نشرة تعتمد على الكاريكاتير وتشير الى أن خيرات الشعب المصرى تذهب الى سوريا ، بينما لا يجد المصريون الا القليل من خيرات بلادهم ، والهدف واضح بالطبع من النشرة •

وكذلك فى عام ١٩٦٢ نشطت حركة توزيع نشرات سرية كانت تطبع فى فرنسا وتوزع عن طريق البريد الجوى ، ويتولى الاشراف على العملية نفس الجهاز الذى كان يدير اذاعة مصر الحرة السرية •

ولقد وصلت هذه النشرات الى عناوين محددة فى مصر من بينهم ضباط سابقون فى الجيش المصرى • وتضمنت هذه النشرات بعض التعليقات الاذاعية التى تذيعها المحطات السرية • وكانت هذه النشرات تتهم النظام القائم فى مصر بالفشل وتدعو الجيش والشعب الى معاداته •

### تقليد الأصوات المعروفة :

لقد كانت اذاعات صوت العرب وأصوات مذييعها هدفا دائما وثابتا لمحاولات تزييفها من جانب أعداء الثورة العربية • كانت صوت العرب وما زالت تمثل الامل لكل المناطق العربية التى ما زالت تكافح من أجل استقلالها الوطنى • وكان خطر هذه الاذاعة أنها تحمل الصديق الوطنى للشعب العربى كافة • ولقد حاول جاك سوستيل المقيم الفرنسى فى الجزائر اقامة اذاعة كاملة تشير فى كل ملاحظاتها ، واذاعاتها ، وحتى فواصلها الموسيقية ، وبرامجها المميزة الى اذاعة صوت العرب فى القاهرة لكى تذيب الى شعب الجزائر ما يريده الاستعمار الفرنسى ولكن سرعان ما تنبه شعب الجزائر الى هذا الزيف وحول مؤشرات اذاعاته الى « صوت العرب » فى القاهرة •

ولعل الحادث الذى وقع للطالب الاردنى نبيل محمد فتحى انشاص يشير الى هذا الخطر الذى ما زال يلاحق الحكم الراهن فى الاردن من اذاعات صوت العرب ومذييعها •

فلقد حاول : مدير المخابرات الأردنية ، ومدير الأمن العام ، وقائد شرطة العاصمة ارغام هذا الطالب بالتهديد تارة والترغيب مرة أخرى بتقليد صوت المذيع أحمد سعيد وذلك في برامج مشابهة لحقائق وأكاذيب بما يتفق مع سياسة الحكومة الاردنية ولكن الطالب الاردني رفض هذا التزييف .

## الصور المزيفة :

نشرت مجلة قرنديل العراقية الموالية لحكومة نوري السعيد يوم ٢٧ من مارس ١٩٥٨ صورة بحجم الكارت بوستال عن اجتماع مزعوم بين الرئيس عبدالناصر وبين موسى ديان وكتب تحتها تعليقا جاء فيه :

« هذه الصورة وصلت الينا بالبريد ومن مصدر لا نعرفه لأن المرسل لم يشي الى نفسه . والصور يظهر فيها الرئيس عبدالناصر والمدعو موسى ديان القائد العام للقوات الاسرائيلية . . انها صورة غريبة حقا . . وقد كتب مرسلها تحتها انها التقطت قبيل العدوان الثلاثي في اجتماع تم بمستعمرة في شمالي غزة . ونحن نشر هذه الصورة الغريبة ونستبعد أن يحدث مثل هذا اللقاء بين أي زعيم عربي وهذا القائد الصهيوني وليس بينه وبين عبد الناصر فقط . . اننا نطالب بايضاح من المسؤولين المصريين لهذه الصورة العجيبة ! » .

ومن المعروف أنه من الممكن فنيا عن طريق الخدع التصويرية أن يتم تزييف أي صورة تضم مجموعة من الافراد ، وبهذه الوسيلة تمكن المسؤولون في العراق في ذلك الوقت من تزييف صورة الاجتماع المزعوم بين الرئيس عبد الناصر وبين موسى ديان .

ومن الواضح أن صورة هذا الاجتماع المزعوم ظهرت عقب ظهور توزيع صورة لاجتماع كان قد تم بين نوري السعيد وبين موسى ديان في أنقرة .



وقد أحدثت هذه الصورة ضجة كبيرة في كل الأوساط العربية ، وحاول نوري السعيد بتزوير صورة الرئيس أن يشكك الرأي العام العربى فى الصورة الحقيقية التى جمعت بين نوري السعيد وديان ، وذلك على اعتبار أن الرأي العام العربى رفض بدهاء الصورة المزيفة التى جمعت بين الرئيس عبد الناصر وموشى ديان ، ومن ثم فإن نوري السعيد يستطيع أن يصل الى هدفه النهائى وهو التشكيك أيضا فى صورته مع القائد الاسرائيلى .

## الشائعات :

أما الشائعات التى أفردنا لها بابا منفصلا فى هذا الكتاب فكانت أكثر الأسلحة لدى الاستعمار والرجعية فى شن حربهم الشيعواء على النظام .

ونعتقد أنه لا داعى هنا الا لذكر القارىء بخطر هذا السلاح الرهيب من أسلحة الحرب النفسية .

على أننا نود أن نشير الى نقطة سبق أن شرحت بالتفصيل وهى أن أغلب الناس بصفة عامة مهيمون لتلقى الشائعات وتصديقها لأنه ليس لديهم من الوقت ما يسمح بمراجعة ما يسمعون على مهايير الصادق أو لصعوبة ذلك .

وقد استخدمت جميع أنواع الشائعات التى تحدثنا عنها فى الباب الخاص بالشائعات وهى أساسا تحمل كل الحقد والكراهية للنظام القائم .

كما كان الاقتصاد المصرى هدفا لكثير من الشائعات نقدم لها نموذجا ما نشرته جريدة النهضة البروتية فى ١٨ من يوليو ١٩٦٥ عن بيع احتياط الذهب المصرى فى سويسرا ، وما نشرته أيضا جريدة الصفاء اللبنانية عن بيع مصر للقمح الذى تستورده من الولايات المتحدة .

ومن نماذج الشائعات السياسية ما يمكن أن يقال بصفة عامة عن مسئولية القاهرة الكاملة والمباشرة عن كل الحركات والانقلابات التى تحدث فى العالم حتى أن ثورة كاسترو فى كوبا كانت من تدبير القاهرة ، واغتيال فيرفورد فى جنوبى أفريقيا كانت القاهرة من وراءه أيضا .

## الاتحادات :

وبعد أن فشل حلف بغداد في أداء مهمة تطويق القاهرة وقامت الجمهورية العربية على أساس الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير ١٩٥٨ أنشأت بريطانيا حلفا ملكيا يضم ملكي العراق والأردن وروجت له دعايات حلف بغداد . وقيل يومها : ان هذا الاتحاد الهاشمي هو الطبيعي والممكن والقابل للبقاء . ولكن ثورة ١٤ يوليو العراقية تكفلت بوضع نهاية هذا الاتحاد الذي لم يارس لحظة واحدة فاعلية وجوده .

## شراء جرائد وأقلام عربية وأجهزة تشويش وتقوية اذاعات الاستعمار :

ومن الاساليب التي استخدمت في مواجهة الجمهورية العربية المتحدة انشاء مكاتب صحفية في بعض البلدان العربية ، وشراء أقلام تكتب لصالح الرجعية والاستعمار ، وقد تمثل ذلك فيما يلي :

١ - تأسست في بيروت شركة في عام ١٩٦٠ باسم دار الصحافة رأس مالها الظاهر في العقد مليون ونصف مليون ليرة يرأسها روبر ابللا الذي يحمل الجنسية البريطانية ، وقد جرى بشخص بريطاني من انجلترا لادارة هذه الدار التي تصدر ثلاث صحف : اثنتان تكتبان باللغة العربية ولكنهما تنطلقان باسم الممولين الحقيقيين في لندن ، بينما تصدر الجريدة الثالثة باللغة الانجليزية . ومن جهة أخرى حاول الاستعمار القضاء على الصحف القومية في بيروت وذلك عن طريق تخريب دور هذه الصحف ووضع المتفجرات فيها ففي ١١/١٠/١٩٦٠ وضعت قنبلة في جريدة الحوادث القومية كما وقع انفجار في مبنى دار الصياد لصاحبها سعيد فريخة في ١٣/١٠/١٩٦٠

٢ - من جانب العراق عمل رأس المال الانجليزى مع عبد الكريم قاسم على توسيع نشاط صحيفة الحياة البيروتية فاشترت لها آلات خاصة لنقل الاخبار والصور من جميع أنحاء العالم .

٣ - وفي الأردن ركزت الحكومة على جريدة الجهاد فقدمت لها ١٠٠ ألف دينار ومرتبات شهرية ثابتة للمحررين .

٤ - فى السودان وضعت الحكومة هناك يدها فى ١٧/١٢/١٩٥٨ على مستندات تثبت أن حكومة السودان السابقة وافقت على مؤامرة استعمارية لانشاء محطات اذاعة فى أماكن متفرقة من السودان للتشويش على اذاعة الجمهورية العربية المتحدة .

هذا ومن المسائل التى استخدمت فى محاربة أجهزة الاعلام العربية أن الكونجرس الأمريكى اعتمد مبلغ ٤٠ مليون دولار لتقوية اذاعة صوت أمريكا عام ١٩٥٩ فى : الشرق الاوسط ، وأفريقيا ، وأوروبا .

### الأحلاف الرجعية :

لما كان الاستعمار فى محاولة دائمة لتغيير شكله القديم الى أشكال جديدة فهو ينتقل من القواعد العسكرية الظاهرة ، الى النشاط الخفى للشركات الاحتكارية، الى تجميع للحكام والعملاء الرجعيين فى أحلاف تتخذ من العقيدة والدين ستارا لها يخفى طياته النشاط الخفى للشركات الاحتكارية النازحة لثروات الشعوب .

فمثلا عندما ووجه نورى السعيد بمقاومة مشروعه الاستعماري «حلف بغداد» ، حاول أن يعطى الحلف صفة التجمع الاسلامى لكي يمكن قبوله . ولقد قام الملك سعود بعده بثلاث سنوات بنفس الدور عندما حاول أن يضيف على مشروع أيزنهاور عباءته الدينية ولكنه لم يوفق أيضا .

ونفس الدور يمثلُه الآن الملك فيصل امتداداً لحلف بغداد ومبدأ أيزنهاور وهو يدعو الآن صراحة الى الحلف الاسلامي دون مرادفات أجنبية ظنا من الملك انه يتجنب أخطاء نوري السعيد ، والملك سعود .

## المجلات :

لعل الظاهرة البارزة في وسائل الاعلام المعادية ما حاولته الدوائر الاستعمارية في بيروت من تزوير كامل لأعداد من المجلات العربية ذات التأثير في الرأى العام ومن بينها مجلة روز اليوسف . فقد تم اعداد طبقات مماثلة تماما من مجلة روز اليوسف وتحمل نفس الاسم ولها نفس مواصفات الطباعة ، والتغليف والرسوم ، والاختلاف الوحيد هو المادة نفسها التى تتضمنها صفحات المجلة بمعنى أن الاستعمار يقوم بعملية تزيف كاملة لمجلة معروفة للرأى العام العربى وليولها القومية ؛ لكى يفاجئ القارئ بحدوث تغيير فى طريقة تحرير المجلة واتجاهاتها القومية .

## المزيد من النصر يقابله المزيد من حملات النقد :

واذا كنا قد استعرضنا أهم الوسائل والادوات التى يستخدمها الاعداء والخصوم فى الترويج لوجهات نظرهم المعادية ، فان ذلك معناه أن هذه الادوات جميعها ، أو بعضها ، أو أكثر منها قد استخدمت أو ما زالت تستخدم بطريقة أو بأخرى .

والملاحظة العامة التى يمكن أن تعطىها طبيعة القاعدة ، أنه كلما أحرزت الجمهورية العربية المتحدة انتصارا تزايد نشاط أساليب الدعايات المعادية وأدواتها وتعددت وجوهها ، وتمايزت مراحلها ، ولكن جميعها تسير فى اتجاه مصلحة واحدة هى التقليل من قيمة الانتصار، أو التشكيك فيه، أو اتهامه .. الخ .

وبصفة عامة يمكن رصد الحركة التصاعدية للدعائيات المعادية والضغوط النفسية التي تعرض لها الشعب المصرى عن طريق رصد نفس الحركة التصاعدية لانتصارات الشعب المصرى وتزايد مكاسبه ، ولقد أشار الرئيس عبدالناصر الى هذه الحقيقة عندما قال فى احدى خطبه : انه يتفائل من تزايد نجاح الخصوم لأن ذلك اعتراف حقيقى من جانب الاعداء بأننا نسجل المزيد من الانتصارات .

وانه لمن الممكن رصد حركات الهجوم المضادة التى قوبل بها كل انتصار أحرزته الجمهورية العربية المتحدة .

## القومية العربية فى مواجهة الاستعمار :

للقومية العربية مع الاستعمار تاريخ طويل ومؤامرات منسقة من قبل أطرافه ، وقد كان الباعث الأول للاستعمار على قيامه بمؤامراته ضد القومية العربية هو عزلتها منذ القرن الثالث عشر ، وتفضيلها أن تظل معزولة بالقدر الذى يسمح لها بصدد الغزوات التى تعرضت لها ومنها الحملة الصليبية التى كانت تتألف من جيوش مأجورة خرجت من ظلمات أوروبا لتبحث عن المراعى الخصبة تحت ستار الدين .

أما الباعث الثانى للاستعمار فى اقدامه لفرض سيطرته على العالم العربى فقد كان البحث عن الاسواق ومصادر الخامات بعد أن ظهرت الآلة فى أوروبا واجتاحتها موجة من الانقلابات : الاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية، خاصة وان أوروبا كانت قد ذاقت خيرات الشرق الاقصى وعرفت خاماته الطيبة بعد الرحلات التى قام بها : البرتغاليون ، والاسبان والانجليز ، والفرنسيون الى هذه المناطق عن طريق رأس الرجاء الصالح وخلال الفترة التى كان لا يزال العرب فيها يتمتعون بهيبة ومنعة .

أما الآثار التي ترتبت على فرض الاستعمار الأوروبي سيطرته على العالم العربي فهي عديدة ، ولكن هدفها الاول كان التفتيت والتجزئة بالوسائل المختلفة من وسائل الدعاية والأغراء وعن طريق الأعوان المتطلعين الى السلطان ، وعن طريق تسميم الثقافة وبث الشك في طبيعة أهداف المنطقة التي كانت لديها بالأمس امكانيات غزو أوروبا نفسها لولا أن اعترتها العثرات الداخلية •

ونحن لا نتابع الاحداث في هذا المجال - فهذه مهمة المؤرخ - وانما نريد أن نكشف عما سببته صحوة القومية العربية المفاجئة لكل من الكتلتين العالميتين - بخاصة الغربية منهما - من محاولات في تغيير الخطط والاساليب في عمليات بسط نفوذها ، أو على الأقل خلق علاقات جديدة تهيم لها ما تصبو اليه من الحفاظ على البقية الباقية من النفوذ • ومع ذلك كان كثير من المراكز الدولية قد تأثر بهذه الصحوة المفاجئة من القومية بالرغم من المحاولات اليائسة التي بذلت لوقف تطور هذه الصحوة ، ونشير الى بعض التغيرات التي طرأت كنتيجة لهذا التطور في المحاولات التالية :

١ - تغيير أهداف الدعاية وأساليبها الموجهة الى المنطقة حتى تتلاءم مع الظروف الجديدة •

٢ - تغيير واضح في مجال العلاقات بين دول الغرب نفسها من حيث تنفيذ التحالف ، ومن حيث زيادة الصراع الذي كان يأخذ صورا عديدة فيما بينها ولا سيما بريطانيا وأمريكا •

٣ - تغيير في الموقف العسكري في المنطقة نتيجة لجلاء قوات بريطانيا عن بعض المناطق العربية ، ومحاولات انشاء منظمات دفاعية جماعية وفسلها ، وتأثير ذلك على موقف الاتحاد السوفيتي •

٤ - تغيير في سياسة الكتلة الشرقية ازاء منطقة العالم العربي بعد أن كانت تنظر اليها على أنها منطقة نفوذ خالص للدول الغربية .

٥ - تغيير في السياسة الامريكية بالذات حتى تبدو في دور المهدى وتحل محل حلفائها الذين تقلص نفوذهم في المنطقة ، وحتى تمنع الكتلة الشرقية من أن تدعم علاقاتها مع هذه المنطقة ، وفشل دورها هذا وعودتها الى حظيرة التحالف الغربى .

٦ - تأزم العلاقات بين القومية الصاعدة والدول الغربية الى الحد الذى نتج عنه قيام اعلان الحرب من قبل كل من بريطانيا وفرنسا بالاشتراك مع اسرائيل كمحاولة للقضاء على قيادة هذه القومية في مصر .

٧ - نشأة كتلة جديدة حيادية قوامها الدول المتواقعة الى التحرر فى آسيا ، وأفريقيا من مجالات النفوذ ، وتسخير امكانياتها لخدمة شعوبها .

٨ - تغيير لأساليب الحكام المحليين فى منطقة الشرق العربى ، وتملقهم للشعوب العربية ، وعدم جدوى هذا التغيير الظاهرى .

وبصفة عامة فان الآثار التى ترتبت على نجاح القومية العربية وحققت شوطا كبيرا من أهدافها - كانت بعيدة العمق حتى امتدت الى الحياة اليومية للفرد الاوروبى فى فترة من فترات الصراع الاستعمارى التى نشأت عقب تأميم قناة السويس ووقوع العدوان الثلاثى على مصر .

## مؤتمر باندونج الأول « مارس ١٩٥٥ » :

ان الأثر العظيم الذى أحرزه انتصار باندونج فى مجال العلاقات الدولية ، والعمل العظيم الذى قامت به مصر من أجل نجاح أول مؤتمر يضم شعوب آسيا وأفريقيا الحرة لأول مرة كان من شأنه زيادة مخاوف الامبرياليين القدامى . لقد

كان انتصار باندونج انتصار الارادة الحرة للشعوب التى غلبت على أمرها .  
وعانت طويلا من النهب الاستعمارى المنظم لخيرات بلادها .

لقد كان من بين قرارات باندونج أن الاستعمار شر يجب وضحه نهاية  
عاجلة له ، وأن خضوع الشعوب للاستعباد والسيطرة الاجنبيين يناقض ميثاق  
الأمم المتحدة ، وأنه يجب اعطاء الحرية والاستقلال لكل الشعوب .

وطالب المؤتمر فى قراراته : بفتح باب الامم المتحدة لجميع الدول ، ونزع  
السلاح ، وتحريم انتاج الاسلحة الذرية والهيدروجينية وتجاربها . ونادى المؤتمر  
بأن دول آسيا وأفريقيا محتاجة الى التقدم الاجتماعى ورفع مستوى المعيشة ، وأنه  
لا بد من استقرار السلام .

وكان من البديهي أن يهاجم مؤتمر باندونج من جانب أولئك الذين  
يقفون حجر عثرة فى سبيل تحرير الشعوب من أجل مواصلة نهب خيراتهم .  
أن ذلك هو ما حدث بالفعل ، ولكن الشيء العجيب حقا هو ما أثبتته الدراسات  
التى أجريت فى القاهرة حول ردود الفعل العالمية للقاء شعوب آسيا وأفريقيا فى  
باندونج . لقد سجلت هذه الدراسات مثلا أن نسبة الهجوم والانتقاد الذى وجه  
الى مصر والرئيس عبدالناصر يوازى ثلاثة أضعاف ما وجه الى مؤتمر باندونج  
ككل .

إن تزايد الهجوم الاستعمارى والرجعى على قائد الثورة المصرية بعد  
باندونج معناه أن هذه الدعايات المعادية لم تتمكن من تقليل هيبة الزعيم المصرى  
فى نطاق بلاده ، وانها لا شك ستكون أكثر صعوبة وتعقيدا بعد أن عاد الرئيس  
المصرى الى بلاده كواحد من أبرز أبطال المؤتمر ومن أكبر قادة النضال فى أفريقيا  
وآسيا . ولقد أصبح بالفعل ذلك ، وأصبحت مهمة الدعايات المعادية لثورة ٢٣  
يوليو من أصعب المهمات .



## تأميم قناة السويس « ٢٦ من يوليو ١٩٥٦ » :

وفي حالات نادرة فقط بعد نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن أن يقال : أن وسائل الاعلام والدعاية العالمية تتوقف عاجزة تماما لفترة عن التعبير عن حقيقة مشاعرها واتجاهاتها بسبب فداحة المفاجأة أو خطرها . ولقد كان قرار تأميم قناة السويس من بين هذه الحالات النادرة التي أصابت معظم الدعايات العالمية بما يشبه الذهول الذي يتحول فيما بعد الى هذيان محموم .

ولقد كان أول انطباع عبرت عنه الدعايات المعادية في اليوم التالي لقرار التأميم هو جزعها البالغ من هذه « البساطة المتناهية التي أعلن بها الرئيس عبد الناصر قراره التاريخي في الاسكندرية » .

وبالفعل . ثبت فيما بعد أن هذه البساطة المتناهية التي تم بها قرار اعلان التأميم هي التي جعلت انطونى ايدن يفقد توازنه . ويعتبر أن قرار التأميم هو اهانة شخصية توجه الى رئيس وزراء بريطانيا . ومن ثم فإن تفكير ايدن المنفعل بدأ منحرفا وخاطئا . وجعل من حقده الشخصي على الرئيس عبد الناصر أساسا لجميع تصرفاته المستقبلية . وما دام رئيس وزراء بريطانيا بدأ تفكيره منحرفا فإن النتيجة الحتمية هي أن ينتهى تفكيره الى نتائج منحرفة ، ولقد كان ذلك هو ما حدث تماما .

لقد ذكر ايدن في مذكراته التي طبعها بعد عشر سنوات من حرب السويس الفاشلة أنه قال بعد سماعه نبأ التأميم وكان في حفل عشاء خاص يحضره نوري السعيد والأمير عبد الله الوصى في ذلك الوقت على عرش العراق :

« ان المصرى وضع أصبعه على قصبتنا الهوائية . واننى أفضل أن أرى الامبراطورية تسقط فى ارتطامه واحدة بدلا من أن أراها تتفتت قطعة وراء قطعة » .

وأثبتت هذا التعليق أيضا جريدة الصناديق تايمز في سلسلة تحقيقاتها عن ظروف حرب السويس التي يكتبها هيوم توماس •

والواضح أن هذا التعليق العصبي لا يدن لا يحمل شيئا من الحقيقة ؛ فلم تكن قناة السويس قطعة من الامبراطورية البريطانية ، كما أن الامبراطورية نفسها كانت قد ارتطمت بالفعل •

ومن صيغة التعليق يمكن أن يشم القارئ رائحة الحرب النفاذة ، وكان ذلك هو رأى ايدن منذ اللحظة الاولى التي سمع فيها قرار تأميم قناة السويس • وكان عليه أن يثبت بحق - كما تهكم عليه بعض زملائه المحافظين - ما اذا كان يحمل تحت أنفه شاربيا حقيقيا •

ولم يكن مؤتمر لندن الاول والثاني ، ولم تكن جمعية المنتفعين لقناة السويس والذهاب الى مجلس الأمن الا مجرد وقت يكسبه ايدن ومؤيدوه للتجهيز للحرب • لقد قال نوري السعيد ناصحا ايدن يجب أن تضرب الآن • وكان ذلك هو نفس رأى ايدن الذي اختلف عليه قادته العسكريون لأنه كان لابد من بعض الوقت للتجهيز والاعداد •

والى جانب الاعداد للحرب كان هناك التمهيد النفسى للعدوان وقد تكفلت به على خير وجه معظم أجهزة الدعاية ووسائل الاعلام فى أوروبا والولايات المتحدة • كان لابد من التمهيد للحرب الساخنة بحرب أخرى نفسية اتخذت لنفسها أربعة أشكال مميزة :

الشكل الأول : وكان موجها للشعب المصرى ، هدفه فى الأساس أن العمل الذى أقدم عليه الرئيس عبد الناصر لا يمكن أن يبر بسهولة الى جانب ان خسائره ستكون أكثر من مكاسبه •

الشكل الثاني : وكان موجها الى الشعوب العربية ، هدفه محاولة عزل مصر عن بقية الدول العربية ومحاصرة الشعب المصرى داخل اراضيه .

الشكل الثالث : وكان موجها الى شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية التى استقلت حديثا ، أو التى ما زالت تكافح من أجل استقلالها الوطنى . وكان هدفه العمل على احترام العهود والمواثيق الدولية . وان الشعوب الصغيرة لاينبغى أن تتورط فى أعمال لا تستطيع بقوتها المحدودة مواجهة عواقبها .

الشكل الرابع والأخير : وكان موجها فى الاساس الى الرأى العام الاوروبى والأمريكى وكان هدفه واضحا وهو تهمة الأذهان لتقبل مبدأ العدوان المسلح على مصر لاسترداد القناة ووقف أطماع مصر عند حد ، وتأمين مصادر البترول فى الشرق الأوسط . ولقد ارتفع فى ذلك الوقت شعار لابد من تأديب العصاة .

وكان عمل أجهزة الدعاية العدوانية فى بريطانيا وفى فرنسا وفى اسرائيل وأتباعها متناسقا ومتوازيا ويعرف أهدافه ، وهو فى النتيجة النهائية يخدم فكرة العدوان .

وعندما وقع العدوان بالفعل فى ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٥٦ لم يكن مفاجأة لأحد ، ولكن نتائج العدوان المعاكسة كانت هى المفاجأة الكاملة والمذهلة لدعاة الحرب والمروجين لها .

ومرة أخرى تصاب أجهزة الاعلام الاوروبية والامريكية بما يشبه الصدمة والذهول والتخبط .

وعلى مدى عشر سنوات كاملة فشل العدوان ولم تختلف مصادر الأنباء فى العالم على شئ قدر اختلافها على حرب السويس ، مقوماتها ونتائجها .

والامر الثابت فى كل أجهزة الدعاية العالمية المعادية منها قبل المؤيدة هو أن حرب السويس كانت الارتطامة الكاملة للإمبراطورية البريطانية ، والتسجيل الحاسم لانتصار ارادة الشعوب الحرة ، والادانة الكاملة للحرب كأداة لاختضاع الشعوب .

## التواطؤ :

وقد ذكر العديد من الآراء والتكهنات حول التواطؤ بين بريطانيا وفرنسا من جانب ، واسرائيل من جانب آخر. وليس هناك دليل صدق على وجود التآمر الثلاثى أكثر من المحاولات الفاشلة من قبل بريطانيا بنفى وجود التآمر ، وظهر ذلك بوضوح فى الدراسة التى قام بها المؤرخ البريطانى الشهير هيو توماس ونشرته جريدة الصنداي تايمز . لقد كانت هناك وقائع اتفاقية « سيفر » السرية التى ختمت التواطؤ بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل على العمل المشترك لغزو مصر وطلبات بن جوريون لكى تتحرك اسرائيل ، ويقول هيو توماس بالنص عن هذه المطالب :

♦ ضرورة أن تقوم بريطانيا وفرنسا بتحطيم السلاح الجوى المصرى قبل أية خطوة .

♦ ضرورة أن تقوم فرنسا وبريطانيا بالرقابة كاملة على المطارات المصرية حتى لا يقوم منها خطر ينقض على اسرائيل .

♦ ضرورة أن تتولى فرنسا اقامة حزام بحرى واق حول اسرائيل حتى تمنع البحرية المصرية من التهديد .

ويقول هيو توماس فى دراسته بالنص عن اتفاقية « سيفر » ما يلى :

«أصر بن جوريون على أنه لا يستطيع أن يعود الى اسرائيل الا بورقة مكتوبة يطمئن بها زملاءه فى الوزارة الى أنهم يستطيعون الحركة ، وعندما كلف ايدن

وكيل خارجيته باتريك دين بتوقيع هذه الورقة لبن جوربون رفض بن جوربون  
وطار بينو وزير خارجية فرنسا الى لندن في مهمة سرية سريعة ليعود بتأكيد  
شخصي من ايدن يضمن الصفقة .

« وفي يوم ٢٢ من أكتوبر وصل بن جوربون وديان وبيريز ومعهم الكولونيل  
مانجان الى باريس في طائرة من طراز « د س ٤ » كان ترومان قد أهداها الى  
ديجول في أعقاب الحرب . وهبطت الطائرة في مطار فيلاكوبلي ، واستقل الجميع  
سيارة قطعت بهم ميلا أو ميلين الى فيلا في « سيفر » إحدى ضواحي باريس .  
وانضم اليهم فيما بعد بينو وموليه . وقد جاء بن جوربون لعدة أسباب . كان  
يريد أن يتأكد أولا من أن السلاح الجوي المصري سيدمر قبل أن تزحف القوات  
الاسرائيلية عبر سيناء ، وكان يريد فرض مراقبة دولية فوق المطارات المصرية  
تبدأ منذ اللحظة التي تجتاز فيها القوات الاسرائيلية حدود مصر ، وكان يطالب  
باتفاق مكتوب توقعه الدول الثلاث لكي تتحرك اسرائيل ، وان يحضر المناقشات  
الأخيرة التي ستدور حول الاتفاق وزير بريطاني مسئول . وأخيرا طلب ضمانات  
بأن لا تؤدي التسمية التي كانت على وشك أن تتم في نيويورك بين فوزي وهمرشلد  
الى تأجيل الحرب ، وأن تحمي السفن الفرنسية سواحل اسرائيل ، وأن  
تتولى « قلة » من الطائرات المقاتلة الفرنسية حماية المدن الاسرائيلية ، وأن تلقى  
الطائرات الفرنسية بالمظلات المواد الغذائية والدخيرة والسيارات على القوات  
الاسرائيلية الزاحفة . وكان من المقرر أن تنطلق تلك الطائرات من قبرص . وفي  
تلك الليلة سافر « الوزير البريطاني المسئول » ومعهم أحد المسئولين سرا الى  
باريس وليس ثمة ما يدعو الى الشك في أن الوزير الذي سافر الى باريس هو  
لويد وأن المسئول الذي رافقه هو باتريك دين ، المستشار القانوني السابق  
لوزارة الخارجية البريطانية الذي خدم ايدن باخلاص طوال الأزمة ، ولقد قال  
لى بينو باخلاص في خلال حديث معي : ان الوزير كان « مندوبا بريطانيا » .

## فترة التوتر مع السوفييت :

ولم يأت عام ١٩٥٥ حتى كان الشعور القومي وكرهية الغرب قد بلغا غايتها في الشرق الاوسط ، وأصبح الغرب في تراجع مستمر عن هذه المنطقة ، ورأت دول الشرق الاوسط أن ارتباطها بالاتحاد السوفيتي يزيد هاقوة في مواجهة الغرب ، كما أن هذا الارتباط يعود عليها بفائدة كبيرة ممثلة في السلع الرئيسية والعنادر اخرى السوفيتي علاوة على أن الكتلة الشرقية ستصبح سوقا واسعا لخامات الشرق الاوسط .

وقد ازداد التبادل التجاري زيادة كبيرة بين دول المنطقة والكتلة السوفيتية منذ عام ١٩٥٤ ، بينما كانت نسبة صادرات المنطقة الى تلك الكتلة ٨٪ من مجموع صادراتها عام ١٩٥٣ ففرت هذه النسبة الى ٣٢٪ عام ١٩٥٨ ، واستطاع الاتحاد السوفيتي أن يحقق نهرا كبيرا في تحويل نسبة كبيرة من تجارة الشرق الاوسط نحو الكتلة السوفيتية بخاصة أنه قدم تسهيلات كبيرة في قروض التنمية الاقتصادية والعسكرية . وقد بلغت قروض الكتلة السوفيتية الى دول المنطقة أكثر من ١٣٠٠ مليون دولار منذ عام ١٩٥٥ ، حصلت منها مصر وحدها على أكثر من ٦٠٠ مليون .

ومنذ عام ١٩٥٥ عمل الاتحاد السوفيتي على اقامة روابط ايجابية مع مصر عقب انهام صفقة السلاح الاولى . وحينما نشأت أزمة السد العالي وما أعقبها من تأميم قناة السويس وقفت الكتلة الشرقية بجانبنا مؤيدة قانونية الاجراء ، وقامت بتقديم عرض تهويل السد العالي ، ثم استمرت العلاقات بين البلدين تنمو في جميع المجالات ولا سيما في المجال الاقتصادي في ظل من الاحترام المتبادل . وقد ظهر ذلك بوضوح في المحادثات والخطب التي تمت خلال زيارة الرئيس السابق خروشف للجمهورية العربية المتحدة في ربيع عام ١٩٦٤ .

الا أن هذه العلاقات انتابها نوع من الفتور والتوتر فى الفترة التى تلت الوحدة بين مصر وسوريا نتيجة ملابسات سياسية واختلافات مذهبية • لقد كانت سوريا قبل الوحدة مركزا هاما للنشاط الشيوعى ، وكانت الفوضى الحزبية وعدم الاستقرار السياسى قد وصلا فيها الى درجة مهدت للشيوعيين المحليين احتمالات السيطرة على الحكم ، ولكن بعد أن تمت الوحدة ضعف مركز الشيوعيين بخروج بعض زعمائهم من سوريا •

وفى ١٤ من يوليو قامت ثورة العراق وتم لعبدالكريم قاسم الاستيلاء على الحكم ولكنه انحرف عن الخط العربى ولجأ الى الشيوعيين المحليين فى ضرب القوى القومية بالعراق ، واستمر العراق فى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسى وصلت ذروتها فى مذبحه الموصل وكركوك •

لم تواجه الوحدة ضغطا من الغرب فقط ولكنها جابهت عدة مشكلات مع الكتلة الشرقية فى نفس المرحلة •

وقد نادت الجمهورية العربية المتحدة فى ذلك الوقت بنشاط الشيوعيين المحليين فى العالم العربى مما حدا بالاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية الى أن تجند أجهزتها الاعلامية للهجوم على اتجاه الجمهورية العربية المتحدة القومى والوحدوى وحملاتها ضد الشيوعيين •

وكان لخطاب السيد الرئيس فى بور سعيد يوم ٢٣/١٢/١٩٥٨ والذى حمل فيه على الشيوعية فى : الجمهورية العربية المتحدة ، والبلدان العربية ، والعراق بصفة خاصة - أثر كبير فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية ، مما أدى الى قيام أجهزة الاعلام بها الى مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة •

## اذاعة موسكو :

هاجمت أى تقارب بين الجمهورية العربية المتحدة والغرب ، كما هاجمت الرئيس عبد الناصر وقالت : ان موقف ناصر من الشيوعيين هو بمثابة ضربة تنزل بالديموقراطية ، كما أشادت بدور السوفييت في مساعدة الجمهورية العربية المتحدة في أثناء العدوان • كذلك أذاعت كلمة محيى الدينوف في مؤتمر الحزب الشيوعى الذى هاجم بعض الدول العربية لمعاداتها للشيوعيين وقال : ان هؤلاء لا يخدمون أمتهم ، وتناولت بالهجوم شخص الرئيس عبد الناصر وقالت انه ما زال يواصل افتراءاته على عبد الكريم قاسم ، واتهمت الجمهورية العربية بالثورة التى قامت في الموصل ، ونددت بحملات الجمهورية العربية المتحدة على العراق وقالت : انها ترغب فى ضم العراق . وحاولت اظهار الاتحاد السوفييتى بمظهر التسامح ، وأن هناك حرية أديان وأن المسلمين فيه يتمتعون بكل شئ فى حرية تامة ، وذلك ردا على ما أشيع من أن فى القاهرة مصدرا يقول أن الاتحاد السوفييتى يسيء معاملة المسلمين، وأكدت الاذاعة عدم تدخل خروشوف فى الشؤون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على مناصرة الحكم القائم فى العراق، والدفاع عن الأوضاع الداخلية بها • كما أنكرت قيام هجرة اليهود من دول الكتلة الشرقية الى اسرائيل •

واشتركت كل من اذاعات : بكين، وتيرانا ، وصوفيا، وبرلين فى الهجوم على القاهرة ، فقامت اذاعة بكين بالهجوم على الرئيس عبد الناصر لمعاداته لعبد الكريم قاسم واتهمته بالمساعدة لقيام ثورة الموصل •

وأما اذاعة صوفيا فقد نددت بالاجراءات التى اتخذت ضد الشيوعيين وخاصة فى الجمهورية العربية المتحدة ، ووصفت الشيوعيين بأنهم القوة المحركة فى الوحدة الشعبية فى البلدان العربية •

وأما اذاعة برلين الشرقية فقد هاجمت صحف القاهرة ووصفتها بأنها تروج الاكاذيب لافساد العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتى •



## صحيفة البرافدا :

ولقد قامت صحيفة البرافدا بالاشارة الى أن صحف القاهرة تردد ما تقوله صحف الرجعية في أمريكا على العراق ، ونددت بصحف القاهرة لنشرها ما يفيد أن الاتحاد السوفييتي يشجع الهجرة الى اسرائيل ، كما أشادت بالعلاقات بين السوفييت والعراق وعبد الكريم قاسم وهاجمت الجمهورية العربية المتحدة وسوريا لهجومها على العراق . وقالت : ان الأعمال والخطب التي يقوم بها عبد الناصر تؤيد السياسة الاستعمارية الأمريكية ، وأعربت عن أملها في زوال التوتر بين العراق والجمهورية العربية المتحدة . وهاجمت الجريدة أيضا مجلة روز اليوسف القاهرية لعطفها على الأمريكيين ، كما استنكرت المحاكمات التي وصفتها بالصورية ضد الشيوعيين وعددهم ٦٤ مواطنا بالاسكندرية ، وهاجمت القاهرة لنشرها أنباء غير ودية عن زيارة خروشوف للولايات المتحدة ، كما نشرت أن في مصر محاكمات عسكرية سرية ضد التقدميين .

ويعتبر ما نشرته جريدة اذفستيا الشيوعية مقاربا لما جاء بجريدة برافدا من هجوم على الجمهورية العربية المتحدة والاشادة بثورة العراق وحكامها ، كما هاجمت الصحف المصرية وقالت : ان الصحافة لم تقدر الصداقة ، وأبرزت أسف خروشوف لوجود نزاع بين العراق والجمهورية العربية المتحدة .

على أن هذه الحملات مالت بعد ذلك الى الهدوء ، وأخذت العلاقات بين البلدين تتجه الى النمو في جميع المجالات ، وأصبحت العلاقة بين البلدين مبنية على أساس من التفاهم والاحترام المتبادل ، والحرية السياسية والعقائدية .

## قوانين يوليو الاشتراكية :

وجاءت قوانين يوليو الاشتراكية في يوليو عام ١٩٦١ ، فأنارت مختلف الدعايات العالمية ، فبالنسبة لليونان مثلا أثارت قرارات التأمين موجة من القلق في الاوساط الاقتصادية والسياسية اليونانية لما ترتب عليها من بعض الاضرار

المالية التي لحقت ببعض أفراد الجالية اليونانية ، ولما نجم عن هذه القرارات من ازدياد هجرة اليونانيين • ويلاحظ أنه بالرغم من ذلك امتنعت الصحف اليونانية عن التعليق •

ولقد تزعمت كل من الدعاية الاسرائيلية، واذاعة طهران كعادتهما الاذاعات المجهولة ، وسارتا في خطط استعماري واحد هدفه النيل من أى انتصار تحرره الجمهورية العربية المتحدة •

أما بالنسبة لبعض الدول الآسيوية الأفريقية حديثة الاستقلال فقد لوحظ أنها لم تبد حماسا لهذه التشريعات ، وقد يرجع ذلك الى رغبة حكومات بعض هذه الدول في عدم تشجيع شعوبها على المطالبة بمثل هذه القوانين الاشتراكية •

ومع ذلك فان نقابات العمال في غينيا اجتمعت واتخذت قرارا بمطالبة الحكومة بتطبيق القوانين الثورية فيما يتعلق بالعمال من حيث حصولهم على ٢٥٪ من الارباح وتمثيلهم في مجلس ادارات المؤسسات •

أما موقف الدول العربية فقد اختلف بسبب ظروف كل دولة وحالتها الداخلية ، وانفردت صحافة لبنان وحدها بالتعليق على الموضوع ، بل وقفت الصحف المعادية للجمهورية العربية المتحدة موقفا موحدًا هدفه تحطيم القرارات والتخويف من تطبيقها في لبنان ، في حين أيدت الصحف التحررية هذه التشريعات ، وطالبت بتطبيق هذه الاشتراكية العربية في لبنان •

ولنحاول أن نتبع أهم الأهداف الدعائية التي برزت في مختلف الدعايات لأنها تلقى ضوءاً نحن نحتاج اليه لنرى الطريق بوضوح •

فبالنسبة لمحاولة التشكيك في قدرة هذه التشريعات على النجاح فقد قامت على أساس أن التأميم سياسة ثبت فشلها بدليل انخفاض انتاج المؤسسات التي أممت من قبل • وأشارت الدعايات الى عدم كفاية الجهاز الحكومي لإدارة هذا العدد

الضخم من المؤسسات والشركات التي شملها النأييم • كما زعمت أن الاتحاد السوفيتي سيلحق ضررا كبيرا باقتصاديات الجمهورية العربية المتحدة نتيجة عدم رضاه عن هذه الشركات لارتباط الاقتصاد في الجمهورية العربية المتحدة بالاقتصاد السوفيتي ( انظر - صفقة الأسلحة ) •

وبالنسبة لمحاولة تشكيل العمال والوظفين في الحقوف التي كفلتها لهم هذه الشركات ، رددت الدعايات أن تخفيض ساعات العمل سيؤدي الى ايقاع الضرر بالاقتصاد الاقتصادية اذ سيؤدي الى رفع تكاليف السلع ، وأن قرار منح العمال ٢٥٪ من الربح لن ينفذ بسبب سيطرة الحكومة على المؤسسات ، وبسبب ضعف الربح ، وكما ستؤدي القوانين الاشتراكية الى تحميل العمال أعباء مالية جديدة : كالنأييمات والخدمات الاجتماعية ، فانها قد حلت من بعض المواد التي تدهي العمال من الفصل التعسفي ، كما أن قوانين العمل الجديدة سوف تسبب النضخم •

وبالنسبة لمحاولة إثارة الفلقل حول الوضخ الاقتصادي في الجمهورية العربية المتحدة فقد روجت هذه الدعايات أن الشركات انخفضت من أجل المعجز الوجود في الميزانية ، ولأن الاقتصاد المصري أصبح اقتصادا منهارا تسيطر عليه الحكومة سيطرة تامة ، كما زعمت أن هناك حركات استياء داخل أوساط العمال لعدم رضاهم عن الشركات العمالية ، وأن التشاؤم أصبح علانية الآن لدى أصحاب المصلات وصغار رجال الأعمال ، كذلك قالت : أن هجرة التجار الأجانب التي بدأت منذ عام ١٩٥٦ بتأييم قناة السويس اؤزادت ، وسوف يصرى تعديل في العملة في شكل تخفيض منقح • وقالت : ان الشركات أحدثت هزة كبيرة في الأسواق المحلية ، وأن الذهب اختفى من الأسواق ، وأن انخفاض أسعار المستندات يدل على الذعر الذي أصاب أصحاب أصفحابها ، ثم رددت الشائعات أقرالا عن استقالة كل من : حسن عباس زكي ، والدةكتور ألييسو في كمدسم عامهما بهستاور هذه القرارات وعدم رضاهما عنها •

هذا وحاولت الدعايات اثارة الاقليات والهيئات والطوائف في الجمهورية العربية المتحدة بقولها : أن قوانين التأمين اضطهاد للأقليات وبالذات للجالية اليونانية ، فضلا عن أن هذه القرارات الاشتراكية تتعارض مع الدين الاسلامي ، وتطبيقها في الاقليم السوري أضر بالاقتصاد السوري حتى أوجد حالة سخط عامة .

ثم حاولت الطعن في حياد الجمهورية العربية المتحدة فرددت بأن الرئيس ناصر يترسم بإصداره هذه القوانين خطى ستالين ، وأن هذه القرارات شيوعية وليست اشتراكية ، وقد أحدثت نفس الأثر الذي أحدثته قرارات التأمين في الدول التابعة للكتلة الشرقية .

## الضغوط الاقتصادية :

كشف العدوان الفاشل على السويس عن مدى خطر سيطرة الأجانب على المراكز الحساسة في الاقتصاد المصري ، وفي كل اقتصاد قومي توجد مواقع يمكن عن طريقها السيطرة على الاقتصاد القومي وأهمها : البنوك ، وشركات التأمين ، وهيئات التمويل بصفة عامة ، وكان الكثير منها تحت سيطرة الانجليز والفرنسيين (١) .

لذلك وبمجرد فشل العدوان بدأت الثورة باتخاذ سلسلة من الاجراءات لاستخلاص هذه المواقع إصر ولصالح شعبها ، فبدأت بإنشاء المؤسسة الاقتصادية في ١٣ من يناير سنة ١٩٥٧ بالقانون رقم ٢٠ ، ثم بتمصير البنوك في ١٥ من يناير ١٩٥٧ بالقانون رقم ٢٢ .

ولقد حاولت دعايات الولايات المتحدة بعد ذلك أن تقف بين العالم العربي وبين ما تصفه بالارتقاء في أحضان السوفيات وذلك كاستثمار لأن تأخذ مكان

---

(١) صلاح نصر : الحرب الاقتصادية ص ١٨١ - ٢٠٦ دار القلم بالقاهرة ١٩٦٥ .

بريطانيا وفرنسا في الشرق العربي لتملأ الفراغ المزعوم الذي ادعت وجوده بعد جلاء النفوذ البريطاني والفرنسي عن المنطقة، فأعلن الرئيس أيزنهاور عن مشروعه الذي يعرض فيه المعونة العسكرية لمساعدة دول الشرق الاوسط اذا ما تعرضت لهجوم عليها ، واستعداده بمدها بمعونة قدرها ٢٠٠ مليون دولار .

واقترن انسحاب القوات المعتدية عن السويس بنوع من الحصار الاقتصادي قام به الغرب منذ عام ١٩٥٧ هادفا من ذلك التأثير على تجارتنا الخارجية وعرقلة اقتصادنا القومي .

وتمثل ذلك في التضيق على صادراتنا الى البلاد التقليدية كبريطانيا وفرنسا بصفة خاصة ، والامتناع عن بيع القمح والأدوية لنا الا نقدا وبالعملة الصعبة .

كذلك أعقب فشل العدوان الثلاثي اتباع دول غرب أوروبا والولايات المتحدة سياسة تهدف الى حصار مصر والضغط عليها اقتصاديا ، وتركزت هذه السياسة حول القطن المصري واتخذت مظاهر عديدة . منها امتناع دول غرب أوروبا والولايات المتحدة عن شراء القطن المصري ، وامتناع البنوك المحلية التي كانت تعتبر آنذاك فروعاً لمراكزها في الخارج عن تمويل محموله . وكانت تغطي كل هذه الاهداف حملة دعائية منظمة شنتها دول غرب أوروبا والولايات المتحدة ، فأشاعت مثلاً أن مصر رهنت محصولها من القطن مقابل صفقات الأسلحة من الكتلة الشرقية ، وسياسة الاغراق التي اتبعتها الولايات المتحدة تقوم على بيعها لأقطانها طويلة التيلة في الأسواق العالمية بأسعار منخفضة .

وساهم في زيادة حدة الموقف بالنسبة لمصر توسع السودان في زراعة القطن طويل التيلة ، وتعهد ببيعه في الأسواق العالمية بأسعار منخفضة، وقد شكلت

هذه العوامل مجتمعة ضغطا على أسعار القطن المصرى وجعلتها تبدو مرتفعة في السوق العالمية مما أضعف الطلب عموما على القطن المصرى فانخفضت صادراتنا الى حوالى ١٨ ، ٧٠ مليون قنطار عامى ٥٦/٥٧ ، ٥٧/٥٨ على التوالى .

وتعتبر الفترة التى أعقبت العدوان الثلاثى مباشرة وامتناع الكتلة الغربية عن شراء القطن المصرى هى الفترة التى قام فيها الغرب فعليا بضغطه الاقتصادى علينا ، أما ما تلا ذلك من انخفاض فى نسبة واردات الكتلة الغربية من القطن المصرى فيرجع الى تحول تجارة القطن نحو أسواق جديدة نتيجة هذا الضغط .

ولقد أوقفت بريطانيا مد مصر بالبنكنوت المصرى المطبوع فى بريطانيا وحصلنا على كميات منه عن طريق السودان ، وعملية طبع البنكنوت من العمليات الهامة والحساسة فى الحروب الباردة والساخنة على السواء ، وإن امتناع الطابعين عن التوريد أو اقضاء سر الطباعة لتسهيل التزييف أمر قد يؤدى الى ارباك الاقتصاد القومى وتخريبه .

وقبل العدوان قامت اسرائيل فعلا بتزييف ورقة البنكنوت فئة الجنيهات الخمسة ، ولولا فشل العدوان فى الحال لغمرت اسرائيل مصر بالأوراق المزيفة وبعد العدوان تسربت بعض هذه الأوراق الى مصر عن طريق بنك أنترا بيروت ، ولكن اكتشاف التزييف قضى على هذه المحاولة فى حينها .

أمثلة للهجوم على مصر :

١ - اتهمت اذاعة لندن بتاريخ ١٩/١٠/٦١ الرئيس عبد الناصر بخفض مستوى المعيشة فى مصر، كما شككت فى جهود المسؤولين عن الاقتصاد المصرى .

٢ - عزت الاذاعة سوء الوضع الاقتصادى الى المشكلات المتنوعة ، وافتقار مصر للعمال المهرة ، وبطء الاتحاد السوفييتى فى تنفيذ مشروعات السد العالى .

٣ - تهكمت اذاعة اسرائيل بتاريخ ٢٧/٧/٦١ على أعضاء مجلس الأمة وهم يناقشون الميزانية، وقالت الاذاعة أن المجالس المحترمة تستغرق شهرين في بحث الميزانية بينما ناقشها أعضاء مجلس الأمة في ست جلسات استغرقت ثلاث ساعات .

٤ - ادعت الاذاعة الاسرائيلية بتاريخ ٣٠/٧/٦١ بأن البطالة متفشية في مصر ، وذكرت أن قرار عدم الجمع بينوظيفتين سيزيد المشكلة تعقيدا ، كما ادعت الاذاعة بتاريخ ١٣/٩/٦١ بأن الحكومة أهملت الريف .

٥ - زعمت اذاعة طهران في ١٢/٨/٦١ أن مستوى المعيشة في مصر أقل المستويات في العالم وأن ٩٠٪ من أفراد الشعب حفاة ، وادعت أن أكثر من نصف الميزانية ينفق على التسليح .

٦ - أبرزت اذاعة « صوت الأحرار » في ١٤/٨/٦١ الوضع الاقتصادي في مصر على أنه في منتهى السوء حيث زعمت أن الشعب المصري يقف طوابير أمام المخازن ليحصل على أرغفة العيش، وأن الأرض اختفى من الأسواق .

٧ - شككت اذاعة باريس بتاريخ ٢٥/٩/٦١ في نجاح قانون اصلاح الزراعي ، كما قالت : ان التجار مستاءون من القيود التي فرضت على الاستيراد والتصدير .

### الدعاية المعادية للوحدة المصرية السورية :

واجهت الجمهورية العربية المتحدة منذ قيامها في فبراير عام ١٩٥٨ من الغرب كثيرا من مظاهر الضغط تمثلت في الحملات الاعلامية ضد الوحدة واطهارها في شكل استثمار مصرى ، واعادة تأكيد البيان الثلاثي الصادر يوم ٢٥ من مايو سنة ١٩٥٠ عن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا لتأمين حدود اسرائيل .

وقد صاحب ذلك حملة صهيونية شديدة ضد الجمهورية العربية المتحدة  
وضد حظر مرور السفن الاسرائيلية في القناة ، ومصادرة البضائع الاسرائيلية  
المحملة على السفن الاخرى ، وقد بلغت هذه الحملة ذروتها في حادث مقاطعة الباخرة  
« كليوباترة » في ميناء نيويورك وتلكؤ حكومة الولايات المتحدة في اتخاذ اجراء  
حاسم لوقف هذه المقاطعة .

وكانت أهداف الغرب من هذه الضغوط النفسية واضحة ، فهو يسعى  
الى فصم الوحدة مع سوريا والقضاء على عقيدة القومية العربية أو محاصرتها حتى  
لا تتسع رقعتها ، كما كان هدفه تشجيع الرجعية العربية وأعوان الاستعمار داخل  
الجمهورية العربية المتحدة للعمل على التخريب ، وأخيرا يحاول أن يساند اسرائيل  
بمحاولة التأثير على سياسة المقاطعة واجراءاتها بشأن الملاحة في قناة السويس .

ان التركيز على اثارة السوريين ضد الوحدة بين مصر وسوريا قد بدا  
بوضوح عقب قيام الاتحاد العراقي الاردني ، ووجهت هذه الاثارة الى معظم  
طوائف الشعب السوري : « جيش .. بوليس .. صحفيين .. رجال الأحزاب ..  
شخصيات سياسية .. تجار .. صناع .. مزارعين .. رجال اقتصاد .. بدو .. » .

ويمكن اجمال نقاط الدعاية المعادية للوحدة المصرية السورية منذ قيامها  
فيما يأتي :

١ - اتهام المصريين بالسيطرة على سوريا لمحاولة اثارة السوريين ضد  
الوحدة .

٢ - محاولة الدس والوقيعة بين رجال الحكم المصريين والسوريين .

٣ - الزعم بأن الصحافة المصرية ستفوز سوريا بعد تنظيم الصحافة في  
كلا البلدين لمحاولة بذلك اثارة الصحفيين السوريين .

٤ - اتهام الرئيس عبد الناصر بأنه أبعد جميع خصومه في سوريا وتركيزه  
النشاط السياسي في القاهرة فقط دون دمشق .



٥ - اثاره رجال الاحزاب السوريين عن طريق التريده بانهم غير راضين عن التنظيمات : الادارية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية .

٦ - مهاجمة القوانين الاقتصادية التي صدرت ، ومحاولة اثاره رجال : الاقتصاد ، والتجارة ، والصناعة ، والتدليل على ذلك بكساد سوق القطن وانخفاض اسعاره في سوريا ، وكساد التجارة السورية بعد الوحدة .

٧ - محاولة اظهار فشل الوحدة بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة ، والتركيـز من جديد على اتحاد سوريا والعراق الذي يؤكد أنه طبيعي .

وعندما وقع الانفصال في سبتمبر ١٩٦١ كان هناك ما يشبه الفرحة الكاملة في كل أجهزة الدعايات المعادية . ففي يوم ٢٩/٩/٦١ أوردت اذاعة باريس اتفاق جميع الصحف الفرنسية الصادرة في هذا اليوم على أن الانقلاب السوري سيشكل انتكاسه شخصية للرئيس عبد الناصر، كما زعمت صحيفة لوفيجارو بأن الانفصال سيهدد حياته ، وتقول الاذاعة بتاريخ ١٤/١٠/١٩٦١ أن الانقلاب السوري أحدث رد فعل قويا في مصر ، وأن الضباط في الجيش المصري أعربوا عن استيائهم من سياسة حكم القاهرة ، وبتاريخ ٦/١١/٦١ ذكرت الاذاعة الفرنسية أن اطاحة الحكم الناصري في سوريا فتح الباب أمام تحسن العلاقات بين الدول العربية وتضامنها في جميع الميادين .

## الخلافات العقائدية في المنطقة العربية :

قوبلت الاشتراكية العربية ، عقيدة وتطبيقا ، بهجوم مركز من جانب القوى الرجعية في المنطقة العربية . فمن استعراض بعض الحوادث والقاء الضوء عليها وربط بعضها ببعض نخرج بأن الغرب كله وراء هذا الهجوم المعادي . ولقد صدر العديد من الكتب وكلها يهدف الى تشويه النظام الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة .

قامت هذه الحملات على أساس أن الاشتراكية عقيدة غريبة عن شرقنا ، وعن المسيحية والاسلام بصورة خاصة ، وعن تاريخنا وتقاليده • وان الاشتراكية ظهرت على أيدي ماركس وانجلز ومن سبقهما مثل توماس مور أو لحق بهما مثل لينين وستالين ، وأنها وليدة ظروف أوروبية خاصة في القرن التاسع عشر .

وتقول الحملة : ان الاشتراكية العربية التي اختارتها القاهرة لم تكن بمفهوم واحد منذ بدأت الدعوة إليها • فقبل سنة ١٩٦١ كانت تدعو الى اقامة مجتمع اشتراكي ديموقراطي تعاوني وتهاجم الشيوعية • ثم جاء عام ١٩٦١ فكان حدا فاصلا للتحول في مفهوم الاشتراكية المصرية ، اذ محا الميثاق ما قيل من قبل ، واعتبر الاشتراكية العلمية الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم •

وهاجت الدول الرجعية في المنطقة الاشتراكية فقالت أنها تخالف كل المخالفة القائلين بأن ديننا دين اشتراكي ، لأن غاية الاشتراكية العربية من هذا القول ، كما يزعمون هو ترغيب المصريين المتمسكين بالدين الاسلامي في اعتناق الاشتراكية ، وأن الدين ينبغي أن يحافظ على جلاله وقداسته وألا نهبط به الى مستوى الاشتراكية فليس الاسلام بدين اشتراكي •

وتزعم الحملة أن هناك تشابها بين المبادئ الأساسية للميثاق وبين تلك التي جاء بها ماركس ورددوا أمثلة لذلك على النحو التالي :

- ١ - اعتمد ماركس قبل كل شيء على الثورة وجعلها الوسيلة الوحيدة للتغيير وأساسا لكل تقدم ، وفي الميثاق هناك الحاح شديد على الثورة .
- ٢ - دعا ماركس عمال العالم كلهم الى الاتحاد والعمل الثوري ، وكذلك دعا الميثاق المصري الى جعل الثورة الاشتراكية هدفا للبلاد العربية جمعا •

- ٣ - نادى ماركس بالغاء ملكية الأرض وجعلها للدولة ، والقوانين الاشتراكية في مصر ليس فيها ما يشير الى أن التحديد قد وقف عند حد ١٠٠ فدان للأسرة المكونة من الزوج والزوجة والأولاد القصر •

٤ - نادى ماركس بالاستيلاء على وسائل الانتاج ، وقال الميثاق المصرى  
بسيطرة الشعب الكاملة على كل أدوات الانتاج •

٥ - نادى ماركس بالقضاء على سيطرة رأس المال ، والميثاق أيد ذلك •

٦ - هاجم ماركس الاقطاع والاحتكار والبورجوازية ، ونجد فى الميثاق  
هجومًا وتأكيدًا للقضاء على الاقطاع والاحتكار والاستغلال وسيطرة  
رأس المال •

٧ - نادى ماركس بتأميم وسائل النقل والمواصلات قبل كل شيء ،  
والقوانين الاشتراكية فى مصر أممت قبل كل شيء وسائل النقل  
والمواصلات •

وتستمر الحملة على الاشتراكية العربية فتقول :

« هل هو الشعب المصرى الذى اختار الحل الاشتراكى أو فرض عليه  
هذا الحل الاشتراكى ؟

ان الاختيار يدل على حرية الارادة ويدل على حرية الفكر والرأى ، فهل كان  
الشعب المصرى منذ قيام ثورة ١٩٥٢ حر الارادة حر التفكير حر الرأى ؟

والآمال العريضة للجماهير متى ظهرت وما هو مدى عرضها ومن الذى عبر  
عنها ، أهى حقا آمال جماهير أم مطامع فئة ثائرة ؟

لم يكن الشعب كله هو الذى اختار الاشتراكية ولم تكن الآمال عريضة  
كما وصفها الميثاق » •

وتحاول الحملة الرجعية أن توضح أن الاشتراكية العلمية تعادى الدين ،  
وأن الحاكمين فى مصر لم يتجاهلوا الدين وانما أرادوا أن يجابهوه بشكل ايجابى

لا سلبى ، ويزعمون أن موجهى الاشتراكية فى مصر لجأوا الى اتخاذ الدين الاسلامى نفسه طريقا الى الاشتراكية التى صمد عنها الناس ، وجعلوه منفذا يدخلون منه الى قلوب العوام .

وتحاول الرجعية العربية دائما أن تضمم الاشتراكيات الثورية العربية فتقول : أنها قامت كلها بالقوة والعنف على أثر انقلاب عسكري أو ما يشبهه الانقلاب ، وتستند الى قوة الجيش قبل كل شئ وليس لديها لصفقتها الثورية تأييد شعبى الا من فئة قليلة ، كما شلت الحريات وليس فيها ديموقراطية سياسية ، وعملت على تصفية البورجوازية والرأسمالية بعد أن وصمتها باطلا بالرجعية ومعاونة الاستعمار ، وصادرت أموال الناس ولم ينج من ذلك حتى الفقراء .

وتزداد الرجعية العربية فى افتراءاتها فتقول : ان الاشتراكية العربية لم تحترم الدين اذ جعلته عبثا فى أقلام الكتاب والدعاة ، يجعلونه اشتراكية ماركسية تارة ، ويفسرون التاريخ الاسلامى تفسيراً مادياً تارة أخرى .

كما تردد أن الأزمات الاقتصادية تتوالى على البلاد التى تطبق الاشتراكيات، فتضطرها الى دفع الشعب الى الجوع والقلق على الغذاء ، أو تصطدم بارتفاع الأسعار ، أو تدفعها الى الاستعانة بالقروض الخارجية حتى من دولة قد نسميها بالرأسمالية .

وتركز الرجعية العربية أيضا على أن المحاولات المختلفة لم تمكن هذه الاشتراكيات من اكتساب جماهير الشعب ، ولا الامتداد فى جميع بلاد العرب ، وأصابها نكسات داخلية .

\* \* \*

والواقع أن الهجوم الذى تشنه الدول الرجعية فى المنطقة على الاشتراكية العربية والدول التقدمية فى المنطقة التى تحكمها نظم تقدمية ثورية يخلط عن عمد خبيث بين : الماركسية ، والمفهوم للاشتراكية العربية .

تصر الرجعية العربية دائما على الخلط بين : الاشتراكية العلمية بالمفهوم الماركسي ، والمفهوم العربي للاشتراكية العلمية في الميثاق . لقد أوضحت نصوص كثيرة من الميثاق وخطب الرئيس في أكثر من مناسبة اختلاف علمية الاشتراكية العربية عن مفهوم الماركسية العلمى ، فهذا يقوم على القوانين المادية الجدلية تميزا لها عن الاشتراكيات المثالية والخيالية السابقة لها ، أما الاشتراكية العربية فهي علمية بمعنى أنها مفتوحة للاستفادة من الفكر والتجارب العالمية فيما يتعلق بالاشتراكية ، وهي تستفيد من التجارب السابقة عليها دون نقلها ، كما أنها اشتراكية تتفق في مقوماتها مع طبيعة وظروف وتاريخ وطبائع الشعب المصرى معتمدة على نتائج العلم الحديث .

وبالرغم من وضوح الفرق في مفهوم العلمية بين الاشتراكية والماركسية والتأكيد على هذا في الميثاق وفي كثير من المناسبات ، فإن الرجعية العربية تصر - خوفا على مصيرها - على أن تؤكد التوافق بين المفهومين وقصر « العلمية » على المفهوم الماركسي .

ان ادعاءاتها الباطلة دليل على أنها تنطق عن الهوى ، فالدين الاسلامي يحتم ضرورة تحرير الانسان من الاستغلال وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وهذا ما تنادى به الاشتراكية العربية التي نعود ونكرر أنها ليست ماركسية بالمفاهيم التي أصر عليها موجهو الحملة الرجعية ، فضلا عن أن الاديان السماوية بعامة والدين الاسلامي بخاصة لا يمكن أن تتعارض رسالاتها مع فكرة تحقيق العدالة وتعمل من أجل رفاهية الانسان .

ومن الواضح أن التعبيرات والاصطلاحات التي تستخدمها الدول النامية عموما ، والتي قامت فيها ثورات للاصلاح سواء السريع الشامل أو الهادئ التدريجي ، تكاد تتوافق في الفاظها ومرادفاتها . بل انها تكاد تتفق أيضا مع الاصطلاحات المستخدمة في الأفكار الاشتراكية والاصلاحية التي سبقت الماركسية ومع الاشتراكيات التي نادى بها أو طبقتها بعض الاحزاب التي سميت باليسارية في البلاد الاوروبية ذاتها . ولكنهم يصرون على اعتبار مثل هذه التعبيرات جميعا نابعة من الماركسية فقط وعلى اعتبارها كناية

حتمية للاتجاه الماركسى فى التطبيق • وبالتالي لا يأخذون بما يرد من شرح لمفاهيم هذه التعبيرات سواء فى الميثاق أو فى خطب المسؤولين ، وان أشاروا الى احنة منها فانهم يعتبرونها مرحلة للوصول الى الماركسية • ومما لاشك فيه أن الماركسية تمثل أهم الاشتراكيات المعروفة فى النظرية والتطبيق ، ولذا ليس غريبا أن تتوافق بعض التعبيرات المترجمة عن الاصل الماركسى الى اللغات الاخرى ومنها العربية ، ولكن الاصرار على اعتبار هذا التوافق كناية عن الهدف النهائى وهو تطبيق الماركسية التى ترادف الشيوعية يفضح خططهم وغرضهم المنسق مع شروحيهم فى دعاياتهم المختلفة •

ومن تحليل الرجعية لمعنى الملكية فى الاشتراكية العربية نراها تدعى أنها مرحلة تنتهى حتما الى الزوال تشبها بالاشتراكية الماركسية ، ولكن الحقد الدفين أوغر صدور الرجعيين ، وأعماهم عن أن يتلمسوا فى الميثاق تفرقة بين نوعين من الملكية : الملكية المستقلة ، والملكية غير المستقلة • فبينما شجب الميثاق الاول اعتبر الثانية حقا لأفراد المجتمع ، بل انه احتفظ للأجيال القادمة بحقها فى أن تتطلع الى الملكية ما دامت غير مستقلة وتؤدى وظيفتها الاجتماعية • وبين الميثاق اقرار الملكية وتوسيع نطاقها فى الاشتراكية العربية ويوضح حدودها للاطمئنان الى عدم الاستغلال •

أما عن الفقرة التى يتساءلون عنها : هل هو الشعب المصرى الذى اختار الحل الاشتراكى أو أنه فرض عليه هذا الحل الاشتراكى ؟ نرى أن دعاة الرجعية قد ساروا شوطا بعيدا فى خطتهم لشجب الاشتراكية العربية وبلبلة الرأى العام فى كل الاقطار العربية •

ولو كانوا ينجون نحو الانصاف بدلا من اتباع الهوى فى استقراء تاريخ الشعب المصرى قبل الثورة وبعدها - لرأوا أن حرية الارادة والفكر والرأى كانت بعيدة عن منال هذا الشعب ، وأن قياداته التى كانت تدعى تمثيله والتحدث باسمه لم تكن تعنى فى مجموعها الا بمصالحها الذاتية • وأسوأ من هذا أنها

فى حرصها على هذه المصالح كانت تعمل بوعى منها أو بغير وعى لمصلحة  
الاستعمار . بينما حققت مبادئ الثورة والاشتراكية العربية : الكفاية ، والعدل ،  
والحرية الاجتماعية لأفراد الشعب الذين كانوا يستشعرون مغزى الحرية فى ظل :  
الاقطاع ، والاستغلال ، والرأسمالية .

والطليعة الواعية هى التى تستشف آمال الجماهير ومتطلباتها قبل أن  
تبلورها الجماهير فى صيغة مطالب لانها - أى القيادة - بصدق احساسها وطبيعة  
نبوعها من وسط الجماهير الشعبية تعرف ما تتطلع اليه هذه الجماهير وتسعى الى  
اتخاذ الاجراءات والوسائل التى تحقق أهدافها . وفى نفس الوقت تعتمد فى  
زيادة قوتها وصلابتها فى السير فى هذه الطريق على مساندة الشعب لاجراءاتها .

وقد أوضح الميثاق فى الباب السادس « فى حتمية الحل الاشتراكي » أن  
هذا الحل حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير ،  
كما عرضتها الطبيعة المتغيرة فى العالم فى النصف الثانى من القرن العشرين .  
وبالتالى فان طبيعة هذه الامة أخذت تلك العوامل فى الاعتبار ، وترجمت الآمال  
العريضة فى الاشتراكية العربية نظرية وتطبيقا .

وهل يختلف اثنان فى أن الكفاية التى تحقق للامة : تقدمها ، وعزتها ،  
وقدرتها على مواجهة قوى الشر فى العالم - وما أكثرها - وكذا العدالة الاجتماعية  
التي تهدف الى تحقيق الرفاهية ، يعكسان مطلباً قومياً خالصاً أميناً لجماهير  
الشعب عامة .

وتتناسى الحملات الرجعية عامدة مناقشة الميثاق فى مؤتمر شعبى ،  
والاستفتاءات العامة التى أجريت فى الجمهورية العربية المتحدة ، والتجاوب الفريد  
الذى لاقته هذه الاستفتاءات وأسفر عن تأييد شعبى إجماعى .

وتذكر حملات الدعاية الرجعية أن موجهى الاشتراكية فى مصر لجأوا الى  
اتخاذ الدين الاسلامى نفسه طريقاً الى اشتراكيتهم التى صد عنها الناس .

ولمنا نعلم من أين استقوا علمهم ذلك ؟ • لقد نسوا أن الاشتراكية فى حتميتها مبدأ وعقيدة وتطبيقا وضعت لصالح الغالبية العظمى من « الناس » أى جماهير الشعب التى ضمها تحالف قوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكي العربى •

وواضح أن موجهى هذه الحملات يصرون فى كتاباتهم عن منطق واحد التزموه وهو أن الاشتراكية الماركسية الحادية ، والاشتراكية العربية صورة من الماركسية ، والآخره حين تراعى ايمان الشعب المصرى بالدين واجهته ايجابيا ومرحليا بادخال الاشتراكية والاسلام فيما يدل على انها صنوان ، حتى اذا تمكن ذلك من نفوس الشعب فان الزمن الطويل كفيل بمحو أثر الدين •

وفى مجال تأييد أقوالهم فى هذا الصدد يشيرون الى أن الدين الاسلامى لم يرد ذكره فى الميثاق مرة واحدة فى مجال يفيد أن هذا الدين مصدر من مصادر تشريعنا ، أو أنه يرجع اليه فى تنظيم شئون الحياة •

ويجهل هؤلاء - أو يتجاهلون - طبيعة الميثاق وأهدافه وأن الدستور المؤقت « مارس ١٩٦٤ » نص فى مادته الاولى على أن الجمهورية العربية المتحدة دولة ديموقراطية اشتراكية ، ونص أيضا فى المادة الخامسة على أن الاسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية • وأوضحت مقدمة الدستور أنه صدر تأكيداً للميثاق الذى أقره مؤتمر القوى الشعبية • وفى نفس الوقت ، مراعاة حرية الاعتقاد المنصوص عليها فى المادة ( ٣٤ ) ينص الدستور فى مادته السابعة أن « الاسرة أساس المجتمع ، قوامها : الدين ، والاخلاق ، والوطنية » •

ويجهل هؤلاء - أو يتجاهلون - التطور الكبير الذى حدث فى عهد الثورة وعمل على التوعية الدينية فى أجهزة الاعلام الرسمية ، وبصفة خاصة فى برامج الاذاعة حتى أنشئت محطة القرآن الكريم ، وفى برامج التلفزيون ، وفى تطوير الجامعة الازهرية بشكل يزيد من فاعليتها وخريجها ، مما أثار حفيظة الاوساط



الاستعمارية في الخارج خوفا منها على تقلص نفوذها المتمثل في جهودها التبشيرية في البلاد الافريقية بشكل خاص .

ولو توخينا الرد على كل دعوى أو زعم ورد في هجوم الدول الرجعية لكان في ذلك تكرار لما ورد في كثير من الوثائق والاحاديث الرسمية ، وأهمها الميثاق ، والدستور ، ولذا نكتفي في ايجاز بالاشارة الى النقاط التالية :

انهم يصرون باستمرار على الخلط بين الاشتراكية العربية والماركسية بالرغم من أنهم يوردون في أحاديثهم ما ذكره الرئيس عبد الناصر في أحد خطباته بالنسبة لعلمية الاشتراكية العربية ما يل :

« وإذا كنا نريد اشتراكية سليمة ناجحة يجب أن تكون بطريقة علمية وعكس الطريقة العلمية هي الطريقة القوضوية ، فاشتراكيتنا اذا اشتراكية علمية قائمة على العلم وليست قائمة على الفوضى ، وهي ليست أبدا اشتراكية مادية ، لم نقل أن اشتراكيتنا اشتراكية مادية ولم نقل أن اشتراكيتنا ماركسية » .

ولم تشر الدعايات الرجعية الى أن الميثاق في شجبه للتجارب الرأسمالية لتلازمها تلازما كاملا مع الاستعمار وقيامها عن طريق النهب ، ولتحقيق أهدافها على حساب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله لصالح رأس المال ، شجب في نفس الوقت التجارب الاخرى للشيوعية التي حققت أهدافها تحت ضغط تطبيقات مذهبية لا تتماشى مع واقعنا وثقافتنا وقيمنا .

ولم يشيروا أيضا الى الاهتمام الكبير في الميثاق بدور القطاع الخاص ورأس المال الوطني غير المستغل في أكثر من موضع نقتبس من بينها :

« ان استمرار دور القطاع الخاص بجانب القطاع العام يزيد من فعاليات الرقابة على الملكية الشعبية العامة ، ويقوم بدور عامل منشط لها بما يفتحها من مجالات المنافسة الحرة في اطار التخطيط الاقتصادي العام » .

وفي هذا تشجيع للمبادرة الفردية فضلا عن التركيز على دعم روح المبادرة  
في القطاع العام أيضا •

واستمرارا في تعرضهم لثورتنا واشتراكيتنا يذكرون أن :

« الأزمات الاقتصادية تتوالى على البلاد التي تطبق الاشتراكيات ، فتضطرها  
الى دفع الشعب الى الجوع والقلق على الغذاء ، أو تصطدم بارتفاع الاسعار ، أو تدفعها  
الى الاستعانة بالقروض الخارجية حتى من دول قد تسميها بالرأسمالية •

ولو أنصفوا وعدلوا في نقدهم لرجعوا الى تاريخ مصر حتى قيام الثورة  
لتعمق حتمية قيامها واستهدافها في كل أعمالها مصالح الشعب العريضة وأمله  
في الارتفاع بهذه الامة بكل وسيلة ممكنة ، ولتوخوا الانصاف أيضا في سرد بعض  
انجازات الثورة ولو على سبيل المثال ، ولحاولوا - ولو في ايجاز - أن يتصوروا  
وضع مصر ووضع العربي فيها في ظل حكمها السابق أو أى نظام يختاره  
رأسماليا صريحا أو غيره • وبدلا من ذلك أشار موجهو هذه الدعاية الخبيثة  
في مكر واضح - الى بعض الحالات التي تعرض لها الاقتصاد العربي مشيرين  
الى نقص بعض المأكولات والى الاعتماد على القروض من الدول الرأسمالية ،  
ويتجاهلون أن دولاً رأسمالية كبيرة اعتمدت بعد أن أصابها دمار الحرب على معونة  
دول رأسمالية أخرى لاقالتها من عثرتها ، وأن بريطانيا حالياً مثلا تعتمد على  
قروض ضخمة للاحتفاظ بكيانها الاقتصادي وبقية الجنيه الاسترليني ، وأن  
الدول النامية عموما وهي تشكل معظم دول العالم تطالب بزيادة الاموال المتاحة  
لتنمية اقتصادياتها كحق مقابل لما تعرضت له بلادها من نهب وسلب من الدول  
الرأسمالية خصوصا •

وحين تردد الدعايات المعادية أفكارا خاصة عن الثورات عموما والثورة  
الماركسية خاصة وتخلص بأن الثورة ليست طريقا للتقدم لأنها « تتم بالعنف  
والدم وتأتي بالخراب والدمار والرجوع الى الوراء » تتناسى - اشباعا لأحقادها -

أن من أكبر مفاخر الثورة العربية سماحتها - فهي ليست دموية - بحيث أصبحت هذه من مآثرها • وورد عنها في مقدمة دستور ١٩٦٤ « أنه تتويجا لمرحلة التحول العظيم التي تم فيها ، بالتطور السلبى والثورى في نفس الوقت ، تحقيق سيطرة الشعب على ملكية وسائل الانتاج وادارتها » ووضح لكل ناقد أمين سعيها الدائم للبناء ، ومقاومتها المستمرة لكل جهد منحرف هدام ، وعملها المتواصل على حل مشكلات التنمية ، ورفع مستوى المعيشة ودعم دفاعها لليوم الموعد بوسائل أصبحت تمثل نموذجا يحتذى يخشاه الاستعمار بجميع صوره وأشكاله والرجعية المتحجرة ، وأصبح محل دراسة المفكرين في بلاد العالم غربا وشرقا ، وكذا في البلاد الساعية للتنمية •

## صلى الميثاق الوطنى :

طوال الاسبوع الثانى من شهر مايو عام ١٩٦٢ ومعظم أجهزة الاعلام ووسائل النشر العالمية تتحدث عن مشروع الميثاق الذى أعلن فى القاهرة أن الرئيس عبدالناصر سيديع نصه الكامل فى أول جلسة يعقدها المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية • وقد دارت تكهنات كثيرة فى مختلف صحف العالم حول ما قد يتضمنه الميثاق من مبادئ واتجاهات من شأنها أن تؤثر فى المدى البعيد على الصورة العامة للمجتمع داخل الجمهورية العربية المتحدة •

ومظهر الاهتمام البالغ بمشروع الميثاق قبل اعلانه تفسره تعليقات كثيرة لصحف الغرب ، ولا سيما فى بريطانيا ، وهى تشير فى مضمونها الى أن الجمهورية العربية المتحدة لن تكون وحدها الارض الخصبة الصالحة لاستيعاب محتويات الميثاق ، ولكن بذوره قد تجد نفس الخصوبة فى أراض عربية أخرى كثيرة •

والشئ الثابت أن ملامح كثيرة من محتويات الميثاق قد تضمنتها تعليقات معظم صحف العالم قبل اعلانه • الأمر الذى يؤكد أنه بعد عشر سنوات كاملة استطاعت ثورة ٢٣ يوليو أن تقدم للعالم مفهوما كاملا عن الصورة الثابتة للنظام

السياسى ، والاجتماعى ، والاقتصادى الذى تحاول ارساء دعائمه الجمهورية العربية المتحدة .

والذى حدث أنه بعد ٦ ساعات كاملة استغرقها الرئيس عبدالناصر فى اعلان مشروع الميثاق « ٣٠ ألف كلمة » أمام أول اجتماع للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية يوم ٢١ من مايو صدرت معظم صحف العالم فى اليوم التالى لتعلن أن البرامج المنظمة المدروسة التى قدمها مشروع الميثاق لم يكن من بينها ما يمكن اعتباره مفاجأة غير متوقعة بالنسبة لأحد . ولقد صار ما يشبه الاتفاق بين جميع مصادر الأنباء على أن مشروع الميثاق جاء وثيقة استكملت ملامح كثيرة وحددت بوضوح موضوع الثورة العربية الرائدة التى تقودها القاهرة ، وحددت مكانها بين الثورات الأخرى الكبيرة الماثلة التى كان لها تأثيرها المباشر على تاريخ العالم .

وبعد أسبوعين من اعلان الميثاق فى القاهرة كتب جون كيمش فى جريدة الجويش أونزرفر معلنا أن الحقيقة الكبرى التى يجب أن يتذكرها الجميع بشأن الميثاق هى أنه لم تعد هناك أية متناقضات فى تفكير ناصر .

ثم يضيف أن الرئيس عبد الناصر « يعلم الآن ما يريد ، وقد قال ذلك للشعب المصرى ، وللأمة العربية » .

ولقد يبدو غريبا أن تكون مصادر الأنباء فى بريطانيا من اذاعة وصحف هى أنشط وسائل الاعلان فى العالم استقبالا وتعليقا على مشروع الميثاق الوطنى قبل وبعد اعلانه . ولكن وصف الميثاق فى بريطانيا بأنه « القرآن الجديد » وقال راديو لندن ان الاسبوع الذى ظهر فيه الميثاق كان « أسبوعا خالدا فى تاريخ الأمة العربية » .

وكانت صحف ايطاليا من أكثر صحف أوروبا عموما تعليقا على الميثاق فور اعلانه ، والذى لا شك فيه أن الصحف الإيطالية -بخاصة الاشتراكية -كانت



الى ضمير الامة العربية كلها ، والآخر وتمثله الصحافة الموالية للغرب في بيروت  
وجه انتقادات عنيفة لكل ما جاء في الميثاق . ولقد كان هجوم بعض الجرائد  
البنائية الموالية للاستعمار على الميثاق يحمل طابع التعصب والتخبط ولا يرفع  
الا شعار هدم كل ما هو قادم من القاهرة . ومن ثم فان المراقب لم يفتنه أن  
انتقادات هذه الصحف تقتصر الى عنصرين أساسيين هما موضوعيه النقد  
ونزاهته . ولقد بذلت في جرائد العراق والاردن والمغرب محاولات للتجاهل  
واكتفت بتسليخ بعض محتويات الميثاق . وانتهزت جريدة البلاد التي  
تصدر في بغداد فرصة اعلان الميثاق لكي تذكر اللواء قاسم بوعد قديم كان قد  
قطعه على نفسه باعلان دستور لشعب العراق ، الامر الذي لم يحدث حتى نهاية  
حكمه .

وفي الغرب بينما كانت جرائد الحكومة تكتب عن الميثاق بعذر دون تورط  
في مدح أو هجوم ، انطلقت جرائد المؤتمر الوطني للقوى الشعبية تعلن ترحيبها  
بالميثاق .

وفي السودان لم تعلق جرائد الحكومة أو الموالية لها على الميثاق . وقالت  
الجرائد المستقلة أن الميثاق هو الطليعة الاولى لاسلوب العمل السياسي الذي  
تفتقر اليه دول الشرق الاوسط ، ووصفت جرائد اختامية الميثاق بأنه سيكون  
عظيما اذا نجح . أما الجرائد المعروفة بعدائها الصريح للجمهورية العربية المتحدة  
فلم تعلق عليه ولم تكتب عنه .

وفي السعودية فادت صحف الملك سعود اعنف هجوم وجه الى الميثاق وقد  
وصفته بأنه نوع من الاتحاد والكفر وطالبت بمقاومته ، وقالت ان الاسلام  
لا يعرف الاشتراكية التي يدعو اليها عبد الناصر .

وجرائد السعودية لم تنشر تعليقا واحدا موضوعيا أو مدروسا في نقد احد  
بنود الميثاق أو مبادئه أو شعاراته ، ولعل ذلك يرجع في الاصل الى المستوى  
المنهار الذي تعاني منه صحافة السعودية والمشرقون عليها .

وفي آسيا كانت صحافة الهند أكثر من غيرها اهتماما بمشروع الميثاق فور اعلائه ، وقد نشرت بعض محتوياته وان كانت معظم تطبيقاتها دارت حول الميثاق ولم تتدخل لمناقشة مضمونه . ولم تظهر انتقادات بوجه عام في معظم ما نشرته صحف الهند حتى الآن .

أما في اسرائيل فقد فادت صحف تل ابيب واذاعتها أكبر حملة تشكيك حول كل ما تضمنه الميثاق، وقالت انه متناقض وغامض لانه لا يقدم حولا معقولة لمشكلات المجتمع في الجمهورية العربية المتحدة . ويؤكد ما جاء في كتاب فلسفة الثورة عن أطماع الرئيس ناصر في الدول العربية .

والجانب حملة التشكيك فادت المصحف والاذاعة في اسرائيل حملة تحريض منظمة وموجهة ضد بقية الدول العربية على زعم أن الميثاق « قد تجاهل حكام هذه الدول ، واستهان بهم ، واستمر في التدخل في شئون بلادهم وطمح في تحقيق نظامه الاشتراكي على المستوى العريض الذي يشمل كل الأمة العربية » . ولقد استندت دعايات اسرائيل الى أن اشتراكية ناصر لا يمكن أن يكتب لها البقاء في داخل الجمهورية العربية المتحدة فقط . ولكن هذه الاشتراكية يجب أن تمتد وتنتشر في كل أجزاء الأمة العربية كشرط أساسي لابد من توافره لنجاحها . ومن ثم فإن اشتراكية ناصر تهدد الاوضاع القائمة في بقية الدول العربية ، وظلت اسرائيل لفترة طويلة تحذر الحكام العرب من هذا المصير . واطلقت نفس هذا التحذير الى : باريس ، ولندن ، وواشنطن على اعتبار : « ان مصالحها مهددة بالخطر في حالة تغير الاوضاع القائمة في المنطقة بسبب اشتراكية ناصر » . ومعنى هذا أن دعايات اسرائيل حاربت الميثاق على جبهتين عربيتين : الأولى تمثل الجبهة العربية والأخيرة تمثل كل ذوى المصالح الذين يهتمون بالبقاء على الاوضاع الراهنة في المنطقة دون تغيير .

وإذا كانت الابواب العشرة التي تضمنها مشروع الميثاق الوطني قد حظيت باهتمام بالغ من جانب معظم مصادر الانباء العالمية ، فقد لوحظ أن ابوابا

معينة سلطت عليها الاضواء بطريقة جعلتها أكثر إثارة ، وهذه الابواب هي :  
الثالث ، والخامس ، والسابع ، والتاسع. كذلك كانت المبادئ الثلاثة الكبرى التي  
تضمنها مشروع الميثاق ودارت حولها معظم المناقشات والتعليقات العالمية هي :

#### ١ - الحرية السياسية :

مدلولها • وضماناتها ، والوسيلة المؤدية اليها •

#### ٢ - الاشتراكية العربية :

حدودها • أبعادها • وطبيعة الأوضاع التي انبثقت عنها •

#### ٣ - الوحدة العربية :

مفهومها • حتميتها • ثم كيفية الوصول اليها •

وتقول جريدة النهار البيروتية أن معظم العقائد والبرامج الحزبية جاءت  
قبل الحكم ، وهذه هي نقطة الخلاف الجوهرية بين ميثاق ناصر وبرنامج حكمه عن  
سائر العقائد والبرامج الحزبية • وتضيف نفس الجريدة بأن كلا من لنين وهتلر  
وموسوليني أعلنوا عن عقائدهم ورسموا الاطار الذي يسسرون فيه قبل  
وصولهم الى الحكم • ونفس هذا المعنى تقريبا قاله جاي ويلز في تعليق له حول  
الميثاق نشرته جريدة النيويورك تايمز وجاء فيه : « ان كل ما فعله الزعيم المصري  
بعد عشر سنوات من ثورته ضد الملكية هو أن يضع سلطته وتفكيره الذي كان  
غامضا في اطار تنظيمي • ولكن جريدة الجويش أوبزرفر لها رأى آخر في الميثاق  
الوطني أعلنه جون كمش بقوله : ان ميثاق ناصر هو نوع من التروتسكية  
العربية • والذي أفزع جريدة الجويش أوبزرفر في الميثاق أنه جعل مصر  
المسئولة عن القيادة الثورية الشعبية للامة العربية • فقد جاء في الميثاق : أن  
ثورة الشعب المصري حركت احتمالات الثورة في العالم العربي كله ، وأنه لم  
يعد هناك من شك في أن الشعب المصري مطالب اليوم بأن يضع مزايا انتصاره  
في خدمة الثورة العربية الشاملة •



أما وسيلة العمل الى تحقيق العمل الثورى الرائد الذى يقع على عاتق القاهرة فى محاولتها لضمان الحرية والاشتراكية والوحدة العربية فتتقله جريدة الجويش أوبزرفر عن الميثاق الذى جاء فيه : أن الجمهورية العربية المتحدة - وهى تؤمن بأنها جزء من الامة العربية - لابد لها أن تنقل مبادئها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى دون التردد لحظة أمام الحجة البالية التى تعتبر هذا تدخلا منها فى شئون دول أخرى . ومن ثم فإن واجب الجمهورية العربية المتحدة هو مساندة كل حركة شعبية وطنية ، وان تدفع النضال الى مداه ، وان تفتح أفقا جديدة للتعاون بين جميع الحركات التقدمية الوطنية فى العالم العربى . وعلى هذا فان قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال .

ومعنى هذا فى اعتقاد جرائد اسرائيل عموما هو تسخير الجامعة العربية لتكون وفق هوى ناصر . وهكذا تبدو خطورة الاتحاد الاشتراكى العربى الذى أعلن عنه الميثاق والذى اعتبرته كل مصادر الأنباء فى العالم حدثا جديدا وبألف الأهمية قد يكون له أثره على المستوى البعيد .

وتقول مجلة الاكسبريس الفرنسية فى تعليق لها يوم ٧ من يونيو حول الميثاق : بأن نهاية طريق الميثاق الوطنى هى الشيوعية، وأن عبد الناصر قد يضطر فى النهاية الى أن يسلك نفس الطريق الذى وصل اليه كاسترو !! . ومخاوف المجلة الفرنسية . من هذا المصير الذى تزعمه تبنيها على نتائج انتخابات المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى يقع على عاتقه تحريك الميثاق وتنفيذه :

١ - من بين ممثلى المؤتمر يوجد ٣٧٥ وفدوا من الريف ومعظمهم من صغار الفلاحين .

٢ - الطبقة العاملة فى المؤتمر تفوق فى عددها الطوائف الاجتماعية الأخرى .

٣ - طبقة الرأسمالية الوطنية في المؤتمر تشعر بمركب نقص .

٤ - ٥٠٪ من العمال والفلاحين في كل المجالس التشريعية .

وتضيف مجلة الاكسبريس الفرنسية أن حث الفلاحين والفقراء والمغلوبين على أمرهم على الاحساس بالعزة والمسئولية وهم ما زالوا في حاجة الى قوتهم اليومي لابد ، أن يؤدي في النهاية الى انطلاق القوى الثورية التي ظلت حتى الآن كامنة في أعماق الشعب المصرى ، ومن ثم تصعب الحيلولة دون انفجاره . ولكن المجلة نفسها تقرر أن الرئيس عبد الناصر لا يتعرض لآى خطر من هذا القبيل ، وان الشيوعية في الجمهورية العربية المتحدة لا وجود لها يخشى منه . وان الرئيس ناصر يحتل القوى النظامية الوحيدة في المنطقة . ثم تعود المجلة لتعلن أن مخاوفها تزداد اذا تعرض الأمر لدول عربية أخرى مضطربة مثل سوريا والعراق حيث توجد أحزاب شيوعية منظمة وأجهزة للحكم تعاني ضغطا واضطرابا بالغين . وتقول مجلة الاكسبريس انه في هذه الحالة لن تقنع الاحزاب الشيوعية في العراق وسوريا بهذا النظام الاشتراكي الذى وضعه الرئيس عبد الناصر .

كذلك كان من قبيل المزاعم نفسها ما رددته جريدة ها آرتس الاسرائيلية ونقله راديو اسرائيل ، فان ما يفهم من أقوال الرئيس في الميثاق أن نظام الحكم الجديد في الجمهورية العربية المتحدة سيكون شبيها بنظم الحكم في الجمهوريات الشعبية في أوروبا الشرقية .

وفي الجانب الآخر تماما تقول بعض صحف بيروت وهو نفس ما يردده راديو اسرائيل : أن الميثاق جعل من ثورة عبد الناصر ثورة محافظة تريد الاحتفاظ بمكاسبها وأنها معنية في المكان الأول بالاصلاحات الداخلية لان هذه الاصلاحات ستكون وحدها الطريق الحقيقى والفعل للوحدة العربية . وفي تعليق آخر نجد نفس المعنى كتبته صحف بيروت وتقول : ان الميثاق يعنى أن تبني مصر نفسها

أولا على أساس تجربتها الاشتراكية لتكون مثالا يحتذى تتجه إليه آمال الحركات  
التقدمية في العالم العربي ، وعلى هذا الأساس يبرز اتجاهان متعادلان في كتابات  
الصحف ذات الميول المعادية للميثاق :

١ - الاتجاه الاول يقول ان الميثاق وضع شعارا هو « مصر في خدمتكم » .

٢ - الاتجاه الاخير يقول ان الميثاق وضع شعارا هو « مصر في خدمة  
نفسها أولا » .

غير أن عملية « التخويف » التي تنظمها الدعايات المعادية ضد الميثاق في  
الدول العربية لا تقوم على أسس حقيقية تدعمها ، ونجد أن معظم صحافة الغرب  
قد أكدت بما لا يدع مجالا للشك أن اشتراكية ناصر بعيدة تماما عن شيوعية  
موسكو وبعيدة أيضا عن اشتراكية تيتو « صديق ناصر المقرب » ولا تبادو في كثير  
من عناصرها دخيلة أو مستوردة .

فأهم ما يميز اشتراكية ناصر - كما قالت صحف الغرب - أنها رفضت  
الصراع الحتمي للطبقات ، وأنها احترمت الملكيات الخاصة ، وأنها تمسكت بالعامل  
الروحي ، وأنها رسمت حدودها داخل اطار من الدين .

ويقول راديو لندن في اذاعة له عقب اعلان الميثاق بيومين فقط « ٢٣ من مايو » :  
انه قد أصبح من الواضح أن اشتراكية ناصر تختلف عن اشتراكية أوروبا  
الغربية ، ولكنها تختلف أيضا عن اشتراكية الروس ، ذلك أنها في الأصل  
اشتراكية تمت صياغتها في ضوء ظروف الجمهورية العربية المتحدة وواقعها .

وعلى هذا الاساس يبدو تماما أن هجوم الدعايات المعادية لاشتراكية ناصر  
ليس أساسه أنه قد ينتهي بها الطريق الى الشيوعية ، ولكن سر هذا الهجوم

الحقيقي هو ما أعلنه راديو إسرائيل في إذاعة له يوم ٢٣ من مايو عن أن ميشاق ناصر تمخض عن « اشتراكية عدوانية » .

وعدوان اشتراكية ناصر في عرف دعايات إسرائيل وغيرها هو أن الميثاق لم يكتب لشعب الجمهورية العربية المتحدة وحده ، ولكنه كتب لكي يكون صالحا للتصدير خارجها . وهنا يكون الخطر الذي يواجه إسرائيل ومن ورائها كل القوى الأجنبية ذات المصالح الحيوية لا في المنطقة العربية فقط ولكن في مناطق أخرى كثيرة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية حيث تنشط حركات التحرر القومية التي أصبحت الطابع المميز للنصف الثاني من القرن العشرين .

نفس هذه الاشتراكية العدوانية تتحدث عنها الصحف الاجيرة في بيروت وتقول هذه الصحف : « هنيئًا باشتراكية ناصر في داخل بلاده فقط أما في لبنان فلا !! » .

وابتدأت هذه الصحف تتحدث عن الخلافات الجذرية بين الاوضاع الاجتماعية القائمة في داخل الجمهورية العربية المتحدة ومثيلتها في لبنان .

وقد خلصت الى نتيجة تقول : ان اشتراكية ناصر تصلح للجمهورية العربية المتحدة ولكنها لا تصلح للبنان ، ومن ثم فليس من القريب أو البعيد أن تظهر الدعايات في الاردن والعراق وغيرهما في المستقبل لتردد نفس ما سبقته اليه دعايات بيروت من القول بأن اشتراكية ناصر لا تصلح الا للجمهورية العربية المتحدة ، فان دافعا آخر تتبناه دعايات السعودية في الجزيرة العربية ومؤداه أن الاشتراكية مفهوم غريب على الاسلام والمسلمين .

ومن ثم فان دعايات الجمهورية العربية المتحدة عليها أن تتوقع مزيدا من النشاط الذي سوف تبذله الدعايات المعادية على الجانب الآخر ، وعلى أوسع نطاق .

والذى لا شك فيه أن المعركة التى ستخوضها دعايات الجمهورية العربية فى المنطقة العربية ستكون ساخنة وسيكون خصومنا على أكثر من جبهة • وعملية خداع الجماهير قد تبدو سهلة ، ودعايات الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بحماية الجماهير العربية التى تمثل قاعدة التقدم الثورى للجهود الرائدة التى تبذلها القاهرة من أجل الأمة العربية •

## ثورة اليمن :

بعد المظاهرة الاستعمارية الرجعية الصاخبة التى تم عقدها فى مصيف شتورا فى لبنان لمحاكمة الوحدة العربية فى نهاية صيف ٦٢ فوجئ العالم بعدها بأيام بقيام ثورة اليمن التى قضت على الحكم الامامى الرجعى فى صنعاء •

ولقد كان استقبال الدعايات العالمية ومصادر الانباء لقيام الثورة اليمنية وأثرها على الجزيرة العربية بخاصة والأمة العربية بعامة ما يمكن إجماله بالطريقة التالية :

## أولا - الجزيرة العربية :

منذ قيام ثورة اليمن وحتى انعقاد مؤتمر القمة العربى الاول اشتركت كل من اذاعات : مكة ، وعدن ، والملكيين فى توجيه حملات دعائية معادية ضد ثورة اليمن والجمهورية العربية تستهدف تأكيد شرعية البدر ، وتفكيك جبهة الثورة ، وإثارة الشعب اليمنى ضد قوات الجمهورية العربية المتحدة فضلا عن محاولة النيل من شخصية الرئيس عبد الناصر وإثارة رأى العام العربى والدول ضده •

وفى خلال الفترة من مؤتمر القمة العربى الاول حتى عقد اتفاقية جده يلاحظ أن اذاعة مكة خفت من حملاتها الهجومية ضد الجمهورية العربية المتحدة وثورة اليمن بينما استمرت كل من اذاعة عدن والملكيين فى اتجاهاهما المعادى



أما إذاعه عمان فقد استمرت في معارضتها للثورة وشن حملاتها على سياسة القاهرة تجاه اليمن حتى مؤتمر القمة العربي الأول حيث تلاشت المعارضة والحملات، واستمرت إذاعة بغداد في تأييدها للثورة ومعارضتها لبقاء القوات العربية في عهد عبد الكريم قاسم ، وخفت هذه المعارضة في عهد حكم البعث حتى نجاح ثورة الرئيس عارف على حكم البعث حيث سارت إذاعة بغداد في تأييدها القوى للثورة ولموقف القاهرة منها .

ولقد اتفقت إذاعات كل من : بيروت ، وعمان ، وبغداد في الترحيب باتفاقية جدة ، وأشادت بمباحثات الرئيس عبد الناصر ، وأملك فيصل في سبيل عقدها بينما انفردت إذاعة دمشق في معارضة هذه الاتفاقية ، وقد خفت هذه المعارضة بعد مؤتمر القمة العربي الثالث .

وسارت صحف : سوريا ، والاردن ، والعراق على نفس الاتجاه الذي سارت فيه إذاعاتها . أما صحف لبنان فقد تناولت تطورات القضية اليمنية منذ قيامها حسب ميولها واتجاهاتها المختلفة ، فبينما أيدت الصحف القومية والشيوعية الثورة اليمنية شككت فيها بعض الصحف الغربية الميول والبعثية .

### ثالثاً - المغرب العربي :

كان موقف وسائل الاعلام في دول المغرب العربي من ثورة اليمن على النحو التالي :

#### ١ - منذ قيام الثورة وحتى مؤتمر القمة العربي الاول :

فور قيام الثورة سارعت وسائل الاعلام الجزائرية والتونسية بتأييد الثورة ، فاشادت بها ، وزددت بنظام الامامة الرجعي ، وهاجمت التدخل السعودي في شئون اليمن .

ولم تفض عدة شهور حتى تغير موقف الاذاعة والصحافة التونسية، وأخذت تشن هجوما شديدا على ما أسمته التدخل المصرى ، وتحولت الى العطف على السعودية وترديد انتصارات الملكيين .

أما الاذاعة الليبية فقد اقتصرت على ترديد البيانات الرسمية ونقل الأحداث بصورة اخبارية معبرة فى ذلك عن موقف حكومتها الانعزالي محاولة عدم التدخل فى الخلافات العربية . أما الصحافة الليبية فقد انقسمت على نفسها وتزعمت صحيفة الرائد الجانب المؤيد للثورة والجمهورية العربية المتحدة ، كما تزعمت صحيفة الميدان الجانب المعادى .

وفى المغرب وقفت الاذاعة والصحافة الرسمية وشبه الرسمية الى جانب القوى الرجعية ، فعملت على اذاعة الاخبار التى فى صالح النظام الملكى ، وأهملت أخبار الجانب الثورى ، فى حين وقفت صحف المعارضة الى جانب ثورة اليمن منذ اللحظة الأولى ، ونددت بالحكومة المغربية لعدم اعترافها بالثورة ، واتهمتها بالتحالف مع الرجعية .

## ٢ - الفترة من مؤتمر القمة العربى الاول حتى اتفاقية جدة :

اهتمت وسائل الاعلام الجزائرية بالسماعى التى بذلت من أجل انتهاء الحرب فى اليمن ، وأشادت بمحاولة الجزائر التوسط فى النزاع ، كما أشادت بمبادرة عبد الناصر حين قرر السفر الى السعودية .

ولم تجد الصحف الرجعية المعادية للجمهورية العربية المتحدة فى تونس ، وليبيا ، والمغرب فى نفسها الجرأة والقدرة على مهاجمة النظام الجمهورى والمطالبة بعودة النظام الامامى الرجعى لليمن ، ولذلك اتجهت الى الانحياز للكتلة الثالثة فى اليمن ، أو الجمهوريين المنشقين وتأييد النعمان ، ومهاجمة السلال وحكومته العسكرية على أساس أنه يؤيد بقاء القوات المصرية فى اليمن .

وعمدت الاذاعة والصحف التونسية الى تصوير الجيش المصرى بأنه جيش احتلال ، وأكدت أن اليمنيين يثورون ضده ، وأنه لن يثبت طويلا أمام الهزائم



المتكررة ، كما هاجمت السلال ، وأشادت بالنعمان ، وطالبت بانسحاب القوات المصرية واعطاء شعب اليمن الفرصة لتقرير مصيره بنفسه .

واستمرت الاذاعة الليبية فى موقفها السلبى ، وانضمت صحيفة الميدان الى صحيفة الزمان فى موقفها المعادى للتدخل المصرى وللمشير السلال ، وأيدت الجمهوريين المنشقين ، فى حين أبدت الصحف القومية وجود المصريين وهاجمت المنشقين على السلال .

وفى المغرب اقتضرت الاذاعة على نقل الاحداث بصورة اخبارية ، وقل اهتمام الصحف بمشكلة اليمن الا أن صحيفة العلم « حزب الاستقلال الوطنى » هاجمت السلال ، وأيدت النعمان ، ودعت الى وقف القتال مع التلميح بضرورة سحب القوات المصرية .

### ٣ - بعد توقيع اتفاقية جدة :

لم يكن تأييد الصحف الجزائرية لاتفاقية جدة تأييدا مطلقا فذكرت أنها لا تعنى زوال الخطر على اليمن ، وأن القاعدة ليست تحقيق السلم بأى ثمن ولكن تحقيقه فى اطار يضمن الوحدة الوطنية والاستمرار فى الخط الثورى .

وأظهرت وسائل الاعلام التونسية اتفاقية جدة على أنها هزيمة منكرة للجمهورية العربية ، وانتصار لليمنيين أنفسهم ، وتطبيق لما اقترحه تونس من قبل .

أما وسائل الاعلام الليبية فقد أجمعت على الاشادة باتفاقية جدة ، وان كانت بعض الصحف المعادية حاولت التشكيك فى جدية الاتفاق .

وفى المغرب أشادت الاذاعة والصحف الحكومية بالاتفاق ولكن ترحيب المعارضة به كان أشد وأوضح ، ورأت فيه انتصارا للشعب اليمنى وضمانا لعدم استقرار وضع اقطاعى أو رجعى فى اليمن .

## رابعاً - إسرائيل :

ولقد استغلت الدعاية الاسرائيلية حرب اليمن للوقعة بين الدول العربية وتنفيذها من الجمهورية العربية المتحدة عن طريق تصوير تأييد الجمهورية العربية المتحدة لثورة اليمن على أنه استعمار مصرى وأطماع ناصرية فى العالم العربى ، كما حاولت استغلال الحرب لتأليب الغرب على الجمهورية العربية المتحدة .

والى جانب ما سبق يمكن ايجاز أبرز الاتجاهات الدعائية فيما يلى :

- ١ - محاولة تفريق الصف العربى .
- ٢ - بداية التشكيك فى نجاح الثورة .
- ٣ - النيل من زعامة الجمهورية العربية المتحدة للعالم العربى .
- ٤ - الرغبة فى استمرار تورط مصر فى اليمن .
- ٥ - اثارة الرأى العام المصرى ضد الحكومة المصرية .
- ٦ - اثارة الشعب اليمنى ضد الجمهورية العربية المتحدة .
- ٧ - اظهار الجمهورية العربية المتحدة فى حالة اليأس من وصولها الى أهدافها .
- ٨ - النيل من زعامة الرئيس عبد الناصر شخصيا .
- ٩ - التركيز على أنباء انتصارات القوات الملكية والمبالغة فى تصوير خسائر القوات العربية .
- ١٠ - ترديد كل ما يسىء الى الجمهورية العربية المتحدة وقواتها .
- ١١ - محاولة اقناع الرأى العام بوجود عدم ثقة بين مصر والسعودية .

١٢ - محاولة اثارة الشكوك حول الجهود المبذولة للوساطة والتقليل من شأنها .

١٣ - اتهام قوات الجمهورية العربية المتحدة باستخدام الغازات السامة وضرب القرى والسكان الآمنين في اليمن بالطائرات .

١٤ - تخويف الدول العربية من أطماع الجمهورية العربية المتحدة في البترول العربي .

١٥ - التشكيك في نتائج محادثات الرئيس عبد الناصر والملك فيصل .

١٦ - اعتبار اتفاقية جدة هزيمة دبلوماسية للرئيس عبد الناصر ، ونصرا للملك فيصل .

١٧ - اتهام كل من القاهرة وصنعا بنقض اتفاقية جدة .

١٨ - العمل على الوقيعة بين الجمهورية العربية المتحدة ، والسعودية لعدم اتمام تنفيذ اتفاقية جدة .

١٩ - محاولة التقليل من شأن مؤتمر حرض الذي عقد في خلال هذا الشهر والتشكيك في نية القاهرة بالنسبة لتنفيذ قرارات المؤتمر .

٢٠ - الادعاء بوجود خلافات في صفوف الجمهوريين اليمنيين والاشارة الى ترابط الملكيين .

### خامساً - الدول الغربية :

أما في العالم الغربي فقد شنت وسائل الاعلام حملة دعائية ضخمة ضد الثورة اليمنية ظفرت فيها وسائل الاعلام البريطانية بنصيب وافر ، ولا سيما الصحف البريطانية المحافظة والصهيونية .

وفى ضوء هذه الدعايات نجد أن أبرز خطوط هذه الحملة تتركز فى الآتى :

١ - اظهار عدم الاستقرار فى اليمن ، وعدم ولاء القبائل للثورة اليمنية .  
٢ - ترديد النغمات التقليدية عن صلة الجمهورية العربية المتحدة بهذه الثورة .

٣ - محاولة الصاق صفة الشيوعية بالثورة خصوصا من جانب أجهزة الاعلام البريطانية .

٤ - تسليط الضوء على البدر وابرازه بصورة المناضل .

٥ - تضخيم الانتصارات المؤقتة التى أحرزها الملكيون ، وتهويل خسائر الجمهورية العربية المتحدة والقوات اليمنية الجمهورية .

٦ - الادعاء بأن القوات العربية فى اليمن قد قامت بتصرفات بشعة حيال ما أسمته بالشعب اليمنى الآمن .

٧ - التقليل من كفاءة الجيش العربى .

٨ - صورت وجود الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن بأنه « احتلال مصرى » ومحاولة للسيطرة على منابع البترول فى شبه الجزيرة العربية .

٩ - صورت الجانب السعودى فى مركز قوة بينما أبرزت ما أسمته بانهاى اقتصاديات الجمهورية العربية المتحدة نتيجة حرب اليمن .

ومع مضى الوقت اشتدت حدة الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة واليمن مع اتضاح أهداف الحملة التى يمكن بلورتها فى الآتى :

« محاولة تفكيك جبهة الثورة اليمنية عن طريق بث الخلاف بين الشخصيات القيادية في اليمن ، وكذلك بين قادة الثورة ، والعمل على تهيئة سخط شعبي في الجبهة اليمنية ضد ما أسمته بالاحتلال المصري ، وأثارة جو من عدم الثقة بين رجال القبائل وقادة الثورة بترديد أن الثورة ستجردهم من السلاح وأنها ستعزل مشايخ القبائل لتحل محلهم بعض الضباط ، وأن السلال خائن للدين » .

وفي مرحلة تالية هدفت الحملة الدعائية الى بث الفرقة بين الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية ، ولا سيما بعد مؤتمر القمة العربي الأول عن طريق :

١ - تصوير مساعدة الجمهورية العربية المتحدة للثورة اليمنية بأنها تستهدف السيطرة على بترول شبه الجزيرة العربية .

٢ - إبراز أن الرئيس عبد الناصر يتخذ من اليمن وسيلة لفرض زعامته على العالم العربي .

٣ - اظهار أن الثورة اليمنية ستؤثر حتما على أنظمة الحكم الملكية العربية، وأن المد الثوري في اليمن يحمل بذور تغير كبير في شبه الجزيرة عملا على اثارة أصحاب العروض العربية ضد هذه الثورة .

٤ - الادعاء بأن الجمهورية العربية المتحدة تستعد بصورة جدية لغزو المملكة العربية السعودية، وأنه يتم فعلا من حين لآخر في شكل غارات جوية مصرية على الأراضي السعودية .

ولم تتوان الدعاية الغربية عن تأليب الرأي العام العالمي ضد الرئيس عبد الناصر ، فادعت أن الجمهورية العربية المتحدة تتدخل في شئون الدول الاخرى الداخلية ، ولا تحترم ميثاق الامم المتحدة ، كما أن الجمهورية العربية المتحدة لا تحترم الاتفاقات الدولية التي تحت على وقف اطلاق النار باليمن .

كذلك قامت بالاساءة الى سمعة اقتصاد الجمهورية العربية المتحدة في الأوساط الدولية بهدف منع اتمام أى عقود دولية في صالح اقتصادياتها وذلك عن طريق:

١ - ابراز انهيار اقتصاد الجمهورية العربية المتحدة الداخلى نتيجة لحرب اليمن التى تستنزف موارد الجمهورية العربية المتحدة بغير طائل ؛  
فزعمت بانفاق مليون دولار أمريكى يوميا فى حرب اليمن بالرغم من افتقار الجمهورية العربية المتحدة للعملة الصعبة .

٢ - محاولة الاساءة الى العلاقات العربية الامريكية باظهارها أن الجمهورية العربية المتحدة تستغل المساعدات الامريكية فى تأجير الطيارين السوفييت لضرب اليمن الآمن .

## الحلف الاسلامى :

الواقع أن فكرة المؤتمرات والتكتلات الاسلامية بدأت منذ أربعين عاما تقريبا حين دعا الملك عبد العزيز آل سعود الى عقد مؤتمر اسلامى فى ١٢/٥/١٩٢٥ يضم وفودا من الدول الاسلامية بهدف مبايعته ملكا على الاراضى الحجازية المقدسة .

وعلى الرغم من أن هذا المؤتمر لم ينعقد نتيجة لعدم استجابة كثير من الدول الاسلامية للدعوة فقد كانت فى حد ذاتها مقدمة شجعت على قيام عدة تجمعات اسلامية أبرزها مؤتمر العالم الاسلامى بكراتشى الذى أخذ يتوسع حتى أصبح له ٥٢ فرعا و ٥ مكاتب اقليمية ، والمؤتمر الاسلامى العام فى القدس ، ورابطة العالم الاسلامى التى انبثقت عن المؤتمر الاسلامى الذى دعا اليه الملك السابق سعود خلال موسم الحج فى مايو ١٩٦٢ ويقوم كل من : الحاج أمين الحسينى ، وانعام الله خان ، وسعيد رمضان بدور رئيسى فى النشاط الذى تمارسه هذه المؤتمرات .

ويعتبر حلف المعاهدة المركزية « بغداد سابقا » - الذى أنشئ عام ١٩٥٥ بغرض تكملة الحزام الغربى المضروب حول العالم الشيوعى - امتدادا للمحاولات التى سعت اليها تركيا قبل الحرب العالمية الثانية لتكوين حلف فى منطقة الشرق الأوسط التى انتهت بتوقيع ميثاق سعد آباد عام ١٩٣٧ وهو عبارة عن معاهدة

عدم اعتداء بين كل من : تركيا ، وايران ، والعراق ، وافغانستان لم تسفر عن أى نتائج سياسية ايجابية فى منطقة الشرق الأوسط .

غير أنه نتيجة للضعف الذى انتاب حلف بغداد بسبب اشتراك بريطانيا فى العدوان الثلاثى الفاشل على مصر عام ١٩٥٦ ساد اتجاه دفعته الولايات المتحدة بين دول الحلف الاسلامية : « العراق - تركيا - ايران - باكستان » الى اخراج بريطانيا من هذه المنظمة واحلال حلف اسلامى محلها يقتصر على الدول الاسلامية . وقد تزعمت باكستان وايران الدعوة لهذه الفكرة التى لم توفق ازاء رفض كل من مصر ، وسوريا ، والاردن ، والسعودية .

وعلى اثر الضربة التى تلقاها حلف بغداد بقيام ثورة العراق عام ١٩٥٨ وانسحابها منه أعلن شاه ايران فى ٢٧/٩/١٩٥٨ أنه يعمل شخصيا على تكوين حلف يضم الدول الاسلامية ، وهذا ما أيدته تركيا وباكستان . الا أن هذه الجهود منيت بالفشل ازاء قوة اندفاع الحركة القومية فى تلك المرحلة .

وبفضل هذه الأساليب فى ضم دول اسلامية جديدة الى الحلف المركزى ، أو خلق تجمع اسلامى موال للغرب اتجهت الدول الاسلامية أعضاء الحلف ، ( باكستان - ايران - تركيا ) فى يوليو ١٩٦٤ وبدفع من الولايات المتحدة ، وتأييد بريطانيا الى تكوين تنظيم اقليمى يحمل اسم منظمة التعاون الاقليمى وهى ذات طابع اقتصادى وفنى ، وتعمل بصورة مستقلة ظاهريا عن الحلف المركزى أملا فى أن يكون ذلك غطاء للتجمع الاسلامى الذى يدعون الى قيامه .

وبعد أن أدرك الغرب انعدام فاعلية الحلف المركزى بالرغم من تعدد المحاولات لدعمه وتقويته أخذ يعاود جهوده الرامية لحياء فكرة الحلف الاسلامى مستهدفا دعم استراتيجىة الدفاع عن منطقة شرقى السويس والحفاظ على مصالحه البترولية التى اتسعت فى الدول العربية وايران . فبدأ يدفع السعودية للقيام بالدور الرئيسى فى احياء هذه الفكرة مستغلا مخاوف الملك فيصل من المبادئ القومية التحررية والاشتراكية أو احتوائها على الاقل داخل النطاق الاسلامى .

ولقد رجبت الدوائر الدعائية البريطانية بقيام التحالف الاسلامى وما يترتب على نجاحه من بروز الملك فيصل فى المنطقة بصفة عامة ، وفى شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة ، حيث ترى فيه الوريث الذى يمكن أن يملأ الفراغ السياسى فيما لو انسحبت من المنطقة ، وتعتقد أنه الشخصية التى تستطيع التصدى لتيار المد التحررى الذى يهدد مصالحها فى الجنوب والخليج وبالرغم من أن بريطانيا تحرص - من وجهة النظر الرسمية - على ألا يكون ترحيبها بفكرة التحالف الاسلامى علينا ، والا يظهر لها دور فعال فى تحقيقه تلافيا للوقوع فى أخطاء حلف بغداد فانها أبدت نشاطا فى هذا المجال يتمثل فى الاتصالات المتعددة التى أجرتها الخارجية البريطانية مؤخرا مع الممثلين الدبلوماسيين : للاردن ، والسعودية ، وايران ، والعراق. هذا فضلا عن زيارة كريستوفر سومرز ( وزير الخارجية فى الظل البريطانية ) لايران والاردن فى شهر يناير الماضى وتصريحه فى طهران بأن مركز القوة فى الشرق الاوسط يتحول من القاهرة الى طهران والرياض .

وبالرغم من أن الولايات المتحدة تنفى باصرار وجود أى علاقة لها بالحلف الاسلامى ، وتدعى أنه مجرد خرافة أسطورية ابتدعها الصحفيون - فهى تؤمن بأن قيام مثل هذا الحلف يعتبر تدعيما لاستراتيجية الدفاع الغربى فى منطقة شرق السويس فضلا عن المحافظة على مصالحها البترولية فى المنطقة .

## الخلاصة :

فى ضوء الأساليب الدعائية والمخططات الغربية منذ عام ١٩٥٥ الى عام ١٩٦٦ نلاحظ أن الاهداف الاستعمارية هى هى بعينها ، وقد يبدو من التخطيط لتحقيق هذه الاهداف أحيانا أن ثمة أفكارا جديدة ، ولكن باستقراءها نرى أنها صورة لاساليب ومواقف سابقة لعام ١٩٥٥ ومن بين الاهداف التى وضعت عام ١٩٥٥ ولم توفق المخططات المعادية فى تنفيذها :

١ - عزل الرئيس عبد الناصر عن مسرح السياسة العربية بعد الخيبة فى تفويض حكمه داخل مصر .



٢ - الادعاء بتغلغل شيوعى فى سوريا ووجود نفوذ سياسى وعسكرى فى مصر للاتحاد السوفييتى .

٣ - خلق نوع من التحالف بين الدول الاسلامية فى اطار حلف بغداد ، ومحاولة ضم السعودية الى : العراق، وباكستان، وتركيا، وايران .

٤ - ظهور آراء لبعض الحكام العرب عام ١٩٥٦ تنادى بتسوية النزاع العربى الاسرائيلى يتزعمه نورى السعيد فى العراق .

٥ - اتساع دائرة الدول الافريقية المستقلة ، وكذا بعض الدول الآسيوية وأثره على الصراع الدائر بين مصر والغرب .

وهكذا مضت وسائل الاعلام الغربية والمعادية فى محاولة التشكيك فى نوايا مصر تجاه الدول العربية منذ قيام الثورة وترديد الادعاءات ألقائلة بوجود أطماع توسعية مصرية فى العالم العربى ، كما أخذت تشكك فى سلامة التخطيط السياسى والاقتصادى للثورة المصرية ، وقامت بإثارة الرأى العام الداخلى ضد نظام الحكم القائم ، وتشويه جميع مكاسب الثورة المصرية منذ قيامها حتى الآن .

وواضح أن هذا هو نفس الاسلوب الدعائى المتبع الآن ، وبالرغم من ذلك فان الثورة المصرية تمضى فى طريقها الذى رسمته لنفسها من بدء قيامها .

ولقد مهدت وسائل الاعلام الغربية والاسرائيلية لعدوانها على مصر والتدخل فى الشئون السياسية للوطن العربى ، الادعاء بوجود تغلغل شيوعى فى سوريا وتدفق أسلحة شيوعية على مصر فى أوائل عام ١٩٥٥ .

والآن وفى عام ١٩٦٦ ما فتئت وسائل الاعلام الرجعية فى بعض الدول : العربية ، واسرائيل، والغرب الاستعمارى تردد مزاعم جديدة عن بدء غزو شيوعى لمصر وسوريا ومن بين هذه المزاعم ما يلى :

١ - وجود قواعد سوفيتية فى الموانى المصرية على : البحر المتوسط ،  
والبحر الأحمر •

٢ - انجياز سوريا الى المعسكر الشيوعى من جديد •

٣ - فتح مصر المجال أمام الاسطول السوفيتى فى البحر الاحمر وذلك  
بعد التواجد المصرى فى اليمن •

٤ - الادعاء بتحريك سياسة المحاور فى نطاق الدول العربية •

وفى عام ١٩٦٦ عادت فكرة الحلف الاسلامى للظهور تنادى بها : العربية  
السعودية ، وايران ، وانجاز الاردن الى هذا الحلف بعد أن قضى الملك حسين على  
الحكم الوطنى الذى كان قائما عام ١٩٥٧ ، واتخذت باكستان موقف التريث من  
هذه الدعوة لوضعها الحالى فى آسيا وعلاقتها بالغرب والشرق . وما زال فيصل  
يجرب حظه مع الدول الاخرى عسى أن يجد منها من يتجاوب مع مخططات  
الاستعمار التى تهدف الى السيطرة على المنطقة •

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فقد استمرت وسائل الاعلام المعادية خلال  
عام ١٩٥٦ وما أعقب ذلك فى اتهام مصر بالتجارة بالقضية الفلسطينية وقد تردد  
فى هذه الفترة •

١ - قام نورى السعيد عام ١٩٥٦ بالمناذرة بتسوية القضية الفلسطينية  
على ضوء قرارات الامم المتحدة كوسيلة للاستقرار فى الشرق  
الاسوسط •

٢ - بعد عام ١٩٥٦ أطاحت الاردن بالحكم الوطنى الذى كان يتجاوب  
مع القاهرة فى التخطيط لتحرير فلسطين •

والآن عام ١٩٦٦ استبدل بنورى السعيد الحبيب بورقيبة حيث ينادى  
بالصلح مع اسرائيل ، أما فى الاردن فان الملك حسين يرفض التعاون مع منظمة  
تحرير فلسطين ، وتكرر صورة الاعتقالات التى كانت تقع عام ١٩٥٧ ويسير فى  
نفس المخطط السابق .

وهكذا تدور أجهزة الاعلام الاستعمارية والرجعية منذ سنوات عدة فى  
حلقة مفرغة ، تعيد اليوم ما قالت بالأمس مهما غيرت من أساليبها ، وثقت فى  
ألفاظها ، وأضفت عليها صفة الجدة ، ولكن كل هذا الهذيان الاستعماري الرجعي  
يصير الى لا شئ .

وتبقى ثورة الشعب العربى على دربها تسير بأقدام ثابتة ، ترسم على  
الصخور طريق :

الحرية . . الاشتراكية . . الوحدة .

## أهم المراجع الأجنبية

---

- 1 - Adinarayan S. P. Social Psychology, Allied Publishers Private LTD, Bombay, 1964.
- 2 - Allport, F. H. and Lepkin, M. «Wartime Rumors of Waste and Special Privilege : Why Some People Believe Them,» Journal of Abormal Psychology, January 1945, P. P. 3-36.
- 3 - Allport, G. W. and Postman Leo; Analysis of Rumor, Public Opinion Quarterly, Vol. 10 No. 4, 1946, PP 501 - 517.
- 4 - Allport G. W. and Postman Leo; «The Psychology of Rumor», Henry Holt and Company, New York, 1947.
- 5 - Allport G. W., Personality and Social Encounter, Beacon Press, Boston 1954.
- 6 - Angell, Norman. The Public Mind. New York, The MacMillan, 1927.
- 7 - Angell, M., The Scientific Study of Social Behaviour, London, 1957.
- 8 - Asch, S. E., Social Psychology. Prentice Hall, New York, 1952.

- 9 - Bernays, Edward L., Attitude Polls - Servants or Masters, Public Opinion Quarterly, Vol 9, 1943, PP 264 - 68.
- 10 - Bonner. H., Social Psychology, American Book Coy, New York, 1963.
- 11 - Chadwick, T., The Influence of Rumor on Human Thought and Action. Sherrat and Huges, Manchester, 1932.
- 12 - Chorus. A., Basic Law of Rumor, Journal of Abnormal Psychology, April 1953, P. P. 313-314.
- 13 - Doob Leonard, W. « Gobbels Principles of Propaganda » Public Opinion Quarterly, 14: 419-442 (1950) reprinted in Wilbur Schramm, The Process and Effects of Mass communication, 1954, PP 517 - 36 and in Daniel Katz, Public Opinion and Propaganda ; 1954 PP 508 - 22.
- 14 - Doob, Leonard W., Propaganda and its Psychology and Technique, Henry Holt and Co., New York, 1935.
- 15 - Doob Leonard W. Public Opinion and Propaganda, Henry Holt and Co., New York, 1950.
- 16 - Edmond Taylor E. Strategy of Terror, Houghton Mifflin Company, Boston 1943.
- 17 - Edmond Taylor E., Richar By Asia, London, 1945.

- 18 - Edward W. Barret, Truth is Our Weapon, Funk and Wagnalls Co., New York, 1953.
- 19 - Ellis M. Zacharias, Secret Missions, G. P. Putnam's Sons, New York, 1946.
- 20 - Eysenck, H. J., Dimensions of Personality, London 1947.
- 21 - Farago Ladislav, British Propaganda: The Inside Story, United Nations World, 2-22-26 (Oct. 1948).
- 22 - Fargo Ladislav (ed), German Psychological Warfare, G. P. Putnam's Sons, New York, 1941.
- 23 - Farago Ladislav, War of Wits, The Anatomy of Espionage and Intelligence, Funk and Wagnall Co., New York, 1954.
- 24 - Firth, R., Rumer in a Primitive Society, Journal of Abnormnal Social Psychology, Vol 53, 1956, P. P. 122 - 132.
- 25 - George L. Alexander, Propaganda Analysis Row Peterson and Company, New York, 1959.
- 26 - Gordon W. Allport, The Nature of Prejudice, Doubleday and Company, inc, New York, 1958.
- 27 - Hans Herma, Gobbl's Conception of Propaganda, Social Research, 10: 200-18, 1943.

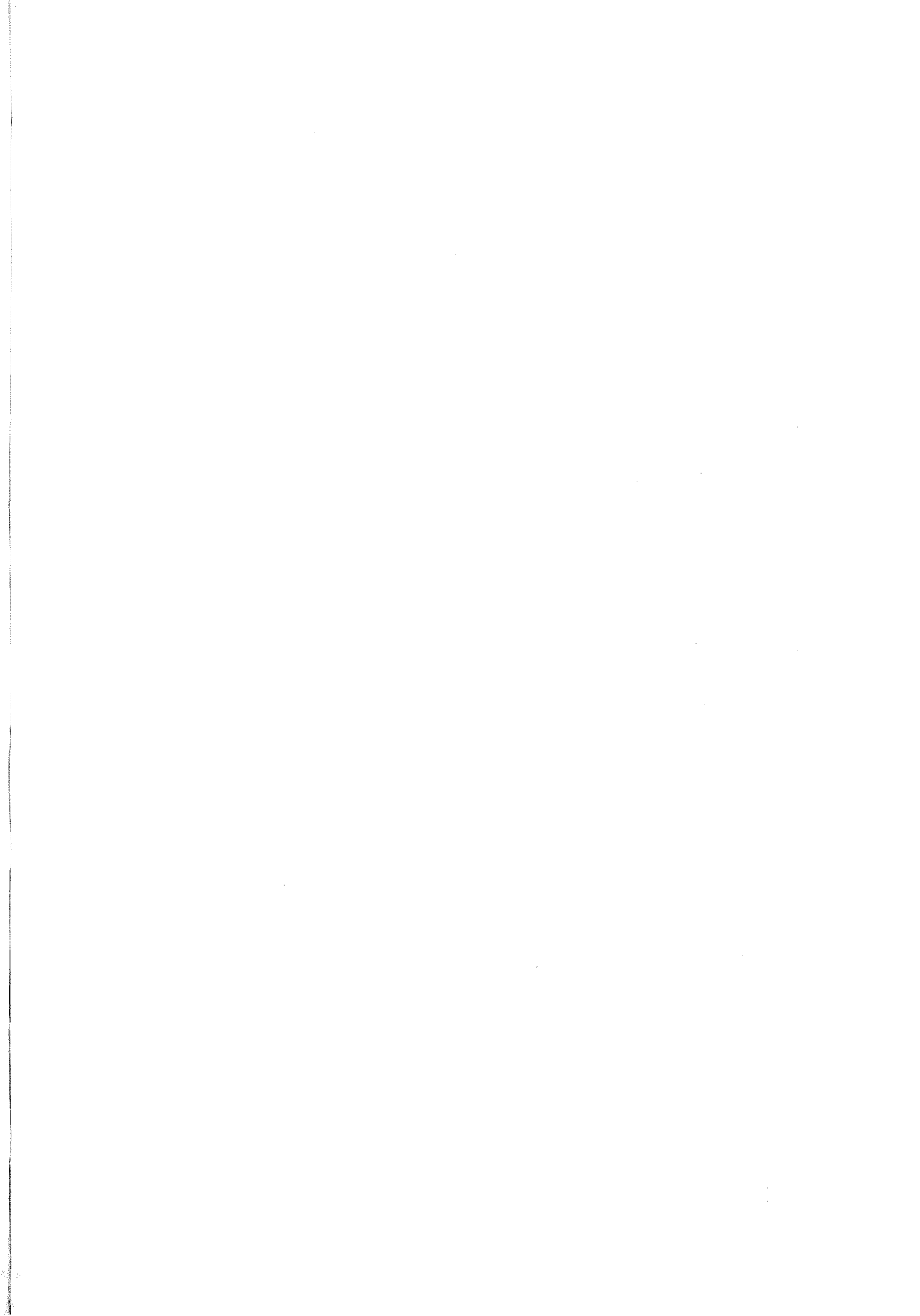
- 28 - Hans Sperier, War Aims in Political Warfare, Social Research, 13; 157 (May 1945) Reprinted in Daniel Lerner's Propaganda in War and Crisis, George W. Stewart, Publishers, Inc, New York, 1951, P. 69.
- 29 - Hans Sperier, «The Future of Psychological Warfare;» Public Opinion Quarterly, 12: 7-8 1948.
- 30 - Hermans Raushning, The Voice of Destruction. New York, 1940.
- 31 - Henry Lichten Berger, The Third Reich, Book V, New York, 1937.
- 32 - Irving, J. A., The Psychological Analysis of Wartime Rumor Patterns in Canada, 1943, Bulletin of the Canadian Psychological Association, 3, 40, 44.
- 33 - Jean - Marie Domenach, Leninist Propaganda, Public Opinion Quarterly 15: 272 (1951).
- 34 - J. Peters, The Communist Party - A Manual on Organization, Workers Library, New York 1935 7:14.
- 35 - John, Scott: Political Warfare, A Guide to Competitive Co-existence, The John Day Co. New York, 1955.
- 36 - Joseph Stalin, Problems of Leninism, Foreign Language Publishing House, Moscow 1940, P. 211.

- 37 - Knapp, R. H., : A Psychology of Rumor, Public Opinion Quarterly, 8, 23-37, 1944.
- 38 - Krech, D. and Crutchfield, R. S. Theory and Problems of Social Psychology McGraw Hill New York. 1948.
- 39 - La Pierre, R. T.; and P. R. Farnsworth, Social Psychology, McGraw - Hill Book Company, Inc., New York 1936.
- 40 - Lasswell, H. D, Political and Psychological Warfare, in Daniel Lerner (ed), Propaganda in War and Crisis, George W. Stewart; Publisher, Mc. New York, 1950.
- 41 - Lee, A. M, and N. D. Humphrey, Race Riot, Dryden Press, New York, 1943.
- 42 - Linebarger, Paul M. A. Psychological Warfare 2nd. ed, Combat Forces Press, Washington, D. C. 1954.
- 43 - Mark Clark, From the Danube to Yalu, Harper and Brothers, New York, 1955 P. 371.
- 44 - Maslow A. H. and Bela Mittelman, Principles of Abnormal Psychology, Harper and Brothers Publishers, New York, 1951.
- 45 - M., Gregor D., The Major Determinants of The Prediction of Social Events, Journal of Abnormal and Social Psychology, 33, 197, 204, 1938.



- 46 - Miller, N. E. « Theory and Experiment Relating Psychoanalytic Displacement to Stimulus - Response Generalisation », The Study of Personality (Ed Brand, H.) New York and London, 1954.
- 47 - Newcomb, T. M. Role of Behaviour in the Study of Individual Personality and Groups, Journal of Personality, XVIII. Durham, N. C, 1950.
- 48 - Peterson W. A. and Gist, N. P., Rumor and Public Opinion, American Journal of Sociology, Vol 57, 1951, P. P. 159-167.
- 49 - Philip Selznick, The Organizational Weapon : A Study of Bolshevik Strategy and Tactics, Mc Graw-Hill Book company Inc, New York, 1952.
- 50 - Radhakamal Mukerjee, « The Philosophy of Personality », Allied Publishers Private Ltd, 15 Gr. Road, Bollard Estate, Bombay.
- 51 - Robert H. Bruce Lockhart, Comes the Reckoning, Putnam and Co. Ltd, London, 1947.
- 52 - Robert H. Bruce, Lockhart « Political Warfare », Journal of the Royal United Services Institution 95 : 1950.
- 53 - Sargent, SS. and Williamson, R. C., Social Psychology. Ronald Press Company New York, 1950.
- 54 - Scott, John, Political Warfare: A Guide to Competitive Co-existence, The John Day Company, New York, 1953.

- 55 - Thouless, R. H., «General and Social Psychology» 4th ed University Tutorial Press Ltd, Clifton House, Euston Rd, London, N. W. I, 1963.
- 56 - Vladimir I. Lenin, A Training Pamphlet, 1920.
- 57 - Vladimir I Lenin, Selected Works, International Publishers Co., New York, 1935.
- 58 - Wise David and Thomas B. Ross, The Invisible Government. New York 1964.
- 59 - Young K, Social Psychology, F. S. Crofts and Company, New York, 1936.
- 60 - Encyclopeadia Brtiannica.
- 61 - Webster's New International Dictionary of the English Language, 2nd ed, Unabridged G. and C. Merriam Co. Springfield, Mass, 1951.



# فهرست

## مقدمة

٩-٥

## الباب الأول

### مفهوم الحرب النفسية وتطورها

١٢٢-١٣

### الفصل الأول : تكوين السلوك الاجتماعي ١٥

|    |           |                           |
|----|-----------|---------------------------|
| ١٦ | • • • • • | مجال علم النفس الاجتماعي  |
| ١٩ | • • • • • | السلوك الاجتماعي          |
| ٢٠ | • • • • • | الأحوال البيولوجية        |
| ٢٥ | • • • • • | الدافع المباشر للسلوك     |
| ٣٢ | • • • • • | الادراك                   |
| ٣٤ | • • • • • | أثر ظهور المدرسة السلوكية |
| ٣٨ | • • • • • | العلم والدين              |
| ٤٥ | • • • • • | الثقافة والسلوك           |
| ٤٨ | • • • • • | التعلم                    |

- ٧٨ . . . . . دروس الحربين العالميتين
- ٨٢ . . . . . الحرب النفسية في فترة الحرب العالمية الثانية
- ٨٥ . . . . . الشكل الحديث للحرب النفسية

- ٨٩ . . . . . تعريف الحرب النفسية
- ٩١ . . . . . العناصر الأساسية
- ٩٣ . . . . . هل الحرب السياسية تسمية أفضل
- ٩٦ . . . . . صعوبة التعريف
- ١٠٠ . . . . . إعادة التقييم
- ١٠٢ . . . . . تعليق

## الفصل الرابع : الحرب النفسية جزء من الحرب

- ١٠٧ . . . . . طبيعة الحرب الشاملة
- ١١٣ . . . . . شن الحرب على أساس نفسي
- ١١٥ . . . . . الحرب النفسية وعلم النفس
- ١١٩ . . . . . علم النفس العسكري
- ١٢١ . . . . . التقاط الكفايات وحسن توجيه الجنود

## الباب الثانى

### التنظيم والأفراد

١٢٣-١٨٦

#### ١٢٥ الفصل الأول : التنظيم للحرب النفسية

- ١٢٦ . . . منظمات الحرب النفسية فى الحرب العالمية الأولى
- ١٣٣ . . . فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها
- ١٣٣ . . . التنظيم الألمانى
- ١٣٨ منظمات الحرب النفسية الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية
- ١٣٩ تنسيق المعلومات
- ١٤٠ مكتب معلومات الحرب
- ١٤٣ هيئات الحرب النفسية داخل المنشآت العسكرية
- ١٤٦ قسم الحرب النفسية « القيادة العليا لقوات الحلفاء »
- ١٤٧ . . . التنظيم السوفييتى للحرب النفسية
- ١٤٩ . . . نواة التنظيم
- ١٥١ . . . الكلمات والأفعال
- ١٥٣ . . . التنظيم للقتال
- ١٥٥ . . . أثر التنظيم فى الحرب النفسية

#### ١٥٧ الفصل الثانى : مؤهلات الأفراد

- ١٦٢ . . . رجال الأفكار
- ١٦٧ . . . الإداريون
- ٦٢٥

|     |                     |                 |
|-----|---------------------|-----------------|
| ١٧١ | • • • • • • • • • • | رجال الاتصال    |
| ١٧٥ | • • • • • • • • • • | الرجال المتكرون |
| ١٨٠ | • • • • • • • • • • | الباحثون        |
| ١٨٢ | • • • • • • • • • • | الفنيون         |
| ١٨٤ | • • • • • • • • • • | موظفو الخدمات   |

## الباب الثالث

### التخطيط والعمليات

٢٥٤-١٨٧

#### ١٨٩ الفصل الأول : مشاكل التخطيط

|     |                     |                     |
|-----|---------------------|---------------------|
| ١٩٥ | • • • • • • • • • • | الاستراتيجية الكبرى |
| ٢٠٠ | • • • • • • • • • • | القيود المختلفة     |
| ٢٠٢ | • • • • • • • • • • | العامل البشري       |
| ٢٠٦ | • • • • • • • • • • | الدعاية المضادة     |
| ٢٠٧ | • • • • • • • • • • | التوجيهات المكتوبة  |

#### ٢١١ الفصل الثاني : أهداف العمليات

|     |                     |                            |
|-----|---------------------|----------------------------|
| ٢١٢ | • • • • • • • • • • | الأهداف السياسية           |
| ٢١٣ | • • • • • • • • • • | هدف سياسي محدود قصير الأجل |

٢٢٠ . . . . . هدف سياسى محدود طويل الأجل

٢٢١ . . . . . التنظيم

٢٢٢ . . . . . تحليل الهدف

٢٢٢ المطالب العشرة للمعارضة الشعبية

٢٢٢ ١ - نقابات العمال للنقابيين

٢٢٣ ٢ - الزيادة فى الأجور

٢٢٣ ٣ - عدم تقييد العمال بأعمال معينة

٢٢٣ ٤ - عدم استغلال الدولة لوقت الفراغ

٢٢٣ ٥ - انتهاء السخرة

٢٢٤ ٦ - عدم تحديد الحصص

٢٢٤ ٧ - الاستقلال الذاتى للجان القومية المحلية

٢٢٤ ٨ - السلع للشعب

٢٢٥ ٩ - العودة الى خدمة المستهلك

٢٢٥ ١٠ - الاسكان للعائلات ، لا للدولة

٢٢٥ . . . . . رد فعل الهدف

٢٢٦ . . . . . النشرات تكمل الهجوم الاذاعى وتعززه

٢٢٧ . . . . . تقدير النتائج

٢٢٨ . . . . . الأهداف السياسية العسكرية

٢٢٩ . . . . . الأهداف العسكرية

٢٢٢ عملية مينسميت

٢٣٥ الدعاية من أجل الحداغ والتمويه الاستراتيجى

٢٣٨ عملية الدولار الأمريكى

٢٣٩ عملية « ايتاليا كومبات »

٢٤١ عملية « برادوك »



## ٢٤٣ الفصل الثالث : الحرب النفسية الدفاعية

|     |           |                       |
|-----|-----------|-----------------------|
| ٢٤٩ | • • • • • | أهمية التوجيه المعنوي |
| ٢٥٣ | • • • • • | طوارئ المستقبل        |

## الباب الرابع

### مجالات التوصيل

٢٩٨-٢٥٥

## ٢٥٧ الفصل الأول : مجالات التوصيل

|     |           |  |
|-----|-----------|--|
| ٢٥٨ | • • • • • | معركة الاذاعة                          |
| ٢٥٩ | • • • • • | الاذاعة على الموجة القصيرة             |
| ٢٦١ | • • • • • | نشرات الأخبار على الموجة القصيرة       |
| ٢٦١ |           | أهداف نشرات الأخبار                    |
| ٢٦٢ |           | فهم المستمع                            |
| ٢٦٤ | • • • • • | الاذاعة على الموجة العادية             |
| ٢٦٥ | • • • • • | الراديو الأسود والحرب الباردة          |
| ٢٧٤ | • • • • • | نشرات الاستسلام كسلاح من أسلحة الاقناع |
| ٢٨٠ | • • • • • | النشرات الصحفية كأسلحة للحرب           |
| ٢٨٩ | • • • • • | الكتيبات                               |
| ٢٩١ | • • • • • | عمليات التخريب                         |
| ٢٩٢ | • • • • • | دعاية الدعاية                          |
| ٢٩٦ | • • • • • | الطائرة كاحدى وسائل الاستخدام          |

## الباب الخامس

### الشائعات أفعى المجتمع

٢٩٩-٤٠٨

#### ٣٠١ الفصل الأول : الشائعات والمجتمع

- ٣٠٢ . . . . . تعريف الشائعة
- ٣٠٥ . . . . . الشائعة والتاريخ
- ٣٠٩ . . . . . الشائعة والأسطورة
- ٣١٥ . . . . . قانون الشائعات

#### ٣٢١ الفصل الثاني : تصنيف الشائعات

- ٣٢١ . . . . . ١ - الشائعة الزاحفة
- ٣٢٢ . . . . . ٢ - شائعات العنف
- ٣٢٢ . . . . . ٣ - الشائعات الغائصة
- ٣٢٨ . . . . . الشائعات والحرب
- ٣٣١ . . . . . الشائعات الهجومية
- ٣٣٣ . . . . . استخدام الشائعات في الحرب
- ٣٣٣ . . . . . ١ - الاستخدام بقصد التفتيت
- ٣٣٤ . . . . . ٢ - استخدام الشائعة كستارة دخان
- ٣٣٤ . . . . . ٣ - بقصد الخط من شأن مصادر الأنباء
- ٣٣٤ . . . . . ٤ - استخدام الشائعة كطعم Bait بقصد تبين الحقيقة

|     |           |                                 |
|-----|-----------|---------------------------------|
| ٣٣٥ | • • • • • | الشائعات والشغب                 |
| ٣٣٨ | • • • • • | الشائعة والفكاهة                |
| ٣٤٢ | • • • • • | أثر الشائعات على الروح المعنوية |

## ٣٤٥ الفصل الثالث : سيكولوجية الدوافع

|     |           |                                   |
|-----|-----------|-----------------------------------|
| ٣٤٥ | • • • • • | الشائعة كأساس للتصديق             |
| ٣٤٩ | • • • • • | الشائعة كصورة من صور الرأي العام  |
| ٣٥٣ | • • • • • | لماذا تنتشر الشائعات ؟            |
| ٣٥٧ | • • • • • | الدوافع السيكولوجية وراء الشائعات |
| ٣٦١ | • • • • • | الانعكاس                          |

## ٣٧٣ الفصل الرابع : تحليل الشائعة

|     |           |   |
|-----|-----------|---|
| ٣٧٦ | • • • • • | الطريق الأساسي الذي يتم فيه تحريف القصة |
| ٣٧٨ | • • • • • | مزج الموضوعات في الشائعة                |
| ٣٧٩ | • • • • • | أسس التحليل                             |
| ٣٧٩ | • • • • • | بعض حالات لدراسة الشائعات               |
| ٣٨٠ | • • • • • | النموذج الأول                           |
| ٣٨١ |           | التعليق                                 |
| ٣٨٣ | • • • • • | النموذج الثاني                          |
| ٣٨٤ |           | التعليق                                 |
| ٣٨٦ | • • • • • | دليل لتحليل الشائعات                    |
| ٣٨٩ | • • • • • | حالة من مجتمعنا                         |

|     |           |                   |
|-----|-----------|-------------------|
| ٣٨٩ | • • • • • | الشائعة           |
| ٣٩١ | • • • • • | وضع حد لحرب اليمن |
| ٣٩١ |           | التعليق           |
| ٣٩٤ |           | الشائعة الأولى    |
| ٣٩٥ |           | الشائعة الثانية   |
| ٣٩٥ |           | الشائعة الثالثة   |
| ٣٩٥ |           | الشائعة الرابعة   |
| ٣٩٦ |           | الشائعة الخامسة   |

## ٣٩٧ الفصل الخامس : مقاومة الشائعات

|     |           |                      |
|-----|-----------|----------------------|
| ٤٠٥ | • • • • • | السيطرة على الشائعات |
|-----|-----------|----------------------|

## الباب السادس

### الدعاية والرأى العام

٤٧٤ - ٤٠٩

## ٤١١ الفصل الأول : تأثير الرأى العام

|     |           |                              |
|-----|-----------|------------------------------|
| ٤١١ | • • • • • | تعريف الرأى العام            |
| ٤١٥ | • • • • • | أهمية الرأى العام            |
| ٤١٨ | • • • • • | طبيعة الرأى العام            |
| ٤٢١ | • • • • • | القوى المحركة للرأى العام    |
| ٤٢٢ | • • • • • | قياس الرأى العام             |
| ٤٢٥ | • • • • • | أخطار عمليات مسح الرأى العام |
| ٤٢٦ | • • • • • | تغير الرأى العام             |
| ٤٢٧ | • • • • • | طريقة تحليل المضمون          |

## الفصل الثاني : وسائل استخدام الدعاية ٤٣٣

|     |           |  |
|-----|-----------|--|
| ٤٣٤ | • • • • • | التعاريف الواسعة والتعاريف الضيقة                |
| ٤٣٦ | • • • • • | أنواع الدعاية                                    |
| ٤٣٦ | • • • • • | الدعاية البيضاء                                  |
| ٤٣٦ | • • • • • | دعاية رمادية                                     |
| ٤٣٧ | • • • • • | دعاية سوداء                                      |
| ٤٣٩ | • • • • • | الاستراتيجية                                     |
| ٤٤٠ | • • • • • | التكتيك  |
| ٤٤٢ | • • • • • | تكتيكات الدعاية السوداء                          |
| ٤٤٥ | • • • • • | تقييم الفاعلية                                   |
| ٤٤٩ | • • • • • | تقييم دعاية المعارك                              |
| ٤٥٠ | • • • • • | الأهداف الكبرى التى يخدمها تقييم البرامج الجارية |
| ٤٥١ | • • • • • | صعوبة تكون عملية تقييم علمية يعتمد عليها         |
| ٤٥١ | • • • • • | نقص الفهم الواضح                                 |
| ٤٥٤ | • • • • • | أهمية السجلات الدقيقة                            |
| ٤٥٥ | • • • • • | المعايير اللازمة لقياس النتائج                   |
| ٤٥٩ | • • • • • | تحديد ظروف القتال                                |

## الفصل الثالث : دور بحوث الرأى فى تقييم الحرب

### ٤٦٣ النفسية

|     |           |   |
|-----|-----------|---|
| ٤٦٣ | • • • • • | دور بحوث الاتصالات فى تقييم الاذاعة الدولية |
| ٤٦٥ | • • • • • | عنصر الناقل                                 |

|     |                     |                                |
|-----|---------------------|--------------------------------|
| ٤٦٥ | • • • • • • • • • • | عنصر المضمون                   |
| ٤٦٧ | • • • • • • • • • • | عنصر المستمع                   |
| ٤٦٩ | • • • • • • • • • • | مسألة التأثير                  |
| ٤٧١ | • • • • • • • • • • | التحدى الكبير والحلول المحتملة |
| ٤٧١ | • • • • • • • • • • | الأسلوب الأقرب تماثلاً         |
| ٤٧٢ | • • • • • • • • • • | أسلوب الحكم المؤهل             |
| ٤٧٣ | • • • • • • • • • • | الخلاصة                        |

## الباب السابع

### المخابرات والتحليل

٥٣٨ - ٤٧٥

### الفصل الأول : دور المخابرات في الحرب النفسية ٤٧٧

|     |                     |  |
|-----|---------------------|--|
| ٤٧٨ | • • • • • • • • • • | المخابرات الايجابية                              |
| ٤٧٩ | • • • • • • • • • • | المخابرات الوقائية                               |
| ٤٧٩ | • • • • • • • • • • | أ - مخابرات الأمن                                |
| ٤٨١ |                     | قيود الأمن                                       |
| ٤٨٣ |                     | تقييم المواد من ناحية درجة السرية                |
| ٤٨٣ |                     | تحديد الأفراد الذين يتعاملون مع المعلومات السرية |
| ٤٨٤ |                     | التفرقة بين إجراءات الأمن والرقابة على النشر     |
| ٤٨٤ |                     | الرقابة على الاذاعة                              |
| ٤٨٦ |                     | مهمة جمع المعلومات                               |
| ٤٩٠ |                     | مقاومة التخريب                                   |
| ٤٩٢ |                     | مقاومة التآمر والتمرد                            |
| ٦٣٣ |                     |  |

## ٤٩٩ الفصل الثاني : مخبرات الدعاية

|     |           |   |
|-----|-----------|---|
| ٤٩٩ | . . . . . | الخيال الحصب والعمل الجاد . . . . .     |
| ٥٠٢ | . . . . . | طبيعة مشكلة المعلومات . . . . .         |
| ٥٠٣ | . . . . . | احتياجات المعلومات . . . . .            |
| ٥٠٣ | . . . . . | المعلومات من أجل التخطيط . . . . .      |
| ٥٠٥ | . . . . . | تحليل الهدف . . . . .                   |
| ٥٠٧ | . . . . . | الأنباء كمعلومات . . . . .              |
| ٥٠٩ | . . . . . | توائم المعلومات مع الوقت . . . . .      |
| ٥١٠ | . . . . . | التعرف على خطط العدو ومواقفه . . . . .  |
| ٥١١ | . . . . . | تقدير موقف دعاية العدو . . . . .        |
| ٥١٢ | . . . . . | تحليل الدعاية كمصدر للمخابرات . . . . . |
| ٥١٧ | . . . . . | تحليل الرأي العام . . . . .             |
| ٥١٩ | . . . . . | الاستفتاء . . . . .                     |
| ٥٢٠ | . . . . . | الاستجواب . . . . .                     |
| ٥٢٢ | . . . . . | حالة التخصص . . . . .                   |

## ٥٢٣ الفصل الثالث : تحليل الدعاية

|     |           |                        |
|-----|-----------|------------------------|
| ٥٢٥ | . . . . . | تكنيك العمل . . . . .  |
| ٥٢٦ | . . . . . | مواد الدعاية . . . . . |

|     |                     |                                    |
|-----|---------------------|------------------------------------|
| ٥٢٨ | • • • • • • • • • • | المواد المطبوعة                    |
| ٥٢٩ | • • • • • • • • • • | المواد المذاعة                     |
| ٥٣١ | • • • • • • • • • • | الاستماع بوساطة فرد واحد           |
| ٥٣٢ | • • • • • • • • • • | الدعاية ضد الحقيقة                 |
| ٥٣٦ | • • • • • • • • • • | المصدر                             |
| ٥٣٧ | • • • • • • • • • • | الوقت                              |
| ٥٣٧ | • • • • • • • • • • | المستمعون                          |
| ٥٣٨ | • • • • • • • • • • | الموضوع ، ماذا يقول ، ماذا يحتوى ؟ |
| ٥٣٨ | • • • • • • • • • • | المهمة                             |

## الباب الثامن

### التطبيق

٦١٤-٥٣٩

## الفصل الأول : ثورة ٢٣ يوليو في مواجهة أساليب الاستعمار والرجعية ٥٤١

|     |                     |                        |
|-----|---------------------|------------------------|
| ٥٤١ | • • • • • • • • • • | مقدمة                  |
| ٥٤٨ | • • • • • • • • • • | الوسائل والأساليب      |
| ٥٤٨ | • • • • • • • • • • | ١ - الاذاعات السرية    |
| ٥٥٣ | • • • • • • • • • • | ٢ - النشرات السرية     |
| ٥٥٤ | • • • • • • • • • • | تقليد الأصوات المعروفة |
| ٥٥٥ | • • • • • • • • • • | الصور المزيفة          |



|     |  |
|-----|--|
| ٥٥٦ | • • • • • الشائعات                                     |
| ٥٥٧ | • • • • • الاتحادات                                    |
|     | شراء جرائد وأقلام عربية وأجهزة تشويش وتقوية اذاعات     |
| ٥٥٧ | • • • • • الاستعمار                                    |
| ٥٥٨ | • • • • • الأحلاف الرجعية                              |
| ٥٥٩ | • • • • • المجلات                                      |
| ٥٥٩ | • • • • • المزيد من النصر يقابله المزيد من حملات النقد |
| ٥٦٠ | • • • • • القومية العربية في مواجهة الاستعمار          |
| ٥٦٢ | • • • • • مؤقر باندونج الأول « مارس ١٩٥٥ »             |
| ٥٦٤ | • • • • • تأميم قناة السويس « ٢٦ من يوليو ١٩٥٦ »       |
| ٥٦٧ | • • • • • التواطؤ                                      |
| ٥٦٩ | • • • • • فترة التوتر مع السموفيت                      |
| ٥٧١ | • • • • • اذاعة موسكو                                  |
| ٥٧٢ | • • • • • صحيفة البرافدا                               |
| ٥٧٢ | • • • • • قوانين يوليو الاشتراكية                      |
| ٥٧٥ | • • • • • الضغوط الاقتصادية                            |
| ٥٧٧ | • • • • • أمثلة للهجوم على مصر                         |
| ٥٧٨ | • • • • • الدعاية المعادية للوحدة المصرية السورية      |
| ٥٨٠ | • • • • • الخلافات العقائدية في المنطقة العربية        |
| ٥٩٠ | • • • • • صدى الميثاق الوطني                           |
| ٦٠٠ | • • • • • ثورة اليمن                                   |
| ٦٠٠ | • • • • • أولا - الجزيرة العربية                       |
| ٦٠١ | • • • • • ثانيا - المشرق العربي                        |

|     |           |                             |
|-----|-----------|-----------------------------|
| ٦٠٢ | • • • • • | ثالثا - المغرب العربي       |
| ٦٠٥ | • • • • • | رابعا - اسرائيل • • •       |
| ٦٠٦ | • • • • • | خامسا - الدول الغربية • • • |
| ٦٠٩ | • • • • • | الحلف الاسلامي • • •        |
| ٦١١ | • • • • • | الخلاصة • • •               |

تم الجزء الأول ويليه الثاني



التمن ١٠٠ قرشاً